دراسات قرآنية مقارنة (٢)

المناهج التفسيرية

عند الشيعة والسنّة

محمد علي اسدي نسب

مركز الدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

دراسات قرآنية مقارنة (٢)

المناهج التفسيرية
عند الشيعة والسنّة

محمد عليّ أسدي نسب

سرشناسه : اسدی نسب، محمدعلی، ۱۳۴۲ -
عنوان و نام پديدآور: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة/ محمدعلی اسدی نسب.
مشخصات نشر : طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مركز الدراسات العلمية، المعاونية الثقافية، ۱٤۳۱ ق = ۲۰۱۰ م =۱۳۸۹.
مشخصات ظاهری: ٤٧٦ ص.
فروست: دراسات قرآنيه مقارنه؛ ۲
شابك : ۹۷۸-۹٦٤-۱٦۷-۰۹۳-۳
وضعيت فهرست نويسی: فيپا
يادداشت: عربی
موضوع: تفسير - فن
موضوع: تفسير – تاريخ
موضوع: قرآن - تحقيق
شناسه افزوده: مجمع جهانی تقريب مذاهب اسلامی . مركز مطالعات علمی. معاونت فرهنگی.
رده بندی کنگره : ۱۳۸۸ ۸ م ٤٦ الف /۵/۹۱ BP
رده بندی ديويی: ۲۹۷ / ۱۷۱
شماره کتابشناسی ملی : ۱۹٤٦٦٤۲



- اسم الكتاب : المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة
- تأليف: الشيخ محمد علي أسدي نسب
- المراجعة: السيد مصطفى الحسيني الرودباري
- تقويم النص: شوقي شالباف
- الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية، مركز الدراسات العلمية.
- الطبعة: الأولى - ۱٤۳۱ هـ ق / ۲۰۱۰ م
- الكمية: ۲۰۰۰ نسخة
- السعر: ۸۵۰۰۰ ريال
- المطبعة: نگار
- شابك: ۹۷۸-۹٦٤-۱٦۷-۰۹۳-۳

- العنوان : الجمهورية الإسلامية في إيران – مجمع - طهران – ص . ب : ٦۹۹۵ - ۱۵۸۷۵
تلفكس : ۱٤ – ۸۸۳۲۱٤۱۱ – ۲۱ – ۰۰۹۸
مركز قم - ص. ب : ۳۸۷۳ - ۳۷۱۸۵
تلفكس: ۷۷۵٤۹٦٦ - ۷۷۵۵٤٤۸
البريد الالكتروني: qomtaghrib@yahoo.com

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

سورة محمد: ٢٤

كلمة المركز

من الواضح أنّ للمنهج دور حيوي ومحوري في تحديد القضايا العلمية المطروحة في كلّ حقول العلم على اختلافها، ولذا فإنّ الاختلاف في الرؤىٰ والتوجّهات والمسائل في علمٍ ما هو نتيجة الاختلاف في المنهج.

ونوع المنهج المتّبع في دراسة العلم ـ أيّ علم كان ـ لايفضي فقط إلى تشخيص الاختلافات في الآراء والرؤىٰ، وتعيين المسائل العلمية ذات الصلة بذلك العلم فحسب، بل قد يؤدي اتّخاذ منهج فاعل وصحيح وتام من حيث العناصر، وعارٍ عن الخطأ والزلل، إلى تطوير وتوسيع العلم أيضاً، بمعنى أنّ استخدامه بهذا النحو سيؤدّي إلى انتاج كم هائل من المسائل في مجال هذا العلم، كما يوجب حلّ معظم المشاكل العلمية الواردة فيه، مضافاً إلى أنّه يفتح آفاقاً علميةً جديدة بوجه العلماء والمختصين.

وفي المقابل، حينما يكون المنهج مضطرباً وناقصاً ومشتملاً على إشكالات فنّية وعلمية، يكون عاجزاً عن إحداث تطور جاد في العلم ولايستطيع النهوض به إلى أفق رحب، بل يكون أشبه بمن يضع العصيّ في دواليب عجلة العلم؛ ليعيق حركتها، ويخلق المزيد من الإبهام والغموض في مسائله.

ومن هنا، فإنّ بحث المناهج في جميع العلوم يقع على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، ويحظى بحساسية خاصة، لذا يجب إيلاء موضوع اتّخاذ المنهج المناسب دقةً اكبر

كلّما كان العلم أكثر أهمية، أو كانت الأهداف التي يتعقّبها والمسائل التي يتناولها ذات أبعاد حسّاسة ومهمة.

إنّه لمن المؤسف حقاً أن لايعتنى بالمناهج في العلوم الإسلامية، ولا تولّى الاهتمام الكافي، وإن أوليت بعض الاهتمام فلايعدو عن كونه اهتماماً ضعيفاً وهامشياً، فلم تُبذل الدقّة الكافية والوافية في هذا المجال، وإذا بُذلت فإنّما هي هزيلة ضئيلة.

في حين أنّه لو حظيت المناهج بالقدر الذي حظي به العلم وسائر حقوله لما ابتلينا بكثير من الجدل والغموض، وتكرار الأبحاث في العلوم المختلفة، ولتمكنّا من إيجاد حالة شفّافة وطريق سليم في تطوير تلك العلوم، وتعزيز الإبداع على هذا الصعيد.

فقد كانت حصيلة قرون سالفة من الزمن من العمل والتنظير في كلّ علم هي التوقّف في مرحلة من مراحله، أو التقدّم الوئيد المصحوب بالابهام والغموض في كثير من الأحيان، ولا شيء آخر؛ وذلك لانعدام الدقة في العمل والطرح، أو فقدان المنهجية المطلوبة.

والتفسير من العلوم الاسلامية القرآنية المهمة، حيث اهميته في دوره في كشف النقاب عن مراد الآيات القرآنية، ورفع الغموض والابهام عنها.

ذلك أنّ الكشف عن مراد الباري عزّ وجلّ من الغايات المثلى للعلوم الإسلامية، وقد يتجسّد هذا المراد في المجال العقائدي والفقهي والحقوقي والأخلاقي والتاريخي والثقافي... وما إلى ذلك. ومن هذا المنطلق يعتبر التفسير أمّ العلوم في الإسلام، والأساس الذي تنبني عليه معارف المسلم ورؤيته في الحياة والكون والأشياء المحيطة به.

ولمّا كان هذا العلم بهذا القدر من الأهمية والخطورة، وبهذه المنزلة الرفيعة

والمؤثّرة، يتّضح مدىٰ أهمية المناهج التفسيرية وضرورة العناية بـها، ولزوم بـذل قصارى الجهود في إطار دراسة منهجية لذلك العلم، فمتىٰ ما نُقّحت المناهج وبلغ المفسّر درجة متقدّمة في هذا المجال، يأخذ التفسير مساره الصحيح والقويم، كسائر العلوم.

وفي هذا الإطار لابدّ من الإشارة إلى أ نّه رغم ما أنجز لحدّ الآن في مجال مناهج التفسير من التطور والدقّة العلمية المتوخّاة، إلّا أ نّه ليس بالمطلوب في مقابل ما كان ينبغي فعله في هذا المجال، وعليه فمن الحريّ أن تتّجه الأنظار والكفاءات إلى فكرة المنهجة العلمية، وتهرع لدراسة أبعاد هذا الموضوع، مستفيدة من كافة التقنيات والإمكانيات وأساليب التحقيق المتاحة للكشف عن أفضل المناهج التفسيرية المتيسّرة؛ لأنّ التقدم في مجال تفسير القرآن محدود للغاية، وربّما تعود بعض أسباب ذلك إلى:

١ ـ عدم الإحاطة بالمناهج التفسيرية.

٢ ـ فقدان الجدّية في هذا الإطار من النشاط العلمي.

٣ ـ اكتفاء أغلب مفكّرينا المعاصرين بالتراث وعدم تجاوزه خوف ما يترتب على مجاوزة الخطوط المتفق عليها، وعدم التوسّع الذي قد يولّد تجاوزاً للخطوط المتّفق عليها.

٤ ـ الخوف من بعض التيارات المتطرفة، وخشية الخروج على ما أمر الله به.

٥ ـ انعدام الفكر الموسوعي على مستوى التفسير، وتناثر المشاريع التفسيرية هنا وهناك.

وعلى هذا الأساس، فالكتاب الماثل بين يديك ـ عزيزنا القارئ الكريم ـ يمثّل خطوة أولى في مجال المناهج التفسيرية الرحب، فقد استطاع مؤلّفه الشيخ محمد علي أسدي نسب ضمن استقصاء كتب التفسير المدوّنة بأقلام علماء المسلمين، من

الشيعة والسنّة معاً، تسجيل معطيات مهمة في هذا النطاق، والتي تمّ تقريرها في هذا الكتاب الذي جاء على شاكلة الدراسات العلمية القرآنية المقارنة.

ولايخفىٰ على القارئ اللبيب أنّه يمكن ملاحظة منهجين في هذا المجال:

أحدهما: وصف التراث الموجود.

والآخر: طرح البحث النقدي والدراسات والنظريات الجديدة، لكن طالما لم تكن لدينا رؤية علمية شفافة وصحيحة عمّا هو موجود ومبثوث في الكتب والموسوعات والدراسات القرآنية، فمن الصعب بمكان أن نتمكّن من خلق عناصر وعوامل جديدة في مجال التنمية المنهجية للتفاسير، أو نأتي بها في إطاره الصحيح.

ومن هنا قام المؤلّف مشكوراً ببذل جهود مضنية في عرض وتوصيف المناهج التفسيرية السائدة عند علمائنا ومفسّرينا، وتسجيل حصيلة ما بلغ جهده وإمكاناته؛ خدمةً لطلّاب العلم وذوي الاختصاص من الباحثين في علوم القرآن، وكاشفاً عن أبرز وأهم المناهج التفسيرية المتبعة على هذا المستوىٰ من الاهتمام، ومبيّناً حقيقتين ناصعتين:

(أ) التراث الهائل الذي خلّفه علماء الاسلام في العلوم القرآنية، والذي يكشف عن مدى الاهتمام الذي أولاه المسلمون للقرآن، وعنايتهم الفائقة به.

(ب) سعة المساحة المشتركة بين المدرستين العظيمتين : الشيعية والسنّية ، وأثرها على صعيد التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتوحيد الأمة فكرياً وثقافياً.

وإذ يقدّم مركزنا ـ مركز الدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهبالاسلامية ـ شكره الجزيل لسماحة المؤلّف على تجشّمه تأليف هذا السفر المفيد والقيّم، ولأفراد قسم علوم القرآن والحديث التابع للمركز، الذين لم يضنوا بما تأتّى لهم من مساعدة وعون في تقويم المتن، وإخراجه كملاً، يأمل في أن يحظى هذا الكتاب باهتمام الباحثين في مثل هذه العلوم، إذ يعدّ من خطوة أولىٰ في هذا

الصعيد، ويدعو الجميع من ذوي الاختصاص والاهتمام بالتفسير إلى رفد ما لديهم من رؤىً وأفكار ونظريات تقع في هذا الحقل، وتقديم مشاريع فكرية مماثلة تأتي في هذا المجال، من خلال التنسيق مع المركز؛ خدمةً للدين والقرآن وعلومه الشريفة، وحثّ الخُطى من أجل بناء أمة إسلامية موحدة وواعية، لاتخشى تكالب الأمم عليها، ولا تيأس من رحمة الله سبحانه.

ويقع هذا الكتاب برقم (٢) ضمن سلسلة الدراسات القرآنية المقارنة التي نهض بها مركزنا من أجل خدمة طلاب العلم وأساتذة علوم القرآن، وتعزيز الثقافة القرآنية في الأوساط الإسلامية.

نسأل المولى القدير أن يوفقنا في تقديم كلّ ما هو أفضل من الكتب والمؤلّفات الجادّة والهادفة، إلى جميع علمائنا ومثقفينا في أنحاء العالم الإسلامي الرحب، إنّه سميع مجيب.

أحمد المبلّغي
مسؤول مركز الدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

المقدّمة

يعدّ القرآن الكريم المحور الأساس الذي تلتفّ حوله الأمّـة الإسـلاميّة شـرقاً وغرباً، سنّة وشيعة، باختلاف مللها ونحلها، فإذا تفرّقت الأمّة فالقرآن يجمعها، وإذا سادت الفتن فالقرآن ينقذها، فهو جامع شتات المسـلمين، وهـاديهم إلى الصـراط المستقيم، ورادعهم عن الفُرقة، ومانعهم عن الشقاق، فيه شفاء دائهم ونجاتهم فـي معادهم. وهو المرجع الأوّل والميراث الأفضل لفهم الإسلام وما يحتاجه الإنسـان من العقيدة والتشريع، فهو يؤثّر تأثيراً مهمّاً في جميع مجالات الحياة الإنسانية.

فلهذه الخصائص الفريدة اشتغل المسلمون بتعلّمه وتدبّره منذ نزوله إلى يـومنا هذا، فألّفوا فيه كتباً ورسائل كثيرة، ممّا يتعلّق بتفسيره أو ما اصطلحوا عليه بـ(علوم القرآن).

وفي كلّ عصر تظهر اتّجاهات جديدة في دراسة القرآن، ولكنّها ليست على نمط واحد، إذ لاتخلو أحياناً من خطأ فاحش؛ بسبب وجود التيّارات الفكريّة المختلفة المؤثرة، فتنتج نتائج متغايرة أو متضادّة، ولكلّ من هذه التيارات الفكريّة والمذاهب النظريّة التفسيرية منهج خاصّ في التفسير، لذا فهي بحاجة ملحّة إلى الدراسة والنقد والتقصّي؛ ليتميز الصحيح عن غيره، ولأجل ذلك ظهر في عصرنا الراهن علم يبحث في مناهج التفسير والمفسّرين.

يذكر أنّ جذور شذا العلم ـ كسائر العلوم الجديدة ـ كانت موجودة في آثار ومؤلّفات السّلف قطعاً متناثرة هنا وهناك.

ولكن يبدو أنّ أوّل من دوّن كتاباً مستقلّاً مرتبطاً بهذه المسألة هو المستشرق المعروف (جولد تسيهر) الذي ألّف كتاباً سمّاه: (مذاهب التفسير الإسلامي)، ولكن المؤلّف لم يستطع كتمان يهوديته وتحامله على الإسلام وأهله، فإنّه ألّف الكتاب لكي يدسّ فيه أفكاره الباطلة، فاضطربت إثره الأوساط العلمية القرآنية فيما يتعلّق بالمذاهب أو المناهج التفسيرية، وبدأوا بالبحث والتأليف فيما يسمّونه بالمذهب التفسيري، أو المناهج التفسيرية، أو الاتّجاهات التفسيرية، أو أُصول وقواعد التفسير، وما شابه ذلك.

إلّا أنّ أوّل من كتب في هذا الموضوع من المسلمين: الدكتور الذهبي، الذي ألّف كتابه (التفسير والمفسّرون) في مجلّدين، وطرح فيه كثيراً من الآراء المهمّة في هذا المجال، لكنّه لم يخل من ضعف يمكن أن نلخصه في ثلاث، وهي:

أ ـ طريقة عرض الأفكار الشيعية حول القرآن والتفسير والعقيدة، وعدم الإنصاف في كيفية التعامل معها أحياناً.

ب ـ عرض المذهب الصوفي والتفسير الإشاري بصورة مشوهة، واتّخاذ موقف سلبيّ منه كليّاً، بالرغم من وجود الكثير من التفاسير العرفانية السليمة من الانحراف.

ج ـ ردّ الاتّجاهات العقلية الجديدة في التفسير، مع أنّها لا تخالف الضوابط العامة في هذا المجال ممّا يجعلها جديرة بالقبول.

على أنّ ثمة طائفتين من الكتب المؤلّفة في مجال البحث ودراسة مناهج التفسير:

(أ) كتب ألّفها علماء السنّة، وأغلبها بالعربية.

(ب) وكتب ألّفها علماء الشيعة، بعضها باللغة الفارسية، والآخر بالعربية.

ولكنّنا نرى نقصاً واضحاً في كلتا الطائفتين من الكتب، فأ كثر ما ا لفه إخواننا من أهل السنّة نجده إمّا غير متعرّض لأقوال علماء الشيعة، وإمّا أنّه لم يراعِ الإنصاف في تناول ما عرضوه في كتبهم. وما أ لّفه علماء الشيعة فأ كثره باللغة الفارسية، ولذا لم يحظ بفرصة اهتمام الناطقين باللغة العربية، كما أنّ هذه المؤلفات تعدّ بعيدةً عن لغة التقريب والتقارب بين المذاهب الاسلامية، وعمّا نحتاج إليه اليوم من عوامل ووسائل في التعامل الثقافي المشترك؛ ومعلوم أنّ لغة التعامل والتقريب لها مستلزمات خاصّة تجب مراعاتها وتطبيقها.

ولأهمية الموضوع في هذا الصعيد، وطرحه بثوب جديد مقارن، وحرصاً على تحقيق عوامل الوحدة الشاملة بين كلّ فئات ومذاهب المسلمين، خصوصاً فيما يتعلّق بالأسس الفكريّة والتراث العلمي المشترك، عمدنا إلى البحث في موضوع المناهج التفسيرية في إطار التقريب، مع الاهتمام بالمشتركات، وابراز مساحاتها العريضة، والابتعاد عن كلّ ألوان العصبيّة التي تؤدي بالمسلمين، جماعات وأفراداً، إلى هلكات الضلالة والتمزّق.

وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب؛ فقد شرعنا بذكر لمحة عامّة عن المناهج التفسيرية، مفهوماً وتاريخاً، والتعريف بالمنهج وفق رؤى المدرستين الشيعية والسنّية في مجال التفسير. وفي الباب الثاني تعرضنا إلى منهج التفسير الروائي وبعضٍ من نماذجه المشهورة والسائدة بين المسلمين، بينما في الباب الثالث تكلمنا عن منهج التفسير الاجتهادي ونماذجه.

على أنّه سعينا في دراسة كلّ منهج إلى ذ كر الأقسام المهمّة له.

وقد ا كتفينا بذكر منهجين معروضين من المناهج مع أقسام خاصّة لهما؛ لأنّ دراسة جميع المناهج تتطلّب مجالاً واسعاً، وقد تملأ مجلّدات ضخمة، وهو ليس هدفنا هنا.

والكتاب برمّته بصدد نقل الآراء والأقوال التي طرحها كبار علماء المدرستين، لذا كان من الضروري إسناد المطالب إلى الكتب والمراجع المعتبرة لدىٰ كلٍّ منهما.

ونقطة أخرىٰ تجدر الإشارة إليها، وهي أنّ أسلوب الكتاب أسلوب وصفي وإن كان لايخلو من دقّة وتحليل في بعض الأحيان، خصوصاً فيما يتعلّق بتقسيم الآراء والأقوال، والتوضيحات اللازمة لها، واستخراج الأمثلة الكثيرة لكلّ المناهج والنماذج المذكورة.

أخيراً نسأل الله التوفيق والقبول لعملنا الذي لم يكن إلّا لوجهه الكريم، والاستمرار في تقديم ما هو نافع ومفيد لأمتنا الاسلامية وأبنائها الأبرار، وتعزيز كلّ ما هو مؤثّر في تطوير ونجاح مسيرتها الوحدوية.

ولايفوتنا تقديم جزيل الشكر إلى مسؤول وكادر مركز الدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، وبالأخصّ حجة الاسلام والمسلمين الشيخ أحمد المبلغي، علىٰ حسن تعاونه، وإتاحته الفرصة لنا في تقديم خدماتنا لجميع المسلمين، وتوجيهاته المهمة على صعيد تقييم الكتاب وطبعه ونشره بهذه الحلّة الجميلة، والتقدير الكبير لأفراد مركز الدراسات الذين لم يألوا جهداً في سبيل تحقيق الصورة الفضلىٰ لهذا السفر الشريف، فجزاهم الله عنا جزاء المحسنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

محمد عليّ أسدي نسب

الباب الأوّل
نظرة إلى المناهج التفسيرية

الفصل الأول

المناهج التفسيرية مفهوماً وتاريخاً

تعريف المنهج التفسيري

المنهج لغةً

جاء في كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) أنّ الأصل الواحد في مادّة المنهج هو: الأمر الواضح البيّن، مادّياً أو معنوياً، سواء كان طريقاً أو بـرنامجاً أو جرياناً آخر،ومن مصاديقه:الطريق الواضح،الأمر البيّن المشخّص، البرنامج الواضح الجامع، الدين المستبين. ويدلّ على ما ذكرناه من الأصل: توصيف الطريق والأمر والبرنامج وغيرها بالمادّة، فيقال: طريق نهج، فلايصحّ وصف الطريق بنفسه، إذا كان النهج بمعنى الطريق [1].

المنهج اصطلاحاً

ذكرت للمنهج في الاصطلاح معانٍ كثيرة، منها:

١ ـ هو قواعد مؤكّدة بسيطة، إذا راعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من

---

١. راجع: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي ١٢: ٢٥٨.

أن يحسب صواباً ما هو خطأ.

٢ ـ هو طريق البحث عن الحقيقة في أيّ علم من العلوم، أو في أيّ نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية.

٣ ـ هو خطوات منظّمة يتّخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر، ويتّبعها للوصول إلى نتيجة.

٤ ـ هو إجراء يطبّق على أشياء مختلفة ومتنوعة، فيحوّلها من حالتها غير المنتظمة إلى نظام يجمع بينها على أساس علاقات ارتباطاتها ببعضها.

٥ ـ هو الطريق الواضح في التعبير عن شيءٍ، أو في عمل شيءٍ، أو في تعليم شيءٍ، طبقاً لمبادئ معيّنة ونظام معيّن بنيّة الوصول إلى غاية معيّنة [(١)].

ويمكن أن نعرّف المنهج بالتعريف التالي: هو خطّة منظّمة واضحة للوصول إلى هدف معيّن.

فهذا التعريف يشمل جميع المصاديق التي تستعمل فيها كلمة المنهج.

ولا مانع من صحّة هذا التعريف؛ لأنّه:

أوّلاً: أقرب إلى معناه اللغوي، وثانياً: لايوجد للمنهج تعريف معيّن تسالم عليه الجميع، لكي يكون هذا التعريف منافياً له.

التفسير لغةً

إظهار المعنى المعقول من الألفاظ والعبارات والإشارات، واستعمل مرّة واحدة في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [(٢)] أي: أحسن كشفاً وبياناً، فالمعنى اللغوي وهو: كشف معاني الألفاظ هو

١ . المنهج الأثري في تفسير القرآن، لمحمد أبي طبرة: ٢٢.

٢ . لسان العرب، والقاموس المحيط، ومجمع البحرين، وأقرب الموارد، وتاج العروس، مادة:(نهج).

الجامع لموارد استعمال لفظة التفسير.

التفسير اصطلاحاً

عرّف المفسّرون التفسير بعبائر مختلفة، فتارة عرّفوا التفسير بشكل يشمل جميع المباحث المتعلّقة بالقرآن الكريم، وبعض آخر يضيّقون دائرته ويخصّصونه بإزاحة الإبهام عن الألفاظ المشكلة والعبارات المبهمة [١].

وعلىٰ كلّ حال، فالتعريف لابدّ أن يكون جامعاً ومانعاً، وبهذا الميزان، يمكن أن نعرّف التفسير بـ (محاولة فهم مراد الله من القرآن)، فهذا التعريف يشمل جميع التفاسير؛ لأنّ كلّ المفسّرين يحاولون أن يفهموا مراد الله من الآيات، سواءٌ وصلوا في الواقع إلى المراد أم لم يصلوا، وسواء فسّروا الآيات الظاهرة أو الآيات المشكلة، ولم نعيّن الطريق والمصدر للوصول إلى هذا المقصد؛ لأنّ المهمّ هو الوصول إلى المراد.

ففي ضوء ما تقدّم من تعريف المنهج والتفسير نستطيع أن نعرف المنهج التفسيري، حيث ذكرت تعاريف كثيرة أيضاً للمنهج التفسيري نذكر هنا بعضها:

١ ـ هو المسلك الذي يتّبعه المفسّر في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض،وذكر ما ورد فيها من آثار،وإبراز ما تحمله من دلالات وأحكام ومعطيات دينية وأدبية وغيرها، تبعاً لاتّجاه المفسّر الفكري والمذهبي، ووفق ثقافته وشخصيّته [٢].

٢ ـ هو الطريقة الموضوعيّة التي يعالج بها المفسّر قضايا التفسير المختلفة، مع

---

١. راجع: الميزان في تفسير القرآن ١: ٤، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢: ١٤٨، والتفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، لمحمد هادي معرفة ١: ١٤.

٢. ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، لمحمد بكر إسماعيل: ٢٩.

إبراز رأيه وتحديد موقفه حيال هذه القضايا بكلّ ما يمكن من الوضـوح، بـخلاف الطريقة؛ فإنّها المظهر الشّكلي للطريقة التي سلكها المفسّر في تفسيره لآيات القرآن الكريم، أو ما يمكن أن نعبّر عنه بأ نّه الناحية الشكلية التـي تـرتسم فـي مـخيّلة الباحث [١].

٣ ـ هو الطريقة التي يسلكها مفسّر كتاب الله تعالى وفق خطواتٍ منظّمة يسير عليها؛ لأجل الوصول إلى تفسير الكتاب العزيز، طبقاً لمجموعة من الأفكار يعنىٰ بتطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره [٢].

٤ ـ ويمكن أن نعرّف المنهج التفسيري بما يلي: «هو الخطة المحدّدة الواضحة التي تتعلّق بكيفية الانتفاع بمصادر التفسير وكميّتها للوصول إلى فهم القرآن الكريم». وامتيازات هذا التعريف:

أ ـ كلمة «المنهج» تدلّ على البرنامج الواضح، فلذا ذكرنا في التعريف ما ينبئ عنها.

ب ـ لا يمكن التفكيك بين المناهج التفسيرية وكيفية الانتفاع بالمصادر التفسيرية، فذكرنا في التعريف «مصادر التفسير».

ج ـ السبب المهمّ في اختلاف مناهج التفسير يتعلّق بكـيفية الرجـوع إلى كـلّ مصدر، ففي غير المنهج الروائي المحض، يسـتفيد جـميع المـفسّرين مـن جـميع المصادر التفسيرية عادة، فالأمر الذي تنجم عنه المناهج المتعدّدة هو كيفية الرجوع إلى هذه المصادر ومقدار الانتفاع بها، فلأجل هذه الخصوصية، ذكرنا لفظة «الكيفية والكمية».

---

١. راجع: ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير، لعليّ محمد الزبيري ١: ٣٣٨.

٢. المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم: ٢٣.

وهناك ألفاظ أخرى بمعنىً يقارب معنىً لفظة المنهج، فيلزم تعريفها مختصراً:

منها: **«الاتّجاه»**

اتجاه كلّ مفسّر هو موقفه ونظره ومذهبه وجهته التي يولّيها من العقائد الدارجة، من السنّة والشيعة، أو المعتزلة والأشاعرة، سواء كانت وجهته عند تفسير كتاب الله تعالى تقليداً أو تجديداً، أو اعتماداً على المنقول أو المعقول، أو الجمع بينهما في إطار معيّن (١).

فالفرق بين المنهج والاتّجاه يظهر أوّلاً في الخفاء والظهور، فاتّجاه المفسّر مسألة مختفية عادة وراء كلامه، ويحتاج فهمه إلى الدقّة، بينما المنهج هو ما نشاهده بالعيان في تفسيره وكلماته عادة، وثانياً اتّجاه كلّ مفسر ينشأ من عقائده وأفكاره، بينما يمكن أن يكون المنهج ناشئاً من اختياره؛ لوجود ضرورة خاصّة اقتضت ذلك المنهج، وإن لم يعتقد بالاكتفاء بذلك المنهج فقط، فمن هنا نستطيع أن نقول: إنّ الاتّجاه متعلّق بشخص المفسّر، ولكنّ المنهج متعلّق بتفسيره.

ومنها: **«اللّون»**

إذا كان للمفسّر اتّجاه خاصّ وأفكار و عقائد معيّنة، فإنّها تظهر في تفسيره عادة، وتلوّنه بلون خاص مطابقٍ لاتّجاهه؛ لأنّه لايمكن لمن يريد أن يفهم آية من الآيات، تجريد نفسه من أفكاره وميوله، فهو لا شعوريّاً يفسّر النصوص في إطار اتّجاهه، سواء اعترف به أم لم يعترف، فالمفسّر لايفهم من النصّ إلّا ما يرقىٰ إليه فكره ويمتدّ إليه عقله، وبهذا الفهم يتحكّم في النصّ ويحدّد بيانه (٢).

ومنها: **«الطريقة»**

الطريقة هي: تطبيق المفسّر للقواعد والأسس التي كانت منهجاً له في فهم

---

١. ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، لمحمد بكر إسماعيل: ٢٩.

٢. راجع: مناهج التجديد، لأمين الخولي: ٢٩٦.

القرآن. فمنهج المفسّر في تفسيره، أشبه ما يكون بالمخطّط الهندسي الدقيق على الورق، وطريقة المفسّر في تفسيره، أشبه ما تكون بالتزام المهندس المنفّذ بالمخطّط الهندسي الذي سُلِّم له [١].

ومنها: «**المباني**»

تطلق المباني التفسيرية عادة على جميع الفرضيّات والعقائد الموجودة لدى المفسّر التي تؤثّر في عمليّة التفسير ومعطياتها، كما تؤثّر بالطبع في مناهج التفسير. وهذه المباني قسمان، هما:

أ ـ المباني الصدوريّة، وهي عبارة عن مجموعة من القضايا تثبت وحيانية القرآن الكريم، مثل: عدم تحريف القرآن، إعجاز القرآن.

ب ـ المباني الدلاليّة، وهي عبارة عن مجموعة من القواعد في مجال فهم القرآن وكيفيّة تفسيره، مثل حجيّة الظواهر، إمكان فهم القرآن [٢].

ومنها: «**الأسلوب**»

الأسلوب عبارة عن كيفية عرض التفسير، فالمفسّر إذا كان له اتّجاه ومنهج، فلابدّ أن يلقي آراءه التفسيرية بشكل خاص، وذلك الشكل هو أسلوبه.

والأسلوب هنا له تقسيمات نذكر قسمين منها: أسلوب تفسير الآية، وأسلوب تفسير القرآن.

الأول: نجد كثيراً من المفسّرين يتّخذون أسلوباً خاصاً لتفسير الآية، فمثلاً الطبرسي في مجمع البيان، يفسّر كلّ آية بأسلوبه الخاص، فهو يخبر باختلاف القراءة أوّلاً، ويذكر الحجّة على القراءات ثانياً، ويدخل في البحوث اللغوية ثالثاً،

---

١. راجع: تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين: ١٩.

٢. راجع: مبانى وروشهاى تفسير، لمحمد كاظم شاكر: ٤٠.

ويذكر الإعراب رابعاً، ويأتي بأسباب النزول خامساً، ثم يذكر أخيراً المعنى سادساً، فهذا أسلوبه في تفسير الآيات.

والثاني: هناك أسلوب لا يتعلّق بتفسير الآية بل يعمّ كلّ القرآن، مثل الأساليب التالية:

١ ـ **أسلوب التفسير الترتيبي**: وهو تفسير آية بعد آية، على حسب ما يوجد في القرآن، فيأتي المفسّر بكلّ ما يراه مناسباً لتفسير الآية دون النظر إلى شيء آخر.

وهذا على قسمين:

ـ التفسير الترتيبي، وهو تفسير القرآن على الترتيب الموجود فيه.

ـ التفسير الترتيبي على حسب نزول السور، مثل «تفسير بيان المعاني»، لعبد القادر ملا حويش، و«التفسير الحديث» لمحمد عزّة دروزة.

٢ ـ **التفسير الموضوعي**: وهو التفسير على أساس الموضوعات القرآنية، فيأتي المفسّر بجميع الآيات المتعلّقة بموضوع خاص،وينظّمها ويفسّرها معاً،مثل (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، لسميح عاطف الزين، في أربعة عشر مجلّداً، وتفسير (منشور جاويد)للأستاذ جعفر السبحاني،طبع منه اثنا عشر مجلّداً إلى الآن،ولا يزال مستمرّاً.

٣ ـ **وهناك نوع آخر من التفسير له أسلوب خاص**: ليس موضوعيّاً ولا ترتيبيّاً كبقية التفاسير الترتيبية، بل له الخصوصيّتان: خصوصية التفسير الترتيبي؛ إذ يفسّر القرآن آية بعد آية على ما هو موجود في القرآن الكريم، وخصوصيّة التفسير الموضوعي؛ لأنّه إذا وصل إلى آية أو مجموعة آيات خاصّة تتحدث أكثر من الآيات الأخرى عن موضوع معيّن، يقف المفسّر فيأتي بآيات وروايات أخرى ويتكلّم عليها مستوعباً، مفيداً من يريد أن يفهم رأي القرآن حول ذلك الموضوع، مثل «الميزان في تفسير القرآن»، للعلّامة الطباطبائي.

تقسيم المناهج التفسيرية

المناهج التفسيرية متنوعة، وفي كيفية تقسيم هذه المناهج، وقعت اختلافات كثيرة وعبارات متشتتة. وقبل أن نذكر ما هو الصحيح، نأتي ببعض ما ذكره بعض المفسّرين والعلماء من المدرستين:

١ ـ **الدكتور الذهبي:** يعتقد الذهبي أنّ التفسير إمّا مأثور أو تفسير بالرأي، والتفسير بالرأي إمّا تفسير عقليّ ممدوح أو مذموم، والمذموم هو: تفسير يتأثر بمذهب المفسّر واتجاهاته الذاتيّة، وقد ذكر أحد عشر نموذجاً من هذا النوع الأخير وهي تفاسير: المعتزلة، الشيعة، الإسماعيلية، البابيّة، البهائيّة، الخوارج، الصوفيّة، الفلسفية، الفقهية، العلمية، والعصرية [١].

٢ ـ **الشيخ خالد عبدالرحمان العك:** يمكن تلخيص ما ذكره الشيخ خالد في أقسام التفسير بما يلي: التفسير إمّا تفسير بالمأثور أو باللغة أو بالعقل أو بالاجتهاد أو بالاشارة، فالأوّل: إمّا تفسير القرآن بالقرآن، أو بالروايات المرويّة عن الرسول ﷺ، أو بأقوال الصّحابة أو التابعين. والتفسير الإشاري على قسمين: تفسير إشاريّ شهوديّ، وتفسير إشاريّ علميّ [٢].

٣ ـ **الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني:** يقول: أصول المنهج (التفسيري) لاتتعدّى أصلين، هما: أ ـ التفسير بالعقل. ب ـ التفسير بالنقل. لكنّ لكلٍّ صوراً:

أمّا الأوّل، فصوره عبارة عن:

أ ـ التفسير بالعقل الصريح.

ب ـ التفسير في ضوء المدارس الكلاميّة.

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون ١: ٣٦٧ وبعدها.

٢. راجع: أُصول التفسير وقواعده: ٧٥ وبعدها.

ج ـ التفسير في ضوء السنن الاجتماعية.
د ـ التفسير في ضوء العلم الحديث.
هـ ـ التفسير حسب تأويلات الباطنيّة.
و ـ التفسير حسب تأويلات الصوفيّة.
وأمّا الثاني، فصوره عبارة عن:
(أ) تفسير القرآن بالقرآن.
(ب) التفسير البياني للقرآن.
(ج) تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية.
(د) تفسير القرآن بالمأثور عن النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام.
فهذه الصور العشر من فروع المنهجين الأصليين [١].

٤ ـ **الأستاذ الشيخ محمد هادي معرفة**: يقول: وأمّا المناهج التفسيرية التي يسلكها المفسّر ويتّجه نحوها في تفسيره للآيات القرآنية، فتختلف حسب اختلاف اتجاهات المفسّرين وأذواقهم، وأيضاً حسب معطياتهم ومواهبهم في العلوم والمعارف وأنحاء الثقافات، فمنهم من لايعدو النقل، معتقداً أن لا سبيل للعقل إلى تفسير كلامه تعالى، ومنهم من أجاز للعقل التدخل فيه، ويرى للرأي والنظر والاجتهاد مجالاً واسعاً في التفسير، حيث قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [٣]، فللتدبّر في القرآن والتفكّر حول آياته ومفاهيمه مجال واسع، قد فتح القرآن ذاته أبوابه بمصراعين، غير أنّ بعضهم أسرف في التعقّل، وربما التحق بالتوهّم المتكلّف فيه.

---

١ . المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ٥ و٦.

٢ . محمد: ٢٤.

٣ . النحل: ٤٤.

وعلى أيّ تقدير، فالمنهج الذي انتهجه المفسّرون إمّا نقلي أو اجتهادي، وقد عرفنا سبيل النقلي واعتماده على المأثور، إمّا مع شيء من البيان والتوضيح، كما سلكه أبو جعفر الطبري، أو بمجرد النقل من غير نظر وبيان، كالذي انتهجه جلال الدين السيوطي والسيد البحراني.

وأمّا النظري الاجتهادي، فمعتمده إمّا مجرد الرأي الخاصّ [للمفسّر] حسب عقيدته ومذهبه، فهذا كأكثر تفاسير أهل الباطن، أو مجموعة مصادر التفسير من المنقول والمعقول، وهذا هو الشائع من التفاسير المعتبرة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأوّل ولا يزال [١].

وقسّم التفسير الاجتهادي إلى: التفسير الفقهي، التفسير الجامع، التفسير في العصر الحديث، التفاسيرالأدبية، التفاسير اللغوية، التفاسير الموجزة، التفاسير العرفانية (التفسير الرمزي والإشاري) [٢].

تقسيم آخر للمناهج التفسيرية

يمكن تقسيم المناهج التفسيرية بطريق آخر أوضح من التقسيم السابق وأوفق بما نجده في التفاسير الموجودة، فنقول:

التفسير إمّا روائي، أي: يعتمد على الروايات، وهذا النوع ينقسم قسمين:

أ ـ الروائي المحض، وهو: المنهج الذي يعتمد على الروايات فقط، ولانجد فيه الاستدلال والنظر والاجتهاد، كتفسير (الدرّ المنثور) وتفسير (نور الثقلين).

ب ـ الروائي مع شيء بسيط من النظر والاجتهاد، مثل تفسير (الصافي) و(تفسير الطبري). والكلام القاطع في تفسير الآيات هنا هو الروايات، والنظر والاجتهاد

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ١٩ و٢٠.

٢. المصدر السابق: ٣٤٧.

يكون تابعاً لها أو شارحاً.

وإمّا اجتهاديّ، فنرى فيه التمسّك بالبراهين، كما هو دأب أهل الرأي والاجتهاد.

والاجتهادي ينقسم قسمين: إمّا اجتهادي غير مقبول؛ لأنّ المفسّر يأتي بالآراء الباطلة ويفسّر القرآن بالرأي، أو اجتهادي يمكن قبوله والتمسّك به، فنسمّيه التفسير الاجتهادي المقبول إذا مشى المفسّر على المنهج المطلوب [١].

والتفسير الاجتهادي المقبول عند جلّ المفسّرين نوعان:

النوع الأول: الاجتهادي الجامع، ففي هذا النوع من التفسير يُستفاد من كلّ ما يمكن أن يقع في طريق فهم كتاب الله تعالى، ولايجعل المفسّر نفسه في ضيق، بل يقتفي أيّ دليل يرشده ويدلّه على مراد الله من الآيات، مثل تفسير (مجمع البيان)، و(التفسير الكبير).

النوع الثاني: غير الجامع، فالمفسّر في هذا النوع من التفسير لايستفيد من جميع الطرق والمصادر لفهم الآيات، بل يرىٰ طريقاً واحداً أو بعض الطرق صحيحاً أو أصحّ وأنسب، فيمشي على طبقه، ويعتمد عليه في التفسير، دون أن يفتح المجال لكلّ ما يمكن أن يعتمد عليه في تفسير القرآن.

وهذا النوع على قسمين: نقلي وغير نقلي. فالاجتهادي النقلي يتنوّع إلى أقسام منها:

الأول: الاجتهادي الأدبي، ويعتمد المفسّر فيه على ما ذكره الأدباء من القواعد الصرفية والنحوية واللغوية والبلاغية وسائر العلوم العربية.

والثاني: الاجتهادي القرآني، المسمّىٰ بتفسير القرآن بالقرآن، ويعتمد المفسّر فيه

---

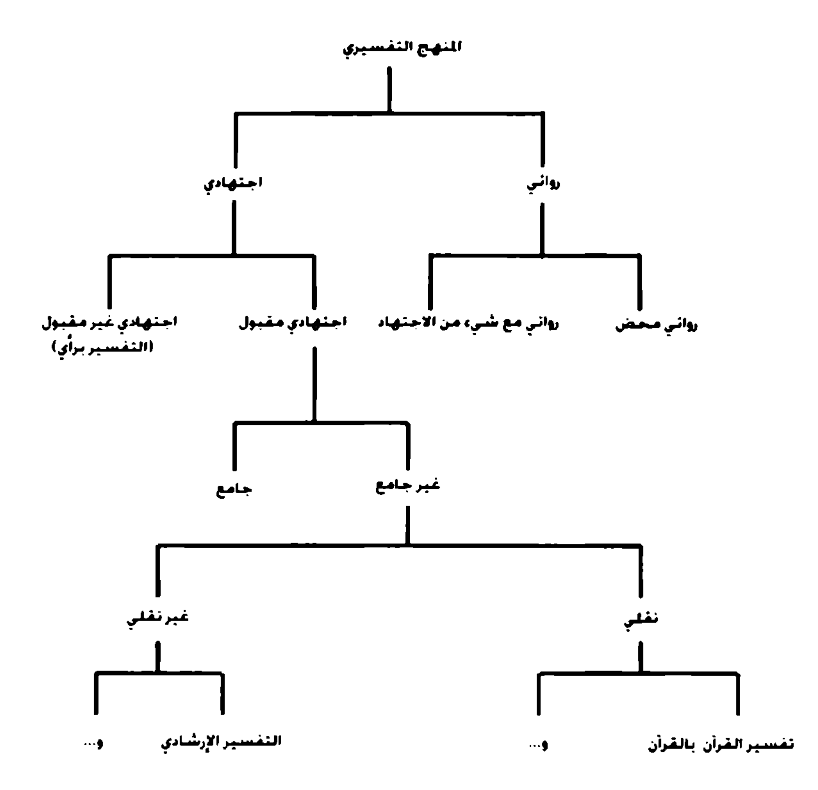
١. بعض المفسّرين والقرآنيين قسّموا التفسير بالرأي إلى الاجتهادي المقبول وغير المقبول، ولكنّنا رعايةً لظاهر الروايات المانعة من تفسير القرآن بالرأي، لم نجعل التفسير بالرأي مقسماً للاجتهادي المقبول وغير المقبول؛ لأنّ التفسير بالرأي عملية مذمومة في الروايات.

على ما في القرآن من الآيات، فيجعل آية موضّحة لآية أخرى، إمّا بالتبيين أو التقييد أو التخصيص أو غير ذلك من البيانات القرآنية التي سوف نذكرها في المستقبل، مثل (تفسير الميزان) و(تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

وغير النقلي له مصاديق كثيرة، أشهرها: التفسير الإشاري الذي يعتمد على الواردات القلبية بواسطة الرياضات الفكرية والعملية.

وفي هذا الكتاب سوف نتكلّم على التفسير الروائي بقسميه، والاجتهادي المقبول: الجامع وغير الجامع، ونبحث عن منهج تفسير القرآن بالقرآن، وعن منهج التفسير الإشاري، باعتبارهما نوعين من أنواع التفسير الاجتهادي غير الجامع.

وفي ضوء ما ذكرناه آنفاً يمكن أن نرسم مخططاً لأنواع المناهج التفسيرية كمايلي:



ضرورة البحث عن مناهج التفسير

البحث في المناهج التفسيرية بحث مهم ، لا يمكن إغفاله من قِبل المـفسّرين ، والدليل على ضرورته وأهميّته مايلي:

أ ـ أنّ مراد الله من الآيات واحد، ومعطيات المناهج التفسيرية في كثير من الموارد متعدّدة؛ لأنّ كل منهج تفسيري له نتيجة خاصة في فهم المقصود من القرآن الكريم.

فلابدّ من تعيين المنهج الصحيح من المناهج المعروفة؛ لكي لا نقع في الخطأ في تشخيص مراد الله تعالى، فنضلّ أو نُضلّ الآخرين.

ب ـ في ضوء دراسة المناهج التفسيرية، نتمكّن من تمييز التفاسير المـوجودة، وتعيين طريقتها ومنهجها التفسيري، ونواجهها بالوعي والدقة، ونفهم مراد المفسّرين بسرعة، إذ من دون معرفة نقاط القوّة والضعف لدى المفسّرين ـ عن طريق دراسة مناهجهم ـ لايمكن لنا عادة الاحتراز من السقوط في أخطائهم أو الاستفادة مـن معطياتهم ونتائج بحوثهم.

ج ـ كلّ مفسّر حينما يريد أن يفسّر القرآن لابدّ أن يختار منهجه بأسلوب منطقي صحيح، وهذا لايمكن إلّا بدراسة المناهج واختيار ما هو الأصحّ منها.

د ـ إذا أمرنا الله تعالى بالتدبّر في القرآن، وأمرتنا السنّة الشريفة بتفسير الفرقان، فبمقتضى قاعدة وجوب المقدّمة عند وجوب ذيها، أو قاعدة: الأمر بـالشيء أمـر بلوازمه، يمكن أن نقول: إنَّ الله أمرنا بأن نتعامل مع القرآن بأسلوب جميل ومنهج قويم، فلابدّ من اختيار منهج صحيح للتعامل مع القرآن المجيد، ولايمكن هـذا إلّا بعد التحقيق في مناهج التفسير.

تاريخ المناهج التفسيرية

عندما نتعرّض للبحث عن كلّ منهج من المناهج التفسيرية، نعقد فـي الغـالب عنواناً باسم (تاريخ المنهج)، ولكننا هنا نتكلّم على تاريخ المناهج بشكل عام دون

تفصيل وتطويل، بما يتناسب مع مقدّمة البحث، فنقول:

نزل القرآن الكريم هداية للناس، فالإنسان هو المخاطب بفهم الآيات. فيجب عليه أن يستفيد من كلّ إمكاناته المادية والمعنوية للوصول إلى المقصود من القرآن، شأن كلّ كتاب يواجهه الإنسان للفهم والتطبيق في مجالات الحياة، وهذه المسألة بطبيعتها تؤدّي إلىٰ ظهور المناهج المختلفة لتفسير الآيات النازلة؛ لأنّ الإمكانات الموجودة لدى الناس مختلفة، فكلّ فرد يواجه نصّاً من القرآن الكريم يفهم منه ما يتناسب مع مستواه الذهني والعلمي، إضافة إلىٰ تأثير اتجاهاته المذهبية، ومن ناحية أخرىٰ هناك طرق لفهم القرآن، مثل: الطرق النقلية، العقلية، والقلبية، فلابدّ أن يستفيد المفسّر من الروايات، واللغة العربية، وفهم العرف من الظواهر، والعقل، وغيرها من الإمكانات العلميّة الموجودة لدى المفسّرين.

ومن ناحية أخرى، نجد في القرآن الكريم نفسه وفي كلام الرسول ﷺ ما يرشدنا إلى وجود المناهج المختلفة في فهم القرآن الكريم:

فالقرآن يرشدنا إلى تناسب آياته وعدم تفاوته، ويضع الحجر الأساسي للتفسير الروائي، حينما يرشد الناس إلى كلام النبي ﷺ، فيكلّف الرسول ﷺ بتبيين القرآن المجيد. ونجد في كثير من الآيات، التصريح بحجيّة العقل وأحكامه ولزوم تدبّر القرآن، وهل يمكن التدبّر من دون التعقل؟

فالقرآن هو المصدر الأول للتفسير الروائي والعقلي، وتفسير القرآن بالقرآن، كما أنّ الكثير من العلماء يرون أنّ مصدر التفسير الشهودي العرفاني هو القرآن المجيد أيضاً؛ إذ قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[1] فقالوا: مسّ ظاهر القرآن، يحتاج إلى الطهارة الظاهرية من الحدث والخبث، ومسّ باطن القرآن وحقيقته وفهم آياته

---

١. الواقعة: ٧٩.

وإشاراته، يحتاج إلى الطهارة الباطنية من الذنوب ومن التوجّه إلى غير الله تعالى [١].

ولو تأمّلنا في روايات الرسول ﷺ وأهل بيته وأصحابه، لوجدنا الإشارة إلى أكثر المناهج التفسيرية الموجودة الآن، فنجدهم يفسّرون بعض الآيات ببعض آخر، أو يستفيدون من العقل، أو يستشهدون بالقواعد اللغوية وأشعار العرب، أو ينقلون رواية عن الرسول ﷺ استشهاداً لما هو المقصود من الآيات ، وقد كان بعض الناس متابعاً للهوى، ومخالفاً لما هو المرسوم في تفسير القرآن، فقاموا بتفسير القرآن، لا على أساس القواعد المحكمة، بل طبقاً لآرائهم الباطلة، فظهر التفسير بالرأي الباطل، فوردت روايات كثيرة، تمنع من هذا النوع من التفسير، وتتوعّد بالعقاب الشديد لمن يفسّر القرآن الحكيم على طبق رأيه المعيب.

إضافة إلى ماذكر ، ظهر بعض المناهج أو الاتّجاهات التفسيرية ، تأثّراً بالزمان ومقتضياته ، فحينما وردت الفلسفة اليونانية إلى المسلمين ، ظهرت فكرة التفسير الفلسفي، وحينما ظهرت العلوم الجديدة في البلدان الغربيّة وأحرزت تقدّماً في مجالات كثيرة ، وأبطلت كثيراً من عقائد المسيحيّة وأركانها ، بدأ العلماء يعالجون الموقف ، مدّعين أنّ الإسلام موافق للعلم ومؤيّد له ، وأنّ في القرآن آيات تشير إلى بعض ما وصل إليه الغربيون ، ومن هنا فسّر بعض القرآن بتفسير علمي، كما أنّ المشاكل الاقتصادية والأخلاقية والثقافية ، احتاجت إلى الحلّ من قبل المدّعين لقيادة البشرية ، فحاول بعض أن يفسّر القرآن استجابة لما تدعو إليه متطلبات الحياة ؛ ولذا وجدت التفاسير الاجتماعية وغيرها .

كيفيّة نشوء المناهج التفسيرية وعللها

يمكن أن نذكر لمراحل التفسير في عصر التدوين أربع خطوات:

الأولى: تدوين الأحاديث التفسيرية ضمن الكتب الروائية.

---

١ . راجع: تفسير القرآن الكريم، لصدر المتألّهين الشيرازي ٧: ١٠٩.

الثانية: تدوين الأحاديث التفسيرية مع الأسانيد مستقلة عن كتب الحديث، مثل ما فعل ابن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ وغيره من العلماء.

الثالثة: تدوين الأحاديث التفسيرية مع اختصار في الأسانيد أو حذفها رأساً، فنقلوا الأقوال التفسيرية المأثورة دون أن ينسبوها لقائليها، فدخل الوضع في التفسير، والتبس الصحيح بالعليل، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، بظنّ أن كلّ ما فيها صحيح.

الرابعة: اختلاط التفسير بالمأثور بالتفسير العقلي، وقد امتدّت من العصر العباسي إلىٰ يومنا هذا، وقد تدرّجت كما يلي:

بدأ ذلك أوّلاً على هيئة محاولات فهم شخصي، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية، ثم أخذت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد، متأثّرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوّعة والآراء والعقائد المتباينة، فتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصّب المذهبي في العصر العباسي، وقامت الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت هذه العلوم وما يتعلّق بها من أبحاث بالتفسير، حتى غلب الجانب العقلي على الجانب النقلي، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوّف وآثار النِّحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً.

وإنّا نلحظ بوضوح: أنّ كلّ من برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه، فالنحوي لا همّ له إلّا الإعراب، وذكر ما يحتمل فيه من أوجه، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافيّاته، ومن هؤلاءِ الزجّاج والواحدي في (**البسيط**)، وأبو حيّان في (**البحر المحيط**).

ونرى صاحب العلوم العقلية يُعنىٰ في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة؛ كالفخر الرازي في (**مفاتيح الغيب**).

وصاحب الفقه تراه يعنىٰ بتقرير الأدلّة للفروع الفقهية، والردّ على من يخالف مذهبه؛ كالجصّاص والقرطبي.

وصاحب التاريخ، ليس له شغل إلّا القصص وأخبار من سلف.

وأصحاب التصوّف قصدوا ناحية الترغيب والترهيب، واستخراج المعاني الإشارية من الآيات القرآنية، بما يتفق مع مشاربهم [1].

قال الدكتور رضائي الإصفهاني ما ملخّصه: يمكن تحديد أسباب ظهور المناهج التفسيرية وألوانها بما يلي:

طبيعة القرآن

نزل القرآن طيلة ثلاث وعشرين سنة بآيات مختلفة المضامين، ومن المعلوم أنّ مقتضىٰ طبيعة كتاب كهذا، إذا أردنا معرفته، هي الرجوع إلىٰ آياتٍ منه لحلّ الإجمال في آياتٍ أخرىٰ، ففيه ناسخ ومنسوخ، وعامّ وخاص، ومطلق ومقيد، ومن هنا نشأ منهج تفسير القرآن بالقرآن.

أمر القرآن باتّباع كلام الرسول ﷺ

إنّ القرآن يكلّف النبي ﷺ ببيان القرآن للناس، فيجب على الناس الإستماع إلى الروايات التفسيرية المأثورة عن النبي ﷺ، فمن هنا نشأ منهج التفسير بالمأثور.

عقائد المفسّرين

بعد وفاة الرسول ﷺ، ظهرت مذاهب مختلفة، مثل: الشيعة والسنّة، ومذاهب فقهيّة، مثل: المذاهب الأربعة المعروفة. ووجدت أيضاً المذاهب الكلامية مثل المعتزلة والأشاعرة، وامتدت هذه الاختلافات العقائدية إلىٰ تفسير الآيات، فأكّد

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ١٤٠ ـ ١٤٨.

أصحاب هذه المذاهب الآياتِ المناسبة لمذاهبهم وتوسّعوا فيها ، وأوّلوا الآيات المخالفة لآرائهم أو سكتوا عنها في الغالب.

تأثير الآراء والمذاهب والعلوم في التفسير

شهد القرن الثاني ترجمة كثير من تأليفات اليونانيين والإيرانيين إلى اللغة العربية، ممّا كان يتعلّق بالعلوم العقلية أو التجريبية، وفي ظلّ هذه العملية ظهر علم الطب والفلسفة بين المسلمين، فظهرت بتأثير ذلك المناهج العلمية والفلسفية في التفسير.

الأجواء الحاكمة في زمن المفسّر

أراد بعض المفسّرين، حلّ المشاكل الاجتماعية التي كانت موجودة في زمنهم وحاكمة على بلادهم، فاستفادوا من الآيات ما يرون فيه حلّاً لما يعانونه من المشكلات الأخلاقية أو السياسية أو غيرهما، ومن هنا نشأ التفسير العصري والاجتماعي.

ونرىٰ ظهور هذه التفاسير أكثر من السابق، بعد تفسير المنار، فهو الرائد للتفاسير العصرية والحامل للأفكار التي تهدف لحلّ المشاكل الوافدة على الأمة الإسلامية، ولايزال هذا النوع من التفسير مستمراً حتّى الآن.

تخصّص المفسّر

بعض المفسّرين متخصّص في بعض العلوم، وهؤلاء حينما يفسّرون القرآن ويصلون إلى الآيات المرتبطة بتخصّصهم يقفون عندها أكثر من غيرهم، ويستفيدون من علومهم في تفسير هذه الآيات، الأمر الذي يلوّن تفسيرهم بلون خاص [1].

---

١ . راجع: روشها و گرايش‌هاى تفسيرى قرآن، د. محمد عليّ رضائي إصفهاني:٢٨ ـ ٣٢.

طبيعة الخلقة الإنسانية

إنّ الله تعالى لم يخلق الناس على نمط واحد، بل خلقهم مختلفين، فلايمكن أن نجد إنساناً يماثل إنساناً آخر في الفكر من جميع الجهات، حتى لو كانا من أب واحد وأمّ واحدة، أو كانا توأمين، وهذا الاختلاف موجود في ظاهر الإنسان وباطنه، ولأجل ذلك نرى معطياتهم في العلوم والصنائع مختلفة، وقد نرى أحياناً تلميذين يدرسان لدىٰ استاذ واحد وعلى مذهب واحد، ولكن كلّ واحد منهما يميل إلى منهج يختلف عن منهج الآخر، ولانرى علّة لذلك إلّا أن نقول: إنّ الله تعالى خلق الإنسان وجعل فيه ما يجعله يكوّن شخصية بإرادته.

ونستفيد من معرفة هذه الخلقة الإلهية وجوب تحمّل الآخرين، وعدم التعصّب الأعمىٰ، وعدم التكفير واللعن؛ فإنّ من مظاهر الجهل الاجتناب عن العقل.

الفصل الثاني
منهج الشيعة في التفسير

تمهيد

إنّ تفسير القرآن الكريم بالمناهج الروائية والاجتهادية بأقسامها الصحيحة ، يعدّ من المناهج المشتركة بين الشيعة والسنّة ، وفي الواقع إنّ كـلا المـدرستين أراد أن يسلك سبيلاً هو أقرب لفهم الآيات وأصوب لتفسير القرآن ، ولكن مع هذا ، هناك معالم أساسيّة نجدها في المذهب الشيعي تجاه القرآن وتفسيره، وهذه المعالم بعضها موجود في المنهج السني أيضاً، وبعضها إمّا أن لايوجد، أو يوجد، ولكن بلون خاص وكيفية معيّنة تختلف عمّا لدى الشيعة، ومن مجموع هذه المـعالم التـي سـنذكرها جميعاً، يتحدّد الموقف الشيعي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم.

ومن جهة أخرىٰ، نجد بعض المفسّرين من أهل السنّة، عندما يذكرون تفاسير الشيعة ومناهجهم، يتعرّضون لبعض المسائل الاعتقادية والعملية في تفاسير الشيعة التي يرونها غير صحيحة، عند تعرضّهم لتفاسير الإمامية، فـلأجل ذلك سـنعرض بعض عقائد الشيعة، المذكورة في الكتب المعتبرة والتفاسير المعتمدة لديهم، نـذكر

عبارات علماء الشيعة المعتمدين بنصّها من دون تصرّف إلّا بقدر الضرورة، مع ذكر المصادر المعتبرة، بما يؤدّي لبيان وجه الحق في هذه المسألة.

المباني التفسيرية

المباني التفسيرية للشيعة كثيرة، نذكر أهمّها هنا:

١ ـ القرآن سالم من جميع الآفات من الزيادة والنقصان [١]

---

١. للقرآن العظيم منزلة عظيمة عند أهل بيت الرسول ﷺ وبالتّبع عند الشيعة الإمامية، ونشير هنا إلىٰ بعض الكلمات الدالّة علىٰ مدى عظمة هذه المعجزة الخالدة عند الأئمّة الطاهرين والشيعة الإمامية، تلك الكلمات الدالّة علىٰ فضائل القرآن الكريم وعظمته وفهمه وتعليمه وتفسيره وحتّىٰ حضوره في القيامة شافعاً ناطقاً بالحق، وقد اخترناها من الروايات التي نقلها رواة الشيعة عن أئمتهم عليهم السلام، وهي:

١ ـ «القرآن هو كلام الله تعالى». تفسير العيّاشي ١: ٦.

٢ ـ «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». مستدرك وسائل الشيعة ٤: ٢٣٧، ح ٧.

٣ ـ «إنّه أحسن الحديث وأبلغ الموعظة». تحف العقول: ١٥٠.

٤ ـ «إنّه الشافع النافع». التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ١٤.

٥ ـ «القرآن غنيّ لا غنىٰ دونه ولا فقر بعده». جامع الأخبار: ٤٧.

٦ ـ «إنّ القرآن شافع مشفّع وماحل مصدّق». أُصول الكافي ٢: ٥٩٨، ح ٢.

٧ ـ «من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار». المصدر السابق.

٨ ـ «إنّ القرآن هو حبل الله المتين». بحار الأنوار ٨٩: ٣١.

٩ ـ «القرآن مأدبة الله». المستدرك ٤: ٢٥٨، ح ٤.

١٠ ـ «القرآن هدىً من الضلالة وتبيان من العمى». تفسير العيّاشي ١: ٥، ح ٧.

١١ ـ «من استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله». بحار الأنوار ٨٩: ٣١، ح ٣٤.

١٢ ـ «من جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوّله الذي ينتهي إليه، أدّاه الله إلى جنّات النعيم». تفسير العسكري: ٤٤٩، ح ٢٩٧.

←

القرآن الكريم المتداول بين المسلمين هو مجموع ما أنزل على النبي ﷺ في مدّة نبوّته ورسالته باعتباره كلاماً إلهيّاً دون زيادة ونقصان، وهذا ما اتفق الشيعة والسنّة عليه ، وإن كان هناك شرذمة قليلون مخالفون للبديهيّات في كلّ عصر وزمان ، فلايمكن التخلّص من شرهم، بل يجب اجتنابهم وإهمالهم.

وما يوجد في الروايات الموهمة للتحريف ، لابدّ من معالجته بالموقف الواضح القطعي المؤكِّد لسلامة القرآن من التحريف ، إمّا بطرحها أو تأويلها وتفسيرها بما يجتمع مع صيانة القرآن ، كما فعله علماء المدرستين في مجالات مختلفة .

فوجود عدة أخبار آحاد تذكر التحريف لايعني قبولها والاعتراف بها، ويجب على المنصفين من علماء أهل السنّة أن يعرفوا اعتقاد أئمة الشيعة، ولايجعلوا المعيار في الحكم أخبار الآحاد أو الأقوال الشاذّة المردودة من قبل كبار علماء الشيعة.

٢ ـ القرآن والسنّة متلازمان

القرآن يأمر الأمّة الإسلامية بالرجوع إلى السنّة الصحيحة المتمثّلة في أقوال النبيّ ﷺ وأعماله وتقريره، ثمّ إلىٰ عترته الطاهرة ، وهذا يؤسّس قاعدة مهمة هي: مرجعية الرسول ﷺ وأهل بيته لتفسير القرآن الكريم .

فالقرآن أمر الناس بأن يأخذوا بكلّ ما أمرهم الرسول ﷺ وينتهوا عمّا نهىٰ عنه، ومن ناحية أخرى اتفق الشيعة والسنّة ، على أنّ الرسول ﷺ ترك الثقلين وهما: الكتاب والعترة، وأمر بالتمسّك بهما معاً، فقال : «**إنّي تارك فيكم الثقلين، أوّلهما: كتاب**

← ١٣ ـ «فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة». أُصول الكافي ١: ٦٠، ح ٧.

١٤ ـ «هو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة». عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٢، ح ٣٢.

١٥ ـ «هو الدليل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل». أُصول الكافي ٢: ٥٩٨، ح ٢. وللمزيد يراجع: جامع البيان في الأحاديث المشتركة حول القرآن، للمؤلّف.

الله فيه النور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[١].

وفي مسند أحمد : زيادة : «**وأ نّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[٢].

فالسنّة عند الشيعة ليست فقط سنة الرسول ﷺ فحسب، بل تشمل سنّة أهل بيت الرسول ﷺ ممّن له أهليّة خاصة.

٣ ـ وجود البطن والظهر للآيات وحجّية كليهما معاً

القرآن عند أهل بيت الرسول ﷺ عميق جدّاً؛ لأنّ له باطناً كما كان له ظاهرٌ، باطنه حجّة، كما أنّ ظاهره حجّة، وما من آية إلّا ولها بطن ولبطنها بطن إلىٰ سبعة أبطن ، فللقرآن مراتب من المعاني، المرادة بحسب مراتب أهله ومقاماتهم ، فالظهر هو: المعنى الظاهر البادي من الآية، والباطن هو: الذي تحت الظاهر، سواء كان واحداً أو كثيراً ، قريباً منه، أو بعيداً بينهما واسطة [٣].

ومن جهة أخرى، القرآن مائدة يستفيد منه كل أحد على حسب إمكاناته، فالقرآن هادٍ للأولين والآخرين والمبتدئين والمتوسطين وأهل التعمّق والدقّة، فله ظهر وبطن.

يقول العلّامة الطباطبائي: يقول الله تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾[٤]، ظاهر هذه الآية الكريمة يدلّ علىٰ أ نّها تنهى عن عبادة الأصنام، كما جاء في قوله تعالى : ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾[٥]، ولكن بعد الدقّة يظهر أنّ العلّة في المنع

---

١ . راجع: صحيح مسلم ٧: ١٢٣، باب في فضائل عليّ عليه السلام .

٢ . مسند أحمد ٥: ١٨٢، باب حديث زيد بن ثابت.

٣ . راجع : الميزان ٣ : ٧٣ ـ ٧٧، ذيل الكلام التفصيلي في المحكم والمتشابه .

٤ . النساء: ٣٦ .

٥ . الحجّ: ٣٠ .

من عبادة الأصنام هي كونها خضوعاً لغير الله، وهذا لايختصّ بعبادة الأصنام، بل عبّر عزّ شأنه عن إطاعة الشيطان أيضاً بالعبادة، حيث قال : ﴿**ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان**﴾[١]. ومن جهة أخرى يتبيّن أنّه لا فرق في الطاعة الممقوتة بين أن تكون للغير أو للإنسان نفسه ، فإنّ إطاعة شهوات النفس أيضاً عبادة من دون الله تعالى، كما يشير إليه في قوله: ﴿**أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه**﴾[٢].

وبتحليل أدقّ نرىٰ أنّه لابدّ من عدم التوجّه إلى غير الله؛ لأنّ التوجّه إلى غيره معناه الاعتراف باستقلاله والخضوع له ، وهذا هو العبادة والطاعة له [٣].

٤ ـ التمكّن من تفسير جميع الآيات

نزل القرآن، ليكون وسيلة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فكلّ الآيات من محكمها ومتشابهها قابلة للفهم، ويمكن تطبيقها في الحياة، فلايمكن وجود آية أو آيات مجملة لايفهمها أحد ، فحينما نفرض وجود آية أو آيات لايمكن تفسيرها، فهذا يعني: أنّ نزولها لم يكن مفيداً ولايهتدي الناس بها، ومعلوم: أنّ الله حكيم لايصدر منه ما لا فائدة فيه أبداً، والقرآن كتاب هداية، لاتخرج عن الهداية آية واحدة من آياته.

يقول العلّامة الطباطبائي تحت عنوان «أسلوب أئمة أهل البيت عليهم السلام في المحكم والمتشابه»: ما نفهمه من ملخّص ما أُثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، هو نفي وجود آية متشابهة لايمكن معرفة مدلولها الحقيقي، بل الآيات التي لم تستقلّ في مداليلها الحقيقية، يمكن معرفة تلك المداليل بواسطة آيات أخرىٰ، وهذا معنىٰ إرجاع

---

١ . يس: ٦٠ .

٢ . الجاثية: ٢٣ .

٣ . القرآن في الإسلام : ٤٠ و ٤١ .

المتشابه إلى المحكم؛ فإنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[١] وقوله: ﴿وجاء ربّك﴾[٢] يدلّ على الجسميّة، وأنّ الله تعالى مادة، ولكن لو أرجعناهما إلى قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾[٣] علمنا أنّ الاستواء والمجيء ليسا بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان إلىٰ مكان آخر (إلىٰ أن قال:) وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه علىٰ جاهله**»، ونقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**من ردّ متشابه القرآن إلىٰ محكمه هدي إلىٰ صراط مستقيم**»[٤][٥].

٥ ـ البطن غير مخالف للظاهر

البطن عند الشيعة الإمامية يجب أن لايخالف الظاهر، وإلّا فهو مردود ومرفوض، وهناك آراء كثيرة لعلماء الشيعة والسنّة في مفهوم التأويل، وكيفيّة كشفه والوصول إليه، ولكن ما هو أنسب في المقام وأجود في التطبيق على الآيات، هو ما ذكره العلّامة الأستاذ معرفة، فإنّه يعرّف لنا التأويل الصحيح بقوله: وليعلم أنّ المدلول بالتأويل ـ المعبّر عنه بالبطن ـ من المدلول الالتزامي للكلام لزوماً غير بيّن، وعليه فالتأويل: تبيين للمعنى الذي تستهدفه الآية بدلالة خفيّة هي بحاجة إلىٰ تعميق النظر، دون الاقتصار علىٰ ظاهر الكلام حسب التنزيل، ومن ثم فسّر الإمام أبو جعفر عليه السلام الظهر بالتنزيل والبطن بالتأويل، أي: هناك للآية دلالة جليّة حسب ظاهر التنزيل، ودلالة أخرىٰ خفيّة هي أوسع وأعمق حسب البحث والتنقيب (التأويل) ...

---

١. طه: ٥.

٢. الفجر: ٢٢.

٣. الشورى: ١١.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٠.

٥. القرآن في الإسلام، للطباطبائي: ٥١ ـ ٥٣.

لابدّ أن يكون بينه (المعنى البطني) وبين المعنى الظاهري صلة قريبة بما يجعلهما متناسبين تناسب الخاصّ مع العام، ليكون المعنى الظاهري خاصاً والمعنى الباطني المستفاد من فحوى الآية عامّاً يشمل الظاهر وغيره عبر الأجيال [١].

وليس التأويل مستنداً للهوىٰ، بل له ضوابط وقواعد، مثل : تجريد الآية عن الملابسات غير الدخيلة في هدف الآية، بعد رعاية الدقّة الكاملة في معرفة الملابسات، فتكون النتيجة: أنّ التأويل كبرى، وظاهر الآية صغرى تندرج تحت تلك الكبرىٰ.

فكثير من الآيات القرآنية التي ذكرت بشأن الأئمة من أهل بيت الرسول ﷺ جارية على هذا النمط، وفي الواقع هذه المصاديق تندرج تحت تلك الكبرى الحاصلة من تجريد الآية عن ملابساتها .

فإذا رأينا في روايات الشيعة أنّ آية سؤال أهل الذكر ، طبّقت على الأئمة من أهل بيت الرسول ﷺ، وأنّهم أهل الذكر، فإنّه يعدّ مصداقاً للمفهوم العامّ المستفاد من الآية؛ إذ المفهوم العامّ منها هو رجوع كلّ جاهل إلىٰ عالم، وبما أنّ أهل بيت الرسول ﷺ كانوا أعلم من الصحابة والتابعين ، فيجب على الآخرين الرجوع إليهم فيما جهلوه [٢].

ويعتقد الطباطبائي: أنّ البطن يكون في طول الظهر، والبطن أدقّ وأعمق من الظهر، وفي رأي الطباطبائي لايمكن أن يكون التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره، وهو ردّ على قول من قال: إنّ التأويل عبارة عن المعنى الذي يخالف الظاهر، يقول: لازم هذا القول وجود آيات في القرآن اشتبه معناها الحقيقي، وتصير مجهولةً

---

١ . التفسير الأثري الجامع، لمحمد هادي معرفة ١: ٣١ و٣٢.

٢ . راجع: المصدر السابق : ٣٢ ـ ٣٧ .

للناس، ولايعرفها إلّا الله، ولكنّ هذا الكلام الذي يكون مبهماً في تبيين معناه لايعدّ كلاماً بليغاً [١].

٦ ـ لزوم التعمّق في فهم القرآن

هناك عدّة أسباب لصعوبة فهم القرآن، منها :

أ ـ وجود الآيات المتشابهة في القرآن الكريم .

ب ـ منع تدوين الحديث، الذي أضاع الكثير من السنّة النبوية أو عدم ضبطها بشكل مناسب، وفتح هذا المنع باباً واسعاً أمام حركة التفسير بالرأي والظن وغيرهما.

ج ـ المشكلات الجديدة الفكرية، التي ظهرت بسبب الفتوحات الإسلامية، واحتاجت إلى معالجة في ضوء القرآن الكريم .

د ـ إضفاء الشرعية والحجيّة في القول والعمل علىٰ كلّ من عاصر النبيّ ﷺ أو سمع منه ولو مدةً قصيرة أو في الأماكن العامّة، بحيث يكون مرجعاً للمسلمين في الشؤون الدينية ؛ إستناداً إلىٰ عدالة جميع هؤلاء الأفراد [٢].

لأجل هذه الأسباب وغيرها ، نرى أهل البيت عليهم السلام قد أكّدوا في كثير من الروايات والنصوص أهميّةَ سلوك العلم والمناهج العلميّة في الوصول إلىٰ حقائق الإسلام والقرآن العظيم ، مثل: لزوم تفسير القرآن بالقرآن، والتمسّك بما ورد من لروايات الصحيحة، ومنع تفسير القرآن بالرأي [٣].

٧ ـ المرحلة العالية في التفسير تختصّ بالنبي ﷺ والأئمة من أهل بيته

إنّ تفسير القرآن كان على مستويين :

الأوّل: تفسير القرآن على مستوى الظاهر أو المحكم أو التنزيل ... حسب ما ورد

---

١ . القرآن في الإسلام: ٢٢ و ٣٤.

٢ . راجع: علوم القرآن ، للسيد محمد باقر الحكيم : ٣١٢ ـ ٣١٤ .

٣ . راجع: القرآن في الإسلام: ٣٠ و ٦١.

في التعبير عنه في هذه النصوص .

والثاني: التفسير علىٰ مستوى الباطن، وهذا المستوى الثاني ممّا اختصّ به النبيّ ﷺ وأهل بيته [١]، ويمكن أن نعيّن مجالاته كما يلي :

أ ـ المعلومات القرآنية التي تجري مجرى المعلومات الغيبيّة عن مستقبل الأحداث التي تمرّ بالإنسان والحياة ، والتي يمكن ارتباطها بالقرآن الكريم .

ب ـ المعلومات المرتبطة بتفاصيل الشريعة الإسلامية، ذات العلاقة بالموضوعات الشرعية التي تناولها القرآن الكريم، وليست ممّا يستفاد من الفهم المتعارف والعلم المتداول .

ج ـ التطبيق الدقيق للمفاهيم والسنن والأحداث التي أشار إليها القرآن على المصاديق والمفردات الخارجية لها ، وفي هذا المجال نرىٰ بعد تفسير أهل البيت أنّ الأمر يصير سهلاً على الفهم .

د ـ التمثيل والتشبيه للمضامين القرآنية والأمثال والمفردات التي وردت في القرآن الكريم ، نظير الأمثلة التي ضربها القرآن الكريم مفهومياً أو من خلال الإشارة لأحداث سابقة ، بشكل ينطبق علىٰ أحداث الرسالة بشكل عميق ودقيق دون خطأ أو زلل [٢].

وتدلّ روايات كثيرة على اختصاص المراحل العالية من فهم القرآن بالنبي ﷺ وأهل بيته، منها: ما روىٰ أبو الصباح (الكناني) عن جعفر بن محمد عليه السلام: «**إنّ الله علّم نبيّه ﷺ التنزيل والتأويل، فعلّمه رسول الله ﷺ علياً عليه السلام . ثم قال: وعلّمنا والله**» [٣].

---

١ . راجع: تسنيم، تفسير قرآن كريم، لجواد الآملي: ٧٤.

٢ . المصدر السابق :٣٢٧ .

٣ . الكافي ٧: ٤٤٢، ح ١٥.

٨ ـ نزول القرآن على سبعة أقسام لا على سبع قراءات

نجد في كتب المدرستين روايات كثيرة منقولة عن النبي ﷺ أنّه قال: «**أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف**» وفي تفسير هذه الأحرف اختلافات شديدة وأقوال كثيرة ربما تصل إلىٰ أربعين قولاً، ومع هذا يدلّ جلّ الروايات المنقولة عن طريق أهل البيت. وبعض الروايات المأثورة عن طريق أهل السنّة علىٰ معنىً يؤيّد اعتقاد الشيعة، وهو: نزول القرآن على سبعةِ معانٍ، كما نجد بعض الكلمات من الشيعة تؤيّد الرأي المشهور عند إخواننا من أهل السنّة، من أنّ القرآن نزل على سبع قراءات.

ففي بعض الأخبار: «**أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف: آمر، وزاجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل**» وفي بعض: «**زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال**».

والمعروف عند الشيعة هو حمل السبعة الأحرف على أقسام الخطاب وأنواع البيان، وهي سبعة على وحدتها في الدعوة إلى الله وإلى الصراط المستقيم، كما يمكن أن نستفيد من هذه الروايات أنّ أصول المعارف القرآنية منحصرة في هذه الأقسام[١].

٩ ـ رفض ما يخالف القرآن الكريم

القرآن الكريم عند أئمة أهل البيت، معيار لصحة الروايات وسُقمها، فما وافق كتاب الله فهو حقّ، وما خالفه فهو باطل وزخرف.

ففي الكافي: عن السكوني عن أبي عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ علىٰ كلّ حقّ حقيقة، وعلىٰ كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه**»[٢].

---

١. راجع: تفسير الميزان ٣: ٧٤.

٢. أُصول الكافي ١: ٦٩، ح ١.

وفيه أيضاً عن هشام بن الحكم وغيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله**»[١].

والمخالفة بين القرآن والرواية تتحقق إذا عارض أحدهما الآخر بحيث يتوقّف أهل العرف في فهم المراد منهما إذا صدر كلاهما عن متكلّم واحد أو ممّن بحكمه، أمّا إذا كان الخبر مخصّصاً أو مقيّداً للآيات، فلايكون مخالفاً لها، ولايحسبه العرف معارضاً للقرآن، ويدلّ علىٰ ذلك: أنّا نعلم أنّه قد صدر عن المعصوم أخبار كثيرة مخصّصة أو مقيّدة لعمومات الكتاب أو مطلقاته، فلو كان التخصيص أو التقييد مخالفاً للكتاب لما صحّ قولهم: ما خالف قول ربّنا لم نقله، أو هو زخرف، أو باطل، فيكون صدور ذلك عنهم عليهم السلام دليلاً علىٰ أنّ التخصيص أو التقييد لايعدّان مخالفين للقرآن الكريم [٢].

ومن أنكر أخبار العرض على الكتاب وقال: إنّها خلاف ما هو المعمول في التفسير، ويرىٰ: أنّ التقييد والتخصيص من المخالفة، ليس قوله في محلّه؛ لأنّ التخصيص والتقييد من لوازم القانون، فالمقننون يصدرون القوانين العامة وبعد ذلك يضعون لها مخصّصات ومقيّدات، ولايعدّون ذلك من المخالفة.

١٠ ـ لزوم الاعتدال في مراجعة الروايات التفسيرية

السنّة مفسّرة للقرآن، فيجب مراجعتها، ولايمكن ردّ جميع الروايات التفسيرية، ولايصحّ أيضاً قبول جميعها، فيجب الاعتدال في الانتفاع بها حين التفسير؛ لئلا نقع في الانحراف والضلال، ولكن هناك أمور تفيدنا في معرفة الموقف الشيعي من

---

١. المصدر السابق، ح ٥.

٢. راجع: البيان في تفسير القرآن، للإمام الخوئي: ٤٢٦.

الروايات التفسيرية وهي:

الأول: تمحيص الروايات

(أ) أنّ الروايات التفسيرية، خصوصاً ما يتعلّق بأسباب النزول، أصيبت بأنواع من الضّعف بسبب الدس، والتغيير، والكذب، وكثير منها نشأ عن اجتهاد الناقلين، ولم يُسمع من أهل الحديث أو الرسول ﷺ وأصحابه، إضافة إلى أنّ منع نقل الحديث في القرن الأول جعل النقل بالمعنى منفتحاً أمام الرواة أكثر، ومن ثَم دخل في الروايات ما لايعتمد عليه، واضافة إلى كلّ هذه الأسباب، نرى اختلافات شديدة في تطبيق الآيات على المصاديق، وذكر أسباب النزول، فنرى كثيراً روايات متناقضة مرويّة عن واحد من الصحابة في سبب نزول الآية [1].

(ب) أنّ الغلو والانحراف العقائدي، وتضليل الناس، صار سبباً مهمّاً في وضع الروايات، فأثّر هذا في تضعيف بعض الروايات الموجودة في بعض المجاميع الروائية، مع أنّ الأئمة من أهل بيت الرسول ﷺ وتبعهم المفسّرون والعلماء من الشيعة، أنكروا على الغلاة طيلة تاريخ الإسلام.

قال الإمام الرضا عليه السلام في دعائه: «**اللّهم إنّي بريء من الحول والقوّة، ولا حول ولا قوّة إلّا بك، اللهم إنّي أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ، اللهم إنّي أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق ومنك الرزق، وإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين، وآبائنا الآخرين، اللهم لاتليق الربوبيّة إلّا بك، ولاتصلح الإلهية إلّا لك، فالعن النصارى الذين صغّروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من بريّتك، اللهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك، لانملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً**» [2].

---

١. راجع: قرآن در اسلام (القرآن في الإسلام)، للعلّامة الطباطبائي: ١٠٤ و١٠٥.

٢. بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٢، باب نفي الغلوّ في النبيّ ﷺ والأئمة عليهم السلام.

فكلّ رواية تخالف هذه المحكمات لابدّ من ردّها إذا لم يمكن تأويلها.

عن داود بن فرقد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**لاتقولوا في كلّ آية هذا رجل وهذا رجل، من القرآن حلال ومنه حرام، ومنه نبأ ما قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبر ما بعدكم، وهكذا هو**»[١].

(ج) مرجعيّة القرآن ومعياريته لتقييم الروايات

كما أشرنا سابقاً، فإنّ الشيعة تعتقد بمحوريّة القرآن وعدم حاكميّة الروايات عليه، بل الحاكم والقاضي ينحصر في القرآن، فكلّ رواية تباين آية من القرآن نرميها على الجدار، لأنّ السنّة شارحة، والشارح يجب أن لايخالف المشروح، والفرع لايباين الأصل، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نحكم على كثير من الروايات في باب التفسير والتأويل والتطبيق، فكلّ ما يخالف ظاهر القرآن، ويكون خارجاً عن مفهوم الشرح والبيان، أو التخصيص والتقييد، لا اعتبار به أصلاً.

(د) تنقسم الروايات إلى الخبر الواحد الصادر عن الثقة، والخبر المتواتر المفيد للقطع واليقين، ولاشكّ لدىٰ جميع المذاهب الاسلامية في اعتبار القسم الثاني في تفسير الآيات والمجالات الأخرى، وأمّا القسم الأول فإنّه يقبل في باب الفقه وبيان الأحكام، وأمّا في التفسير فعلماء الشيعة طائفتان، طائفة تقبله، وترى: أنّه حجة في التفسير، كما أنّه حجة في الفقه، وطائفة أخرى تمنع حجيّته في باب التفسير، وتقبل اعتباره في باب الفقه، وكلا القولين مشهور، ولكلّ واحد منهما أصحاب وأنصار، فالشيخ الطوسي، والعلامة الطباطبائي، أنكروا حجيّة خبر الواحد الثقة في باب التفسير والعقيدة، أمّا الخوئي والأستاذ معرفة، وبعض آخر فإنّهم يقبلون حجية الخبر الواحد في التفسير أيضاً.

ولكنّ الطائفتين لاتقبلان خبر الواحد من غير الثقة، سواء في التفسير أو غيره.

---

١. البرهان في تفسير القرآن ١: ٢٢، ب ٢٢، ح ٢ من المقدّمة.

(هـ) أقسام الروايات التفسيرية

الروايات التفسيرية تنقسم بالاعتبارات المختلفة إلى أقسام مختلفة، ولكي نعيّن موقف الشيعة تجاهها، نقسّمها بهذا الاعتبار إلى أقسام ثلاثة:

١ ـ الروايات التي تبيّن معنى الآية وجميع المراد منها، والآية تحتمله.

٢ ـ الروايات التي تذكر المصداق أو المصاديق.

٣ ـ الروايات التي تذكر بطن الآية أو بطونها.

فالقسم الأول، مقبول ومعمول به لدى الكلّ دون إشكال، بل انحصر التفسير في الغالب بهذا النوع. أمّا القسم الثاني فينقسم إلى أقسام ثلاثة:

الأول: يذكر المصداق الأتمّ والأفضل.

الثاني: يذكر المصداق العام، أي: يذكر مصداقاً من المصاديق من دون ادعائه الأتميّة والأفضلية له.

الثالث: يذكر كلّ مصداق من دون أن يبقى مصداق آخر للآية، وأمثلة هذه الأنواع، ستأتي ضمن هذا الكتاب أكثر من مرّة.

فالأول والثاني لايفسّران لنا الآية،بل يذكران مصاديقها،ومعلوم أنّ ذكر المصداق لايعني انحصار مفهوم الآية به، أو حتى نزول الآية لأجله، نعم هناك من المصاديق ما يكون سبباً لنزول الآيات، ولكنّ هذا يكون في الأقل، والأكثر يكون من باب ذكر المصداق لتوضيح الآيات. وأمّا القسم الثالث: فينحصر في آي قليلة نزلت لأسباب خاصة، كآية التطهير على قول السنّة والشيعة.

وعلى كلّ حال، فذكر المصداق أو المصاديق الكثيرة للآيات ما دام اللفظ يحتمله لابأس به، أمّا إذا كانت الآية أجنبيّة عنه أو مخالفة له، فيكون من باب التفسير بالرأي المذموم.

أمّا القسم الثالث، وهو: بيان بطن الآيات، إذا أمكن تطبيق قاعدة التأويل الصحيح عليه فلا بأس به، لأنّه يندرج تحت المعنى العام المستنبط من الآية، كما أشرنا إليه في الرواية الواردة في ذكر مصداق أهل الذكر، ذيل آية السؤال من أهل الذكر، وأمّا حينما يخالف القرآن الكريم، واللفظ يأباه، فلا إشكال في ردّه، والروايات التي تدلّ على ردّ الروايات المخالفة للقرآن، تمنع روايات البطن المخالف للكتاب [١].

تعدّد المصادر لتفسير القرآن

لم يعتمد مفسّرو الشيعة على مصدر واحد في تفسير القرآن؛ فإنّهم استخدموا كلّ ما يمكن أن يصير وسيلة لتفسير القرآن وكشف ما أراده الله من الآيات، ويمكن تقسيم المصادر الموجودة في تفاسير الشيعة إلى أنواع كثيرة، نذكر هنا أهمّها باختصار:

١ ـ القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المنبع العظيم والمرجع الأكبر والمصدر الأول لتفسير كتاب الله المنزل عند مفسّري الشيعة، فلايخلو تفسير شيعي من هذا النمط من التفسير، فكثيراً ما نرى أنّ المفسّرين يفسرون العام من القرآن بخاصّه، ومطلقه بمقيده، ومنسوخه بناسخه، ومجمله بمبيّنه، ومتشابهه بمحكمه.

وفي ما يلي أمثلة من التفاسير تثبت هذا المنهج القويم: ففي تفسير التبيان للشيخ الطوسي، نجد أنّ الشيخ يفسّر آية ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ (البقرة/٥٠) بآية ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ (طه/٧٧) [٢] ويفسّر آية ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي

---

١. راجع: قرآن در اسلام: ١٠٥.

٢. التبيان ١: ٢٢٧، ذيل الآية ٥٠ من سورة البقرة.

صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾ (آل عمران/٢٩) بالسياق الموجود قبلها [١].

ونجد الطبرسي، يفسّر لفظة (الكلمات) باليقين، في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (البقرة/١٢٤) بالآية ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام/٧٥) ويفسّرها أيضاً بالمعرفة والتوحيد، بدلالة قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ﴾ (الأنبياء/٥٨) كما يفسّرها بالحلم؛ لتضمّنه في قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود/٧٥) والسّخاء بدلالة قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات/٢٤)، ثم يفسّرها بالعزلة عن العشيرة؛ لأنّها تضمّنها قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (مريم/٤٨) ويفسّرها أيضاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّه يبيّنه قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (مريم/٤٢)، ثم رفع السيئة بالحسنة في جواب قول أبيه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾ (مريم/٤٦ و٤٧) [٢].

وأمّا الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي، فهو تفسير القرآن بالقرآن، وقلّما نجد تفسيراً لآية من دون استشهاد بآية أو آيات أخرىٰ، وينسب منهج تفسير القرآن بالقرآن إلى أهل البيت عليهم السلام فحينما نذكر تفسيره ونبيّن منهجه، سوف نذكر أنواعاً من تفسير القرآن بالقرآن، التي ذكرها العلامة في الميزان.

ولكن يجب أن يُعلم أنّ المفسّرين لم يرجعوا إلى تفسير القرآن بالقرآن من دون هداية من الرسول وأهل بيته، فإنّ كلامهم الشريف كان منبعاً أصليّاً لهذا المنهج من التفسير، وهناك روايات كثيرة تشير إلىٰ هذا النمط من التفسير، نذكر منها:

---

١. المصدر السابق ٢: ٤٣٦، ذيل الآية ٢٩ من سورة آل عمران.

٢. راجع: مجمع البيان ١: ٣٨٧، ذيل الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

أ ـ تفسير الآية بمقطع آخر من نفس الآية

قال علي بن الحسين عليه السلام «**ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث يقول: ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾** فقال عزّ وجلّ: **﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾**[1]» ففسّر الإمام علي بن الحسين عليه السلام الجزء الأول من الآية بالجزء الثاني منها.

ب ـ تفسير الآية بالآية أو الآيات المجاورة

قال وهب بن وهب القرشي: وحدّثني الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن آبائه عليهم السلام: «**أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي** عليه السلام **يسألونه عن (الصمد)، فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فلاتخوضوا في القرآن ولاتجادلوا فيه، ولاتتكلّموا فيه بغير علم؛ فقد سمعت جدّي رسول الله** صلى الله عليه وآله **يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار، وأنّ الله سبحانه قد فسّر الصمد فقال: الله أحد الله الصمد، ثمّ فسّره فقال: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾**»[2].

ج ـ تفسير آية بآية غير مجاورة

ونجد مصاديق كثيرة لتفسير آية بآية أخرىٰ غير مجاورة، سواء كانت في نفس السورة أو في سورة أخرىٰ، مثال ذلك:

عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: **﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾**[3] قال: «**الختم هو الطبع على قلوب الكفّار**

---

١. الأنبياء: ١١ و١٢.

٢. تفسير نور الثقلين ٨: ٣٧٣، ح ٧٠.

٣. البقرة: ٧.

عقوبة على كفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [١]» [٢]

فالإمام الرضا عليه السلام فسّر الآية ٧ من البقرة بالآية ١٧٧ من النساء.

د ـ تفسير الآية بمفاد آية أخرى

قال الإمام علي بن الحسين في توصيف المعصوم: «**هو معتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ**: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [٣]» [٤].

ففسّر الإمام الآية ١٠٣ من آل عمران بمفاد الآية ٩ من سورة الإسراء؛ إذ الإمام يعدّ مصداقاً مهمّاً للتي هي أقوم.

٢ ـ الروايات المرويّة عن السلف

السنّة الشريفة والروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته هي المصدر الثاني لتفسير القرآن عند جميع المفسّرين من الشيعة.

ولانجد بين فرق الشيعة من يقول: حسبنا كتاب الله، أو فرقة يسمّون أنفسهم القرآنيين، فالسنّة حصيلة الاعتقاد بالقرآن، لأنّه يأمر بالأخذ بها، فمن ثم يجب على المفسّر الرجوع إلى السنّة في جميع المجالات.

فالشيخ الطوسي يفسر أكلَ السُّحت في قوله تعالى: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة/ ٤٢) بكثرة أكل الحرام، ومنها الرشوة في الحكم، طبقاً لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله [٥].

---

١. النساء: ١٥٥.

٢. تفسير نور الثقلين ١: ٥٠، ح ١٦، نقلاً عن عيون الأخبار ١: ١١٣.

٣. الإسراء: ٩.

٤. تفسير نور الثقلين ٤: ١٥٨، ح ٨٥، نقلاً عن معاني الأخبار: ١٣٢، باب معنى عصمة الإمام.

٥. راجع: تفسير التبيان ٢: ٤٣٨، ذيل الآية ٢٩ من سورة آل عمران.

والطبرسي، في مجمع البيان، يفسّر كلمة الكوثر طبقاً للروايات الموجودة بعدة معانٍ، منها: نهر في الجنة، حوض النبي ﷺ، الخير الكثير، النبوّة، الكتاب، القرآن، كثرة الأصحاب والأشياع، كثرة النسل والذرية، الشفاعة [١].

والفيض الكاشاني، يفسر القرآن طبقاً لما يجده من الروايات، فهو بعد فقد الآيات المفسّرة، لايفسّر القرآن إلّا بالروايات المنقولة عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام؛ فإنّه يعتقد بصحة جميع الروايات الموجودة في الكتب الأربعة المشهورة الشيعية، وكذلك الطباطبائي، فإنّه وإن لم يذكر الروايات ضمن الآيات، ولكنّه يفسر الآيات مع العناية بدلالة الروايات، على أ نّه يأتي بالروايات في فصل مستقل ويبحث عنها، كما سيأتي في البحث عن تفسيره في هذا الكتاب، والتفسير الروائي أيضاً موجود في روايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

فهناك قسم كبير من الروايات المأثورة عن الأئمّة، إمّا منقول عن الرسول ﷺ أو عن الأئمّة السابقين، نقلاً مباشراً، أو مع الواسطة الواحدة أو الوسائط، فهناك أقسام أربعة نذكر نموذجاً لكلّ منها:

أ ـ النقل عن الرسول ﷺ مع ذكر الوسائط المتعدّدة

عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «**يا علي! أنت حجّة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم**» [٢].

فسّر النبأ العظيم، بعلي عليه السلام، نقلاً عن الرسول ﷺ، بالوسائط المتعدّدة.

---

١. راجع: مجمع البيان ١٠: ٨٣٧، ذيل الآية الأُولى من سورة الكوثر.

٢. تفسير نور الثقلين ٨: ٩٢، ح ٨، نقلاً عن عيون الأخبار ٢: ٦، ح ١٣.

ب ـ النقل عن الرسول ﷺ من دون ذكر الوسائط

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [١] فقال: «**نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين**»، فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته في كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: «**فقولوا لهم: إنّ رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة لم يسمِّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّىٰ كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهماً درهمٌ، حتّىٰ كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم: طوفوا أُسبوعاً، حتّىٰ كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزلت، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، ونزلت في علي والحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ في علي عليه السلام : ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإنّي سألت الله عزّ وجلّ أن لايفرّق بينهما حتّىٰ يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك**».

فسّر الإمام أولي الأمر بعليّ وابنيه، نقلاً عن الرسول ﷺ من دون الوسائط.

ج ـ النقل عن الأئمة السابقين مع ذكر الوسائط

هذا القسم ينقسم إلى قسمين: إمّا توجد واسطة، أو أكثر من واسطة واحدة [٢].

٣ ـ مصادر اللغة والأدب العربي

أُنزل القرآن بلسان عربي مبين، فلابدّ أن يكون فهمه تابعاً لقواعد الفهم في اللغة العربية، ولايمكن تفسيره إلّا من طريق دراسة ألفاظه وجملاته؛ ولذا نجد تـفاسير

---

١. النساء: ٥٩.

٢. راجع: علل الشرائع ٢ : ٣٨٥، ح ٨٠، وتفسير العيّاشي ٢ : ٩، ح ٤، ذيل الآية ٣ من سورة الأعراف.

الشيعة تعتمد على القواعد العربية لكشف معاني القرآن وحلّ رموزه، والاعتماد على هذه القواعد لفهم القرآن دليل على أنّ الشيعة تعتقد أنّ القرآن ليس كتاب رمز وإبهام، بل هو نور وبيان تابع للمحاورات والمحادثات العربية.

فنجد تفسير مجمع البيان مرجعاً عاماً لجميع المسلمين سنة وشيعة في التفسير الأدبي الدقيق في مجال القراءات واللغة والصرف والنحو والفصاحة، وغير ذلك ممّا تعلّق بالعلوم العربية، فليس من العجب أنّ الطبرسي يحتجّ على أعاظم علماء الصرف والنحو في بعض ما يتعلّق بالقرآن [١].

وكذلك تفسير التبيان للشيخ الطوسي؛ فإنّ له عناية واسعة بالتفسير الأدبي، فنجد المراجعة الشاملة للمباحث الأدبية في هذا التفسير، حتى سمّى البعض هذا التفسير تفسيراً أدبيّاً، فأدرجوه ضمن التفاسير الأدبيّة؛ لكثرة المباحث الأدبيّة فيه، إضافة إلى الدقّة والتعمّق والأدلّة القوية التي أقامها في هذا المجال، ويكفي مثالاً لما ذكرناه، ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وغيرها من الآيات [٢].

وهذا النوع من التفسير والاعتماد فيه على القواعد العربية مأخوذ من أهل البيت عليهم السلام؛ إذ نجد له مصاديق متنوعة في الروايات المرويّة عن أئمّة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وهو يتنوّع إلى ألوان وأقسام كثيرة في الروايات، نذكر منها:

أ ـ شرح المفردات الموجودة من دون ذكر دليل

قال الإمام الباقر عليه السلام: حدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنّه قال: **«الصمد» الذي لا جوف له، و«الصمد» الذي لاينام، و«الصمد» الذي لم يزل ولايزال»** [٣].

١ . راجع: مجمع البيان ٥: ٢١٣، ذيل الآية الأُولى من سورة هود.

٢ . راجع: تفسير التبيان ١: ٣٢ ـ ٣٣، ذيل الآية الثالثة من سورة الفاتحة.

٣ . التوحيد: ٩، الباب ٤، ح ٤.

ب ـ شرح المفردات اعتماداً على المعنى العرفي

قال أبو عبدالله عليه السلام في حديث: «**أو لستم عُرباً؟ فكيف لاتعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب، أو ليس إنّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل، وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**»[١].

ج ـ تفسير القرآن اعتماداً على القواعد الصرفية

قال الصادق عليه السلام: «**الرحمن» اسم خاص بصفة عامّة، و«الرحيم» اسم عام بصفة خاصّة**[٢].

هذا التفسير يستفاد من أنّ الرحمن صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة، فالرحمن، إشارة إلى الرحمة الكثيرة الشاملة للمؤمن والكافر، والرحيم صفة مشبهة، تدلّ على ثبات الرحمة ودوامها، فتستمر في الآخرة، فتختصّ بالمؤمن فقط.

د ـ تفسير القرآن اعتماداً على القواعد النحوية

عن زرارة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت: إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، ثمّ قال: «**يا زرارة، قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل به الكتاب من الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغي أن يغسل، ثم قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، ثمّ فصل بين كلامين فقال: ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾، فعرفنا حين قال: بروؤسكم، أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثمّ وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه، فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فعرفنا حين وصلها بالرأس أنّ المسح ببعضها**»[٣].

---

١. تفسير نور الثقلين ٧: ٤٤٤، ح ٧.

٢. المصدر السابق ١: ٢٩، ح ٥٤.

٣. الكافي ٣: ٣٠، ح ٤.

فعرفنا أنّ التفسير يعتمد علىٰ أنّ الباء في الآية تدلّ على التبعيض.

٤ ـ القواعد العقليّة والفلسفيّة

نرى العقل وأحكامه وقواعده حاكماً على تفسير الشيعة، وهذا شيء معروف بين جميع الطوائف الإسلامية حتى إنّ البعض أدرجوا الشيعة في ضمن المعتزلة؛ لشدّة اعتماد الشيعة على العقل والقواعد المستنبطة منه [١]، والسبب في هذا الاعتماد أمر القرآن بالتدبّر فيه، ولا معنى للتدبّر إلّا التعقّل.

فالشيخ الطوسي في ذيل الآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾ يقول: هذه الآية تدلّ على أشياء:

أحدها: بطلان التقليد وصحة الاستدلال في أصول الدين...

والثاني: فساد مذهب من زعم أنّ القرآن لايفهم معناه إلّا بتفسير الرسول من الحشوية والمجبّرة، لأنّه تعالى حثّ على تدبره ليعلموا به [٢].

ونجد الطباطبائي معتمداً على العقل والقواعد الفلسفية المأخوذة منه في تفسير كثير من الآيات، الأمر الذي صار سبباً ليسمّي البعض تفسيره تفسيراً فلسفياً؛ لكثرة مباحثه الفلسفية، خصوصاً في الآيات التي تتعلّق بالمبدأ والمعاد وحقيقة الانسان، كما أنّ دأبه في تفسير كثير من الآيات، هو الاعتماد على القواعد الفلسفية من دون تصريح بها في تفسيره [٣].

ويقول الجوادي الآملي: المصدر الثالث (لتفسير القرآن) هو : العقل البرهاني المحفوظ من نفوذ مغالطة الوهم وضرر التخيّل، والمراد من العقل البرهاني هو: الأمر

---

١. ظهر الإسلام، لأحمد أمين: ٦٧٢.

٢. راجع: التبيان ٣: ٢٧٠، ذيل الآية ٨٢ من سورة النساء.

٣. راجع: الميزان ١٣: ١٨٣، ذيل الآية ٨٣ من سورة الإسراء.

الذي مع مساعدة العلوم المتعلّقة به يثبت وجود الله تعالى، وضرورة وحدته وحياته، وأزليته، وقدرته وعلمه وإرادته وسمعه وبصره وحكمته وعدله وبقيّة صفاته العليا، والعقل في إثبات هذه الصفات قائم على نفسه، وإن دلّ الدليل النقلي على ثبوت بعض هذه الصفات، فإذا أثبت العقل البرهاني أمراً، لابدّ أن يصان ذلك الأمر في تفسير القرآن، ولاينفى بواسطة ظاهر بعض الآيات (١).

فإنّ للعقل تأثيراً كبيراً في مذهب الإمامية، ولانجد مورداً يمنع من حكم العقل في الروايات المذكورة في كتب الإمامية، بل العقل يعدّ محوراً للقيم في جميع المجالات، فيما نقل عن أهل البيت عليهم السلام .

ومن تلك المجالات: مجال تفسير القرآن الكريم، ونذكر هنا أقساماً ثلاثة من هذا النوع من التفسير في الروايات.

أ ـ الإشارة إلى الأصول العقلية لتشريع أحكام القرآن

في عيون الأخبار، في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنّه سمعها من الرضا عليه السلام مرّة بعد مرّة وشيئاً بعد شيء: فإن قال: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعلل كثيرة، منها: أنّ الخلق لما وقفوا على حدّ محدود، وأمروا ألّا يتعدّوا ذلك الحدّ؛ لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك ولايقوم إلّا بأن يجعل عليهم فيه أميناً، يمنعهم من التعدّي والدخول فيما حظر عليهم؛ لأنّه لو لم يكن ذلك كذلك، لكان أحد لايترك لذّته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم أميناً قيّماً يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام، ومنها: أنّا لانجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل بقوا وعاشوا إلّا بقيّم ورئيس ممّا لابدّ لهم منه في أمر الدين، فلم يجز في

---

١ . تسنيم، تفسير قرآن كريم: ٥٧.

حكم الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لابدّ لهم منه ولا قوام إلّا به [١].

في هذا الكلام نجد إشارات إلى عدّة من الأصول العقلائية التي يقبلها كلّ عاقل وحكيم في المجتمع الإنساني، منها: يفسد الناس من دون أمير، ومنها: الأمير وصاحب الأمر لابدّ أن يكون أميناً، ومنها: أنّ أمر الدين واستقامته بحاجة إلى رئيس وقائد، ومنها: أنّ الله تعالى حكيم، فلايترك الأُمّة من دون تعيين الأمير لهم.

ب ـ التصريح بالأصول العقلية

عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾ وقلنا: أمّا الأول فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال: إنّه ليس شيء إلّا يبدأ أو يتغيّر أو يدخله التغيّر والزوال، وينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة، إلّا ربّ العالمين، فإنّه لم يزل ولايزال بحالة واحدة، هو الأول قبل كلّ شيء، وهو الآخر على ما لم يزل، ولاتختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره [٢].

وفي هذه الرواية نجد التصريح ببعض الأصول العقلية مثل:

ـ كلّ شيء ماديّ متغيّر.

ـ كل شي ماديّ متغيّر، في معرض الزوال.

ـ الله تعالى بريء من التغيّر والزوال.

ج ـ الإشارة إلى الأصول العقلية

عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**...﴾ «**ياأبا هشام! إنّ**

١. نور الثقلين ٢: ٨٤، ح ٣٢٩.

٢. الكافي ١: ٩٠، ح ٣.

أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت تدرك بوهمك السّند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولاتدركها ببصرك، وأوهام القلوب لاتدركه، فكيف أبصار العيون»[١].

الرواية لا تصرّح بالأصول العقلية ، بل تشير إلى قاعدة عقلية ، وهي : امتناع رؤية الله بالبصر؛لأنّ ما لا نهاية له لايرىٰ بالأبصار؛فإنّ الرؤية بالبصر تدلّ على محدوديّة ما يرىٰ.

٥ ـ التفسير الإشاري

نزل القرآن الكريم من الغيب المكنون؛ ليرشد الناس إلى المعرفة الحقيقية والسعادة الأبديّة، فهو هدىً للمتقين، فكلّ ما كان الانسان أتقى كان حظه من القرآن أعلى، فالعارف بالله الذي نال درجة عالية، يعرف أسرار الآيات وإشارات القرآن أكثر من الآخرين؛ لأنّه بعد وصوله إلى علم الموهبة، يعتمد على ما علّمه الله تعالى لتفسير كتابه العظيم، فالمفسّرون من الشيعة بعد اعتمادهم على الظواهر المرادة، لايتركون أسرار الآيات؛ فإنّ ترك المعارف الحقيقية في القرآن يعدّ خطأً كبيراً في علم التفسير، وهذا هو صدر المتألّهين الشيرازي يفسر الآيات القرآنية على المنهج الإشاري الصحيح تحت عناوين عرفانية ،مثل : الكشف التنبيهي ، الكشف الإلهامي ، كشف استفادي ، مكاشفة ، مكاشفة قرآنية ، مكاشفة سريّة ، مكاشفة إلهامية ، وغير ذلك من التعابير العرفانية [٢].

ولهذا النوع من التفسير جذور عميقة في كلمات أهل البيت عليهم السلام ؛ فإنّهم نالوا أعظم درجة من التقوى، فوصلوا الى العصمة من الذنوب والأخطاء، فذكروا تفسيراً للآيات يشبه التفسير الإشاري المشهور، فنستطيع أن نقول: إنّ هناك قسماً من

---

١ . البرهان ١: ٥٤٦، ح ٢.

٢ . راجع: تفسير القرآن الكريم ٦: ١٣١، ذيل الآية ٢٧ من سورة السجدة.

التفسير لايمكن الإطلاع عليه إلّا لمن يرتبط بالغيب ويعرف أسرار الآيات التي لاتفهم من ظواهر الآيات ولا من تعليم الآخرين.

قال عبد السلام بن الصالح الهروي: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله! أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّاء وما كانت، فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال: كلّ ذلك حقّ، قلت: فما معنى تلك الوجوه على اختلافها؟ فقال «**ياأبا صلت!، إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، ليست كشجرة الدنيا**»[1].

وعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[2] قال: «**والله! ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها فقتلوا، فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً**»[3].

قال حبيب السّجستاني: قال أبو جعفر عليه السلام: «**يا حبيب ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ يعني: عندها وافىٰ جبرائيل حين صعد إلى السماء، فلمّا انتهى إلى محلّ السدرة، وقف جبرائيل دونها وقال: يامحمد! إنّ هذا موقفي الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه، ولن أقدر على أن أتقدّمه، ولكن إمضِ أنت أمامك إلى السدرة، فقف عندها، قال: فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السدرة وتخلّف جبرائيل...**»[4].

---

١. تفسير كنز الدقائق، للميرزا محمد المشهدي ١: ٢٣٤، ذيل الآية ٣٥ من سورة البقرة.

٢. البقرة: ٦١.

٣. الكافي ٢: ٣٧١، باب النميمة، ح ٦.

٤. نور الثقلين ٧: ١٧١، ح ٣٥.

٦ ـ التفسير بالتاريخ

يحتوي القرآن الكريم عِبَراً ومواعظَ لإصلاح أخلاق الناس، وبيّن كثيراً من الأحداث التاريخية التي تؤثّر معرفتها في سعادة الإنسان، فالعلم التفصيلي بهذه الأحداث التاريخية يكشف عن معاني الآيات المتعلّقة بتلك الحوادث، إضافة إلى عدم إمكان معرفة تفسير بعض الآيات إلّا بمعرفة الحوادث المربوطة بها، ولذا ذكر المفسّرون : أنّ معرفة أسباب نزول الآيات شرط لازم لمن يتصدّى للتفسير ، فلا يوجد تفسير شيعي إلّا واعتمد على الحوادث التاريخية الثابتة لتفسير الآيات النازلة.

ولأجل هذا نجد الطباطبائي في الميزان حين يفسّر الآيات المتعلّقة بالتثليث وبعيسى عليه السلام، يتعمّق في الحوادث المرتبطة بذلك، ويثبت أنّ التثليث كان موجوداً في الهند، ومن هناك دخل في المسيحية، ويخصّص خمسين صفحة للبحث في تاريخ عيسى عليه السلام في تفسيره [١].

وكذلك الشيخ الطوسي؛ فإنّه يرجع إلى التاريخ في تفسير القرآن لمعرفة الأقوىٰ من المنقول في أسباب النزول، وترجيحه على ما سواه [٢].

وكذلك الطبرسي يذكر الأحاديث في تفسير الآيات، فهو مثلاً في ذيل الآية ٤٩ من البقرة، يذكر قصّة في نصف صفحة، وذيل الآية ٥٠ يذكر قصة تملأ صفحة واحدة، وكذلك في هامش الصفحة ٥١ [٣].

والرجوع إلى هذا المصدر يشاهد في روايات أهل البيت، فنجد في رواياتهم التصريح أو الإشارة إلى تاريخ الأنبياء أو السلاطين أو الأمم الماضية، في تفسير

---

١ . راجع: الميزان ٣: ٢٧٩ ـ ٣٢٩، ذيل الآية ٨٠ من سورة آل عمران.

٢ . راجع: التبيان ٨: ٣٣٢، ذيل الآية ٢٦ من سورة الأحزاب.

٣ . راجع: مجمع البيان ١: ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٣، ذيل الآية ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ من سورة البقرة.

الآيات الشريفة، فهذه الأحداث التاريخية للأمم الغابرة، إمّا من الأمور التي كـانت الطرق إلى فهمها مفتوحة للآخرين، أو كان علمها مختصّاً بأهل البـيت عليهم السلام، فـإن كانت من القسم الثاني، فتندرج في النوع الخامس من التفسير، أي: التفسير الإشاري، ونفهم نوعيّة التفسير بالتاريخ من القرائن والشواهد، فإذا لم توجد إلّا في لسان أهل البيت، فيعدّ هذا من التفسير الفيضي، وإلّا يمكن أن يعدّ من التفسير بالتاريخ دون الاستمداد من الغيب، ومن أمثلة ذلك:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«لمّا رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض... ثمّ التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البحر، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشدّ بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجّب إبراهيم عليه السلام ممّا رأىٰ وقال: ربّ! أرني كيف تحيي الموتىٰ»**[1].

وعن عبدالله بن أبي يعفور، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: **«إنّ اسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك قبل أن تنزل التوراة، فلما نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله»**[2].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«بعث الله نبيّاً حبشياً إلى قومه فقاتلهم، فقتل أصحابه وأسروا وخدوا لهم أخدوداً من نارٍ، ثم نادوا: من كان من أهل ملّتنا فليعتزل، ومن كان على دين هذا النبي فليقتحم النار، فجعلوا يقتحمون النار، وأقبلت امرأة معها صبيّ لها، فهابت النار، فقال لها صبيّها: اقتحمي، (قال:) فاقتحمت النار، وهم أصحاب الأخدود»**[3].

---

١. الكافي ٨: ٣٠٥، باب بعد ما رأى إبراهيم ملكوت السماوات، ح ٤٧٣.

٢. المصدر السابق ٥: ٣٠٦، باب النوادر، ح ٩.

٣. المحاسن، للبرقي ١: ٢٥٠.

٧ ـ مصداق الآيات

ذكر المصداق لتبيين الآيات وإن لم يعدَّ تفسير كاملاً، ولكنّه في مجال الإفادة والاستفادة وتوضيح الآيات للعوام أكثر تأثيراً في النفوس؛ لأنّه لايحتاج إلى تعمّق وجهد فكريّ، فالعامّة يفهمون من الآيات ما يكفيهم، ويعرفون من القرآن ما يرشدهم إلى الصواب، وقد ذكر مفسرو الشيعة مصاديق للآيات توضيحاً لها ومثالاً لحقيقتها، وهذه المصاديق تعدّ مصدراً في التفاسير الشيعية.

ذكر العلامة الطباطبائي ذيل الآية ٣ من المائدة مصداق الآية، وأنّ الإسلام قد أكمل والنعمة تمّت بواسطة نصب علي عليه السلام خليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله[١]،إنّ ذكر المصداق في تفاسير الشيعة نابع من تفسير أهل البيت عليهم السلام، فهناك عدد كبير من الروايات المنقولة في الكتب الروائية التفسيرية للإمامية تشتمل على ذكر المصداق، وهذه الروايات على أقسام، منها: بيان كلّ المصداق، ومنها: ذكر المصداق الأكمل، ومنها: ذكر مصداق من المصاديق، ومنها: ذكر مصداق كان مجهولاً للآخرين، فذكره الأئمة عليهم السلام ليذكّروهم به.

ولعلّ عدداً ضخماً من هذا النوع من التفسير، ينطوي على بيان أحقيّة الأئمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من خلال تفسير الآيات بذكر المصداق الأكمل في الغالب، أو ذكر المصداق من دون ادّعاء الأكمليّة أحياناً، ومن يقرأ هذه الروايات يجب أن لايعدّها تفسيراً مفهوميّاً للآية، بل يعدّها مصداقاً من المصاديق، فكلّ مفسّر له أن يذكر مصاديق كثيرة وجديدة لكثير من الآيات، إذا أمكن اندراجها تحت آية شريفة، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: **«لكلّ قومٍ آية يتلونها وهم منها من خير أو شرٍّ»**[٢].

---

١ . راجع: تفسير الميزان ٥: ١٩٤، ذيل الآية ٣ من سورة المائدة.

٢ . تفسير العيّاشي ١: ١٠، ح ٧، وراجع: قرآن در اسلام: ٤٢، للعلّامة الطباطبائي.

فهذه الرواية تدلّ على مصداقيّة كلّ فردٍ أو قومٍ إمّا للآيات التي تبشّر بالجنّة أو الآيات المبشّرة بالنار.

وهذا منطبق على ما ذكره ابن تيمية حيث قال: قولهم: نزلت هذه الآية في كذا... يراد به تارة أنّ هذا داخل في الآية [١].

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ...﴾ إلى قوله: ﴿المقرّبون﴾: «**وهم رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين** عليهم السلام» [٢].

ذلك أنّ أبرز مصاديق الأبرار والمقرّبين هم: الرسول صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أي: أصحاب الكساء، ذكرهم الباقر عليه السلام ذيلَ تفسير الآية الكريمة.

أقول: هذه النماذج من التفسير تكفي لمعرفة منهج التفسير للإمامية، وهناك أقسام أخرىٰ سوف نذكرها عند الكلام على التفسير الروائي، حينما نأتي بالأمثلة من طريق السنّة والشيعة إن شاء الله، وهي تثبت بكاملها منهج تفسير الشيعة وتعدّد المصادر عندهم.

منهج الشيعة في تفسير آيات الاعتقاد

نشير في هذا المبحث إلىٰ ثلاث مسائل فقط؛ لكونها معترك الآراء بين المفسّرين علىٰ اختلاف مذاهبهم، وهي:

١ ـ منهج الشيعة في تفسير الصفات الخبرية في القرآن

من جملة الثّمرات المفيدة في الرجوع إلى الأئمة من العترة الطاهرة بعد الرسول: الاهتداء إلى ما هو الصّواب في معرفة صفات الله، والتقرب إلى الله بواسطة الإمعان في البحث عن صفاته، دون مجرّد النفي أو الإيمان بما هو مجهول.

---

١. راجع: مقدّمة في أُصول التفسير لابن تيمية: ٤٨.

٢. تفسير القمّي ١: ٤١١.

يقول الطباطبائي: طريقة أهل البيت عليهم السلام المأثورة عنهم، هي: الإثبات والنفي معاً، والإمعان في البحث عن حقائق الدين دون النفي المجرّد عن الإثبات، والدليل على ذلك ما حفظ عنهم من الأحاديث الجمّة التي لاينكرها إلّا المكابر، بل الذي روي عن أم سلمة رضي الله عنها في معنى الإستواء، أ نّها قالت: «الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر»، وهو يدلّ على أ نّها كانت ترى هذا الرأي، ولو كانت ترى ما نسب إلى الصحابة لقالت: الإستواء مجهول والكيف غير معقول... الخ.

نعم الأكثرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من السلف علىٰ هذه الطريقة. وقد نسبها الغزالي إلى الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وإلى البخاري والترمذي وأبي داود السجستاني من أرباب الصحاح، وإلىٰ عدّة من أعيان السلف[١].

فمن الضروري عند الشيعة اتّباعاً لما في الكتاب والسنّة، أنّ الله لايوصف بصفة الأجسام والحوادث، ولاينعت بنعوت الممكنات، ممّا يقضي بالحدوث ويلازم الفقر والحاجة والنقص، فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[٣] ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] إلى غير ذلك من الآيات، وهي آيات محكمات ترجع إليها متشابهات القرآن، فما ورد من الآيات ظاهرها إسناد شيء من الصفات أو الأفعال الحادثة إليه تعالى، ينبغي أن يرجع فيها إلى المحكمات، وتفسر بشكل لا ينافي صفاته العليا وأسماءه الحسنى ، فالآيات المشتملة على نسبة المجيء، أو الإتيان، أو الرؤية أو الغضب أو البهجة، أو وجود اليد والعين له، تفسر

---

١ . الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي ١٤: ١٣٠ ـ ١٣١، ذيل الآية ٨ من سورة طه.

٢ . الشورى: ١١.

٣ . الفاطر: ١٥.

٤ . الزمر: ٦٢.

بتفسير يلائم ساحة قدسه تقدّست أسماؤه، إضافة إلى هذا نجد الله تعالى في موارد إذا سلب نسبة من النسب أو فعلاً من الأفعال عن استقلال الأسباب ووساطة الوسائط، فربّما نسبها إلى نفسه ، وربما نسبها إلى أمره ، كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ (١) وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (٢) وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (٣) فنسب التوفّي تارة إلى نفسه، وتارة إلى الملائكة، ثم قال في أمر الملائكة: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٤)، وهذا يوجب صحّة تقدير الأمر في موارد تشتمل على نسبة أمور إليه لاتلائم كبرياء ذاته، نظير قوله: ﴿جَاء رَبُّكَ﴾ و﴿يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ فالتقدير: جاء أمر ربّك، ويأتيهم أمر الله (٥) (٦).

---

١ . الزمر: ٤٢.

٢ . السجدة: ١١.

٣ . الأنعام: ٦١.

٤ . الأنبياء: ٢٧.

٥ . راجع: الميزان في تفسير القرآن ٢: ١٠٤ ـ ١٠٥.

٦ . العلّامة الطباطبائي، جاء بتفسير جديد لآيات تشتمل على الصفات الخبرية باصطلاح الأشاعرة، وقال:

التدبّر في كلامه تعالى، يعطي لهذه النسب معنى أدقّ وألطف من ذلك؛ وذلك أنّ أمثال قوله تعالى: ﴿والله هو الغني﴾ وقوله تعالى: ﴿العزيز الوهاب﴾ وقوله تعالى: ﴿أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى﴾ تفيد أنّه تعالى واجد لما يعطيه من الخلقة وشؤونها وأطوارها، مليء بما يهبه ويجود به، وإن كانت أفهامنا من جهة اعتيادها المادّة وأحكامها الجسمانية يصعب عليها تصوّر كيفية اتّصافه تعالى ببعض ما يفيض على خلقه من الصفات ونسبته إليه تعالى، لكنّ هذه المعاني إذا جرّدت عن قيود المادّة وأوصاف الحدثان، لم يكن في نسبتها إليه محذور، فالنقص والحاجة هو الملاك في سلب معنىً من المعاني عنه تعالى، فإذا لم يصاحب المعنى نقصاً وحاجة لتجريده عنه، صحّ إسناده إليه تعالى، بل وجب ذلك؛ لأنّ

←

كما يقول الطبرسي في ذيل الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ أي: هل ينتظر هؤلاء المكذِّبون بآيات الله إلّا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله وما توعّدهم به على معصيته في ستر من السحاب، وقيل: قطع من السّحاب، وهذا كما يقال: قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه، وإن لم يتولّ شيئاً من ذلك بنفسه، بل فُعل بأمره، فأُسند إليه لأمره به، وقيل معناه: ما ينتظرون إلّا أن يأتيهم جلائل آيات الله، غير أنّه ذكر نفسه تفخيماً للآيات، كما يقال: دخل الأمير في البلد، ويراد بذلك جنده [١].

٢ ـ منهج الشيعة في تفسير الآيات التي ظاهرها الجبر

التوحيد الأفعالي وانتساب جميع الأفعال والحركات والتأثيرات إلى الله تعالىٰ، مسألة تؤكّدها الآيات القرآنية، كما يثبتها العقل الانساني.

فكلّ فعل سواء صدر من الانسان أو غير الانسان، ينشأ من قدرة الله، لأنّه الخالق لكلّ شيء ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٢]؛ لأنـه لا مـؤثّر في الوجود حقيقة إلّا الله كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٣]

← كلّ ما يقع عليه اسم شيء فهو منه تعالى بوجه على ما يليق بكبريائه وعظمته. فالمجيء والإتيان الذي هو عندنا قطع الجسم مسافة بينه وبين جسم آخر بالحركة واقترابه منه إذا جرّد عن خصوصية المادّة كان هو حصول القرب وارتفاع المانع والحاجز بين شيئين من جهة من الجهات، وحينئذٍ صحّ إسناده إليه تعالى حقيقة من دون مجاز...راجع: الميزان في تفسير القرآن ٢: ١٠٤ و١٠٥، ذيل الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

١. مجمع البيان ٢: ٤٧، ذيل الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

٢. الزمر: ٦٢.

٣. غافر: ٦٢.

ولأجل انحصار الأفعال والحركات بالله، نجد كثيراً من الآيات تسند إلى الله ما يفعله الناس مثل الزراعة والرمي، كما تُسند إيجاد بعض الحالات الحاصلة للانسان مثل: الضحك والبكاء وغيرها إليه تعالى.

ومن جانب آخر نجد آيات كثيرة تُسند أفعال الانسان إلى الانسان نفسه، وتجعل مسؤولية عمله في عنقه، فيجازيه الله بالثواب على ما فعل من الحسنات والعذاب على ارتكاب المقبّحات.

وقد وقع بعض في الجبر المطلق، وأوّلوا آيات الاختيار، ووقع بعض في الاختيار المطلق، وأوّلوا آيات الجبر، أمّا الإمامية فإنّهم طبقاً لإرشادات أهل البيت عليهم السلام لم يدخلوا في الجبر المطلق ولا في الاختيار المطلق، بل ذكروا أمراً وسطاً وقالوا: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين، فكلّ فعل من الانسان له نسبة واستناد الى الانسان ونسبة واستناد إلى الله تعالى، وتوضيح ذلك:

كلّ فعل صدر من الانسان يستند إليه؛ لأنّه أوجد شرائط وجود الفعل باختياره وقصده، ولولا ذلك لما وجد الفعل؛ فإنّ الزارع إنّما عمد إلى الحرث والزرع بمحاولته الخاصّة للحصول على الثمرة، ومن حيث تقع تبعات كلّ عمل اختياري على عاتق العامل، يكون هو المسؤول عنها مدحاً أو ذماً، مثوبة أو عقوبة.

وأمّا وجه انتساب الأفعال إلى الله، فمن جهة أنّ القوى العاملة في تكوين الأشياء، كلّها مخلوقة ومقدرة بقدرة الله، وهو الذي أكسبها تلك الخاصيّات، بحيث إذا تقاربت من بعضها تفاعلت في الإيجاد والتكوين، وهذا هو الذي يعبّر عنه بـ «إذن الله» في القرآن، والانتساب إلى الله يكون مع فعل العبد دائماً، فهو تعالى كما أفاض الخصوصيات لكلّ الأفعال والأشياء حدوثاً، يفيض عليها بقاءً أيضاً، فلاتزال القوى العاملة تستمدّ تأثيراتها المتواصلة طول وجودها من فيوض الله المتواصلة[1].

---

١. راجع: التمهيد في علوم القرآن، لمحمد هادي معرفة ٣: ١٧٧ ـ ١٧٨، والميزان ١: ٩٦ ـ ٩٨، وعلوم قرآنى لمحمد هادي معرفة: ٣٠٧ (فارسي).

فعلى هذا يعدّ الانسان علّة ناقصة لأفعاله، ويكون جزءً من العلل التامّة للفعل، فبما أنّه لايصدر فعله إلّا بإرادته، فهو فاعل لفعله، ولكن لايفعل ما يفعل إلّا مع كثير من الشروط والظروف التي هيّأها الله، فالأفعال بهذا الاعتبار مستندة الى الله [١].

وإلى هذه الحقيقة أشارت الآيات القرآنية حينما تقول: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [٢] أو ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [٣].

فالحدود الكليّة للأشياء والأفعال تكون من الله، كما أنّ الانسان مع خواصّه الخلقية وإمكاناته واستعداداته، يكون مخلوقاً لله.

فالقول بالجبر باطل عند الشيعة بإجماعهم، وهم يفسرون القرآن دون أن يفهموا الجبر من الآيات، ولأجل ذلك نرى الطوسي يهاجم المجبّرة غير مرّة في أيّة مناسبة يجدها، ففي ذيل الآية ١٨٥ من البقرة يقول: وفي الآية دلالة على فساد قول المجبّرة من ثلاثة أوجه:

أحدها: قوله: ﴿هدىً للناس﴾، فعمّ بذلك كلّ انسان مكلّف، وهم يقولون: ليس يهدي الكفّار.

الثاني: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَيُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، والمجبرة تقول: قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق ، ممّا لم يعطه عليه قدرة ولا يعطيه ، ولا عسر أعسر من ذلك.

الثالث: لو أنّ انساناً حمل نفسه على المشقّة الشديدة التي يحصل بها التلف كالصوم مع المرض الشديد لكان عاصياً، لكونه قد حمّل نفسه على العسر الذي أخبر

---

١ . راجع: الميزان في تفسير القرآن ١: ١١١، ذيل الآية ٢٧ من سورة البقرة.

٢ . الفرقان: ٢.

٣ . طه: ٥٠.

الله أنّه لايريده بالعبد، والمجبّرة تزعم أنّ كلّ ما يكون من العبد من كفر أو عسر وغير ذلك من أنواع الفعل يريده الله [١].

٣ ـ منهج الشيعة في تفسير آيات يدلّ ظاهرها على نسبة الظلم إليه تعالى

تعتقد الشيعة أنّ الأفعال إمّا حسن فعلها أو قبيح فعلها عقلاً، وأنّ الله تعالى مع قدرته على ارتكاب القبيح لايفعل القبيح ولايُخل بما هو واجب عقلاً؛ لأنّه تعالى غنيّ مطلق، وأنّه يفعل لحكمة وغرض، وأنّه يريد الطاعات ويكره المعاصي [٢]، فبما أنّ الله لايفعل إلّا لمصلحة، «فلا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون»، لأنّ جميع ما يفعله صواب وحاصل وفق الحكمة والمصلحة الداعية إلى الإيجاد، فكلّ ما يفعله حسن بلاريب، فالآية ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾ و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ تدلّ على كمال عزّته، عزّة مشفوعة بالحكمة والعدل، ومن ثَمّ فهو تعالى عزيز حكيم، عزيز لايُغلب على أمره ولا يعجزه شيء عن تنفيذ إرادته ، حكيم لا يفعل إلّا الصواب ، ولا يحكم إلّا بالحق، ولايهدي إلّا إلى سواء الطريق [٣].

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «سئل: كيف لايسأل عمّا يفعل؟ فقال: **لأنّه لايفعل إلّا ما كان حكمة وصواباً**» [٤].

وعليه، فإنّ كلّ آية يخالف ظاهرها هذه القاعدة، وتنفي العدل وتثبت الظلم، يجب تأويلها بما يتناسب مع آياتٍ أخر، فالله تعالى في الآيات المحكمة يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

١ . تفسير التبيان، للشيخ الطوسي ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦، ذيل الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

٢ . راجع: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للعلّامة الحلي: ٤١٧ ـ ٤٢٢.

٣ . راجع: التمهيد في علوم القرآن، لمحمد هادي معرفة ٣: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

٤ . تفسير الصافي، للفيض الكاشاني ٢: ٨٨.

لَايَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾ [١] ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [٢] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٣].

اختلاف الشيعة عن المعتزلة

إنّ كثيراً من الباحثين غير المطلعين على المواقف الكلامية لدى الشيعة، يدرجون الإمامية في عداد المعتزلة؛ نظراً إلى بعض المشتركات بينهما [٤]، ولكنّ الاشتراك في بعض الأصول والفروع لايجعل المذهبين الكلاميين مذهباً واحداً.

أمّا المحقّقون من إخواننا أهل السنّة، فقد اطلعوا على الحقيقة وقالوا: إنّ مذهب الشيعة أسبق المذاهب الإسلامية على الاطلاق.

يقول الشيخ أبو زهرة: الشيعة أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، وقد ظهروا بمذهبهم في عصر عثمان، ونما وترعرع في عهد علي، إذ كلّما اختلط بالناس ازدادوا إعجاباً بمواهبه وقوّة دينه وعلمه [٥]، وعلى هذا يصحّ القول: إنّ المعتزلة هم أتباع الإمامية، وليس الإمامية أتباعاً للمعتزلة.

نعم، يمكن تأ ثّر رئيس المعتزلة بأهل البيت، كما يقول ابن أبي الحديد: إنّ أصحابنا المعتزلة ينتمون إلى واصل بن عطاء، وواصل تلميذ أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد، ومحمد تلميذ أبيه علي عليه السلام [٦]، ويقول الشهرستاني: وتتلمذ النظّام أحد شيوخ المعتزلة على هشام بن الحكم تلميذ الإمام

---

١. يونس: ٤٤.

٢. الشعراء: ٢٠٩.

٣. فصلت: ٤٦.

٤. راجع: ظهر الإسلام، لأحمد أمين: ٦٧٢.

٥. تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٠.

٦. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٢٨.

جعفر الصادق [١].

تذكر هنا عناوين بعض المسائل التي اختصّ بها الشيعة دون المعتزلة، وهي:

١ ـ شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر بإسقاط العذاب عنهم.

٢ ـ وجود الجنّة والنار الآن بدلالة الآيات، خلافاً لأكثر المعتزلة.

٣ ـ مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق يجب إقامة الحدّ عليه، خلافاً للمعتزلة القائلين بأ نّه ليس مؤمناً ولا كافراً، واعتقدوا له منزلةً بين المنزلتين.

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بالشرع، ولكنّ المعتزلة تقول واجبان بالعقل.

٥ ـ أنكر الإمامية ثبوت الحال والواسطة بين الوجود والعدم، خلافاً للمعتزلة.

٦ ـ التزم الشيعة بتأويل كلّ ظاهر من الكتاب والسنّة مخالف لبديهة العقل، وبهذا جمعوا بين الشرع والعقل، خلافاً لسير المعتزلة المرجّح جانب العقل في جميع الأمور.

ففي هذه الأمور الستة وافق الشيعة عقيدة الأشاعرة، وهناك أمور لدى الشيعة انفردوا بها عن المدرستين، منها:

١ ـ الخلافة، وأنّ النبي نصّ على خلافة علي عليه السلام بعده.

٢ ـ عصمة الإمام بعد النبي ﷺ.

٣ ـ عصمة الأنبياء من الذنوب كبيرها وصغيرها قبل النبوّة وبعدها.

٤ ـ في مسألة الوعد والوعيد، يقول الأشاعرة: لايجب على الله الوفاء بهما، وقالت المعتزلة: يجب الوفاء بالوعد والوعيد، وقالت الإمامية: يجب الوفاء بالوعد؛ لأنّه مقتضى العدل، ولايجب عليه الوفاء بالوعيد؛ لأنّ العقاب حقّ لله، فيجوز له

---

١ . الملل والنحل، للشهرستاني: ٢٦.

إسقاطه، ويكون بمثابة الدّين [١].

٥ ـ تعتقد الإمامية بصحة ما يقوله الأئمة من أهل البيت في تفسير الآيات وحجيّة كلامهم في جميع المجالات، وأنّهم أعلم جميع الخلق بعد الرسول ﷺ.

٦ ـ يختلف موقف الشيعة من تفسير الصحابة والتابعين، فالشيعة لايرون الحجية الشرعية لكلامهم إذا لم يرووا عن الرسول ﷺ، نعم يستفيد مفسّرو الشيعة من كلامهم، وينقلون في تفسير الآيات آراءَهم؛ لأنّهم أقرب إلى نزول القرآن وتفسير الرسول ﷺ للآيات.

١ . راجع: رسالة الإسلام، مقالة: الإمامية بين الأشاعرة والمعتزلة، لمحمد جواد مغنية، رقم ٣٦، ص١٣٩ ـ ١٤٤.

الفصل الثالث
منهج أهل السنّة في التفسير

تمهيد

كان المسلمون زمنَ الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين إمّا من أهل الدقّة والتعمّق في القرآن وما يتعلّق بالمبدأ والمعاد، أو كانوا جاهلين بذلك؛ لأنّه لم يتوفّر لهم الحصول على العلم بحقيقة الآيات، فهؤلاء اكتفوا بالظواهر وتركوا العمق والنفوذ في البواطن، وبعضهم منعوا الآخرين من التعرض لهذه الجوانب، نعم أكثر السّلف الذين لا عهد لهم بالعلوم العقلية، صاروا قانعين بالظواهر وتاركين الغور في الأسرار القرآنية والمعاني الدقيقة، فالصحابة بعد استشهاد علي عليه السلام اختلفوا في كثير من الأحكام والعقائد [1]، وهذه الاختلافات كان أكثرها بسبب فقد علي عليه السلام أو ترك الرجوع إليه؛ فإنّه كان يجيب عن كلّ سؤال في مجال العقائد أو الأحكام، ولم يسمع منه أنّه قال لسائل في الجواب: لاتسأل، ولذلك نماذج كثيرة، منها: أنّه قام شيخ إلى علي عليه السلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء الله وقدرة؟ فقال الإمام:

---

١. راجع: التمهيد في علوم القرآن، لمحمد هادي معرفة: ٥٢ ـ ٥٣.

«والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً إلّا بقضاء الله وقدره»، فقال الشيخ: فعند الله أحتسب عناي، ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال الإمام: « **مَهْ أ يّها الشيخ، لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيءٍ من أحوالكم مكرهين ولا مضطرّين**»، فقال الشيخ: وكيف، والقضاء والقدر ساقانا؟ فقال الإمام: «**ويحك! لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولم تأتِ لائمة من الله لمذنب، ولا مَحْمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولىٰ بالذمّ من المحسن، تلك مقالة عبّاد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور، أهل العمى عن الصواب، وهم قدريّة هذه الأمّة ومجوسها، إنّ الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلّف تيسيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يُطَعْ كارهاً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**» فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ما سِرنا إلّا بهما؟ فقال الإمام عليه السلام: «**هو الأمر من الله تعالى والحكم**»، ثم تلا قوله سبحانه: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ فنهض الشيخ مسروراً [1].

مثل هذا السؤال والجواب يؤكّد مكانة علي عليه السلام في الإجابة الصريحة والواضحة عن الأسئلة الاعتقاديّة التي تحول دون الاختلافات الشديدة في مجال العقيدة أوّلاً، ويُثبت أنّ بعض الآيات المتشابهة في القضاء والقدر وغير ذلك، كان يثير بعض الشّبهات، ولكن لايثبت وجودَ القدرية أو الجبرية آنذاك، أمّا بعد استشهاد علي عليه السلام فإننا نرى ظهور المذاهب الكلاميّة من القدريّة والجبريّة والصفاتيّة والظاهريّة والمرجئة وغيرها، فهذه المذاهب وجدت في وقت لاحق، بسبب الانقطاع عمّن هم العالمون بحقيقة القرآن.

---

١ . شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٨.

ولنعرف المواقف التفسيرية لأهل السنّة، نتعرّض باختصار لثلاثة مباحث: المعتزلة وتفسير القرآن، الأشاعرة وتفسير القرآن، السّلفية وتفسير القرآن.

المعتزلة وتفسير القرآن

إنّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسان أطواراً، وجعل في كلّ إنسان ما يميّزه عن الآخرين، كما جعل في كلّ ملّة ما يميّزها عن الملل الأخرى، وكذلك يختلف الناس في كيفية انتفاعهم بالمواهب الفطريّة والتأثير والتأثر بالآخرين، فصارت الطرق مختلفة والنتائج متعدّدة، فهناك عدد من الناس تعاملوا مع النصوص معاملةً خاصة، طبقاً لاستعداداتهم وظروفهم، تختلف عن تعامل الآخرين مع الكتاب والسنّة، فظهرت المذاهب التفسيرية أو الكلاميّة المختلفة ومنها: المعتزلة [١] الذين جعلوا العقل حاكماً في جميع قراءاتهم للنصوص الدينية، ومعياراً للصدق في جميع الأحوال، ومنها: تفسير القرآن المجيد، ولهذا الاتّجاه أسباب خاصة، منها:

أ ـ الآيات القرآنية المشيرة إلى حجية العقل ولزوم اتباعه في كثير من السور والآيات.

ب ـ حلّ الآيات المتشابهة بواسطة القواعد العقلية الفلسفية، خصوصاً فيما يتعلّق بصفات الله تعالى وأفعاله.

ج ـ الدفاع عن القرآن والسنّة تجاه الأجانب من غير المسلمين.

---

١. ذكرت في وجه تسمية المعتزلة وجوه، منها: أ ـ اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. ب ـ لأنّهم اعتزلوا عن الدنيا وزخارفها. ج ـ كان قوم من اليهود باسم «الفروشيم» ومعناه: المعتزلة، وكانوا يتكلّمون على القدر، ويعتقدون بأنّه ليس جميع الأفعال مخلوقة لله تعالى، فلايبعد أن يكون بعض اليهود الذين أسلموا قد أطلقوا لفظ (المعتزلة) على هذه الفرقة من المسلمين؛ لما رأوه من الشّبه بينها وبين تلك الفرقة اليهودية (الفروشيم). راجع تاريخ المذاهب الاسلامية، لأبي زهرة: ١١٩.

د ـ الاطلاع على الأديان الأخرى وأفكار غير المسلمين، ممّا جعلهم يعتبرون العقل معياراً وحيداً للحكم بين المذاهب والأديان؛ لأنّ غير المسلمين لايخضعون لغير العقل. وسنشير هنا إلى بعض المباني التفسيرية للمعتزلة أوّلاً، ثم نشير إلى بعض مناهجهم التفسيرية ثانياً.

المباني التفسيرية للمعتزلة

للمعتزلة الأصول الخمسة المعروفة التي تعيّن لنا مذهبهم في التفسير والعقيدة، لأجل هذا قيل: ليس أحد يستحقّ اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا جمع هذه الأصول في شخص فهو معتزلي[١].

فهذه الأصول هي:

١ ـ **التوحيد**: وقد بنوا على هذا الأصل أنّ الصفات ليست خارجة عن الذات ومغايرة لها، وأنّ الله عالم بذاته، وأنّ رؤية الله في الدنيا والآخرة مستحيلة، وأنّ القرآن مخلوق وليس بقديم.

٢ ـ **العدل**: وفيه يقولون: إنّ الأفعال مخلوقة للعباد خيرها وشرّها، وما صدر من المعاصي، صدر بغير مشيئة الله، وقد بنوا على هذا الأصل فروعاً كثيرة منها:

أ ـ الله لايفعل القبيح، ورتّبوا على ذلك أنّ الرزق هو الحلال فقط، ولايسمّى الحرام رزقاً.

ب ـ وجوب الصلاح والأصلح على الله من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

ج ـ الله لايريد المعاصي.

د ـ الله لايخلق أفعال العباد، بل هم الذين يخلقون أفعالهم.

---

١. راجع: الانتصار، لأبي الحسين الخياط المعتزلي: ٨٢ ـ ٨٣.

هـ ـ صحّة التحسين والتقبيح العقليين، فإنّ الحسن والقبح صفتان ذاتيّتان، فالعقل يحسّن ويقبّح [١].

فالمعتزلة طبقاً لرؤيتهم في العدل يفسّرون الآيات بما يناسبها، ويؤوّلون كلَّ آية يخالف ظاهرها العدل حسب رأيهم، فالآيات التي تدلّ بظاهرها على الجبر أو الظلم من الله تؤوّل في مذهبهم بما يتناسب مع الاختيار والعدالة.

٣ ـ الوعد والوعيد: أي: أنّ الله يجازي من أحسن بالإحسان، ومن أساء بالسوء، ولايغفر لمرتكب الكبيرة ما لم يتب، ولايقبل من مرتكب الكبيرة الشفاعة، لأنّه توعّد بالعقاب على الكبائر، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده [٢].

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين: من هذا الأصل انطلق مذهب المعتزلة، وقد كان واصل يتلمذ عند الحسن البصري، إذ دخل على الحسن رجل، فقال: ياإمام الدين، ظهر في زماننا جماعة يكفّرون صاحب الكبيرة، وجماعة أخرىٰ يرجئون الكبائر ويقولون: لاتضرّ مع الإيمان معصية، كما لاتنفع مع الكفر طاعة، فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟ فتفكّر الحسن، وقبل أن يجيب، قال واصل: أنا لاأقول إنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، ثم قام إلى إسطوانةٍ من أسطوانات المسجد وقال: لأنّ المؤمن اسم مدح، والفاسق لايستحقّه، وليس بكافر؛ لاقراره بالشهادتين ولوجود ساير أعمال الخير فيه [٣].

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هم يعتقدون أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكفِ القلب، وباليد إن لم يكفيا،

---

١. راجع: شرح الأُصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار: ٣٠١ و٣٢٦ و٣٢٧.

٢. شرح الأُصول الخمسة: ١٣٦ و ٦١٤ و٦١٨.

٣. راجع: الملل والنحل، للشهرستاني ١: ٦٠، وشرح الأُصول الخمسة، للقاضي: ٦٩٧.

وبالسيف إن لم تكفِ اليد [١].

فهذه الأصول الخمسة تعدّ من خصائص المعتزلة، ولكن يمكن أن نقول: إنّ اتباع العقل والانتفاع بالقواعد العقلية في جميع المجالات الفكرية ومنها تفسير الآيات القرآنية، هو الأصل الحاكم على جميع أفكارهم وآرائهم واعتقاداتهم، فليس من البعيد أن نذكر لهم أصلاً واحداً وهو: اتباع العقل في جميع مجالات الشرع.

٦ ـ إمكان فهم جميع الآيات: المعتزلة تعتقد بإمكان تفسير الآيات سواء في مجال صفات الله تعالى أو القيامة أو ما شابه ذلك، فإنّهم لايقولون بتعطيل العقول عن التفكّر في الآيات، ويؤمنون بظواهرها، ويظهرون العجز عن معرفتها، نعم إذا لم يمكن الإيمان بظاهر آية، فلابدّ من تأويلها حتى تصير مقبولة للعقل، معتبرة عند العقلاء، خلافاً للأشاعرة والسلفية [٢].

المناهج التفسيرية للمعتزلة

إنَّ المنهج الفكري عند المعتزلة قائم على العقل في جميع المجالات، كما ذكرنا، ومنها: مجال تفسير القرآن الكريم، ولكن نشير إلى بعض المعالم لمعرفة منهجهم التفسيري بما يلي:

١ ـ الاهتمام الشديد باللغة والأدب في تفسير القرآن

يهتم المعتزلة بالبحوث اللغوية في تفسير القرآن، خصوصاً ما يتعلّق بالآيات المتشابهة عندهم، فهم يتخلّصون من الآيات المتشابهة التي تخالف عقائدهم بواسطة الغور في اللغة والأشعار، فمثلاً يفسّرون النظر إلى الله في الآيات بالرجاء والتوقّع

---

١. راجع: الكشّاف، للزمخشري ١: ٤٥٢، وشرح الأُصول الخمسة: ١٤٥.

٢. راجع: المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار ٩: ٣٦٩.

للنعمة والكرامة والرحمة. واستدلوا على ذلك بأنّ النظر إلى الشيء في العربية ليس مختصّاً بالرؤية الماديّة، كما يدلّ على ذلك قول الشاعر:

إذا نظرتُ إليك من ملك   والبحرُ دونك زدتني نعماً

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمجْرِمِينَ﴾[1] يقولون: إنّ جعل بمعنى «بيّن»، لابمعنى «خلق»، ويستدلّون على ذلك بقول الشاعر:

جعلنا لهم نهجَ الطريق فأصبحوا   على ثبت من أمرهم حين يمّموا[2]

فالمعتزلة فسّروا النظر إلى الله بالنظر إلى رحمة الله؛ لكي يتخلّصوا من مخالفة قاعدة عقلية فلسفية تقول: إنّ الله ليس بجسم، وفسّروا كلمة جعل بالتبيين، لكي لاتفسد قاعدة العدل وقاعدة الاختيار وأنّ المجرمين هم الذين يخلقون أفعالهم.

٢ ـ الاتّجاه الكلامي

تفاسير المعتزلة تعدّ من التفاسير الكلاميّة في الغالب، ولها ثلاث خصوصيات:

الأولىٰ: تطويل البحث في الآيات المشتملة على المباحث الكلامية والبحوث الاعتقادية.

الثانية: تأييد المذهب الكلامي المختار بواسطة الآيات المؤيّدة له.

الثالثة: محاولة تضعيف المذاهب الكلاميّة الأخرىٰ.

فمثلاً نجد الزمخشري يؤيّد مذهب الاعتزال في حريّة الإرادة وخلق الأفعال، عندما يفسّر الآية ٨ من آل عمران، ويؤيّد الحسن والقبح العقليين عندما يفسّر الآية ١٦٥ من سورة النساء، ويؤيّد رأي المعتزلة في أصحاب الكبائر عندما يفسّر الآية ٩٣ من سورة النساء.

---

١. الفرقان: ٣١.

٢. راجع: تفسير الفخر الرازي ٢: ٤٧١، ذيل الآية ٣١ من سورة الفرقان، والمذاهب الإسلامية في القرآن الكريم: ١٣٠.

٣ ـ تأويل الآيات التي يخالف ظاهرها القواعد العقلية

فالمعتزلة يؤولون ما يتعلّق بصفات الله تعالى بما يناسب رأيهم، فكلّ ما في القرآن يعرضونه على العقل، فما قبله أقرّوه، وما خالفه حسب رأيهم يؤوّلونه حتى يتوافق مع ما عندهم من القواعد العقلية، كتأويل اليد في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالقدرة، وتأويل الاستواء في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بالاستيلاء والسيطرة، وتأويل الرؤية في قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ برؤية رحمة الله، وما شابه ذلك، ويقول القاضي عبدالجبار: وربما قيل في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنّه أقوى دليل على أنّ الله يُرى في الآخرة، وجوابنا: أنّ من تعلّق بذلك إن كان ممّن يقول بأنّ الله جسم، فإنّا لاننازعه في أنّه يرىٰ، بل في أنّه يصافح، ويعانق، ويلمس، تعالى الله عن ذلك، وإنّما نكلّمه في أنّه ليس بجسمٍ، وإن كان ممّن ينفي التشبيه عن الله، فلابدّ من أن يعترف بأنّ النظر إلى الله تعالى لايصحّ؛ لأنّ النظر هو: تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلباً لرؤيته، وذلك لايصحّ إلّا في الأجسام، فيجب أن يتأوّل على ما يصحّ النظر إليه وهو الثواب [1].

٤ ـ إنكار الظلم من الله والجبر على الخلق، وتأويل الآيات المضادّة لهما

كما ذكرنا سابقاً العدلَ يعدّ من أصول مذهبهم، فهم يقولون: لمراعاة قاعدة العدل، العقل ينفي أيّ نوع من الظلم من قبل الله، وكذلك ينفي أيّ جبر في فعل العباد؛ لأنّه مع الجبر لايمكن توبيخ العاصي المجبور، فكلّ آية ظاهرها يخالف قاعدة العدل يجب تأويلها حتى تتوافق مع العدل؛ لأنّ الله لايظلم؛ إذ هو العادل، وأنّ العبد لايكون مجبوراً في أفعاله؛ إذ هو المختار.

---

١ . تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبدالجبار: ٣٥٨، ذيل الآية ٢٣ من سورة القيامة.

فمثلاً في ذيل الآية ٤١ من المائدة يقول الزمخشري: ومن يرد الله فتنته، ترْكُه مفتوناً وخذلانه، فلن تملك له من الله شيئاً، فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئاً، أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم من ألطافه ما يطهّر به قلوبهم؛ لأنّهم ليسوا من أهلها؛ لعلمه أ نّها لاتنفع فيهم ولاتنجع [١].

٥ ـ ترك الأحاديث المفسّرة للقرآن إذا عارضت العقل

فإنّ المعتزلة سرعان تسقط لديهم الكثير من الروايات؛ بسبب مخالفتها للقواعد العقلية عندهم، ولو كانت الروايات صحيحة السند حسب اعتقاد أهل السنّة، فبالمعايير المضمونيّة في الأحاديث يسقطون الروايات ولو كانت صحيحة السند، فمتن الرواية إذا كان غير صحيح في رأيهم، يدلّ على عدم صدوره عن الرسول ﷺ، مثل ما ذكره مؤلّف تفسير المنار من عدم إمكان سحر النبي ﷺ بواسطة لبيد بن الأعصم، مع أنّ الرواية وردت في البخاري، ولكن يرفضها محمد عبده ولايعتني بما يعتقده أهل السنّة من صحّة جميع ما في البخاري [٢].

٦ ـ الخروج عن القراءات المتواترة لتوافق الآية عقيدتهم

الآيات التي يخالف ظاهرها عقيدة الاعتزال، إذا وجدوا قراءة أخرى تخرجهم عن مخالفة ظاهرها، قد يميلون إليها، ويذكرونها في تفاسيرهم، فحينما يفسرون آية ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [٣] يذكرون قراءة غُلُف بضمتين؛ ليكون معناه: الأوعية، أي: قلوبنا أوعية حاوية للعلم مستغنية عمّا جاء به محمد ﷺ [٤].

---

١ . الكشّاف، للزمخشري ١: ٤١٦، ذيل الآية ٤١ من سورة المائدة.

٢ . راجع: تفسير جزء عم: ١٨١.

٣ . البقرة: ٨٨.

٤ . راجع: تفسير الكشّاف، للزمخشري ١: ١٦٤، ذيل الآية ٨٨ من سورة البقرة.

٧ ـ تفسير بعض الكلمات بالمعاني البعيدة أو المجازية

نجد في القرآن كلمات لها معانٍ مضبوطة معلومة في اللغة، ولكنّ هذه المعاني تضرّ المعتزلة في بعض عقائدهم، فهم يفسّرونها بالمعاني المجازيّة أو البعيدة؛ لتوافق مذهبهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالاِنسِ﴾ [١] يقولون: أي: ألقينا فيها، فذهبوا إلى قول الناس: ذرته الريح.

٨ ـ تقدير الكلمات للفرار من الآيات المخالفة للمرام

يقول القاضي عبدالجبار: ربما قيل في قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٢]: أليس في ذلك تصريح بخلق أعمال العباد؟ وجوابنا: أنّ المراد والله خلقكم وما تعملون من الأصنام، فالأصنام من خلق الله، وإنّما عملهم نحتها وتسويتها [٣].

٩ ـ عدم تقليد السّلف في التفسير

المعتزلة يجتنبون التقليد ويمتنعون عن اتباع غيرهم في التفسير، فهم يتابعون الدليل وما يستنتج من الأدلة العقلية، وما قبلوه من أقوال السلف يكون لتأييد عقائدهم لا لاتباعه من دون اعتماده على العقل، أو من دون التنقيب والبحث، ولعلّ هذه الخصوصيّة هي التي جعلتهم على فرق كثيرة.

يقول محمد عبده: إنّ الله تعالى لايسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنّما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنّة نبيّنا الذي بيّن لنا ما

---

١ . الأعراف: ١٧٩.

٢ . الصافات: ٩٥، ٩٦.

٣ . راجع: تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبدالجبار ١: ٢٩.

نزل إلينا [١].

١٠ ـ الردّ على طعون الكفّار عند تفسير القرآن

كما ذكرنا سابقاً، المعتزلة أكثر من الطوائف الأخرىٰ، تعاملاً مع آراء أهل الكفر والزندقة، ففي خلال تفاسيرهم نراهم يجيبون عن كثير من شبهاتهم في مجال الآيات القرآنية، وهذه المسألة تنشأ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أصل من أصولهم الخمسة المعروفة، ولذا كان الخلفاء الأوائل من حكومة العباسيين يشجّعونهم، وقد ناوأهم الرشيد زماناً واعتقل بعضهم، ولكنّه اضطرّ لإطلاقهم، لمّا علم أنّهم الذين يستطيعون منازلة الوثنيين وغيرهم [٢].

الاعتزال الحديث

بعدما سيطر الأشاعرة والسلفيّة على المذاهب الكلامية الأخرى، ظهر كثير من العلماء ينكرون بعض ما كان الأشاعرة عليه سابقاً، ومن هنا بدأ ظهور اعتزال حديث بعدما خبا تأثير الاعتزال القديم، ولكنّ هذا الاعتزال الحديث لم يكن مقيّداً بالنصوص وما يعدّونه من ضروريات الاسلام.

وقد بدأ الاعتزال الحديث في زمن محمد عبده، وتبلورت في تفسيره أفكار جديدة وآراء غريبة لم تكن معروفة لدى المعتزلة.

فمحمد عبده اعترف بالتقبيح والتحسين العقليين في تفسيره، وهو الذي فسّر إهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل، وهذا الخط بعد عبده استمر إلى أن أنكروا كثيراً من المسائل الإسلامية والمعارف القرآنية

---

١. تفسير المنار ١: ٢٧.

٢. راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٥٠.

المقبولة لدى السابقين، فبعضهم أنكروا الحجاب الإسلامي للنساء، أو أنكروا حكم المرتدّ، أو فرض الجهاد والحدود والدّيات، وأنكروا أيضاً تعدّد الزوجات، والطلاق، وحكم الإرث، ووجود الجن والسحر.

وبعضهم صاروا علمانيين، أي: ينكرون جميع الأحكام القرآنية في المجتمع الإنساني ومجال السياسة والحكومة، ويجعلون الإسلام ديناً فرديّاً يختصّ بعلاقة الإنسان بالله فقط.

وأمّا مجال الاجتماع والسياسة والحكومة فهو بيد العقل أو العقلاء والعرف وآراء الأكثرية [١].

فالمعتزلة قد صاروا فرقاً كثيرة مختلفة لايجمعهم إلّا ادعاء اتباع العقل فقط.

الأشاعرة وتفسير القرآن

البحوث المتعلّقة بموقف الأشاعرة في تفسير القرآن مهمّة جداً، لأنّ غالبيّة أهل السنّة اليوم يميلون إلى المذهب الأشعري، فلايمكن معرفة موقف أهل السنّة تجاه القرآن إلّا بمعرفة المذهب الأشعري، فلابدّ أن نتحدّث في ما يتعلّق بذلك باختصار:

ظهور المذهب الأشعري

ولد أبو الحسن الأشعري في البصرة سنة ٢٦٠ق، وتلمذ عند شيخ المعتزلة آنذاك أبي علي الجُبّائي، وكان لفصاحته يتولّى الجدل نائباً عن شيخه، ولكنّ الأشعري وجد من نفسه ما يبعده عن المعتزلة في تفكيرهم، مع أنّه تغذّى من موائدهم، ووجد ميلاً إلى آراء الفقهاء والمحدّثين، فعكف في بيته مدّة وازن فيها بين أدلّة المعتزلة وأهل الحديث، وانقدح له رأي بعد الموازنة، فخرج إلى الناس وناداهم

---

١. راجع: الإسلام وأُصول الحكم، لعليّ عبد الرازق، وكتاب نقد الخطاب الديني، لنصر حامدأبو زيد.

بالاجتماع إليه، فرقى المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة وقال:

أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأنّ الله تعالى لايرى بالأبصار، وأنّ أفعال الشرّ أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع متصدّ للردّ على المعتزلة مخرج لفضائحهم [١].

فاتبعه كثير من الناس، فسمّوا بالأشاعرة، ولهم مبانٍ خاصّة في تفسير القرآن المجيد.

المباني التفسيرية للأشاعرة

المباني الفكريّة للأشاعرة تعدّ مبانيَ تفسيرية أيضاً؛ لأنّ منطلق هذا المذهب كان ما يتعلّق بصفات الله تعالى في القرآن الكريم وكيفية تفسيرها، فنشير إلى بعض مبانيهم التفسيرية:

١ ـ الاعتدال بين الاعتزال وأهل الحديث

قبل وجود المذهب الأشعري، كان هناك تباين وتشاجر كبير بين الاتّجاه العقلي الإعتزالي والاتّجاه النقلي الظاهري من أهل الحديث، ولكنّ الأشعري جاء بفكرة جديدة تقارب في ضوئها الاتّجاهان، فهو وافق على شرعيّة الاتّجاه العقلي في إثبات العقائد الدينيّة وتفسير الآيات القرآنية، خلافاً لأهل الحديث القائلين ببدعة هذا الاتّجاه، ومن ناحية أخرى حين التعارض بين العقل والظواهر من الكتاب والسنّة، قدّم الظواهر على العقل.

٢ ـ الصفات الأزليّة ليست عين الذات ولا غيرها

ليس في الصّفات الأزليّة مثل: العلم، القدرة، الحياة، والإرادة بين أهل الكلام خلاف، وإنّما اختلفوا في كيفية تحقق هذه الصّفات لله تعالى،فأ كثر المعتزلة يعتقدون

---

١ . راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٥٢.

بعينيّة هذه الصفات للذات، ولكنّ أهل الحديث يرون أنّها تغاير الذات، وأمّا الأشعري فإنّه مع قبوله زيادة هذه الصّفات على الذات موافق لأهل الحديث، ويعتقد بأنّ هذه الصّفات ليست عين الذات ولا غير الذات،قال الشهرستاني:قال أبوالحسن: الباري تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حيّ بحياة، مريد بارادة، متكلّم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر، وله في البقاء اختلاف رأي، قال: وهذه الصفات أزليّة قائمة بذاته تعالى، لايقال: هي هو ولا هي غيره [١].

٣ ـ عدم البحث في كيفيّة تلبّس الله بالصفات الخبرية

ذكرت في القرآن صفات مثل: اليد، الوجه، المجيء، الإستواء على العرش، وما شابه ذلك، يسمّونها الصفات الخبرية، والآيات الشاملة لهذه الصّفات تعدّ عندهم من الآيات المتشابهة، فقبل الأشعري كان المعتزلة يؤوّلون هذه الآيات بشكل يوافق عقولهم وعقائدهم، ولكنّ بعض أهل الحديث يتمسّكون بظواهرها، فصاروا من المجسّمة والمشبهة.

أمّا الأشعري، فإنّه قَبِل ما يظهر من هذه الصفات لله، ولكن حرّم البحث في كيفية تلبّس الله تعالى بهذه الصفات [٢].

٤ ـ خلق الأفعال من الله مقارنة لقدرة الإنسان وإرادته

كان المعتزلة يعتقدون بأنّ الانسان هو الخالق لأفعاله، ولكنّ الأشعري قال: إنّ أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة.

ولكي يخلّص نفسه من الجبر، جاء بنظرية الكسب، وفي شرح نظرية الكسب يقول القوشجي: والمراد بكسبه إيّاه، مقارنته لقدرته وإرادته، من غير أن يكون هناك

---

١. الملل والنحل، للشهرستاني ١: ٩٥.

٢. راجع: الإبانة في أُصول الديانة، لأبي حسن الأشعري: ٥١ ـ ٥٨، ومقالات الإسلاميين ١: ٢٩٠.

منه تأثير ومدخل في وجوده، سوى كونه محلّاً له (١).

٥ ـ اتّباع السّلف

يقول الأشعري: قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها هي: التمسّك بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته، وعمّن خالف قوله مجانبون؛ لأنّه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحقّ عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشكّ الشاكّين، فرحمه الله تعالى من إمام مقدّم وكبير مفهّم، ورحمته على جميع أئمة المسلمين (٢).

٦ ـ لكلام الله مرتبتان

قبل الأشعري، قال المعتزلة: إنّ كلام الله حادث، واستقرّ رأي أهل الحديث على قدم كلام الله تعالى. قال الأشعري: لكلام الله مرتبتان: كلام نفسيّ وكلام لفظيّ، فالأوّل قديم؛ لأنّه حقيقة الكلام، والآخر حادث؛ لأنّه ليس بحقيقة الكلام.

يقول الشهرستاني، ناقلاً لعقيدة الأشعري: العبارات والألفاظ النازلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة، والمدلول قديم أزلي، والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلوّ كالفرق بين الذكر والمذكور، فالذكر مُحْدَث والمذكور قديم.

وخالف الأشعري بهذا التدقيق جماعة من الحشوية؛ إذ أنّهم قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة، والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة،

---

١ . شرح التجريد، للقوشجي: ٤٤٥.

٢ . الإبانة في أُصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري: ١٧.

والعبارة دلالة عليه من الإنسان، فالمتكلّم عنده: من قام به الكلام، وعند المعتزلة: من فعل الكلام، غير أنّ العبارة تسمّى كلاماً، إمّا بالمجاز وإمّا باشتراك اللفظ [١].

منهج الأشاعرة التفسيري

ويفهم منهجهم التفسيريّ من خلال مايلي:

١ ـ الاعتماد على التفسير النقلي وأقوال السّلف

القرآن الكريم كان الورد المورود عند الأشاعرة، يلجأون إليه وإلى السنّة في معرفة صفات الله وما يجب الإيمان به من عقائد، لايصدرون عن غيره، ولايطمئنون لسواه، كانوا يفهمون العقائد من آيات الكتاب وهي بيّنات، وما اشتبه عليهم حاولوا فهمه بأساليب اللغة [٢].

فالمفسّر عندهم لابدّ أن يطلب المعنى أوّلاً من كتاب الله، فإن لم يجد، طلبه من السنّة؛ لأنّها شارحة للقرآن وموضّحة له، فإن أعجزه ذلك رجع إلى أقوال الصحابة؛ لأنّهم أدرىٰ بكتاب الله وأعلم بمعانيه؛ لاعتقادهم بأنّهم اختصّوا بالفهم التامّ والعلم الصحيح والعمل الصالح، ولاحتمال أن يكونوا سمعوه من الرسول ﷺ، فهم ينكرون على المعتزلة عدم تسليمهم بروايات السّلف خصوصاً الصحابة [٣].

٢ ـ اجتناب تفسير بعض الآيات والتعمّق فيها

نجد في القرآن آيات تثبت لله تعالى صفات سمّوها بالصفات الخبرية مثل: اليد، العين، الجهة، الاستواء، وغيرها.

١ . الملل والنحل ١: ٩٦.

٢ . راجع: تاريخ المذاهب: ١٢٦.

٣ . راجع: الإبانة في أُصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري: ١٣.

فالأشاعرة يفسّرونها على ظاهرها، ويثبتون لله اليد والعين وما شابه ذلك، ولكنّهم يظهرون العجز عن معرفة الكيفيّة ويقولون: نعتقد بأنّ لله يداً، ولكن كيفية وجود اليد لله مجهولة لنا، ويقولون مثل ذلك في بقية الصفات الخبريّة، فإن تعذّر عليهم توقفوا وفوّضوا الأمور لله، غير مبتغين فتنة، مدّعين أنّهم لايرغبون في زيغ.

يقول الأشعري: وجملة قولنا أن نقرّ... وأنّ الله مستوٍ على عرشه، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأنّ له يدين بلا كيف، كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وأنّ له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾... ونثبت له السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج [١].

٣ ـ تفسير آيات الجبر على ظاهرها

الأشاعرة يفسّرون الآيات التي بظاهرها تُسقط الاختيار عن الانسان وتثبت الجبر عليه، على حالها، يقول الأشعري: وأنّه لايكون في الأرض شيء من خير وشرّ إلّا ما شاء الله، وأنّ الأشياء تكون بمشيئة الله عزّ وجلّ، وأنّ أحداً لايستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، ولايستغني عن الله، ولايقدر على الخروج عن علم الله عزّ وجلّ، وأنّه لا خالق إلّا الله، وأنّ أعمال العباد لايقدرون أن يخلقوا منها شيئاً، وهم يخلقون كما قال: ﴿لَايَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وكما قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّايَخْلُقُ﴾ وكما قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، وهذا في كتاب الله كثير [٢]. قال الفخر الرازي: فثبت أنّ أفعال العباد بقضاء الله وقدره، وأنّ الإنسان مضطرّ في اختياره، وأنّه ليس في الوجود إلّا الجبر [٣].

---

١. الإبانة في أُصول الديانة، لأبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري: ١٨.

٢. المصدر السابق: ١٩.

٣. المباحث المشرقية، للفخر الرازي ٢: ٥١٧، الفصل الخامس.

٤ ـ تفسير آيات ظاهرها خلاف العدل من دون تأويل

تمسّك الأشعري ببعض الآيات لإثبات عدم العدل ورعاية الحكمة على الله تعالى، مثل آية: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ فقالوا: هذه الآية وأمثالها تثبت عدم مسؤوليّة الله تعالى عن أفعاله حسنة كانت أو قبيحة؛ إذ لا حسن ولا قبيح بالذات، وإنّما هما بالوجوه والاعتبارات، فلا معنى لوجوب العدل عليه في الأفعال، بل القبيح منه حسن، وإنّما يقبح إذا كان من غيره [١].

تطوّر المذهب الأشعري في العصور المتأخّرة

بعد الأشعري إلى زماننا هذا لم يتوافق تلاميذ هذه المدرسة على كلّ ما اعتقده الأشعري، فبعضهم يعطي للعقل موقعاً خاصّاً من مجالات النصوص، ويعترف بتحسين الأفعال وتقبيحها عقلاً [٢].

وبعضهم مثل الإيجي له رأي يخالف رأي الأشعري في الصفات الخبريّة؛ فإنّه يقول: الخامسة اليد، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فأثبت الشيخ صفتين ثبوتيتين زائدتين، وعليه السّلف، وإليه ميل القاضي في بعض كتبه، وقال الأكثر: إنّها مجاز عن القدرة؛ فإنّه شائع وخلقته بيدي، أي: بقدرة كاملة [٣].

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يقول الإيجي في مواقفه : الصفة الثالثة الاستواء ، لما وصف الله تعالى بالاستواء في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ اختلف الأصحاب فيه ، فقال الأكثرون : هو

---

١ . راجع: التمهيد في علوم القرآن، لمحمد هادي معرفة ٣: ٢٩٢.

٢ . راجع: تفسير المنار ٩: ٢٢٧، ذيل الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.

٣ . راجع: المواقف، للإيجي ٣: ١٤٥.

الاستيلاء، ويعود الاستيلاء حينئذٍ إلى صفة القدرة، قال الشاعر:

قد استوى عمرو على العراق مـن غـير سـيف ودم مـهراق

أي: استولى، وقيل: هوـ أي الاستواءهنا ـ: القصد، فيعود إلى صفة الإرادة نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾ أي: قصد إليها، وهو بعيد [١].

وبالنسبة إلى نظرية الكسب بما يكون مبهماً في أصله، ولايرضي المحقّقين، قال الرازي: عند التحقيق يظهر أنّ الكسب اسم بلامسمّى [٢]. ويعتقد أحمد أمين المصري: أنّ نظرية الكسب تعبير جديد عن الجبر، ويقول: وهو كما ترى، لايقدّم في الموضوع ولايؤخّر، فهو شكل جديد في التعبير عن الجبر [٣].

السلفية وتفسير القرآن

نقصد بالسلفية أولئك الذين نحلوا أنفسهم ذلك الوصف، وظهروا في القرن الرابع الهجري، وكانوا من الحنابلة، وزعموا أنّ جملة آرائهم تنتهي إلى أحمد بن حنبل، ثم تجدّد ظهورهم في القرن السابع الهجري، أحياه الشيخ ابن تيمية وشدّد في الدعوة إليه، وأضاف إليه أموراً أخرى، بعث إلى التفكير فيها أحوال عصره، ثم ظهرت تلك الآراء في الحجاز في القرن الثاني عشر، أحياها محمد بن عبد الوهـاب بـالدعوة والسيف، وما زال الوهابيّون ينادون بها [٤]، وعلى كلّ حال، فالمقصود بالسلفية الآن أتباع ابن تيمية، ونحن أيضاً نقصد بالسلفيين من اتّبع ابن تيمية وسار على منهاجه.

فلنذكر هنا عدة مسائل لكي نعرف كيفية تفسيرهم للقرآن المجيد، وننقل أكثر

---

١. المصدر السابق: ١٥٠ و١٥١.

٢. تلخيص المحصل: ٣٣٣.

٣. منجي الإسلام، لأحمد أمين ٣: ٥٧.

٤. راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٧٧.

العبائر عن ابن تيمية؛ لأنّه رئيسهم، ومقبول لدى جميع السلفيين، وتعدّ كتبه مصادرهم الأصليّة والمعتمدة:

١ ـ آراؤهم في مناهج المفسّرين

يقسم ابن تيمية طرائق العلماء والمفسّرين إلى أقسام أربعة:

الأول: الفلاسفة الذين يقولون: إنّ القرآن جاء بالطريقة الخطابية والمقدمات الإقناعية التي تقنع الجمهور، ويدّعون أنّهم من أهل البرهان واليقين.

الثاني: المعتزلة الذين يقدّمون قضايا عقلية قبل النظر في القرآن، فهم يأخذون بالنوعين من الاستدلال، لكن يقدّمون النظر العقلي على الدليل القرآني لإثبات المعارف والعقائد.

الثالث: وهم يؤمنون بما جاء في القرآن الكريم، سواء فهموه بالعقل أو لا، ولكن يذكرون الأدلّة العقلية تأييداً له، ويستعينون بالعقل ليبرهنوا على عقائد القرآن الكريم.

الرابع: ومنهم طائفة يؤمنون بالقرآن، لكن يستدلّون بالأدلة العقلية بجوار القرآن للاستنباط وكشف المعاني مثل الأشاعرة.

ولايقبل ابن تيمية هذه المناهج ويدّعي أنّها خارجة عن منهاج السلف.

٢ ـ التأكيد على منهج التفسير النقلي والاحتراز عن الأدلّة العقليّة

بعد أن يردّ ابن تيمية مناهج الآخرين في التعامل مع القرآن الكريم، يطرح منهجه لفهم المعارف من القرآن ، ويعتقد أنّ المعارف لا تؤخذ إلّا من النصوص، ويقرّر أنّ الأساليب العقليّة مستحدثة في الإسلام ولم تكن معروفة قطعاً عند الصحابة والتابعين.

فلا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام وكلّ ما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً واعتقاداً واستدلالاً إلّا من القرآن الكريم والسنّة المبيّنة له والسير في مسارهما، فما يقرّره

القرآن الكريم وما تشرحه السنّة مقبول لايصحّ ردّه، وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن الكريم أو تخريجه إلّا بالقدر الذي تؤدّي إليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو في التصديق والإذعان وبيان تقريب المنقول بالمعقول وعدم المنافرة بينهما، فالعقل يكون شاهداً لا حاكماً، ومؤيّداً لا ناقضاً ورافضاً [١].

ويقول ابن تيمية: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب:

الأول: إنّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن الكريم بالقرآن، فما أجمل في مكانٍ، فإنّه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فقد بُسط في موضع آخر.

الثاني: فإن أعياك، فعليك بالسنّة؛ فإنّها شارحة للقرآن وموضّحة له، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: كلّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن...

الثالث: إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنّهم أدرىٰ بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصّوا بها...

وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنّة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين... وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجّة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: لا تكون حجّة على غيرهم ممّن خالفهم، وهذا صحيح، أمّا إذا اجتمعوا على الشيء فلايرتاب في كونه حجّة، فإن اختلفوا فلايكون قول بعضهم حجّة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك [٢].

---

١. راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٧٩، والملل والنحل، للشهرستاني ١: ٩٢.

٢. دقائق التفسير، لابن تيمية ١: ٨٣ ـ ٨٦.

٣ ـ تفسير جميع الآيات أمر ممكن

يقول ابن تيمية: واعتقدوا بالوقف عند قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله﴾، ويلزم من ذلك أن يعتقدوا أنّ لهذه الآيات والأحاديث معانيَ تخالف مدلولها المفهوم منها، وأنّ ذلك المعنى المراد بها لايعلمه إلّا الله، ولايعلمه الملك الذي نزل بالقرآن وهو جبريل، ولايعلمه محمد ﷺ ولا غيره من الأنبياء، ولايعلمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ... وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم: إنّ الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالّون، لايعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء [١].

٤ ـ المراد بتأويل القرآن

يعتقد ابن تيمية أنّ التأويل ما يؤول الأمر إليه، وهو المصداق الخارجي للآيات، وطبقاً للآية الشريفة، لايعلم تأويل القرآن إلّا الله، وأمّا الراسخون في العلم فإنّهم يظهرون الإيمان به فقط.

فآية آل عمران تؤكّد عدمَ استطاعة غير الله معرفةَ تأويل الآيات والمصاديق الخارجية لها، ولكن يمكن فهم جميع الآيات ذهناً، فمعنى الآيات وتفسيرها معلوم للراسخين في العلم، أمّا العلم بالتأويل فغير معلوم لهم [٢].

٥ ـ موضع السلفيين من تفسير الصفات الخبريّة في القرآن

يقول السلفيّون: إنّهم يؤمنون بكلّ ما جاء في القرآن من الصفات الخبريّة لله، من يدٍ ووجه واستواء وعين وغير ذلك ممّا وصف الله به نفسه، ويحملون هذه الصفات

---

١. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ١: ١٤ و١٥.

٢. راجع: المصدر السابق: ١٤ والتفسير الكبير، لابن تيمية ٢: ١٠٢ ـ ١٠٨.

على ظاهرها، ولكن مع قيدين، وهما: أنّ هذه الصفات ثابتة لله بما يليق بـه أوّلاً، وبلا كيف ثانياً، فليست يده كيد الحوادث، ولا نزوله كنزولهم، ولا وجهه كوجوههم.

ويقول ابن تيمية: ومذهب السّلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثّلون صفات الله تعالى بصفات خلقه، كما لايمثّلون ذاته بذوات خلقه، ولاينفون عنه ما وصف بـه نفسه، أو وصف به رسوله ﷺ، فيعطّلون أسماءه الحسنىٰ وصفاته العليا، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، ويُلحدون في أسماء الله وآياته، وكلّ من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل [١].

٦ ـ موضعهم من تفسير آيات ظاهرها الجبر

ابن تيمية ومتابعوه يخالفون الأشاعرة ويعتبرونهم جبريّة، ولذلك جاءوا بـرأي جديد في تفسير الآيات المتعلّقة بالجبر، خلافاً للأشاعرة والمعتزلة، وجمعوا بـين أمرين ظاهرهما التعارض، وهما:

الأول: الله تعالى خالق كلّ شيء، ولا شيءَ في الكون بغير إرادته.

والثاني: العبد فاعل حقيقة، وله مشيئة وإرادة كاملة تجعله مسؤولاً عمّا يفعل.

وفي التوفيق بين الأمرين يقول ابن تيمية: إنّ الله تـعالىٰ خـالق الأشـياء كـلّها بالأسباب التي خلقها، والله تعالى خلق في العبد قدرة يكون بها فعله، فـإنّ العـبد فاعل لفعله حقيقة، فقول أهل السنّة في خلق فعل العبد بإرادة وقدرة من الله، كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها.

٧ ـ موقفهم من تفسير آيات التوحيد في العبادة

كلّ مسلم يعبد الله ولايشرك به شيئاً، إلّا أنّ في معنى التوحيد والشرك اختلافاً بين السّلفيين والآخرين، خصوصاً في بعض المصاديق، فجميع المسلمين لايعبدون

---

١. راجع: المجموعة الكبرى في مجموعة الرسائل الكبرى: ٤٠٩.

إلّا الله، ولكنّ ابن تيمية توسّع في النفي وجعل كثيراً من الأعمال مصداقاً للشرك، فهو يذكر الأمور التالية ويحرّمها بوصفها مصاديق للشرك والبدعة:

الأول: التقرب إلى الله بالصالحين والأولياء.

والثاني: الاستغاثة والتوسّل بالموتى وغيرهم.

والثالث: زيارة قبور الصالحين والأنبياء للتيمّن والتبرّك.

يقول ابن تيمية: والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والقائمين، واستغاث بهم، كان مبتدعاً في الدين مشركاً بربّ العالمين، متّبعاً غير سبيل المؤمنين، ومن سأل الله بالمخلوقين أو أقسم عليه بالمخلوقين، كان مبتدعاً بدعةً ما أنزل الله بها من سلطان [١].

والسّلفيون طبقاً لمبانيهم التفسيرية، يتمسّكون بظواهر القرآن والسنّة، ففي باب التوحيد في العبادة تمسّكوا ببعض الآيات لإثبات الشرك والبدعة في أعمال كثير من المؤمنين بالله تعالى، ففي التوسّل والطلب من غير الله ومنعه، يتمسّكون ببعض الآيات مثل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَيَضُرُّهُمْ وَلاَيَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾ [٢] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [٣] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَيَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [٥] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لاَيَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ﴾ [٦] ﴿وَمَنْ

---

١. راجع: قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة لابن تيمية.

٢. يونس: ١٨.

٣. الرعد: ١٤.

٤. الأعراف: ١٩٧.

٥. الأعراف: ١٩٤.

٦. فاطر: ١٤.

أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[١].

ولكن مخالفيهم ردّوا كلامهم بأساليب شتى، منها: أنّ الدعاء والتوسّل والطلب والشفاعة ونحوها، لايخرج عن إذا الله التكويني والتشريعي، فكل فرد إذا يرى لموجود غير الله مزيّة مستقلّة عن الله. فهو مشرك بلاشك، أمّا إذا كان صاحب المقام عبداً من عباد الله والله تعالى لقربه وعبادته قدم له مقاماً واعطى له تأثيراً فالاعتقاد به بما له مقامات مكتسبة من الله لاينافي التوحيد.

---

١. الأحقاف: ٥.

الباب الثاني

منهج التفسير الروائي ونماذجه

الفصل الأول

منهج التفسير الروائي

تاريخ التفسير الروائي

منهج التفسير الروائي من أقدم المناهج التفسيرية وكان مقارناً لنزول الآيـات؛ لأنّ النبي ﷺ كان يفسّر لهم الآيات ويبيّن معانيها، كما كـان يـبيّن ألفـاظها حـين النزول. والبحث في تاريخ التفسير الروائي ينقسم إلى بحثين:

البحث عن كيفيّة نشوء التفسير الروائي

والبحث في تاريخ هذا المنهج ينحصر في ثلاث مراحل:

ـ مرحلة العصر النبوي.

ـ مرحلة عصر الصحابة.

ـ مرحلة عصر التابعين. ووجه هذا التقسيم أنّ الروايات التفسيرية: إمّا مسندة إلى النبي ﷺ أو أهل بيته، أو الصحابة، أو التابعين.

البحث عن تاريخ تفسير القرآن بالروايات

من الواضح أنّ تاريخ تفسير القرآن بالروايات نشأ في زمـن الـنـبي ﷺ وبـقي

مستمرّاً إلى زماننا هذا، وإن تغيّر كمّاً وكيفاً في عصر دون آخر، فهذا البحث يشمل في الواقع منهج التفسير الروائي منذ القرون الأولى من صدر الإسلام إلى قرننا هذا.

وسنكتفي هنا بالبحث عن النوع الأول، وحينما نعرض نماذج من التفاسير الروائيّة، سوف نبحث عن تاريخ كلّ تلك النماذج إن شاء الله.

مراحل تفسير القرآن بالروايات

المرحلة الأولى: العصر النبوي ﷺ

أُنزل القرآن الكريم للفهم والعمل، لجميع الأزمان والأجيال، لا لقوم دون قوم ولا لعصر دون عصر، ومن جانب آخر، لا يمكن أن يتساوى فهم جميع الناس لكلام واحد، فكيف يتساوى فهمهم للقرآن العظيم مع كثرة كلماته و غرائب معانيه، وسعة علومه، فينتج من هاتين المقدّمتين، لزوم تبيين الرسول ﷺ لهم معاني ما أنزل إليهم، وما أشكل عليهم، فبذلك يمكن القول: إنّ الرسول ﷺ هو المرجع الأول لبيان القرآن وفهم معانيه؛ إذ أنّه يعرف من خوطب بالقرآن، وإلّا فكيف يفسّر للناس ما نزل إليهم؟

هذا من جهة الحكم العقلي، وله تأييد من القرآن والسنّة. فالقرآن الكريم، جعل الرسول ﷺ مبيّناً للقرآن؛ إذ قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١].

فليست وظيفة الرسول تلاوة الآيات على أصحابه فحسب، بل كان عليه تعليمه وتبيينه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الامِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢].

وكذلك وردت في السنّة أخبار كثيرة تدلّ على تفسيره ﷺ لكثير من الآيات

١. النحل: ٤٤.

٢. الجمعة: ٢.

بأساليب مختلفة وفي مراتب متعدّدة، فكانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتّى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل [١].

فبيان النبي ﷺ للآيات، كان لازماً ووقع بأحسن وجهٍ، فهذا مسلّم لا اختلاف فيه، وإنّما الاختلاف في مقدار ما ثبت عنه من تفسير القرآن، الأمر الذي سوف نتكلّم عليه في المستقبل.

المرحلة الثانية: عصر الصحابة

لاشكّ أنّ بقاء الإسلام ونشر معارفه الثمينة تحقّق بواسطة الصحابة الكرام، وهم وسائط الخير والفيض على الآخرين، فمن جسورهم بقيت الآثار، ومن وجهودهم لم تنس الروايات ولم يندرس الميراث، فهم أبواب علم النبي ﷺ والطرق الموصلة إليه، وأنّ النبي ﷺ ربّاهم وعلّمهم وفقّههم؛ ليصيروا فقهاء في الدين وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، فكانوا لايصدرون إلّا عن مصدر الوحي الأمين، ولاينطقون إلّا عن لسانه الصادق الأمين.

ولمعرفة تفسير الصحابة، لابدّ أن نبحث عن بعض ما يتعلّق بتفسيرهم في فصول؛ ليتضح لنا المأثور منهم كمّاً وكيفاً:

المفسّرون من الصحابة

كان كثير من الصحابة يفسّرون القرآن، ولكنّ المشهورين منهم أربعة، فهؤلاء رؤوس المفسّرين، وهم: علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبدالله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعبدالله بن عباس.

قال جلال الدين السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٥٠.

وابن مسعود وابن عباس وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبوموسى الأشعري وعبدالله ابن الزبير، أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم: علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكأنّ السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما أنّ ذلك هو السبب في قلّة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلّا آثاراً قليلة جداً لاتكاد تتجاوز العشرة.

وأمّا علي عليه السلام فروي عنه الكثير، وقد روى معمر عن وهب بن عبدالله عن أبي الطفيل، قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: «سلوني، فوالله لاتسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آيةٍ إلّا وأنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهارٍ، أم في سهلٍ أم في جبلٍ» [١].

قال الذهبي: العشرة الذين اشتهروا بالتفسير تفاوتوا قلّة وكثرة، والمخصوصون بكثرة الرواية في التفسير أربعة: علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس، وأعلم هؤلاء الأربعة علي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

وقال الذهبي أيضاً في شأن علي عليه السلام: كثيراً ما كان يرجع إليه الصحابه في فهم ما خفي واستجلاء ما أشكل... كان مدققاً ومسدداً فيصلاً في المعضلات حتى ضرب به المثل فقيل: «قضية ولا أبا حسن لها... وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي عليه السلام؟ قال: لا، والله لا أعلمه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «إذا ثبت لنا الشيء عن علي عليه السلام لم نعدل عنه إلى غيره»... فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل، وقد روي عن ابن عباس أنّه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب [٣].

---

١. الإتقان ٤: ٢٣٣، النوع التاسع والسبعون.

٢. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٦٣.

٣. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٨٩ ـ ٩٠.

وبعد علي عليه السلام يأتي عبدالله بن مسعود، فهو من السابقين إلى الإيمان، وأوّل من جهر بالقرآن بمكّة وأسمعه قريشاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان من أحفظ الناس لكتاب الله، كان يقول: «والذي لا إله إلّا هو ما نزلت آية من كتاب الله إلّا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت»، وقد أذعن له عامّة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل، والعلم بالكتاب والسنّة، وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخذ العلم من علي عليه السلام وليس من غيره بتاتاً، قال علقمة: قال ابن مسعود ذات يومٍ، وكنّا في حلقته: لو علمت أنّ أحداً هو أعلم منّي بكتاب الله عزّ وجلّ لضربت إليه آباط الإبل، قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيت علياً؟ فقال: نعم، لقد لقيته وأخذت عنه واستفدت منه، وقرأت عليه وكان خير الناس وأعلمهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد رأيته كان بحراً يسيل سيلاً [(١)].

وقد حمل علم ابن مسعود في التفسير أهل الكوفة؛ نظراً لوجوده بينهم يجلس إليهم فيأخذون عنه ويروون له. وعلى كلّ حال، فإنّ ابن مسعود من الصحابة الكرام، وقوله معتبر لدى جميع الفرق والمذاهب الإسلامية.

وأمّا أبيّ بن كعب، فامتاز بأنّه كان سيّد القراء، وأحد كتّاب الوحي، وعارفاً بكتب اليهود وما في التوراة؛ لأنّه كان حبراً من الأحبار قبل الإسلام. ذكر العلّامة في القسم الأول من الخلاصة، وجاء في تعليقة البهبهاني على منهج المقال في المجالس ما يُظهر جلالته وإخلاصه لأهل البيت عليهم السلام [(٢)].

وأمّا ابن عباس، فله شأن عظيم في مجال علوم القرآن الكريم حتى لُقِّب بترجمان القرآن وحبر الأمّة الإسلامية. واشتغل في جميع أوقاته وأحواله بعلوم التفسير، حتى حاز مرتبة كبيرة، مع أنّه بين الصحابة كان صغيراً، ولا عجب من عظمته بعدما دعا النبي صلى الله عليه وآله له: «اللّهم فقهّه في الدين وعلّمه التأويل». وكان علي بن

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، لمحمد هادي معرفة ١: ٢١٨.

٢. راجع: أعيان الشيعة ٢: ٤٥٥.

أبي طالب عليه‌السلام يثني على تفسير ابن عباس ويقول: كأنّما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. ولد في الشِّعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فحنّكه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وبارك له، فتربّى في حجره، وبعد وفاته صلى‌الله‌عليه‌وآله كان قد لازم بيت النبوّة وربّاه الإمام علي عليه‌السلام فأحسن تربيته، ومن ثمّ كان من المتفانين في ولاء الإمام علي عليه‌السلام، وقد صحّ قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فمن علي بن أبي طالب»، هذا في أصول التفسير وأسسه، وكان عمر يسأل الصحابة عن معنى آية من كتاب الله، فإذا لم يجد عندهم جواباً مرضياً رجع إلى ابن عباس فسأله عنها، وكان يثق بتفسيره [١].

وحينما نتابع الروايات المروية عن ابن عباس في تفسير القرآن نجده يعتمد في تفسيره على القرآن والحديث والاجتهاد واللغة والشعر وأسباب النزول.

تفاوت مراتب الصّحابة في فهم القرآن

لم يكن الصّحابة في العلم والعمل علىٰ درجة واحدة، بل كان منهم المعلّم ومنهم المتعلّم، فرقة منهم مرشدة وفرقة أخرىٰ مسترشدة، وهذا الاختلاف في درجاتهم لم يتعلّق بفهم القرآن فقط، بل نراه بوضوح في مختلف ما صدر عنهم، وما يرتبط ببحثنا هذا، هو اختلاف مستواهم في فهم القرآن فقط، الأمر الذي اتّفق فيه الشيعة والسنّة علىٰ أنَّ كلّ واحدٍ من الصّحابة كان علىٰ مستوىً خاصّ.

فأخرج أبو عبيدة في الفضائل عن أنس: أنّ عمر قال على المنبر: ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ [٢] ثمّ قال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلىٰ نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر [٣].

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٦٩، والتفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١: ٢٢٥.

٢. عبس: ٣١.

٣. المصنّف، لابن أبي شيبة ٧: ١٨٠.

وروي أنّه كان على المنبر فقرأ: ﴿أو يأخذهم علىٰ تخوّف﴾ [١] ثمّ سأل عن معنى التخوّف، فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقّص [٢].

قال مسروق: «جالست أصحاب محمّد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ ـ يعني الغدير ـ فالإخاذُ يروي الرجلَ، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم» [٣].

وقال مسروق أيضاً: انتهى العلم إلىٰ ثلاثة: عالم بالمدينة: علي بن أبي طالب، وعالم بالعراق: عبدالله بن مسعود، وعالم بالشام: أبي الدرداء، فإذا التقوا، سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، وهو لم يسألهم [٤].

تعتقد الإمامية أنّ تفاوت الصّحابة في فهم القرآن أمر مسلّم متفق عليه، ولكن يجب الالتفات إلىٰ نتيجة هذا الإختلاف في علومهم وصفاتهم وأخلاقهم وإيمانهم وعقائدهم، وهو: ترجيح من له رتبة أعلىٰ في العلم والعمل علىٰ من له رتبة أدنىٰ فيهما، فهذا الترجيح ينشأ من مراتب الصحابة المختلفة، فمن اعترف بالعلّة وهي: تفاوت درجاتهم، يجب أن يقبل المعلول، وهو تفضيل من له درجة أعلى على من له درجة أدنى.

رجوع ابن عباس لأهل الكتاب

هناك رأيان في رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب لفهم معاني القرآن، الرأي الأوّل لمفسّري السنّة، وهو رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب لفهم القرآن، والرأي

---

١. النحل: ٤٧.

٢. الموافقات، للشاطبي ٢: ٨٨.

٣. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٣٦، وراجع: النهاية، لابن أثير ١: ٢٨.

٤. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ٣: ٥١، رقم ١٠٨٦.

الآخر : لمفسّري الشيعة ، وهو عدم رجوعه إليهم ، لنتكلّم علىٰ هذين الرأيين:

١ ـ رجوعه إلى أهل الكتاب

قال أحمد أمين: وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام فتسرّب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار، ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح، ولم يتحرّج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم، وروىٰ: أنّ النبي ﷺ قال: إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولاتكذّبوهم، ولكنّ العمل كان على غير ذلك، وأنّهم كانوا يصدّقونهم وينقلون عنهم [١].

وقال الدكتور الذهبي: وكان ابن عباس رضي الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفصّلت في التوراة والإنجيل، ولكن كما قلنا فيما سبق: إنّ الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيّقة تتفق مع القرآن وتشهد له [٢].

٢ ـ عدم الرجوع

قال الأستاذ الشيخ هادي معرفة: وإنّا لنأسف كثيراً أن يغترّ كتّابنا النقاد ـ أمثال الأستاذ أحمد أمين والأستاذ الذهبي ـ بتخرّصاتٍ لفّقتها أوهام مستوردة [٣].

واستدلّ الشيخ معرفة بأدلّة على عدم رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب نلخّصها في ما يلي:

أ ـ تسرّبت الإسرائيليات إلى حوزة الإسلام بعد انقضاء عهد الصحابة وعندما سيطر الحكم الأموي على البلاد.

---

١ . فجر الإسلام، لأحمد أمين: ٢٤٨.

٢ . التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٧١.

٣ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١: ٢٥٦.

ب ـ حاشا الصّحابة وحاشا ابن عباس بالذات أن يراجع ذوي الأحقاد من اليهود ويترك الخلّص من علماء الاسلام أمثال الامام علي عليه السلام وكان سفط العلم ولديه علم الأوّلين والآخرين.

ج ـ إنّ ابن عباس نفسه كان يحذّر من مراجعة أهل الكتاب، فكيف يرتكب ما ينهى عنه؟ ففي البخاري عن ابن عباس أنّه قال: يا معشر المسلمين! كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيّه أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُشَب، وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينها كم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم [١].

د ـ كلّ ما استشهدوا به على مراجعة ابن عباس لليهود باطل لا يثبت منه شيء [٢].

أقول: في روايات ابن عباس نجد أموراً لا تصل إليها أذهان الكثيرين، ولا يمكن فهمها من ظواهر القرآن، ولكن بما أنّ ابن عباس تلمّذ عند علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يعرف ظاهر القرآن وباطنه وتفسيره وتأويله، يمكن القول بأنّه أخذ كثيراً من هذه المعارف من أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الزركشي: صدر المفسّرين من الصحابة علي عليه السلام، ثم ابن عباس، وهو تجرد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي عليه السلام، إلّا أنّ ابن عباس كان أخذ عن علي [٣].

ومن ناحية أخرى نجد الدسّ والوضع عليه من قبل الكذّابين والوضّاعين؛ لأنّهم وجدوه مرجعاً كبيراً لتفسير القرآن، فأرادوا أن يستفيدوا من مكانته العظيمة، فإذاً لا

---

١. جامع البخاري ٩: ١٣٦، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

٢. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١: ٢٥٦ ـ ٢٥٩.

٣. البرهان، للزركشي ٢: ١٥٦، النوع الحادي والأربعون.

سبيل أمامنا إلّا أن نمحّص الروايات المنسوبة إليه بالمعايير المضمونية والداخلية للقبول والردّ، وسوف نتكلّم على هذه المعايير في المستقبل القريب.

هل بيّن رسول الله ﷺ كلّ القرآن؟

لاشكّ أنّ رسول الله ﷺ هو المبيّن الأوّل لكتاب الله المبين، وأنّ التبيين شأن مهمّ من شؤونه ووظيفة من وظائفه الرساليّة، كما نطقت به الآية الشريفة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، لكن هنا سؤال عن مقدار ما فسّره النبي ﷺ من القرآن الكريم، فهل فسّره كلّه أو بعضه؟ في ما يلي نذكر آراء أهل السنّة، تتلوها آراء الإمامية؛ لتكون سهلة الوصول لمن أراد الوقوف عليها:

آراء أهل السنّة وأدلّتهم

لأهل السنّة في مقدار ما فسّره الرسول ﷺ آراء ثلاثة مشهورة، وهي:

الأوّل: إنّ النبي ﷺ بيّن جميع القرآن

يعتقد جمع من المفسّرين، منهم: ابن تيمية بأنّ الرسول ﷺ فسّر كلّ القرآن وجميع معانيه لأصحابه، والأدلّة التي ذكروا لهذا الرأي، خلاصتها ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والبيان في الآية يتناول بيان معاني القرآن، كما يتناول بيان ألفاظه.

٢ ـ ما روي عن أبي عبدالرحمان السّلمي، من أنّ الصحابة إذا تعلّموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل.

٣ ـ إنّ مقتضى العادة: طلبهم شرح معاني القرآن؛ لأنّ فيه نجاتهم وسعادتهم.

---

١. النحل: ٤٤.

٤ ـ ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة عن عمر أ نّه قال: «من آخر ما نزل: آية الرّبا، وإنّ رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسّرها»، وهذا يدلّ بالفحوى، على أ نّه كان يفسّر لهم كلّ ما نزل، وأ نّه إنّما لم يفسر هذه الآية، لسرعة موته بعد نزولها، وإلّا لم يكن للتخصيص بها وجه.

الثاني: النبي ﷺ فسّر قليلاً من القرآن

ومن المفسّرين من ذهب إلى أنّ الرسول ﷺ لم يبيّن لأصحابه من معاني القرآن إلّا القليل، وعلى رأس هؤلاء: الخويّي والسيوطي. وأدلّتهم على ما اعتقدوه:

١ ـ ما أخرجه البزّار عن عائشة، قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسّر شيئاً من القرآن إلّا آياً بعددٍ علّمه إياهنّ جبريل [١].

٢ ـ بيان جميع الآيات كان متعذّراً، والعلم بالمراد يحصل من أمارات أخرىٰ، ولم يأمر الله نبيّه بتفسير جميع الآيات.

٣ ـ قالوا: لو كان رسول الله ﷺ بيّن لأصحابه كلّ معاني القرآن، لما كان لتخصيصه ابن عباس بالدعاء له بقوله: «اللّهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» [٢] فائدة؛ لأنّه يلزم من بيان رسول الله ﷺ لأصحابه كلّ معاني القرآن، استواؤهم في معرفة تأويله، فكيف يخصّص ابن عباس بهذا الدعاء.

الثالث: النبيّ بيّن الكثير من معاني القرآن

بعض أهل السنّة يقولون: إنّ النبي ﷺ فسّر كثيراً من القرآن، ولكنّ هذه الطائفة أيضاً تنقسم إلى حزبين:

---

١. مجمع الزوائد ٦: ٣٠٣.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٥، كتاب الوضوء.

الأوّل: الذين يقولون: إنّ الرسول ترك تفسير بعض الآيات؛ لأنّها لم تحتج إلى التوضيح، مثل الدكتور الذهبي؛ فإنّه ذهب إلى أنّ النبي ﷺ بيّن كثيراً من معاني القرآن [1].

وبعد أن ناقش أدلّة المدرستين، وادّعىٰ أنّهما على طرفي نقيض، وأنّ كلّ واحد منهما مبالغ في رأيه، وحجّته لاتنهض على مدّعاه، قال: والرأي الذي تميل إليه النفس ـ بعد أن اتّضح لنا مغالاة كلّ فريق في دعواه وعدم صلاحية الأدلّة لإثبات المدّعي ـ هو: أن نتوسّط بين الرأيين، فنقول: إنّ الرسول ﷺ بيّن الكثير من معاني القرآن؛ لأنّ من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لايعذر أحد في جهالته، كما صرّح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير، قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لايعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لايعلمه إلّا الله.

وبديهي أنّ رسول الله ﷺ لم يفسّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفه كلام العرب؛ لأنّ القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسّر لهم ما تتبادر إلى الأفهام معرفته وهو الذي لايعذر أحد بجهله، لأنّه لايخفى على أحدٍ، ولم يفسّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كلّ ما يجري مجرى الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيّه، وإنّما فسّر لهم رسول الله ﷺ بعض المغيّبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسّر لهم أيضاً كثيراً ممّا يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كلّ ما خفي معناه والتبس المراد به.

هذا، وممّا يؤيّد أنّ النبي ﷺ لم يفسّر كلّ معاني القرآن: أنّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه

---

١ . راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٤٨.

نصّ عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف، أو لا ارتفع بعد الوقوف على النص[١].

والحزب الآخر: الذين يقولون: إنّ ما نقل عن النبي في تفسير القرآن ممّا يتعلّق بنشأة الكون وأسرار الوجود والآيات الكونيّة والنفسيّة أقلّ ممّا نقل في الأحكام؛ لأنّ الأحكام الشرعية ثابتة دائمة، لاتتغير بتغير الأزمان والعصور، أمّا الآيات الكونيّة والآفاقيّة والنفسيّة، فهي مجال للنظر والتفكّر والتدبّر، ويختلف تناولها بتغيّر العقول والأفهام، وتطوّر الأزمان والأجيال، فهي عُرضة للتقدّم العلمي، والله سبحانه خالق الكون: عُلويّه وسُفليّه، ومدبّره والعليم بكلّ أسراره، كان يعلم الحقيقة العلميّة ولا ريب، وكان من الممكن اليسير أن يعلّمها لنبيه ليجيب بها، لكن جاء القرآن على هذا الأسلوب الحكيم، بالتنبيه إلى الفائدة والغاية من هذا؛ رحمة للناس ورفقاً بعقولهم، فليست كلّ العقول متهيئة في ذلك الزمن البعيد لتقبل الحقيقة العلميّة، وقد يكون لبعضهم فتنة، فمن ثمّ ترك ذلك إلى العقول، لتصل إلى الحقيقة بعلمها وجدّها وبحثها، وقد كان ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعداداتهم[٢].

آراء الإماميّة وأدلّتهم

اختلف علماء الإمامية أيضاً في المقدار الذي بيّنه رسول الله ﷺ من القرآن على قولين رئيسين:

الأوّل: أنّ الرسول ﷺ بيّن جميع معاني القرآن.

والثاني: بيّن الكثير من معاني القرآن، وفي ما يلي نذكر آراء الطائفتين وأدلّتهم.

والطائفة الأولىٰ التي تعتقد بأنّ الرسول ﷺ بيّن جميع معاني القرآن تنقسم إلى قسمين، هما:

---

١. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٤٨ ـ ٥٤.

٢. راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ٤١ ـ ٤٨.

١ ـ أنّ النبي ﷺ فسّر كلّ القرآن بأربعة طرق، لأنّه إمّا فسره بالنصّ أو بالعمل، وفي كلا التقديرين إمّا فسره لأهل بيته أو لأصحابه.

قال الأستاذ معرفة (وهو من أصحاب هذا الرأي): لم أجد كما أظنّ أحداً ذهب إلى أنّ النبي ﷺ لم يبيّن من معاني القرآن سوى البعض القليل وسكت عن الباقي (الكثير طبعاً) بعد الذي قدّمناه، وبعد ذلك الخضّم من تفاصيل الأحكام والتكاليف التي جاءت في الشريعة وكانت تفسيراً وبياناً لما أُبهم في القرآن من تشريعات جاءت مجملة بصورة كليّة، فضلاً عمّا بيّنه الرسول ﷺ وفضلاء صحابته والعلماء من أهل بيته، شرحاً لمعضلات القرآن وحلّاً لمشكلاته.

أمّا الذي نسبه إلى شمس الدين الخويي وجلال الدين السيوطي من ذهابهما إلى ذلك، فإنّ كلامهما ناظر إلى جانب المأثور من تفاسير الرسول المنقول بالنصّ؛ فانّه قليل، لو أغفلنا ما رُوِّيناه بالإسناد إليه عن طرق أهل البيت الأئمة من عترته الطاهرة صلوات الله عليهم، كما أغفله القوم، وإلّا فالواقع كثير وشامل، ولاسيّما اذا ضممنا تفاصيل الشريعة (السنّة الشريفة) إلى ذلك المنقول من التفسير الصريح، (إلى أن قال): وأمّا الوسط الذي أختاره، وأنّ الذي لم يبيّنه النبي ﷺ من القرآن، هو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيّه... فشيءٌ غريب، إذ لم نجد في معاني القرآن ما استأثر الله بعلمه، ولو كان، لكان الأجدر عدم إنزاله والكفّ عن جعله في متناول الناس عامّة، وقد تعرّض المفسّرون لتفسير آي القرآن جميعاً حتى الحروف المقطّعة، فكيف يا ترى خفي عليهم أن لايتعرّضوا لما يريد الله بيانه للناس.

إذن فالصحيح من الرأي هو: أنّه ﷺ قد بيّن لأمته ـ ولأصحابه بالخصوص ـ جميع معاني القرآن الكريم، وشرح لهم جُلّ مراميه ومقاصده الكريمة، إمّا بياناً بالنصّ أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها، ولاسيّما إذا ضممنا إليه ما ورد

عن الأئمة من عترته في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القرآن، والحمد لله [١].

٢ ـ أنّ النبي ﷺ فسّر القرآن كلّه على مستويين: المستوى العام والمستوى الخاص، فقيل: إنّنا نجد أنفسنا أمام تناقض بين قولين: (تفسير الرسول لآيات قليلة، وتفسيره لكلّ معاني القرآن) لكلّ منهما شواهده ومعزّزاته، ويحتاج هذا التناقض إلى علاج.

وقد لا نجد حلّاً منطقيّاً أقرب إلى القبول من القول بأنّ النبي ﷺ فسّر القرآن الكريم على مستويين ، فقد كان يفسّره على (المستوى العام) في حدود الحاجة ومتطلبات الموقف الفعلي، ولهذا لم يستوعب القرآن كلّه.

وكان يفسّره على مستوىً خاصّ تفسيراً شاملاً كاملاً بقصد إيجاد من يحمل تراث القرآن ويندمج به اندماجاً مطلقاً بالدرجة التي تتيح له أن يكون مرجعاً بعد ذلك في فهم الأمّة للقرآن، وضماناً لعدم تأثّر الأمّة في فهمها بإطاراتٍ فكريّة خاصّة ومسبقاتٍ ذهنيّة أو رواسب جاهلية.

ونحن إذا فسّرنا الموقف في هذا الضوء، وجدنا أنّه يتفق مع طبيعة الأشياء من كلّ ناحية. فندرة ما صحّ عن الصحابة من الروايات عن النبي ﷺ في التفسير مردّها إلى أنّ التفسير على (المستوى العام) لم يتناول جميع الآيات، بل كان يقتصر على قدر الحاجة الفعليّة.

ومسؤوليّة النبي ﷺ في ضمان فهم الأمّة للقرآن، وصيانته من الانحراف، يعبّر عنها (المستوى الخاصّ) الذي مارسه من التفسير، فقد كان لابدّ للضمان من هذا المستوى الخاص، ولايكفي المستوى العام لحصول هذا الضمان حتى لو جاء التفسير مستوعباً؛ لأنّه يجيء عندئذٍ متفرّقاً ولايحصل الإندماج المطلق، الذي هو شرط ضروري لحمل أمانة القرآن.

ونفس المخطط كان لابدّ من اتباعه في مختلف الجوانب الفكرية للرسالة من

---

١ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١: ١٧٧ ـ ١٧٩.

تفسير وفقه وغيرهما [١].

أقول: إنّ الإمامية تعتقد بأنّ علياً عليه السلام كان يعلم كلّ معاني القرآن، وأنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد بيّن في المستوى الخاصّ جميع معاني القرآن لعلي بن أبي طالب عليه السلام، والدلائل التي ذكروها لذلك كثيرة، نذكر قسماً منها في ما يلي:

أ ـ النصوص التي تدلّ على علم علي عليه السلام بجميع القرآن

١ ـ رويت عن الرسول صلى الله عليه وآله أحاديث متعددة تؤكّد أنّ علياً عليه السلام تعلّم جميع معاني القرآن، ومن جملة تلك الأحاديث: حديث الثقلين، وقد جاء هذا الحديث بصيغ عديدة، نذكر منها ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن أبي سعيد والأعمش، عن حبيب بن ثابت، عن زيد بن أرقم قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» [٢].

يقولون: إنّ هذه الرواية المشهورة بين المدرستين، تدلّ على أنّ علياً (وهو من القدر المتيقّن من عترة الرسول) كان يعرف كلّ القرآن، وإلّا لم يكن مع القرآن إذا كان جاهلاً ببعضه وعالماً ببعض آخر، كما أنّ هذه الرواية تدلّ على أفضلية علي عليه السلام في علمه بالقرآن، إذ لو كان هناك أحد أعلم بالقرآن منه، لكانت الوصيّة به دون مَن هو أقلّ علماً بالقرآن الكريم.

٢ ـ أخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده إلى الطفيل، قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يخطب الناس، فقال: «يا أيّها الناس! سلوني، فإنّكم لاتجدون أحداً بعدي هو أعلم

---

١ . راجع: علوم القرآن، للسيد الشهيد محمد باقر الحكيم: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

٢ . صحيح الترمذي ٢: ٣٠٨.

بما تسألونه منّي، ولاتجدون أعلم بما بين اللوحين منّي، فسلوني...».

٣ ـ ذكر ابن عساكر في رواية أخرى أنّ علياً قال: «يا أيّها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين لوحي المصحف آية تخفىٰ عليّ فيما أنزلت ولا أين نزلت ولاعُني بها...» [١].

وجاء في التفسير والمفسّرون: قال ابن عباس: لقد أعطي علي بن أبي طالب عليه السلام تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر، الأمر الذي أحوج الكلّ إليه، واستغنى عن الكلّ، كما قال الخليل.

وقال عبدالله بن مسعود: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده الظاهر والباطن.

وقال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبت عن علي عليه السلام لم نعدل به، وفي لفظ ابن الأثير: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره، وقد عرفت أنّ ما أخذه ابن عباس من التفسير فإنّما أخذه عن علي عليه السلام.

وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب. وقال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن.

وقد روى البلاذري في الأنساب قولة عمر: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» [٢].

ب ـ النصوص التي تدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله علّم علياً عليه السلام كلّ معاني القرآن

١ ـ في شواهد التنزيل عن علي عليه السلام قال: «**كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً، فكنت إذا سألته أجابني، وإن سكتُّ ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلّا قرأتها**

---

١. تاريخ دمشق ٢٠، ح ١٠٣٦.

٢. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ١: ٢١٣، نقلاً عن أُسد الغابة، لابن الأثير ٤: ٢٢ ـ ٢٣، والإصابة، لابن حجر ٢: ٥٠٩، وحلية الأولياء، لأبي نعيم ١: ٦٥، وأنساب الأشراف، للبلاذري ٢: ١٠٠، رقم ٢٩.

علمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علّمني إيّاه، فما نسيتُ من حرام أو حلال وأمر ونهيٍ وطاعة ومعصية، قد وضع يده على صدري وقال: اللّهم إملأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ثم قال لي: أخبرني ربّي عزّوجلّ أنّه قد استجاب لي فيك»[١].

٢ ـ وفي الكافي أيضاً قال علي عليه السلام: «وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ يوم دخلةً فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربّما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله، أخلاني وأقام عنّي نساءه، فلايبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي، لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بنيَّ، وكنت إذا سألته أجابني، واذا سكتّ عنه وفَنيت مسائلي، ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهيٍ، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحدٍ قبله من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً...»[٢].

مدى اعتبار تفسير الصحابة

يجب على كلّ من يريد أن يفسّر القرآن، الرجوع إلى التفاسير المأثورة عن الصحابة الكرام الذين هم أقرب زماناً إلى نزول القرآن، وهم أبواب علم النبي صلى الله عليه وآله

---

١ . شواهد التنزيل، للحسكاني ١: ٤٨.

٢ . الكافي ١: ٦٢، كتاب فضل العلم، ح ١.

والطرق الموصلة إليه والوسائط بينه وبين الآخرين، وهذا ما اتفق عليه علماء المدرستين وجميع المذاهب الاسلامية.

كما أنّه من المتفق عليه بين المدرستين إذا هم أسندوا رواية إلى النبي ﷺ، فقولهم حجّة اذا اشتمل على شرائط الحجية.

وإنّما الكلام في حجّية أقوالهم إذا لم يسندوها إلى النبي ﷺ، فهل تفسير الصحابي في هذه الحالة يكون كالمرفوع إلى النبي ﷺ؟ أو أنّه موقوف على الصّحابي؟

في ما يلي نذكر آراء بعض الشيعة والسنّة بهذا الشأن:

إنّ الرأي الغالب لدى أهل السنّة يبتني على كيفية مضمون الكلام المنسوب إلى الصحابي، فإن كان تفسيره يتعلّق بما لا سبيل فيه للرأي والاجتهاد، مثل: بيان أسباب النزول والأخبار الغيبيّة، فهو حديث مرفوع وحجّة معتبرة. وأمّا إن كان فيه مجال للرأي والاجتهاد، فمعدود من الموقوفات.

قال الدكتور الذهبي: تفسير الصحابي له حكم المرفوع، إذا كان ممّا يرجع إلى أسباب النزول، وكلّ ما ليس للرأي فيه مجال، أمّا ما يكون للرأي فيه مجال، فهو موقوف عليه، ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ[(١)].

وقال أيضاً في الموقوفات: ما حكم عليه بالوقف، تختلف فيه أنظار العلماء، فذهب فريق إلى أنّ الموقوف على الصحابي من التفسير لايجب الأخذ به؛ لأنّه لمّا لم يرفعه، علم أنّه اجتهد فيه، والمجتهد يُخطئ ويصيب، والصّحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين.

وذهب فريق آخر إلى أنّه يجب الأخذ به والرجوع اليه؛ لظنّ سماعهم له من رسول الله ﷺ؛ ولأنّهم إن فسّروا برأيهم فرأيهم أصوب؛ لأنّهم أدرى الناس بكتاب الله؛ إذ هم أهل اللسان، ولبركة الصحبة والتخلّق بأخلاق النبوّة، ولما شاهدوه من

---

١. التفسير والمفسّرون ١: ٩٥.

القرائن والأحوال التي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التامّ والعلم الصحيح، لاسيّما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة وعبدالله بن مسعود وابن عباس وغيرهم [١].

هذا هو الغالب عند علماء السنّة، وإلّا فما رووا عن أبي حنيفة يدلّ على عدم حجيّة تفسير الصحابي عنده، فإنّه قال: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيّرنا، وما جاء عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال [٢].

وأيضاً ما روى الشاطبي في الموافقات، يدلّ على أنّ هناك جمع يقبلون تفسير الصحابي بشرط الإجماع، قال: وأمّا بيان الصّحابة، فإن أجمعوا على ما بيّنوه، فلا إشكال في صحّته أيضاً، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبيّن لقوله تعالى، ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ [٣]، وإن لم يُجمعوا عليه، فهل يكون بيانهم حجّة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل... [٤].

وأيضاً قيل: المحقّقون من العلماء: كالحافظ الكبير ابن حجر، على أنّ أقوال الصحابة في التفسير لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ بشرطين:

الأول: أن يكون ممّا لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول، وأحوال القيامة واليوم الآخر ونحوها.

والثاني: أن لا يكون الصحابي معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أي: غير معروف برواية الاسرائيليات [٥].

---

١. المصدر السابق: ٩٥ـ٩٦.

٢. أُنظر المصدر نفسه: ١٢٨.

٣. المائدة: ٦.

٤. الموافقات ٣: ٢٦٩ و ٢٧٠، المسألة الحادية عشرة.

٥. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ٥٣ ـ ٥٤.

ليس الصّحابة على درجة واحدة في نظرهم، بل هم ثلاث طوائف:

الأولى: هم الذين تتفق الأمة الإسلامية على أنّهم من أهل البيت، وأنّهم من أصحاب الكساء، الذين دعاهم النبي ﷺ لمباهلة نصارى نجران، وهم: علي عليه السلام صهر النبي وفاطمة عليها السلام بنته والحسن والحسين عليهما السلام ابناه.

الثانية: الصحابة الأجلاء الذين هم من الطراز الأوّل ولهم الرتبة الأعلى من العلم والعمل.

الثالثة: الصحابة الذين لم يكونوا في الرتبة العالية من العلم والعمل.

أمّا الطائفة الأُولى: فأقوالهم حجّة، سواء أسندوها إلى النبي ﷺ أم لم يسندوها إليه؛ لأنّ النبي ﷺ جعل قولهم حجّة وقرنهم بالكتاب المبين وقال في حقّهم: «إنّي تارك فيكم ثقلين، أوّلهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به». فحثَّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين: ومن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهل بيته مَن حَرُمت عليهم الصدقة بعده [1].

وأمّا الطائفة الثانية: فقد اختلفت آراء علماء الشيعة فيهم على رأيين:

الأوّل: أقوالهم وأحاديثهم إذا كانت مشتملة على أسباب النزول وما لا سبيل فيه للرأي والاجتهاد، حجّة ويجب التمسّك بها.

قال صاحب التفسير الأثري الجامع: وعلى أيّ حال فإنّ التفسير المأثور عن صحابيّ جليل، إذا صحّ الطريق إليه ـ فإنّ له اعتباره الخاصّ ـ فإمّا أن يكون قد أخذه من رسول الله ﷺ وهو الأكثر فيما لا يرجع إلى مشاهدات حاضرة أو فهم الأوضاع اللغوية، أو ما يرجع إلى آداب ورسوم كانت رائجة وأشباه ذلك، فإن كان

---

١ . راجع: صحيح مسلم ٧: ١٢٣، باب فضائل عليّ عليه السلام.

لايرجع إلى شيء من ذلك، فإنّ من المعلوم بالضرورة أ نّه مستند إلى علم تعلّمه من ذي علم، هذا ما يقتضيه مقام إيمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف، وإلّا فهو موقوف عليه ومستند إلى فهمه الخاصّ، ولاريب أ نّه أقرب فهماً إلى معاني القرآن من الذي ابتعد عن لمس أعتاب الوحي والرسالة، وحتى عن إمكان معرفة لغة أوائل، وعادات كانت جارية حينذاك، وهكذا أصرّ العلّامة الناقد الخبير السيد رضي الدين ابن طاوس بشأن العلماء من صحابة الرسول ﷺ قال: «هم أقرب علماً بنزول القرآن» [١].

والثاني: وهو عدم اعتبار قول الصحابي، ولو كان قوله مشتملاً على أسباب النزول أو مالم يكن فيه مجال للرأي والنظر.

قال العلّامة الطباطبائي عند تفسير الآية ٤٤ من النحل: وفي الآية دلالة على حجيّة قول النبي ﷺ في بيان الآيات القرآنية (إلى أن قال): هذا في نفس بيانه ﷺ ويلحق به بيان أهل بيته؛ لحديث الثقلين المتواتر وغيره، وأمّا سائر الأمّة من الصحابة أو التابعين أو العلماء، فلا حجيّة لبيانهم؛ لعدم شمول الآية، وعدم نصّ معتمد عليه يعطي حجيّةَ بيانهم على الإطلاق [٢].

أقول: إنّ بعض المفسّرين من الشيعة الذين امتنعوا عن قبول حجية قول الصّحابي، لم يكونوا في مقام بيان جميع التفصيلات، ولم يقسّموا كلامهم على ما لا مجال فيه للرأي، وما يوجد فيه هذا المجال، فلا نستطيع أن نحمل عليهم عدم القول بالحجية إذا كان ما أخبر عنه من المغيّبات، ولم يكن فيه مجال للرأي، خصوصاً إذا كان الصحابي من الأجلّاء.

---

١. التفسير الأثري الجامع ١: ٩٩، وسعد السعود، للسيد الرضي: ١٧٤.

٢. تفسير الميزان ١٢: ٢٦١، ذيل الآية ٤٤ من سورة النحل.

فإذا قال العلّامة الطباطبائي: وعدم نصّ معتمد عليه يعطي حجيّةَ بيانهم على الإطلاق، يمكن نستفيد منه عدم حجية قول الصحابة في موارد نظن أ نّهم استفادوا فيها من آرائهم الاجتهادية، أمّا ما لا سبيل فيه للرأي، وكان القائل من أجلّاء الصحابة، فلا يشمله قول العلّامة.

أقول: الروايات المرويّة عن الصحابة، سواء ما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، أو ما يوجد فيه المجال، وسواء نقلت عن أجلّائهم أو غيرهم، تختلف كثيراً، فتارة نجد في تفسير آية واحدة، أقوالاً متعددة كثيرة متناقضة منهم في سبب نزولها أو في تفسيرها، ومن ناحية أخرى نعرف أنّ الكذب عليهم والدسّ في رواياتهم، وحتى في أسناد الروايات المنسوبة إليهم ممّا حدث مع الأسف، فلأجل ذلك ذهب كثير من علماء المدرستين إلى المعايير الداخليّة لقبول رواياتهم أو ردّها، مثل موافقة الكتاب ومخالفته، وغير ذلك من المعايير، (سوف نتكلّم عليها في فصل خاص) فبهذا الأسلوب لانرى ثمرة مهمّة في البحث عن إثبات الحجيّة الشرعيّة لتفسير الصحابي، بعدما كانت المعايير الداخلية هي التي تحكم بالاعتبار وعدمه، في الغالب.

قيمة تفسير التابعي

وردت آثار تفسيريّة كبيرة عن التابعين، فالبحث عن قيمة هذه الآثار يعدّ من المباحث المهمّة ذات الآثار والفوائد الكثيرة. فنقول: لاشكّ إذا أسند تابعي تفسيره إلى الصحابي، يكون قوله مثل قول الصحابي إذا توفّرت فيه شرائط الحجيّة.

وأمّا إذا فسّر تابعي آية من الآيات من دون إسناد إلى الصّحابة، فهل قوله حجة شرعية يجب الأخذ به، أو لا؟ فيه أقوال نعرض بعضها في ما يلي:

أمّا أهل السنّة فأقوالهم على ثلاث طوائف :

١ ـ القائلون بالحجيّة المطلقة.

٢ ـ القائلون بعدم الحجيّة.

٣ ـ القائلون بالحجيّة المشروطة.

الأوّل: الحجيّة المطلقة

يظهر من كلام ابن تيمية وابن كثير: أنّ الحجيّة المطلقة قول كثير من الأئمة؛ فإنّه يقول: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنّة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر؛ فإنّه كان آية في التفسير [١].

الثاني: عدم الحجيّة الشرعيّة مطلقاً

وهناك طائفة من علماء السنّة لايرون الحجية الشرعية لأقوال التابعين، ويتعاملون مع تفسيرهم كما يتعاملون مع تفسير بقيّة العلماء في العصور المتأخرة، وقد نقلنا قول أبي حنيفة: وما جاء عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال [٢].

وذكر ابن تيمية عبارة شعبة بن الحجاج وغيره: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجّة، فكيف تكون حجّة في التفسير؟» [٣].

الثالث: الحجيّة المشروطة

بعض أهل السنّة قبلوا قول التابعين، ولم يتركوا تفاسيرهم، ولم يعدلوا إلى غيرهم، ولكن ذكروا شروطاً لذلك منها: إجماعهم على التفسير.

قال ابن تيمية: أمّا إذا اجتمعوا على الشيء، فلايُرتاب في كونه حجّة، فإن

---

١. راجع: تفسير ابن كثير ١: ٥، ودقائق التفسير ١: ٧٦.

٢. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ١٢٨.

٣. دقائق التفسير ١: ٨٢.

اختلفوا فلايكون قول بعضهم حجّة على بعض ولاعلى من بعدهم [١].

وقيّد الذهبي وجوب الأخذ بقول التابعين بقيدين: الأول: أن لايكون فيه مجال للرأي. والثاني: أن لايرتاب فيه. قال: والذي تميل إليه النفس هو: أنّ قول التابعين في التفسير لايجب الأخذ به، إلّا إذا كان ممّا لا مجال للرأي فيه، فإنّه يؤخذ به حينئذٍ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله ولانعتمد عليه [٢].

وأمّا **الشيعة** فقد استقرّ رأيهم على لزوم الرجوع إلى تفسير التابعي؛ لأنّه أقرب إلى نزول القرآن وأعلم بمفاهيم الجمل والمفردات منّا ، والشاهد على ذلك هو : وجود أقوال التابعين في تفاسير الشيعة والاستدلال بها في بعض الموارد. ولكنّهم لايرون أنّ أقوال التابعين حجّة شرعيّة، يجب التمسّك بها، والأدلّة التالية تدلّ على عدم الحجيّة:

١ ـ اللون الغالب على تفسير التابعين هو الاجتهاد والرأي، لا النقل والرواية، وقيل في مجاهد وهو من أشهر التابعين: كان من أكثر التابعين إعمالاً لرأيه، وكان يقول: أفضل العبادة: الرأي الحسن [٣]، ولمّا لم يكن التابعي معصوماً، فرأيه يحتمل الخطأ، فلايكون قوله حجّةً.

٢ ـ اختلافاتهم الكثيرة في تفاسير الآيات، الأمر الذي لايترك اطمئناناً بنقلها عن الصّحابة حتى تصل إلى الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ ـ اختلاط آثارهم بمرويّات أهل الكتاب، كما تشهد عليه التفاسير الباقية عنهم، والكتب التي ألفت حول الإسرائيليات تعدّ شاهداً ثانياً على ذلك. وإن حصل

---

١. المصدر السابق.

٢. التفسير والمفسّرون ١: ١٢٨ ـ ١٢٩.

٣. التفسير بالمأثور، لأحمد أمين: ١٣٤، نقلاً عن مقدّمة تفسير مجاهد.

هذا الاختلاط في العصور المتأخرة.

٤ ـ التابعون ليسوا في رتبة واحدة من حيث الإيمان والعمل الصالح، فمنهم الصالح ومنهم الطالح، فالحكم المطلق بصحة رواياتهم ينافي ما ثبت في علم الرجال والدراية من لزوم ثبوت العدالة للرواة.

أقول: كما أشرنا سابقاً، لا ثمرةَ عمليّة مهمّة لثبوت الحجيّة الشرعيّة لتفسير التابعين، وعدم ثبوتها، بعدما كان المنهج التفسيري للشيعة والسنّة في الاستشهاد بكلام التابعين واحداً، فإنّ الشيعة والسنّة، ينقلون كلمات التابعين ويستفيدون من أقوالهم كثيراً ويقبلونها بشروط، ويسكتون عن البعض الآخر أو يرفضونه، كما يرجّحون قول بعضهم على بعض، فعند الشيعة والسنّة نجد معايير لقبول تفاسيرهم أو ردّها، ونذكر نموذجين من المدرستين إثباتاً لما أشرنا إليه:

قال الطبري: وقد اختلف أهل التأويل في معنى «الصّمد» فقال بعضهم: الصّمد: الذي ليس بأجوف، ولايأكل ولايشرب، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد وسفيان والحسن وسعيد بن جبير والشعبي والضّحاك وسعيد بن المسيب وعكرمة.

وقال آخرون: الصّمد: السيد الذي انتهى سؤدده، وهذا قول لابن عباس.

وقال آخرون: الصّمد الباقي الذي لايفنىٰ، والدائم الذي لايموت، وهذا قول قتادة.

والصّمد عند العرب هو: السيد الذي يُصمد إليه، والذي لا أحدَ فوقه، وهذا لقب تطلقه العرب على أشرافها، قال الشاعر:

ألا بكَّر الناعي بخير بني أسدِ بعمرو بن مسعود بالسيد الصّمد

وهذا هو الراجح في معنى الصمد؛ لأنّه يتفق مع معناها في اللغة [1].

---

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري ٧: ٧١٧، ذيل الآية الثانية من سورة الإخلاص.

فرأيت في كلام الطبري أنّه لم يكتفِ بالمنقولات عن الصحابة والتابعين، بل التجأ إلى القاعدة المعروفة في تبيين المفردات وهي الرجوع إلى أهل اللغة.

وقال الطبرسي: اختلفوا في تفسير «الكوثر» فقيل: هو نهر في الجنّة، عن عائشة وابن عمرو. وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: نهر في الجنة... وقيل: الكوثر: الخير الكثير، عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد، وقيل: هو النبوّة والكتاب، عن عكرمة. وقيل: هو القرآن، عن الحسن. وقيل: هو كثرة الأصحاب والأشياع، عن أبي بكر بن عباس، وقيل: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتى لايحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم. وقيل: هو الشفاعة، ورووه عن الصادق عليه السلام.

واللفظ يحتمل الكلَّ، فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال، فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى الخير الكثير في الدنيا، ووعده الخير الكثير في الآخرة، وجميع هذه الأقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين [1].

فاختار الطبرسي من هذه الأقوال القول الثاني، لا لأنّه يرى حجيّة قول أصحابه، بل لأنّ قاعدة الإطلاق، تؤيّده وتجعل الأقوال الأخرى أمثلةً له.

الإسرائيليات ومعايير كشفها

التفسير الروائي مع قِدَمِه وأهميّته ولزومه، أصيب بمشاكل متعدّدة، ومن جملة تلك المشاكل: وجود الروايات الموضوعة والإسرائيلية والضعيفة بعدد ضخم فيه، وقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنّه قال: «ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي» وقال تلاميذه: مراده: أنّ الغالب أنّه ليس لها أسانيد صحيحة

---

١. تفسير مجمع البيان ١٠: ٨٣٧ـ٨٣٨، ذيل الآية الأُولى من سورة الكوثر.

متصلة ، وإلّا فقد صحّ من ذلك شيء غير قليل [١].

ويقول مؤلّف تفسير الميزان : إنّ السّياق الموجود في روايات أسباب النزول يدلّ علىٰ أنّ الراوي لم يكن حاضراً في الحادثة، بل يحكي سبب النزول ، والشاهد علىٰ ذلك وجود التناقضات الكثيرة في هذه الروايات ، حتّىٰ أحياناً ينقل عن شخص واحد من الصحابة روايات متناقضة ، إضافة إلىٰ ذلك ، أنّ عصر منع كتابة الحديث صار سبباً لنقل الروايات بالمضامين، دون حفظ نفس الألفاظ الصادرة، وأوجب فتح هذا الباب لنقل الحديث الاختلافات الكثيرة تدريجاً والاشتهار لنقل الحديث بالمعنى ، فلم يترك اعتباراً لروايات أسباب النزول .

فإذا أضفنا إلىٰ ماذكر ، مسألة الجعل ودخول الإسرائيليات، يصير عدم الاعتبار بهذه الأسباب مؤكّداً [٢].

أقول : لايمكن منع التفسير بالروايات ما دام فهم بعض الآيات لايستقيم إلّا بواسطة الروايات ، وهذا هو السيرة العمليّة لأغلب المفسّرين، سواء كانوا كالعلّامة الطباطبائي أو غيره ممّن نقدوا الروايات التفسيرية،فالطريق الحقّ المرضي هو إخراج الروايات غير المعتبرة وكشف الإسرائيليات والأخذ بالروايات الصحيحة المعتبرة . وهذا لايمكن إلّا بوضع المعايير لكشف الإسرائيليات من المرويّات، فلابدّ من البحث عن الروايات الإسرائيليّة ومعايير كشفها .

معايير كشف الاسرائيليّات

إنّ الإسرائيليات انتشرت بين المسلمين ونفذت في كتب التفاسير، يقول الدكتور الذهبي:أدخل بعض المفسّرين في تفسير القرآن الكريم كثيراً من القصص الإسرائيليّة

---

١ . راجع: الإتقان ٤: ١٨٠.

٢ . راجع: قرآن در اسلام: ١٠٤ـ١٠٥ .

الذي لايُقبل عقلاً ولايصحّ نقلاً ، وأسندوا ذلك ، كذباً واختلاقاً إلى بعض الصحابة، بل ربّما رفعوه إلىٰ رسول الله ﷺ[١].

أقول : لايقصد الدكتور الذهبي عدم اعتبار الروايات في تفسير الآيات ، والاستغناء عن أسباب نزول القرآن ، بل إنّه ـ كبقية العلماء ـ يقصد الاحتياط في المقام، وتمييز الصحيح عن السقيم من الروايات .

فإذا انتشرت الإسرائيليّات بهذه الصورة ، سيكون صعباً أن ندرس هذه الروايات الكاذبة واحدةً واحدةً، فلابدّ أن ندخل في دراسة هذا الموضوع ونبحث عن المعايير والموازين التي بها يمكن الكشف عن الإسرائيليّات، فبهذه الضوابط والقواعد ، مع ذكر بعض النماذج ، نعرف الأباطيل ونقدر علىٰ تمييز الإسرائيليّات عن الروايات الصحيحة في التفسير . وسوف نذكر هنا أوّلاً مفهوم الإسرائيليّات، وثانياً نعرض بعض المعايير المهمة ونترك ما بقي من البحوث المتعلّقة بالإسرائيليّات .

إنّ المتقدّمين لم يذكروا معنىً إصطلاحياً معيّناً لهذه الكلمة، ممّا جعلهم يتناولون هذه الكلمة بمعايير ومعانٍ مختلفة ، فمنهم من يرىٰ: أنّ الإسرائيليّات هي:

١ ـ الأخبار الواردة الكاذبة عن بني إسرائيل عن طريق اليهود الذين دخلوا في الإسلام أو تظاهروا به .

٢ ـ مطلق الأخبار الواردة عن اليهود .

٣ ـ كلّ ما جاء عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام .

٤ ـ كلّ ما دخل في الإسلام وليس له أصل صحيح، سواء كان من أهل الكتاب أو من غيرهم .

ونحن في كتابنا هذا نأخذ هذا الاصطلاح ونذكر تعريفاً متفقاً عليه من قبل

---

١ . الإسرائيليات في التفسير والحديث، للدكتور الذهبي: ٦ .

المحقّقين من الشيعة والسنّة؛ إذ قالوا : ولفظ الإسرائيليّات وإن كان يدلّ بظاهره على القصص الذي يروىٰ أصلاً من مصادر يهوديّة ، يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهوديّة، فهو في إصطلاحهم يدلّ علىٰ كلّ ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهوديّ أو نصرانيّ أو غيرهما ، بل توسّع بعض المفسّرين والمحدّثين فعدّوا من الإسرائيليّات ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث .

وإنّما أطلق لفظ «الإسرائيليّات» على كلّ ذلك ، من باب التغليب للّون اليهودي علىٰ غيره ؛ لأنّ غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل، يرجع في أصله إلىٰ مصدر يهودي، ولأنّهم الفئة التي كانت العرب الأوائل، وكذا المسلمون في العهد الأوّل يرجعون إليها في الأغلب الأكثر [1].

والآن نذكر بعض المعايير المهمّة لكشف الإسرائيليّات في ما يلي:

١ ـ موافقة القرآن وعدم مخالفته

إنّ القرآن وحي من الله ، لاينفذ فيه شك ولايدخل فيه باطل ، هو معيار لقبول الأحاديث وردّها ، وهذا ما ورد في روايات المدرستين :

ففي كنز العمّال : عن النبي ﷺ : «... **وإنّه ستفشو عني أحاديث، فما أتاكم من حديثي فاقرأوا كتاب الله واعتبروه، فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله**» [2].

---

١ . راجع : الإسرائيليات في التفسير والحديث، للذهبي: ١٣ ـ ١٥، والتفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٨٠ .

٢ . كنز العمّال ١ : ١٩٦، الرقم ٩٩٣ .

وفي أصول الكافي: عن النبي ﷺ، «**إنّ علىٰ كلّ حقيقة حقيقة، وعلىٰ كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه**»[١].

ويجب أن نقول هنا: إنّ تخصيص العمومات القرآنية وتقييد مطلقات الآيات لايعدّ مخالفاً للقرآن، فإنّ في المخالفة نجد التعارض والتعاند، وهذا لايوجد في التخصيص والتقييد؛ لأنّ العرف يأخذ بكليهما ويجمع بينهما، كما هو موضّح في أصول الفقه. ففي سنن ابن ماجة: عن ابن عبّاس، قال: فلمّا مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وقال: إنّ له مرضعاً في الجنّة، ولو عاش لكان صدّيقاً نبيّاً، ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرقّ قبطي[٢].

إنّ هذا الحديث مخالف لصريح القرآن الكريم؛ فإنّه يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[٣].

فهذه الآية الشريفة وآيات أخرىٰ، تدلّ على عدم وجود نبيّ بعد رسول الله ﷺ، فإنّه خاتم النبيين، فكلّ تعبير يدلّ على وجود نبيّ بعد الرسول ولو علىٰ صورة الفرض والاحتمال، يكون باطلاً وكذباً.

وأسطورة الغرانيق تعدّ نموذجاً ثانياً لمخالفة القرآن، كما أنّها مخالفة لعصمة الرسول ﷺ. فقد جاء في تفسير الطبري: أنّ النبيّ ﷺ كان في حشد من مشركي قريش، بفناء الكعبة، أو في نادٍ من أنديتهم، وكانت تساوره نفسه لو يأتيه شيء من القرآن يقارب بينه وبين قومه الألدّاء، إذ كان يتألّم من مباعدتهم، وكان يرجو الائتلاف معهم مهما كلّف الأمر، وإذاً نزلت عليه سورة النجم، فجعل يتلوها حتّىٰ بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[٤] ألقى عليه الشيطان: «تلك

---

١. أُصول الكافي ١: ٦٩.

٢. سنن ابن ماجة ١: ٤٨٤، والجامع الصغير، للسيوطي ٢: ٤٣٣.

٣. الأحزاب: ٤٠.

٤. النجم: ١٩ ـ ٢٠.

الغرانيق العُلىٰ وإنّ شفاعتهن لترتجى»، فحسبها وحياً، فقرأها علىٰ ملأ من قريش، ثمّ مضى وقرأ بقية السورة. حتّىٰ إذا أكملها سجد وسجد المسلمون، وسجد المشركون أيضاً، تقديراً لما وافقهم محمّد ﷺ في تعظيم آلهتهم ورجاء شفاعتهم، وطار هذا النبأ حتّىٰ بلغ مهاجري الحبشة، فجعلوا يرجعون إلىٰ بلدهم مكّة، فرحين بهذا التوفيق المفاجئ، كما فرح النبيّ ﷺ أيضاً بتحقيق أمنيته القديمة في ائتلاف قومه، ثمّ لمّا أمسى الليل أتاه جبرائيل، فقال له: أعرض عليّ السّورة، فجعل النبي ﷺ يقرؤها عليه، حتّىٰ إذا بلغ الكلمتين، قال جبرائيل: مَه، من أين جئت بهاتين الكلمتين؟ فتندّم رسول الله ﷺ وقال: لقد افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل، فحزن حزناً شديداً وخاف من الله، فنزلت: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَتَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [1] فاشتدّ حزن النبيّ ﷺ حتّىٰ نزل عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [2] فعند ذلك سرى عنه الهم [3].

إنّ هذه الرواية التي صارت سبباً لطعن أعداء الإسلام تخالف القرآن وعصمة رسول الله ﷺ. أمّا مخالفتها للقرآن، فلأجل أنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [4] وقال أيضاً: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [5] فهاتان الآيتان تنفيان أيّ سلطنةٍ للشيطان على

١. الإسراء: ٧٣ـ٧٥.

٢. الحجّ: ٥٢.

٣. راجع: تفسير الطبري ١٧: ١٣١، وتفسير الدر المنثور ٤: ١٩٤.

٤. النحل: ٩٩.

٥. الإسراء: ٦٥.

المؤمنين، فكيف لاتنفيان سلطة الشيطان على رسول ربّ العالمين؟ أليس إلقاء كلمات علىٰ قلب الرسول ﷺ من دون فهم الرسول وقدرته للدفاع ، سلطنة قطعيّة واضحة ؟

أمّا مخالفتها للعصمة : فإنّ جميع أهل المذاهب الإسلامية متفقون علىٰ عصمة الرسول في مقام أخذ الوحي وإبلاغه ، وهذا ممّا أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في عصمته في مجالات أخرىٰ، وإذا حلّلنا عصمته في مقام تلقّي الوحي وإلقائه، رأينا لزوم عصمته في أربعة مواقف :

١ ـ أن يأخذ كلّ الوحي ولاينقص منه شيئاً .

٢ ـ أن لايأخذ ما ليسى بوحي وحياً .

٣ ـ أن يبلغ كلّ الوحي ولايترك أو ينسى بعض الوحي.

٤ ـ أن لايلقي ما ليس بوحي بوصفه وحياً .

إذن أسطورة الغرانيق تخالف عصمة الرسول ﷺ في الموقف الثاني والرابع؛ لأنّ الرسول علىٰ حسب أسطورة الغرانيق أخذ ما ليس بوحي وحياً، وألقى ذلك على الناس فحسبوه وحياً .

٢ ـ موافقة السنّة الشريفة ومخالفتها

السنّة الشريفة التي نقلت إلينا متواترة تعدّ المصدر الثاني للإسلام ومعياراً آخر بجنب القرآن الكريم، فهي ميزان لمعرفة الحقّ والباطل من أخبار الآحاد .

فقد جاء في السنّة الطاهرة : أنّ يوسف كان من الأنبياء العظام ومتطهّراً من جميع الذّنوب والزلّات ، وامتحنه الله بالمحن الكبار فنجح في جميعها، ولم يقترب من امرأة عزيز مصر، وهذا كان نتيجة لتلك الخصال .

ولكن وردت في الإسرائيليات قصة منافية لتلك السنّة : ففي الدر المنثور : عن ابن عبّاس ، أنّه سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهيمان ـ يعني السراويل ـ

وجلس منها مجلس الخائن ، فصيح به: يايوسف لاتكن كالطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش [١].

وأمّا التفسير الصحيح للآية الشريفة : فعن طريق الإمامية : في عيون أخبار الرضا : عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه‌السلام فقال له المأمون : يابن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون ؟ قال : **بلىٰ** (إلى أن قال :) فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأىٰ برهان ربّه**﴾ فقال الرضا عليه‌السلام : **لقد همّت به، و**﴿**لولا أن رأىٰ برهان ربه**﴾ **لهمّ بها كما همّت به، لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لايهمّ بذنبٍ ولايأتيه** [٢].

٣ ـ مخالفة الاعتقادات الإسلاميّة

الاعتقادات الإسلامية، خصوصاً ما هو مشترك بين جميع المذاهب الإسلامية، تعدّ معياراً قطعيّاً لكشف بعض الإسرائيليّات المخالفة لهذه الاعتقادات الصحيحة .

يعتقد كلّ مسلم بأنّ الأنبياء هم الموحّدون وأنّهم طاهرون عن الشرك والكفر، وما يلائمهما من الافكار والاعمال ، ولكن مع الأسف الشديد نجد في التفاسير روايات إسرائيلية تخالف هذه العقيدة .

جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ذيل الآية : ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [٣]: روي في قصص هذه الآية أنّ حوّاء لما حملت أوّلَ حمل لم تدر ما هو ... فجزعت لذلك، فوجد إبليس السبيل إليها، قال الكلبي: إنّ ابليس أتى حوّاء في صورة رجل لما أثقلت في أوّل ما

١ . الدر المنثور ٤ : ١٣ ، وتفسير ابن كثير ٢ : ٤٧٤، ذيل الآية ٢٤ من سورة يوسف .

٢ . عيون الأخبار ١ : ١٦٠، الباب ١٥، ح ١ .

٣ . الأعراف: ١٩٠ .

حملت، فقال : ما هذا الذي في بطنك ؟ قالت : ما أدري ، قال : إنّي أخاف أن يكون بهيمة ، فقالت ذلك لآدم عليه السلام ، فلم يزالا في همّ من ذلك ، ثمّ عاد إليهما فقال : هو من الله بمنزلة، فإن دعوتُ الله فولدتِ إنساناً أفتسمينه بي ؟ قالت: نعم ،قال : فإنّي أدعو الله، فأتاها وقد ولدت، فقال : سمّيه باسمي، فقالت: وما اسمك ؟ قال : الحارث ـ ولو سمّى لها نفسه لعرفته ـ فسمّته عبدالحارث [١].

والتفسير الصحيح للآية الشريفة هو ما ذكره الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل فقال : إنّ المراد من النفس الواحدة ، هو الواحد النوعي ، أي : أنّ الله خلقكم جميعاً من نوع واحد، كما خلق أزواجكم من جنسكم أيضاً، وفي هذا الحال ، فإنّ الآيتين وما بعدهما من الآيات ـ محلّ البحث ـ تشير إلىٰ نوع الناس، فهم يدعون الله وينتظرون الولد الصالح بكمال الإخلاص لله والانقطاع إليه ، كمن يُحدق به الخطر فيلتجئ إلى الله، ويعاهدون الله على شكره بعد حلّ معضلاتهم، إلاّ أنّهم حين يرزقهم الله الولد الصالح ، أو يحلّ مشاكلهم، ينسون الله وجميع عهودهم إيّاه، فتارة يقولون : إن كان الولد جميلاً، فإنّه اكتسب جماله من أبيه أو أمه، وهذا هو قانون الوراثة، وتارة يقولون : كان غذاؤه والظروف الصحيّة سبباً لكونه كاملاً ، وتارة يتّجهون نحو الأصنام ويقولون : إنّ ولدنا كان من نظرة الأصنام وعطائها، وأمثال هذا الكلام [٢].

٤ ـ العقل

العقل معيار للحق والباطل ويميّز بينهما ، كما أنّه معيار الإنسانية، فبالعقل يمتاز الإنسان عن غيره ؛ لأنّه يعرف به خيره وشره، ويفهم سعادته وشقاوته ، كما أنّ الإنسان على قدر عقله يُمدح أو يهان، فالعقل كما أنّه معيار لقبول الدين الصحيح

---

١. تفسير القرطبي ٧ : ٣٢١و٣٢٢ ، ذيل الآية ١٩٠ من سورة الأعراف .

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٥ : ٣٠١، ذيل الآية ١٨٩ ـ ١٩٠ من سورة الأعراف .

ورفض الأديان الأخرىٰ ، فهو أيضاً معيار لصحّة ما يوجد في داخل الدين من العقائد والأحكام والقصص وغيرها ، فلايمكن منعه عن التدخل أو التصرّف ، فإذا وجدنا في روايات ما يخالف العقل الصحيح وأحكامه القطعيّة ، فلايمكن قبوله .

فمن الروايات التي تخالف حكم العقل القطعي ما ورد... في تفسير مجمع البيان في أحوال الحيوانات التي دخلت في سفينة نوح: فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوانات زوجين ما خلا الفأر والسّنور، وأنّهم لما شكوا إليه سرقين الدواب والقذر، دعا بالخنزير، فمسح جبينه فعطس، فسقط من أنفه زوج فأرة، فتناسل، فلما كثروا وشكوا إليه منهم ، دعا الأسد ، ومسح جبينه فعطس ، فسقط من أنفه زوج سنّور![١] فهذه القصّة لايقبلها عقل صبيّ، فكيف يمكن أن يقبلها العقل الرشيد ؟

يقول الآلوسي : إنّه عليه‌السلام لم يؤمر بحمل ما جرت العادة بتكوّنه من عفونة الأرض كالفأرة والحشرات، بل أمر بحمل ما يحتاج إليه إذا نجا ومن معه من الغرق، لئلّا يغتمّوا لفقده ويتكلّفوا مشقّة جلبه من الأصقاع النائية التي لم يصلها الغرق، فكأنّه قيل : إحمل فيها من كلّ ما تحتاجونه إذا نجوتم زوجين اثنين [٢].

وعلىٰ كلّ حال، هل يعقل خروج خنزيرين من منخر الفيل وخرطومه بعد غمز ذنَبه ؟ وهل يتصور خروج زوج من السنور من منخر الأسد ؟

٥ ـ العلوم التجربية

العلوم التجربية تنقسم قسمين : قسم يعدّ من مسلّمات العلوم الجديدة، ولايمكن إنكاره؛ لأنّ الآثار تدلّ علىٰ صحته ، وقسم لايعدّ من المسلّمات، بل يدخل في

---

١ . مجمع البيان، للطبرسي ٥ : ٢٤٢، ذيل الآية ٣٩ من سورة هود .

وراجع: الدر المنثور ٤ : ٣٧٨، ذيل الآية ٣٩ من سورة هود ، وروح المعاني : ٥٤ .

٢ . روح المعاني، للآلوسي ١٢ : ٥٤، ذيل الآية ٣٩ من سورة هود .

المظنونات ، فالقسم الأوّل يمكن أن نعدّه معياراً لردّ بعض الروايات المخالفة لقاعدة أو قواعد من العلوم المسلّمة .

فقد جاء في مجمع البيان عن أوصاف العمالقة: نقلاً عن ابن عبّاس: بلغ من جبرية هؤلاء القوم: أنّه لما بعث موسى عليه السلام من قومه اثني عشر نقيباً ليخبروه خبرهم ، رآهم رجل من الجبّارين يقال له عوج، فأخذهم في كمّه مع فاكهة كان يحملها من بستانه، وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه، وقال الملك تعجباً منهم: هؤلاء يريدون قتالنا؟ فقال الملك: ارجعوا إلىٰ صاحبكم فأخبروه خبرنا، قال مجاهد: وكان فاكهتهم لايقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب، ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال ، وإنّ موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وله عصا طولها عشرة أذرع، ونزا من الأرض مثل ذلك، فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله، وقيل كان طول سريره ثمانمائة ذراع![1] وروىٰ مثل ذلك السيوطي والطبري، والقرطبي وغيرهم .

وأخرج البخاري ناقلاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لأبي ذرّ حين غربت الشمس: تدري أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّها تذهب حتّىٰ تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلايقبل منها، وتستأذن فلايؤذن لها ، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿**والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾[2].

لكنّ العلم الحديث (العلم التجربي) لم يكشف من الأرض والشمس ما يصدّق هاتين الأسطورتين، بل كلّ ما وجده كان مخالفاً للأوصاف المذكورة بشأن العمالقة والشمس، قال العلامة الطباطبائي في الميزان بشأن العمالقة : وقد ورد في عدّة من الأخبار في صفة هؤلاء الجبارين العمالقة وعظم أجسامهم وطول قامتهم أمور

---

١ . مجمع البيان، للطبرسي ١ : ٢٧٨ ، ذيل الآية ٢٢ من سورة المائدة .

٢ . صحيح البخاري ٤ : ٧٥، كتاب بدء الخلق (صفة الشمس والقمر بحسبان) .

عجيبة، لايستطيع ذو عقل سليم أن يصدّقها، ولايوجد في الآثار الأرضيّة والأبحاث الطبيعيّة ما يؤيّدها ، فليست إلّا موضوعة مدسوسة [١].

كما أنّ بديهيّات العلوم التجريبيّة تكذّب ظاهر رواية سجود الشمس حين غروبها وعدم خفائها في الليل والنهار، وإنّما خفاؤها نسبيّ، فهي مخفيّة لجمع، وظاهرة لجمع آخر في نفس الزمان .

٦ ـ العلم اليقيني

العلم اليقيني حجّة عند العقل والعقلاء، وهو المعيار الذي يوجب قبول روايات وردّ روايات أخرىٰ، ولايعقل أن نجد رواية متواترة تعارض العلم القطعي؛ لأنّه يمثّل إمّا اجتماع الضدّين أو النقيضين، وكلاهما محال .

وهذا النوع من العلم من أيّ طريق حصل فهو حجّة ، ولايمكن أن نمنع بعض طرق حدوثه ونقبل طرقاً خاصّة ، كما ورد في كتب أصول الفقه [٢]. فقد جاء في تفسير القرطبي: وروي: أنّ قابيل لما قتل هابيل جعله في جراب ومشى به يحمله في عنقه مائة سنة ، قاله مجاهد ، وروى ابن القاسم عن مالك أنّه حمله سنة واحدة [٣].

فهذه الرواية مخالفة للعلم اليقيني بفساد البدن بعد الموت وعدم إمكان حمله بعد مدّة من الأيّام ، وإن كان من الممكن بقاء جسم الإنسان بقدرة الله تعالى ، ولكنّ هذا استثناء في الطبيعة أوّلاً، ولم يثبت دليل على جريان قدرة الله في بدن هابيل وبقاء جسمه خلافاً لقوانين الطبيعة ثانياً .

---

١ . الميزان، للطباطبائي ٥ : ٢٩١، ذيل الآية ٢٢ من سورة المائدة .

٢ . راجع: كفاية الأُصول ١ : ٢٥٨، الأمر الأوّل: لزوم العمل بالقطع عقلاً .

٣ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣ : ٩٦ ، ذيل الآية ٣١ من سورة المائدة .

٧ ـ التاريخ

الحوادث التاريخيّة المنقولة إلينا بالتواتر والسليمة من الدسّ والتزوير هي معيار لتمييز الحقّ من الباطل ، ومقياس للردّ والقبول، فإذا وجدنا في روايات التفسير أو بين أسباب النزول ما يخالف التاريخ السالم من الآفات لم نقبله بوجه من الوجوه .

فقد جاء في الدر المنثور في كيفية معراج النبيّ ﷺ: وأخرج ابن إسحاق وابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما فقدت جسد رسول الله، ولكنّ الله أسرىٰ بروحه [١]. هذه الرواية تخالف الحقائق التاريخيّة؛ إنّ المعراج حادثة حدثت في بداية البعثة النبويّة وقبل الهجرة إلى المدينة ، والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ هذه آية مكيّة لاخلاف فيها، كما أنّ نفس الآية تدلّ علىٰ ذلك .

ومن جهة أخرىٰ أنّ عائشة قد انتقلت من بيت أبيها إلىٰ بيت النبيّ ﷺ بعد الهجرة ، فلم تكن عند النبي ﷺ حين المعراج . فهذه القصّة المكذوبة تخالف التاريخ القطعي من أربع جهات :

الأولى: أنّ عائشة لم تكن في بيت النبي ﷺ في مكّة .

الثانية: حادثة الإسراء كانت في بدء البعثة حينما لم تكن مع النبي ﷺ إلّا خديجة .

الثالثة: زمان الإسراء كان قبل الهجرة .

الرابعة: الآية الحاكية لحادثة المعراج آية مكيّة وليست مدنيّة .

٨ ـ وجود الغلو

نقصد بالغلو هنا كلّ شأن ومقام ووصف ذكر لبعض من دون مستند صحيح من الكتاب والسنّة أو من العقل والنظر الصحيح، ومع الأسف قد ورد في بعض المصادر

---

١ . الدر المنثور، للسيوطي ٥ : ٢٠٠ ، ذيل الآية ١ من سورة الإسراء .

الروائيّة والمجامع الحديثيّة روايات تشتمل على الغلو بشأن الأئمة أو بعض الصحابة، ولكنّ أئمة أهل البيت قد أنكروا على الغلاة كما أنكر عليهم علماء الشيعة والسنّة.

كان الإمام الرضا عليه السلام (الإمام الثامن للشيعة الإمامية) يقول في دعائه: «**اللّهم إنّي بريء من الحول والقوّة، ولا حول ولا قوة إلّا بك. اللّهم إنّي أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق. اللّهم إنّي أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللّهم لك الخلق ومنك الرزق، وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين. اللّهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين وآبائنا الآخرين. اللّهم لا تليق الربوبيّة إلّا بك، ولا تصلح الإلهيّة إلّا لك. فالعن النصارى الذين صغّروا عظمتك، والعن المضاهين لقولهم من بريتك.**

اللّهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك، لانملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. اللّهم من زعم أنّا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن منه براء كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى. اللّهم إنّا لم ندعهم إلىٰ ما يزعمون، فلاتؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون، ولاتدع على الأرض منهم ديّاراً. إنّك إن تذرهم يُضلّوا عبادك ولايلدوا إلّا فاجراً كفاراً»[1].

٩ ـ الاختلاف في متن الروايات

الاعتماد على الروايات يتعلّق بقوّة نصوصها وكيفية بيانها، فإذا كانت الروايات كلّها تقصد معنىً واحداً بلفظ واحد أو بمعنىً واحد، أمكنَ قبولها. أمّا إذا كانت تتحدّث عن موضوع واحد، ولكنّها تختلف اختلافاً شديداً بشكل لايمكن جمعها وقبولها كلّها، فلايمكن الاعتماد عليها؛ لأنّ كلّ واحد يكذّب الآخر.

كثيراً ما نرى اختلاف الروايات وتباينها في أسباب النزول أو في تفسير الآيات، فهذه المسألة تعدّ معياراً إمّا لبطلان كلّ الروايات أو لبطلان بعضها، فحينما لانقدر

---

١. بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٢، باب الغلو في النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة.

على تمييز الحقّ من الباطل تصير كلّها غير معتبرة .

فقد جاء في وصف سفينة نوح : أنّ الحسن قال : كان طولها ألف ذراع ومأتـي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وصنع لها باباً في وسطها ، وأتمّ صنعها علىٰ ما وري عن مجاهد في ثلاث سنين ، وعن كعب الأحبار في أربعين سنة ، وقيل : في ستين ، وقيل : في مائة سنة ، وقيل: في أربعمائة سنة، واختلف في أيّ موضع صنعها ،فقيل : في الكوفة ،وقيل : في الهند ،وقيل : في أرض الجزيرة ، وقيل: في أرض الشام [١].

يقول الآلوسي بعد نقل الروايات المختلفة : وسفينة الأخبار في تحقيق الحـال فيما أرىٰ لاتصلح للركوب فيها ، إذ هي غير سالمة عن عيب ، فالحريّ بحال مـن لايميل إلى الفضول أن يؤمن بأ نّه عليه السلام صنع الفلك حسبما قصّ الله تعالىٰ في كتابه، ولايخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ومن أيّ خشب صنعها، وبكم مدّة أتمّ عملها، إلى غير ذلك ممّا لم يشرحه الكتاب ولم تبيّنه السنّة الصحيحة [٢].

١٠ ـ الموافقة للتوراة المحرّفة

كثير من الإسرائيليّات منقولة من التوراة المحرّفة بأيدي بعض المسلمين الذين أسلموا، أو بأيدي المعاندين من اليهود؛ لأجل تخريب عقائد المسلمين، فإذا وجدنا رواية ليس لها أصل إلّا في التوراة فإنّها تعدّ إسرائيليّة بالطبع .

فقد جاء في تفسير الطبري : حدّثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : «ألقى علىٰ آدم عليه السلام السِّنة ـ فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبدالله بن العبّاس وغيره ـ ، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شِقّه الأيسر ولأَم مكانه، وآدم نائم لم يهبّ من نومته، حتّى خلق الله تبارك وتعالىٰ من

١ . روح المعاني، للآلوسي ١٢ : ٥٠، ذيل الآية ٣٦ من سورة هود .

٢ . المصدر السابق ، ذيل الآية ٣٦ من سورة هود .

ضِلَعه تلك زوجته حواء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلمّا كشف عنه السنّة وهبَّ من نومته، رآها إلىٰ جنبه، فقال ـ فيما يزعمون، والله أعلم ـ: لحمي ودمي وزوجتي، فسكن إليها [١]. فهذه رواية رويت عن طريق أهل التوراة وهي موافقة لما يوجد الآن في التوراة، فقد جاء فيها: فأوقع الربّ الإله آدم في نوم عميق، ثمّ تناول ضلعاً من أضلاعه وسدّ مكانها باللحم، وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلىٰ آدم، فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي [٢].

العلاقة بين القرآن والحديث

بحث العلاقة بين القرآن والحديث الحاكي عن السنّة، بحث مهمّ ويستفيد منه المفسّر والمحدّث والفقيه والأصولي، ولأجل هذا له مجال واسع في العلوم الإسلامية، يشتمل على مباحث متعددة، ولكنّنا هنا نكتفي بذكر العلاقات الثلاث التي ترتبط بمقصدنا في الكتاب وهي:

أ ـ علاقة الحجيّة والإرجاع بين الحديث والقرآن

ب ـ علاقة الطوليّة والعَرْضيّة

ج ـ علاقة التبيينيّة والتفسيرية

واقتصرنا على هذه العلاقات فقط؛ لأنّه في ضوء العلاقة الأولى، يتّضح بطلان شبهات المنكرين لحجيّة الحديث، وفي ضوء العلاقة الثانية، نعلم أيّهما مقدّم وأيّهما مؤخّر في التفسير، وفي العلاقة الثالثة، نفهم كيفيّة تفسير القرآن بالسنّة والحديث وأنواع التبيين.

---

١ . جامع البيان، للطبري ٣ : ٢٩٨ ، ذيل الآية ١ من سورة النساء .

٢ . راجع : الكتاب المقدّس، التوراة ـ العهد القديم ـ سفر التكوين، رقم ٢ ، آدم وحوّا : ٢ .

علاقة الحجيّة والإرجاع بين الحديث والقرآن

علاقة الحجيّة والإرجاع، علاقة ذات طرفين؛ إذ القرآن يؤيّد الحديث والعمل به، والحديث يؤكّد القرآن ويوجب اتّباعه أيضاً، فنبحث الآن عن القسم الأول ثم ننتقل إلى القسم الثاني:

القسم الأول يستفاد من الآيات الكثيرة: أنّ الحديث النبويّ الحاكي عن السنّة الشريفة حجّة على المسلمين كافّة، ويجب عليهم العمل به واتباعه، وهذه الآيات أقسام متعدّدة، نذكر خمسة أقسام منها:

(١) ما يدلّ على وجوب الإيمان به ﷺ وتصديقه والإذعان برسالته وبجميع ما جاء به من عند الله، سواء ورد ذكره في القرآن أم لا، أو ما يدلّ على أنّ عدم اتباعه يتنافىٰ مع الايمان، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً**﴾ [١] [٢].

(٢) ما يدلّ على أنّ الرسول ﷺ مبيّن للكتاب وشارح له شرحاً معتبراً عنده تعالى، وإذا وجب التبيين على الرسول ﷺ وجب قبول المسلمين منه والعمل به، وإلّا لم تكن فائدة للتبيين، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [٣] [٤].

(٣) ما يدلّ على وجوب طاعته ﷺ طاعة مطلقة فيما يأمر به وينهى عنه، وعلى

---

١. النساء: ١٣٦.

٢. وراجع: أيضاً: التغابن: ٨، والأعراف: ١٥٨، والفتح: ١٣، والحجرات: ١٥، والنور: ٦٢.

٣. النحل: ٤٤.

٤. وارجع أيضاً: النحل: ٦٤، والبقرة: ١٥١، وآل عمران: ١٦٤، والجمعة: ٢، والنساء: ١١٣.

أنّ طاعته طاعة الله، وعلى التحذير من مخالفته وتبديل سنّته، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلاَغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [١] [٢]، قيل: إعادة الفعل أطيعوا في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾ إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر، وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به موجوداً في الكتاب أو لم يكن فيه [٣].

(٤) ما يدلّ على وجوب اتباعه في جميع ما صدر عنه والتأسّي في ذلك به، وعلى أنّ اتّباعه لازم لمحبّة الله، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [٤] [٥]. قال العلّامة الطباطبائي: والمعنى: ومن حُكم رسالة الرسول، وإيمانكم به أن تتأسّوا به في قوله وفعله، وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله في القتال وجهاده في الله حقّ جهاده [٦].

(٥) ما يدلّ على أنّ الله قد كلّفه ﷺ باتباع ما يوحي إليه متلواً أو غير متلوّ، وبتبليغ جميع ما أنزل عليه، ونهاه عن التقصير في شيء منه أو تبديله، وعلى أنّه قد عصم من الناس الذين يريدون منه تغييراً أو كتماناً لشيءٍ ممّا أنزل عليه، مع ضميمة ما يدلّ على أنّه قد امتثل هذا الأمر وأدّى الرسالة حقّ الأداء.

فهذا كلّه يدلّ على حقّية السنّة وحجيتها ووجوب التمسك بها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللهَ وَلَاتُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَٱتَّبِعْ

---

١. التغابن: ١٢.

٢. وارجع أيضاً إلى: آل عمران: ٣٢ـ ١٣٢، والأنفال: ٢٠ ـ ٢١، والمائدة: ٩٢.

٣. ارجع إلى: حجيّة السنّة: ٣٠٠، نقلاً عن ابن القيّم والطيبي.

٤. الأحزاب: ٢١.

٥. وراجع أيضاً: آل عمران: ٣١، والأعراف: ١٥٦، والأحزاب: ٣٧.

٦. تفسير الميزان: ١٦، ذيل الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[١][٢].

القسم الثاني: يستفاد من الروايات الكثيرة لزوم الرجوع إلى القرآن والتمسّك به، ونذكر حديثين عن طريق أهل السنّة والإماميّة تأييداً لما قلناه:

جاء في كنز العمال: عن الرسول ﷺ «**فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلِم فعليكم بالقرآن**»[٣].

وجاء في أصول الكافي: قال رسول الله ﷺ «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن**»[٤].

شبهات بعض القرآنيين لردّ الحديث ومنعه

ما ذكرنا في المستوى الأول، كافٍ لضرورة العمل بالحديث وقبوله دون أيّ شكّ وريب، ولكن هناك من يدّعي كفاية القرآن وعدم الحاجة إلى التمسّك بالحديث، محتجاً بالقرآن الكريم، ونحن نكتفي بذكر شبهتين من شبهاتهم.

الشبهة الأولى: يدلّ عدد من الآيات على تماميّة القرآن وكماله، وأنّ فيه بيان كلّ شيء، كما قال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**[٥] فهذه الآية تثبت أنّ القرآن لايحتاج إلى غيره، لأنّه كامل في البيان وجامع لما أراد.

جواب الشبهة:

١ ـ إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً ويفسّر جزءٌ منه جزءاً آخر، فإذا كانت الآية

---

١. الأحزاب: ١ ـ ٢.

٢. وراجع أيضاً: الأنعام: ١٠٦، والجاثية: ١٨، والمائدة: ٤٨ ـ ٤٩، والمائدة: ٦٧، والشورى: ٥٢ ـ ٥٣، والحاقة: ٣٨ ـ ٤٧، وغير هذه الآيات.

٣. كنز العمّال ٢: ٢٨٨، الرقم ٤٠٢٧.

٤. الكافي ٢: ٥٩٨.

٥. النحل: ٨٩.

المذكورة آنفاً تتكلّم على كمال القرآن، فهناك آية أخرى تأمر المسلمين بإطاعة مطلقة لرسول الله ﷺ.

إنّ الله تعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾، ومن زيادة إطاعة الرسول على إطاعة الله، كما أشرنا نفهم أنّ إطاعة رسوله في جميع ما يقوله واجبة، كما تجب إطاعة الأحكام الموجودة في القرآن.

٢ ـ أكثر المفسّرين من الشيعة والسنّة قيّدوا الآية بقيدين:

أ ـ المقصود من «كلّ شيء» هو: كلّ شيء يتعلّق بالدين ودخيل في السعادة والشقاوة.

ب ـ القرآن بيان لجميع ما يتعلّق بالدين إذا كان مع الحديث، إذ كثير من المعارف الدينية والفروع الفقهيّة وغير الفقهيّة، موجود في السنّة، ولا نراه في القرآن الكريم.

٣ ـ لو فرضنا أنّ المفهوم من الآية الشريفة هو بيان كلّ شيء سواء تعلّق بالدين أو لم يتعلّق به، لابدّ أن نرجع إلى روايات المعصوم، لأنّ من دون إشارته وتفسيره، لايمكن لنا فهم اشتمال القرآن على جميع العلوم وجزئيّات الأمور، فإنّ هذه العلوم تعدّ من البطون، وفهمها يحتاج إلى التأويل في أكثر الموارد.

الشبهة الثانية: القرآن محفوظ من التحريف وممنوع من التصرّف والتبديل؛ لأنّ الله ضمن الحفاظ عليه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [١] فهذه الآية أصدق شاهد على حفظ القرآن من الزيادة والنقص والتبديل، هذا هو حال الذكر الكريم، وأمّا الحديث فلم يضمن الله حفظه ولم يؤيّد التاريخ بقاءه كما كان، كما نجد الآفات فيه من الضّعف والوضع ونفوذ الإسرائيليّات والأوهام إليه، فلا يعتمد على مصدر كهذا وعلى مرجع مشكوك.

---

١. الحجر: ٩.

جواب الشبهة:

١ ـ ما ذكر في الشبهة، من وجود الآفات في الحديث صحيح، حتى لو لم نقل: إنّ المراد من الذكر هو القرآن، أو أنّ مرجع الضمير ليس هو الذكر، ولكنّ هذا لايعني أن نترك الحديث بتمامه، بل غاية ما يدلّ عليه هو: وجوب الفحص عن صحّة نسبة الحديث إلى قائله، فلابدّ من تأسيس قواعد لمعرفة رجال الحديث كما يجب تأسيس قواعد لمعرفة متن الحديث ومضمونه.

٢ ـ ليس كلّ الأحاديث مشكوكة، فإنّ بعضها متواتر وبعضها آحاد محفوفة بالقرائن المطمئنة، وردّ هذا النوع من الحديث لايمكن لأحد، وإلّا لابدّ أن يترك كثيراً من الأحكام والفروع الموجودة في السنّة، ومن يترك هذه الفروع المستنبطة من السنّة، لايمكن تسميته باسم المسلم بالمعايير الموجودة في المذاهب الإسلامية.

٣ ـ من يمتنع عن قبول الحديث ويترك التمسّك به، كيف يطيع الأوامر الموجودة في القرآن بإطاعة الرسول ﷺ؟

العلاقة الطوليّة والعَرْضيّة بين القرآن والحديث

حجيّة القرآن والحديث ثابتة عند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، لكنّ مرتبة كلّ واحد من القرآن والحديث بالنسبة إلى الآخر أمر اختلفت فيه طوائف المسلمين. وفي ما يلي نذكر آراء الشيعة والسنّة بهذا الشأن:

١ ـ العلاقة الطوليّة مع تقدّم الحديث

إنّ حجيّة السنّة حتى لو كانت مستفادة من الكتاب فقط، لا تعني: أنّ السنّة في مرحلة الاستدلال والاحتجاج متأخرة عن الكتاب، وفي مجال التعارض والتقابل، تصير مغلوبة للقرآن.

ويلاحظ عليه:

أوّلاً: تقدّم الحديث على الكتاب مخالف لأخبار العرض. فإنّ أخبار عرض الحديث على الكتاب، تعطي المحوريّة والميزانيّة للقرآن، فكيف يمكن أن يكون ما هو المعيار مغلوباً لما هو المحتاج؟!

وثانياً: الحديث ليس ثابتاً لنا كثبوت القرآن، وإذا كان الحديث وحياً من عند الله فلايعني ذلك: أنّه ثبت لنا كما ثبت القرآن.

٢ ـ العلاقة الطوليّة مع تقدّم القرآن

أكثر العلماء من الشيعة والسنّة يرون: أنّ القرآن مقدّم على الحديث.

قال الشاطبي: إنّ الكتاب مقطوع به والسنّة مظنونة، والقطع فيها إنّما يصحّ في الجملة لا في التفصيل، بخلاف الكتاب؛ فإنّه مقطوع به في الجملة والتفصيل، والمقطوع به مقدّم على المظنون.

وقال أيضاً: إنّ السنّة إمّا بيان للكتاب أو زيادة على ذلك، فإن كانت بياناً فهو ثانٍ على المبيَّن في الاعتبار، وإن لم تكن بياناً فلاتعتبر إلّا بعد أن لايوجد في الكتاب.

وقال أيضاً: وما دلّ على تقديم الكتاب على السنّة من الآثار، كحديث معاذ: «بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال بسنّة رسول الله...» [١].

ويلاحظ عليه: إذا كان الحديث وحياً مثل القرآن، فما هو دليل ترجيح وحي على وحي آخر؟! فإنّنا نقطع بأنّ الحديث المتواتر وحي صدر عن الله، فيساوي القرآن حين الاستدلال، ويقابله حين التعارض.

٣ ـ العلاقة العَرْضيّة بينهما

قال عبدالغني عبدالخالق: من المعلوم أنّه لا نزاع في أنّ الكتاب يمتاز عن السنّة ويفضل عليها: بأنّ لفظه منزّل من عند الله متعبّد بتلاوته معجز للبشر عن أن يأتوا

---

١. راجع: الموافقات، للشاطبي ٤: ٧ ـ ٨.

بمثله، بخلافها؛ فهي متأخرة عنه في الفضل من هذه النواحي، ولكنّ ذلك لايوجب التفضيل بينهما من حيث الحجيّة، بأن تكون مرتبتها التأخر عن الكتاب في الاعتبار والاحتجاج، فتهدر ويعمل به وحده لو حصل بينهما التعارض، وإنّما كان الأمر كذلك؛ لأنّ حجيّة الكتاب إنّما جاءت من ناحية أنّه وحي من عند الله ولا دخل في الأمور المذكورة فيها، فلو لم يكن الكتاب معجزاً ولا متّعبداً بتلاوته وثبتت الرسالة بغيره من المعجزات، لوجب القول بحجيّته كما كان الأمر كذلك في الكتب السابقة. والسنّة مساوية للقرآن من هذه الناحية؛ فانّها وحي مثله فيجب القول بعدم تأخّرها عنه في الاعتبار[1].

ويلاحظ عليه:

أولاً: قبول العَرْضية بين القرآن والسنّة، ينافي معياريّة القرآن الكريم.

ثانياً: كيف يمكن تساوي القرآن والسنّة في الحجية عند التعارض مع أنّ لفظ القرآن منزل من الله؟

٤ ـ العلاقة الطوليّة ابتداءً والعَرْضيّة بقاءً

قال مؤلّف تفسير تسنيم: تفسير القرآن بالسنّة وإن كان أمراً ضروريّاً، لكنّ هذا النوع من التفسير بالقياس إلى تفسير القرآن بالقرآن يكون بمثابة الثقل الأصغر في قبال الثقل الأكبر، يعني: يقع في طوله، لا في عرضه، ومعيّتهما معاً تكون على جهة اللازم والملزوم، لا على نحو الملازم ويقع على النهج الطولي، لا على الوجه العَرْضي بشكل تعارض السنّة القرآن ابتداءً، ويعترض عليه من أوّل الأمر كما هو الحال في الحديثين المتساويين، فكلّ واحد يتعرّض للآخر ويقاومه ويعارضه، فينتج إمّا التوقف أو التخيير أو الترجيح، بل نحن نقول: إنّ القرآن هو الحجّة الأولى، وإنّ الله قد جعل

---

١ . حجيّة السنّة، للدكتور عبدالغني عبدالخالق: ٤٨٥.

سنة المعصومين في القرآن حجة بعد القرآن، فحجيّتها مرهونة بالقرآن، لكن بعد استقرار الحجيّة للحديث حدوثاً وبقاءً، تصير السنّة والقرآن متلازمتين[١].

ويلاحظ عليه:

أولاً: يمكن القول بحجيّة الحديث مستقلاً عن القرآن المجيد، يعني: العقلاء بما هم عقلاء إذا نظروا إلى كلام الرسول ﷺ فهموه، وإذا رأوا كراماته ومعجزاته الأخرى غير القرآن، فيقبلون كلامه ويفهمون أنّه أوحي إليه، ولايرونه كاذباً، كما أنّهم بنفس الأسلوب يعتقدون بالقرآن.

ثانياً: كيف يعارض الحديث القرآن، مع أنّ الحديث الحاكي للسنّة ليس كالقرآن في القوّة والاستحكام؟

٥ ـ العلاقة العَرْضيّة في مقام الثبوت والطوليّة في الإثبات

الحديث النبوي: وحي والقرآن وحي، وثبوت الوحي في القرآن لايميّزه ذاتاً عن السنّة الموحاة إليه، ولكنّ هذا في الواقع وفي مقام الثبوت، أمّا في مقام الإثبات وما بأيدينا من الأحاديث والأخبار، فلايمكن أن يعارض القرآن الذي لفظه ونظمه من الله، وحتى الأحاديث المتواترة ليست مثل القرآن من ناحية الاستحكام لفظاً وسنداً.

مصادر التفسير الروائي عند المدرستين

منهج التفسير الروائي لايعدّ تعبّدياً محضاً، بل نرى في كثير من الروايات التفسيرية، أنّ رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه، فسّروا القرآن مع الاعتماد على بعض المصادر التي بأيدينا ونستفيد منها أحياناً في عملية التفسير.

وفي الواقع، أنّهم أرادوا أن يعلّمونا منهج التعامل مع القرآن في الاعتماد على

---

١. تفسير تسنيم، لجواد الآملي ١: ١٣٢ ـ ١٣٣.

بعض المصادر والاجتناب عن البعض الآخر، إذا لم يكن عليه دليل وبرهان.

وإليك نماذج من المصادر التي اعتمد الرسول ﷺ وأهل بيته وأصحابه عليها لتفسير مراد الله تعالى من آياته الكبرى في كتابه العظيم:

الأول: القرآن الكريم

القرآن العظيم أوّل مصدر من مصادر الاسلام، وأهمّ منبع للأحكام والأخلاق والعقائد، فما كان شأنه هكذا، كيف لايكون مصدراً لتفصيل مجملاته وحلّ غوامضه ومشكلاته؟

مثال: أخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [١] شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأيّنا لايظلم نفسه؟ قال: «**إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٢]؟ إنّما هو الشرك** »[٣].

وعن زرارة ومحمد بن مسلم أنّهما قالا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر؟ وكيف هي؟ وكم هي؟ فقال: «**إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ﴾ [٤]، فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التّمام في الحضر**». قالا: قلنا: إنّما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، ولم يقل: إفعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التّمام في الحضر ؟ فقال عليه السلام: «**أو ليس قد قال الله عزّ وجلّ في الصّفا والمروة: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ**

---

١ . الأنعام: ٨٢.

٢ . لقمان: ١٣.

٣ . الإتقان ٤: ٢٥٤.

٤ . النساء: ١٠١.

عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [١] ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض؟ لأنّ الله عزّ وجلّ ذكره في كتابه وصنعه نبيه ﷺ وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي ﷺ وذكره الله تعالى ذكره في كتابه» [٢].

النكتة اللطيفة في هذه الرواية الشريفة هي: سؤال زرارة ومحمد بن مسلم، فإنّهما فهما أنّ الإمام الصادق عليه السلام لايذكر شيئاً من التفسير من دون دليل، فسألا عن سرّ تفسير الإمام، فأجابهما الإمام.

الثاني: سياق الآيات

من المصادر المهمّة في تفسير القرآن الكريم، مراعاة سياق الآية أو الآيات، فيجب أن تربط الآية بالسّياق الذي وردت فيه، ولاتقطع عمّا قبلها وما بعدها، ثم تجرّ جرّاً.

قال الزركشي: فإنّها (دلالة السّياق) ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوّع الدلالة [٣].

وفي ما يلي نذكر نموذجين لمراعاة السياق في تفسير الآيات.

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ﴾ [٤] يعني: الذين يطلبون المكاتبة من المملوكين [٥]. ففسّرت كلمة الكتاب، بالمكاتبة؛ لأجل السّياق الموجود في نفس الآية، وإلّا فإنّ للكتاب عدة معانٍ في الذكر الحكيم.

---

١. البقرة: ١٥٨.

٢. من لايحضره الفقيه ١: ٤٣٤، ح ١٢٦٥.

٣. البرهان، للزركشي ٢: ٢٠٠ و٢٠١.

٤. النور: ٣٣.

٥. الدر المنثور ٦: ١٧٤.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لقي عبّاد البصري عليّ بن الحسين عليهما السلام في طريق مكّة، فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينته، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [١] فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أتمّ الآية، فقال: ﴿ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ ٱلآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢] فقال علي بن الحسين عليهما السلام إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحجّ» [٣].

الثالث: الروايات المأثورة عن السّلف

إنّ الروايات التفسيرية، بعضها مرويّ عن السّلف، إمّا بنقل عن الرسول صلى الله عليه وآله أو أهل بيته أو الصحابة، أو بعضهم عن بعضٍ ولو كانوا في طبقة واحدة.

مثال: أخرج الترمذي عن علي عليه السلام قال: «**سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن يوم الحج الأكبر، فقال: يوم النّحر**» [٤].

وروي عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**نزلت المائدة خبزاً؛ وذلك أنّهم سألوا عيسى عليه السلام طعاماً لاينفد يأكلون منها، فقيل لهم: فإنّها مقيمة لكم ما لم تخونوا أو تخبّؤوا أو ترفعوا، فإن فعلتم ذلك عذبتكم، قال: فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا**

١. التوبة: ١١١.

٢. التوبة: ١١٢.

٣. تفسير نور الثقلين ٣: ١٧٦، ح ١٥٨.

٤. الإتقان ٤: ٢٥٩.

وخانوا ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [١]» [٢].

وأخرج أبو الفرج الإصفهاني في كتاب الأغاني، والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب ﷺ: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي ﷺ: «**أسكت، فإنّما أنت فاسق**» ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَايَسْتَوُونَ**﴾ [٣] يعني بالمؤمن: علياً، وبالفاسق: الوليد بن عقبة بن أبي معيط [٤].

وعن عبدالله الحسني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنّه قال: سألته عمّا أُهلّ لغير الله به؟ قال: «**من ذبح لصنم أو وثن أو شجر، حرّم الله ذلك كما حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير، فمن اضطرّ غير باغٍ ولاعادٍ فلا إثم عليه أن يأكل الميتة**»، قال: فقلت: يا بن رسول الله متى تحلّ للمضطر الميتة؟ فقال: «**حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: أنّ رسول الله ﷺ سئل فقيل له: يا رسول الله إنا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة** [٥] **فمتى تحلّ لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تحتفئوا بقلاً فشأنكم بها**» [٦].

الرابع: العقل

حجيّة العقل ليست محدودة بحدّ، فلايمكن من منعه من التدخّل في شيء. وكما

---

١. المائدة: ١١٥.

٢. مجمع البيان ٣: ٤١٠، ذيل الآية ١١٥ من سورة المائدة.

٣. السجدة: ١٨.

٤. تفسير الدر المنثور، ذيل الآية ١٨ من سورة السجدة.

٥. المائدة: ٣.

٦. نور الثقلين، ذيل الآية ٣ من سورة المائدة.

أشرنا سابقاً: بالعقل عرفنا ضرورة التديّن بدين الإسلام ووحي القرآن، فكيف يمكن منع حجيّته في الفروع مع أ نّه حجّة في الأصول؟ الآيات القرآنية تأمر الناس بالتدبّر وترشدهم إلى التعقّل، فكيف لايستفاد منه لتوضيح مرامه وكشف مقاصده؟!

والشاهد على مصدرية العقل لفهم الحقّ من تفسير القرآن هو: اعتماد بعض الروايات التفسيرية على التعقّل، كما نجده في المثالين التاليين:

أخرج ابن اسحاق وابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير ﵁ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [١] أي: لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله تعالى من نصرك، وما ألقى في صدور عدوّك منها حتى هزمتهم [٢]. ففي هذه الرواية لم يذكر العقل، ولكن التفسير الموجود فيها ناشئ عن العقل، ونابع من التدبّر والتعقّل.

وعن أبي جعفر قال: سألت أباعبدالله ﵇ عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٣] قال: «**كذلك هو في كلّ مكان**»، قلت: بذاته؟ قال: «**ويحك إنّ الأماكن أقدار، فإذا قلت: في مكان بذاته، لزمك أن تقول: في أقدارٍ وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علماً وقدرة وإحاطة وسلطاناً وملكاً، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء، لايبعد منه شيءٌ، والأشياء له سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً وإحاطة**» [٤]. هذا التفسير يشير إلى قاعدة عقليّة وهي: عدم جسميّة الله ومحدوديّته تعالى، فإذا فسّر مفسّر الآيات القرآنيّة بهذا الأسلوب، يكون تفسيره تفسيراً عقلياً.

---

١. الأنفال: ١٧.

٢. الدر المنثور ٤: ٣٨.

٣. الأنعام: ٣.

٤. توحيد الصدوق: ١٣٢، باب القدرة، ح ١٥.

الخامس: العرف

إنّ القرآن قد نزل بلسان عربيّ مبين، فيجب أن تفسر الألفاظ والجمل القرآنيّة بحسب ما يفهمه العرف المعمول به عند عامّة العقلاء. ونذكر روايتين مثالاً لذلك:

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿**قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ**﴾[١] يعنون يوسف[٢]. وفهذا شيء يفهمه أهل العرف بسهولة من ظاهر الآية.

وعن أبي عبدالله (في حديث أنّه قال:) «**أو لستم عرباً؟ فكيف لاتعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه:** ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]»[٤]. فهذه الرواية تدلّ على اعتبار الفهم العربي في مجال التفسير.

السادس: اللغة والشعر

اللغة والشعر مصدران مهمّان لتفسير مفردات القرآن، وليس لأحدٍ أن يستغني عنهما بعد ما نزل القرآن باللغة العربية ومطابقاً لتراكيبها وأساليبها، ولا سبيل لفهم كثير منها إلّا بمراجعة لغاتهم وأشعارهم واستعمالاتهم زمن الجاهلية.

فقد جاء في الإتقان: عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**لايؤمنون**﴾[٥] قال: لا يصدّقون، ﴿**يعمهون**﴾[٦] يتمادون...[٧]. ويطول الحديث

---

١. يوسف: ٧٧.

٢. الدر المنثور ٤: ٥٠، ذيل الآية ٧٧ من سورة يوسف.

٣. الجاثية: ٢٩.

٤. تفسير القمّي ٢: ٣٧٩، ونور الثقلين ٧: ٢٥٤.

٥. البقرة: ٦.

٦. البقرة: ١٥.

٧. الإتقان ٢: ٦.

وفيه شرح كثير من الكلمات والمفردات القرآنية.

كما ملئت صفحات من ٦٧ إلى ١٠٥، بذكر مسائل نافع بن الأزرق وأجوبة ابن عباس عنها، استناداً على اللغة والشعر [١].

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام قال: «ما أحبّ الله من عصاه» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٢] ثم تمثّل بقوله:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبّه ... هذا لعمري في الفِعال بديع

لو كان حبّك صادقاً لأطعته ... إنّ المُحِبّ لمن يُحبّ مطيع [٣]

السابع: القواعد العربيّة

كثيراً ما يفسّر القرآن الكريم بالروايات اعتماداً على القواعد العربية من الصرف والنحو والمعاني والبيان، ويؤكّد بذلك أنّ القرآن ليس مجملاً ومعقّداً، بل نزل بلسان عربي مبين، ويفهم بواسطة قواعده المعروفة والجمل والمفردات المشهورة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، وقال ابن جرير: حدثنا المثنى قالا: حدثنا أبو صالح عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى (إلى أن قال:) ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [٤]: ما أحلّ وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كلّه [٥]. وبديهي أنّ ابن عباس فهم هذا التفسير من دخول اللام على الجمع، وهي تفيد العموم كما بيّنوه في علمي النحو والأصول.

---

١. المصدر السابق ٢: ٦٧ ـ ١٠٥.

٢. آل عمران: ٣١.

٣. تفسير الميزان ٣: ٦٣.

٤. المائدة: ١.

٥. الإتقان ٢: ٦ و ١١.

وعن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت: إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك ثم قال: «يا زرارة قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل به الكتاب من الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [١] فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغي أن يغسل، ثم قال: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾، ثم فصَل بين كلامين فقال: ﴿وَٱمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾، فعرفنا حين قال برؤوسِكم أنّ المسح ببعض الرأس؛ لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فعرفنا حين وصلها بالرأس، أنّ المسح على بعضها، ثم فسّر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك للناس، فضيّعوه...» [٢].

الثامن: التاريخ

نجد بعض الروايات التفسيرية، قد فسّرت بعض الآيات، بواسطة الحوادث التاريخيّة، وهذا يتعلّق بالآيات المرتبطة بما حدث في حياة النبي صلى الله عليه وآله أو الأنبياء السابقين والأمم الغابرة.

عن عائشة: أنّ عروة قال لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ ٱللهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [٣] فما أرى على أحدٍ جناحاً أن يطوّف بهما؟ فقالت عائشة: بئسما قلت يا بن أختي، إنّها لو كانت على ما أوّلتها، كانت فلا جناح عليه أن لا يطّوّف بهما، ولكنّها إنّما نزلت أنّ الانصار قبل أن يُسلموا كانوا يهلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهلَّ لها يتحرّج أن يطوّف بالصّفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله

١. المائدة: ٦.

٢. الكافي ٣: ٣٠، ح ٤.

٣. البقرة: ١٥٨.

إنا كنّا نتحرّج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ ٱللَّهِ...﴾ الآية، قالت عائشة: ثم سنّ رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما [١]. فهذه الرواية تؤكّد أنّ فهم بعض القضايا التاريخية في أسباب نزول الآيات، يوجب فهمَ معنى القرآن.

وفي عيون الأخبار: في باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام، بإسناده إلى علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: «**بلى**»، قال: فما معنى قول الله عزّ وجلّ (إلى أن قال:): فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [٢]؟ قال: «**كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص، كبُر ذلك عليهم وعظُم، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۞ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ﴾ [٣] فلما فتح الله تعالى على نبيّه ﷺ مكّة، قال له: يا محمد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكّة، بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخر؛ لأنّ مشركي مكّة، أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه، إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم**» فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن [٤].

---

١. الدر المنثور ١: ٣٥٠.

٢. الفتح: ٢.

٣. ص: ٥ ـ ٧.

٤. عيون الأخبار ١: ١٥٥ الباب ١٥، ح ١.

هذه الرواية مثل سابقتها لها تأثير في فهم الآية وفي القضايا الاعتقادية، فمن دون فهم التاريخ قد نقع في الضلال والانحراف ولانفهم المراد من الآيات.

التفسير الروائي

في ما يلي أمثلة من التفسير الروائي لتوضيح هذا المنهج:

١ ـ توضيح المشكل

قد توجد كلمة أو جملة يصعب فهمها، فتحتاج إلى التوضيح والتبيين وهذه الصعوبة، قد تتعلّق بكلمة مفردة في الآية، أو بالمعنى المراد من جملة من الآيات القرآنية، وهذا القسم نوعان: فتارة يكون معنى الجملة بنفسها صعباً فيحتاج إلى التوضيح، أو يكون صعباً بالنسبة إلى بعض المخاطبين من الذين لهم شبهات حول بعض الآيات، وفي ما يلي أمثلة لتوضيح هذه الأقسام:

الأول: توضيح اللفظ المفرد المشكل

١ ـ عن ابن عباس قال: أوّل ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال له جبريل: «بسم الله»، يا محمد، يقول: إقرأ بذكر الله: و«الله» ذو الألوهيّة والمعبوديّة على خلقه أجمعين، «الرحمن» الفعلان من الرحمة، و«الرحيم» الرفيق الرقيق بمن أحبّ أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحبّ أن يضعف عليه العذاب [1].

ففي هذا النوع من التفسير نفهم معنى كلمة الجلالة، وصفتيه، وهما: الرحمن والرحيم، والفرق بينهما، وهذه كلّها توضيحات لمفردات.

٢ ـ عن أبان الأحمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَفِرْعَوْنَ

---

١ . الدر المنثور ١: ٢٠.

﴿ذِي ٱلْأَوْتَادِ﴾ [١] لأيّ شيء سمّي ذا الأوتاد؟ فقال: «**لأنّه كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه، ومدّ يديه ورجليه، فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتادٍ، ثم تركه على حاله حتى يموت، فسمّاه الله عزّ وجلّ ذا الأوتاد**»[٢].

الثاني: توضيح الجملة المشكلة

تارة نجد جملة قرآنيّة مشكلة على كثيرين، وأخرى لاتكون الجملة بنفسها مشكلة، ولكن يحصل لبعض الناس سؤال أو شبهة، فالرواية تحلّ تلك الشبهة، وإليك نماذج من القسمين:

القسم الأول: الجملة المشكلة بنفسها

١ ـ أخرج عبد بن حميد عن سفيان ﷺ قال: بلغنا في قول الله: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [٣] قال: ما تقدّم: ما كان في الجاهليّة، وما تأخر: ما كان في الإسلام ما لم يفعله بعد [٤].

٢ ـ عن الإمام العسكري عليه السلام (في حديث): **﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾** [٥] وذلك أنّهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه، وقصّروا فيما أريد منهم، جهلوا ما لزمهم من الايمان، فصاروا كمن على عينيه غطاءُ لايبصر ما أمامه؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم بالقسر عنه... [٦].

---

١ . الفجر: ١٠.

٢ . تفسير نور الثقلين ٨: ١٩٤.

٣ . الفتح: ٢.

٤ . الدر المنثور ٧: ٤٥١.

٥ . البقرة: ٧.

٦ . الاحتجاج، للطبرسي: ٤٥٥، باب احتجاج أبي الحسن عليّ بن محمد في التوحيد.

القسم الثاني: ما يستصعب لشبهة حصلت لبعض، فنرى أحياناً الآية بنفسها واضحة ليس عليها غبار، ولكن لمّا حصل لبعض الناس بعض الشبهات، استصعبت عليهم الآية ولم يفهموها فهماً صحيحاً، ولذا طرحوا أسئلة عن تلك الآية.

وفي ما يلي نذكر مثالين من الطريقين لذلك:

١ ـ أخرج ابن مردويه عن أنس، قال: جاءَ رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرّتين، فأين الثالثة؟ قال: «**إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**»[١].

٢ ـ سأل الفهفكي أبا محمد عليه السلام، ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً، ويأخذ الرجل سهمين؟ فقال أبو محمد عليه السلام: «**إنّ المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا عليها معقلة، إنّما ذلك على الرجال**»، فقلت في نفسي: قد كان قيل لي: إنّ ابن أبي العوجاء سأل أبا عبدالله عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بهذا الجواب، فأقبل عليّ أبو محمد عليه السلام فقال: «**نعم، هذه المسألة مسألة ابن أبي العوجاء، والجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، أجري لآخرنا ما أجري لأوّلنا، وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء، ولرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما**»[٢].

هذه الرواية تفسّر قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٣].

٢ ـ توضيحات جانبيّة زائدة

هناك بعض الروايات الموجودة في الكتب التفسيرية، حول آية من الآيات، لاتوضّح الآية، ولاتعدّ بياناً لها، ولكن تزيد علمنا بالآية، وبهذا تساعدنا على تفسير

---

١. الإتقان ٤: ٢٤٨، النوع الثمانون.

٢. تفسير نور الثقلين، ذيل الآية ١١ من سورة النساء.

٣. النساء: ١١.

جوانب الآيات وما يتعلّق بها. وفي المثالين التاليين، نرى نموذجاً لذلك:

١ ـ أخرج عبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن ماجة وابن الضريس عن بريدة قال: دخلت مع رسول الله ﷺ المسجد ويدي في يده، فإذا رجل يصلّي يقول: اللهم إنّي أسألك بأ نّك أنت الله لا إله إلّا أنت الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطىٰ وإذا دُعي به أجاب**»[1].

٢ ـ عن عاصم بن حميد قال: سئل علي بن الحسين صلوات الله عليه عن التوحيد، فقال: «**إنّ الله عزّ وجلّ علم أ نّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿عليم بذات الصدور﴾** [2] **فمن رام وراء ذلك فقد هلك**»[3]. فالروايتان المذكورتان آنفاً لاتفسّران الآيات، ولكن تشتملان على توضيحات جانبيّة زائدة.

٣ ـ التخصيص

الناظر في الذكر الحكيم يجد بعض الآيات عامّة، لكن قد خصّصت في السنّة الشريفة. وفي ما يلي نذكر نموذجين من الروايات:

١ ـ قال صاحب كتاب: منزلة السنّة من الكتاب: فقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ﴾ [4] لفظ عام في التوارث بين المسلمين، فيدخل

١ . تفسير الدر المنثور، ذيل سورة التوحيد.

٢ . الحديد: ٥.

٣ . نور الثقلين، ذيل سورة التوحيد، ح ٤٦.

٤ . النساء: ١١.

فيه عموم الأولاد المولودين مباشرة أو بواسطة الأبناء مع أولاد المخاطبين وهم الأمة ورسول الله ﷺ، ولكن جاءت أخبار لفظيّة مستقلّة فخصّصت عمومه، نحو قوله ﷺ: «**لايرث القاتل**»[١].

٢ ـ عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**جرت السنّة ألّا تؤخذ الجزية من المعتوه ولا من المغلوب على عقله**»[٢]. وهذه الرواية تخصّص الآية الشريفة: ﴿**قَاتِلُوا اَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ... حَتَّىٰ يُعْطُوا اَلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[٣].

٤ ـ التقييد

مسألة التقييد كمسألة التخصيص، وردت في السنّة لتفسير كتاب الله بالتضييق في موضوعات أحكامه:

١ ـ عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿**يَمْحُوا اَللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾[٤] **إلّا الشّقاوة والسعادة والحياة والموت**»[٥].

٢ ـ عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنّه سأله المعتصم عن السارق من أيّ موضع يجب أن يقطع؟ فقال عليه السلام: «**إنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ**»، قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: «**قول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع**[٦] **أو**

---

١ . منزلة السنّة من الكتاب، لمحمد سعيد منصور: ٤٠٧.

٢ . الكافي ٣: ٥٦٧، ح ٣.

٣ . التوبة: ٢٩.

٤ . الرعد: ٣٩.

٥ . الإتقان ٤: ٢٦٤.

٦ . الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.

المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله: ﴿وأنّ المساجد لله﴾[١] يعني به: هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فلاتدعوا مع الله أحداً﴾[٢] وما كان لله لم يقطع...»[٣].

٥ ـ التعميم

قد يرد حكم في القرآن الكريم وله معنى محدّد لدى العرف، ولكنّ الروايات تعمّمه وتوسّعه؛ ليشمل المصاديق الأخرى المختفية عن أهل العرف:

١ ـ عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: **﴿لاتدركه الأبصار﴾**[٤] قال: **«لو أنّ الجنّ والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا (إلى أن قال:) فتواصفّوا صفّاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً»**[٥] على حسب ما يفهمه العرف تدلّ الآية على عدم إدراك إبصار الإنسان أو الإنسان والجن؛ لأنّ القرآن نزل لهدايتهم، ولكنّ الرواية عمّمت معنى الآية وقالت: إنّ أبصار الجن والإنس والشياطين والملائكة لن تصل إلى رؤية الله والإحاطة به.

٢ ـ عن أبي بصير قال: سمعته (أبا عبدالله عليه السلام) يقول: «**﴿إنّ الذين آمنوا ثم كفروا﴾ الآية، مَنْ زعم أنّ الخمر حرام ثم شربها، ومن زعم أنّ الزنا حرام، ثم زنا، ومن زعم أنّ الزكاة حقّ ولم يؤدّها**». قال صاحب الميزان: أقول: فيه تعميم للآية على الكفر بجميع مراتبه، ومن مراتبه ترك الواجبات وفعل المحرّمات[٦].

---

١ . الجنّ: ١٨.

٢ . الجنّ: ١٨.

٣ . تفسير العيّاشي ١: ٣١٩، ح ١٠٩ من سورة المائدة.

٤ . الأنعام: ١٠٣.

٥ . الإتقان ٤: ٢٥٤.

٦ . الميزان في تفسير القرآن ٥: ١٢٠، ذيل الآية ١٣٧ من سورة النساء.

٦ ـ بيان المصداق

تعيين المصداق لشيء يعدّ أحد التعريفات لذلك الشيء، وهو أسهل الطرق لمعرفته لدى العامّة، ولأجل هذا نرى الروايات التفسيرية المنقولة عن الشيعة والسنّة مملوءة ببيان المصاديق لآيات القرآن المجيد. وهذا النوع من البيان ثلاثة أقسام:

أ ـ بيان كلّ المصداق

ب ـ بيان المصداق الأكمل

ج ـ بيان جزء المصداق

وفي ما يلي نذكر نماذج مشتملة على هذه الأقسام:

أ ـ بيان كلّ المصداق

١ ـ أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[١] قيل: يا رسول الله، ومَن الناس؟ قال: «**أهل فارس**»[٢]. ولمّا كانت الآية حول قضيّة تاريخية فالناس في الآية هم أهل فارس فقط، ولاتدلّ على العموم.

٢ ـ عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ: فقال: عائشة وحفصة[٣]. والرواية وردت بشأن تفسير آية: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾[٤].

والآية تتحدّث عن المرأتين اللتين صدر منهما الصّغو، فلاتدلّ الآية على العموم.

---

١ . الأنفال: ٢٦.

٢ . الإتقان ٤: ٢٥٨.

٣ . مجمع البيان ١٠: ٤٧٥، ذيل الآية ٤ من سورة التحريم، الدر المنثور ٦: ٢٤١.

٤ . التحريم: ٤.

ب ـ بيان المصداق الأكمل

١ ـ أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [١] قال: الدين [٢]. ففضل الله كثير ومتنوّع، ولكنّ الفضل الأكمل والأفضل هو الدين؛ إذ به نحصل على الحسنة في الدنيا والآخرة.

٢ ـ في عيون الأخبار، بإسناده إلى ابراهيم بن عباس الصوفي الكاتب، قال: كنا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: **«ليس في الدنيا نعيم حقيقي»**، فقال له بعض الفقهاء ممّن حضره: فيقول الله عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [٣] أما هذه النعيم في الدنيا وهو الماء البارد؟ فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: **«كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبدالله عليه السلام: إنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عزّ وجل: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فغضب وقال: إنّ الله لايسأل عباده عمّا تفضل عليهم به، ولايمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزّوجلّ ما لايرضى للمخلوقين به؟ ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوّة، لأنّ العبد إذا وفىٰ بذلك أدّاه إلى نعيم الجنة الذي كان لايزول»** [٤].

يتّضح من هذه الرواية: أنّ النعمة الحقيقيّة هي نعمة روحيّة معنويّة تهدي الإنسان إلى السعادة الحقيقيّة والكمالات الأبديّة، ولكن لايقصد الإمام بيان أكمل النعم، وأنّ

---

١ . الجمعة: ٤.

٢ . الدر المنثور ٦: ٢١٥، ذيل الآية الشريفة.

٣ . التكاثر: ٨.

٤ . نور الثقلين ٨: ٣٠٧، ذيل الآية ٨ من سورة التكاثر.

النعم الموجودة الماديّة في الدنيا ليست نعماً، بل قصد النعمة الكبرى التي تـضمن سعادة الإنسان في الدار الآخرة.

ج ـ بيان جزء المصداق

١ ـ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[١] يعني: أبا جهل بن هشام ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٢] ذكر عليّاً وسلمان[٣]. ومن المعلوم أنّ فرعون ونمرود ليسا أقلّ من أبي جهل في الخسران، كما أنّ محمداً ﷺ كان أفضل من علي عليه السلام وسلمان، فالرواية تذكر جزء المصداق.

٢ ـ حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسى عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٤] الآية، «**يعني: الحسين بن علي** عليه السلام»[٥]. وأمثال هذه الروايات كثيرة، وهي لاتعني أنّ الحسين عليه السلام كلّ المصداق للآية، أو هو أكمل المصاديق، لأنّ الأكمل هو الرسول ﷺ، بل الآية تدلّ على معنى عام، يدخل تحته الحسين عليه السلام. ومن شابهه في صفاته وأعماله.

٧ ـ التشبيه

إنّ الله ألقى المعارف العميقة على العرب، وقد كانوا غير متعقّلين إلّا لما حولهم من المحسوسات، فلابدّ أن يستفاد من التشبيه والتمثيل في تعليمهم، لكي يـقتربوا

---

١. العصر: ١ ـ ٢.

٢. العصر: ٣.

٣. الدر المنثور ٨: ٣٩١، ذيل الآيتين الشريفتين.

٤. الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

٥. تفسير القمّي ٢: ٤٢١.

من الحقائق الدينيّة البعيدة عن الماديّات القريبة، فنرى في بعض الروايات تفسير بعض الآيات على سبيل التشبيه:

١ ـ أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التقوىٰ عن أبي هريرة، أنّ رجلاً قال له: ما التقوى؟ قال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى [١].

٢ ـ في سؤال بعض اليهود علياً عليه السلام عن الواحد إلى المائة، قال له اليهودي: فأين وجه ربّك؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «**يابن عباس ائتني بنارٍ وحطب**»، فأتيته بنارٍ وحطبٍ، فأضرمها، ثم قال: «**يا يهودي أين يكون وجه هذه النار؟**» فقال: لا أقف لها على وجه، قال: «**ربي عزّ وجلّ على هذا المثل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾** [٢]» [٣].

٨ ـ بيان العلّة

إنّ الله عزّ وجلّ حكيم، والحكيم إذا نطق، نطق لعلّة، ومن المعلوم أنّ ذكر علّة الكلام يعدّ نوع بيان لذلك الكلام؛ فإذا وجدنا رواية تبيّن علّة حكم أو مسألة موجودة في آية، فإنّها تعدّ نوع بيان لتلك الآية. نورد نموذجين لهذا النوع من التفسير:

١ ـ جاء في جامع البيان يقول تعالى، لنبيه صلى الله عليه وآله وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة على أن يعبد نبي الله صلى الله عليه وآله آلهتهم سنة، فأنزل الله تعالى في جوابهم: قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة: ﴿**ياأيها الكافرون**﴾ بالله ﴿**لا أعبد ما تعبدون**﴾... [٤].

---

١ . الدر المنثور ١: ٥٧.

٢ . البقرة: ١١٥.

٣ . كتاب الخصال ٢: ٥٩٧، باب الواحد إلى المائة، ح ١.

٤ . جامع البيان، للطبري ١٢: ٧٢٧، ذيل الآية ١ من سورة الكافرون.

٢ ـ عن الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام (في حديث)، «**إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً، فيتصدّق منه ويأكل هو و عياله منه، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً محقّاً، له عند الله منزلة، وكان مجتازاً غريباً اعترّ على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره، يهتف على بابه: أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونه وقد جهلوا حقّه، ولم يصدّقوا قوله، فلما يئس أن يطعموه وغشيه الليل، استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله عزّوجلّ، وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً، وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، قال: فأوحى الله عزّوجلّ إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة، لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلّة استحدثت بها غضبي واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي وبلواي عليك وعلى ولدك...**»[١].

٩ ـ البيان التأكيدي

تارة نجد الروايات تؤيّد مضامين الآيات وتأكّدها من دون بيان زائد، ولكنّ الألفاظ تختلف وتفترق عمّا يوجد في القرآن الكريم، ولأجل هذا الاختلاف في الأداء والتعبير، يمكن لنا أن نسمّي هذا القسم بالبيان التأكيدي أوالتأييدي.

فلننظر إلى المثالين التاليين:

١ ـ عن جابر رضي الله عنه أنّه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «... **اعلموا أنّ الله تعالى افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا، فمن تركها في حياتي أو بعدي، وله إمام عادل أو جائر استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ولا زكاة له، ولا حجّ له، ولا صوم له، ولا برّ له، حتى يتوب، فمن تاب، تاب الله عليه**»[٢]. وهذه الرواية تؤكّد الآية الشريفة:

---

١ . تفسير نور الثقلين ٣: ٣٣٧، ح ١٧.

٢ . سنن ابن ماجة ١: ٣٤٣، ح ١٠٨١.

﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾[١].

٢ ـ عن طربال عن أبي عبدالله عليه السلام: **«لمّا أمر الملك بحبس يوسف في السجن، ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم، وإنّ فتيين أدخلا معه السجن يوم حبسه، فلمّا باتا أصبحا فقالا له: إنّا رأينا رؤيا فعبّرها لنا، فقال: وما رأيتما؟ قال أحدهما: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾[٢] وقال الآخر: إني رأيت أنّي أسقي الملك خمراً، فعبّر لهما رؤياهما على ما في الكتاب...»**[٣].

والحديث يؤيّد مفهوم الآية ويؤكّدها حسب ما يعرفه أهل العرف، وهناك أمثلة أخرىٰ لايسعنا المجال لذكرها، على أنّنا ذكرنا كثيراً من الأمثلة حينما كنّا نتحدّث عن منهج الإماميّة في التفسير.

---

١. الجمعة: ٩.

٢. يوسف: ٣٦.

٣. تفسير العيّاشي ٢: ١٧٦، ح ٢٣.

الفصل الثاني
نماذج من منهج التفسير الروائي

نذكر في هذا الفصل أربعة نماذج من التفاسير الروائيّة المحضة التي تعدّ من المصادر، بل وأبرزها: اثنين من السنّة واثنين من الشيعة.

كما نذكر نموذجين من التفاسير الروائية المحضة التي تعدّ من المجاميع الروائية التفسيرية من الشيعة والسنّة. ونأتي أخيراً بنموذجين من التفاسير الروائية التي تختلط بشيء من الاجتهاد، من المدرستين:

النموذج الأول
تفسير القرآن العزيز

اسم الكتاب هو: «تفسير القرآن العزيز»، ولكنّه معروف بتفسير عبدالرزاق، نسبة إلى المؤلّف. ونحن سمّيناه بتفسير القرآن العزيز؛ لأنّ هذا الاسم مذكور من قبل المؤلّف نفسه، ففي النسخة المخطوطة جاء تعبير «كتاب تفسير القرآن العزيز المنزّل على سيّدنا ونبينا وحبيبنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين».

والمؤلّف: هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحافظ أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني. ولد بصنعاء اليمن سنة ١٢٦ هـ من حفاظ الحديث الثّقات، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديثٍ. كان أبرز تلاميذ معمر بن راشد، وكان يروي عن معمر وابن جريج والأوزاعي والثوري وابن عيينة، وروىٰ عنه أحمد بن حنبل وابن مَعين والذّهلي وأحمد بن صالح [١]. قال ابن سعد: مات في نصف شوال سنة إحدى عشرة ومائتين، وعاش خمساً وثمانين سنة [٢].

تكلّم العلماء فيه بكلمات مختلفة كثيرة، أكثرها ترجع إلى عقيدته ومذهبه، فمنهم من قال: إنّه سنّي ومعتقد بتفضيل أبي بكر وعمر على علي، وإنّ أبا بكر خليفة رسول الله من دون فصل، ومنهم من يقول: إنّ فيه شيئاً من التشيّع، ومنهم من يقول: إنّه شيعي، كما جاء في السِيَر: أ نّه الحافظ الكبير، عالم اليمن، الثقة الشيعي [٣].

وقال الدّاودي في طبقاته: قال أحمد: كان عبدالرزاق يحفظ حديث معمر، وثّقه غير واحد، وحديثه مخرج في الصحاح، وله ما ينفرد به، ونقموا عليه التشيّع، وما كان يغلو فيه، بل كان يحبّ علياً ﷺ ويُبغض من قاتله [٤].

وهذا التفسير أقدم تفسير روائي مهمّ يحتوي على ٣٧٥٩ حديثاً، لأجل ذلك يمكن أن نقول: هذا التفسير واسطة العقد من التفسير في عهد الصحابة والتابعين إلى عصر ابن جرير الطبري، فمرجع المفسّرين في التفسير الروائي إلى زمن الطبري كان منحصراً بتفسير عبدالرزاق، وقد اعتمد في تفسيره على أقوال وروايات شيخه

---

١ . معجم المفسّرين، لعادل نويهض، حرف العين.

٢ . طبقات المفسّرين، للداودي ٢: ١١ حرف العين.

٣ . راجع: الموسوعة الميسّرة في تراجم أئمّة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الحسين الزبيري وغيره ٢: ١٢١٨، حرف العين.

٤ . طبقات المفسّرين، للداودي ١: ٣٠٢، حرف العين.

وأستاذه سفيان الثوري أكثر من الآخرين [١]. ولكن مع هذا هناك كثير من الآيات، لا نجد رواية مفسِّرةً لها في كتاب عبدالرزاق.

منهجه: ليس له منهج خاص؛ إذ كان يذكر الروايات المتعلّقة بالآيات من دون أيّ نقد وإبرام، ولكن نذكر هنا مسألتين:

الأولى: ليس كلّ ما جاء في تفسيره تفسيراً للآيات وتبييناً للمجملات، بل الروايات الموجودة فيه تنقسم إلى الأقسام التالية:

١ ـ روايات حول مقدّمة التفسير، وهي تسع روايات، في جمع القرآن والمنع من تفسير القرآن بالرأي، وتقسيم الآيات، وزمان نزول القرآن، وكيفيّته، وغيرها من العلوم الأخرى المندرجة في علوم القرآن اصطلاحاً.

٢ ـ روايات فضل الآيات وخواصّها.

٣ ـ روايات أسباب النزول.

٤ ـ روايات تفسير الآيات بأساليب مختلفة.

٥ ـ روايات أخرى تتعلّق بالآيات غير ما مرّ من الأقسام، مثل: مكان النزول، كيفية القراءة وغيرهما.

والثانية: إنّ الابتلاء بنقل الإسرائيليّات في التفاسير الروائيّة، ليس على حدّ سواء، فهناك تفسير روائي يشتمل على كثير من الروايات الموضوعة والإسرائيليّة، بينما نجد بعض التفاسير، خالياً من كثير منها، ومن جملتها تفسير عبدالرزاق.

قال الدكتور مصطفى مسلم: وممّا أخذ على الصنعاني الذي سلك طريقة المحدّثين وتتبع أقوال السّلف في معاني الآيات وأسباب النزول ورواها بأسانيدها (مع الاهتمام بالسّند وأقوال السّلف مع تساهلهم في مضمون كثير من الأخبار التي

---

١. راجع: المفسّرون حياتهم ومنهجهم: ٢٩٠.

يروونها) قد روى من جملة ما روى بعض الروايات عن وهب بـن مـنبّه وكـعب الأحبار وابن جريج وغيرهم من الذين عرفوا برواية الإسرائيليّات، وعلى الرغم من أنّ الإمام عبدالرزاق لم يكثر من رواية الإسرائيليّات هذه، وتجنّب ما فيه خـدش بعصمة الأنبياء عليهم السلام، نجده في قصة داود عليه السلام وتسوّر المحراب عليه، يختار من تلك القصص أسلمها وأقربها إلى القبول، وكذلك في قصة أيّـوب وقـصة يـوسف عليهما السلام، وكذلك تجنّب رواية الإسرائيليّات التي تتنافى مع العقيدة وظاهر الشريعة، إلّا أنّه لم يسلم من إيراد بعض القصص الإسرائيلي الذي لا نستسيغ روايته عقلاً، كما أورد في سورة البقرة الآية ١٠٢ قصة هاروت وماروت، وفي سورة «ق» وغيرها [١].

النموذج الثاني
تفسير القرآن العظيم

اسم التفسير هو: «تفسير القرآن العظيم»؛ لأنّ أوّل جملة مكتوبة فيه هي: الجزء الأول من كتاب تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول والصحابة والتابعين.

لكن بما أنّ اسمه عام، يشمل جميع التفاسير، ومن جانب آخر، هناك عدة تفاسير أخرى سمّيت بهذا الاسم، كتفسير ابن كثير، فقد اشتهر باسم تفسير ابن أبي حاتم، وهناك طبعة من التفسير مكتوب عليها تفسير ابن أبـي حـاتم، وهـو الذي حـقّقه وخرّجه الدكتور أحمد عبدالله العماري الزهراني، وهـناك طـبعة أخـرى مكـتوب عليها: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، وهـو الذي حقّقه أسعد محمد الطيب.

المؤلّف: هو عبدالرحمان بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، يكنّى

١. تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١: ٣١، من تقديم مصطفى مسلم محمد.

أبا محمد، واشتهر بابن أبي حاتم أصله من أصبهان (١) ثم انتقل إلى الرّي (٢) وهي بلدة كبيرة.

ولد سنة أربعين ومائتين (٣)، ونشأ في بيت علم وفضل وكان أبوه عالماً متقياً، قال ابن أبي حاتم: لم يدعني أبي اشتغل في الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل ابن شاذان (٤).

وكما يظهر من التراجم إنّه كان شديد الورع والتّقوى، ويعدّ من كبار الصالحين الذين لم يعرف لهم ذنب ولا جهالة طول عمرهم. قال عمر بن ابراهيم الزاهد الهروي: حدثنا الحسين بن احمد الصّفار، قال: سمعت عبدالرحمان بن أبي حاتم، يقول: وقع عندنا الغلاء، فأنفذ بعض أصدقائي حبوباً من أصبهان، فبعته بعشرين ألف درهم، وسألني أن أشتري له داراً عندنا، فإذا نزل علينا نزل فيها، فأنفقتها على الفقراء، وكتب إليّ ما فعلت؟ قلت: اشتريت لك بها قصراً في الجنّة، قال: رضيت إن ضمنت ذلك لي، فتكتب على نفسك صكّاً، قال: ففعلت، فأريت في المنام: قد وفّينا بما ضمنت، ولا تعد لمثل هذا (٥).

وحرصه الذي نشأ من إيمانه أجبره على تحمّل الشدائد لتحصيل العلم وجمعه من أنحاء العالم، قال ابن أبي حاتم نفسه: كنّا بمصر سبعة أشهر، لم نأ كل فيها مرقة، كلّ نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل للنسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوماً أنا

---

١. أصبهان هي إصفهان (باللغة الفارسية): مدينة كبيرة جميلة وسط إيران كانت عاصمة لها في السابق.

٢. الرّي: مدينة قديمة في جنوب طهران، والآن اتّصلت بطهران فصارتا مدينة واحدة، وهي الآن عاصمة إيران.

٣. تذكرة الحفّاظ، للذهبي ٣: ٨٢٩.

٤. سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٦٦.

٥. طبقات المفسّرين، للداودي ١: ٢٨٦، حرف العين.

ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكاً أعجبنا فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلسٍ، فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام وكاد أن يتغيّر،فأ كلناه نيئاً، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه، ثم قال: لايستطاع العلم براحة الجسد [١].

تأليفاته: كان نتيجة نشاطاته تأليف كتب مهمة بأساليب جميلة آنذاك، فغير تفسيره الكبير، أ لّف كتباً أخرى مثل: آداب الشافعي ومناقبه، بيان خطأ محمد بن اسماعيل البخاري في تاريخه، المعرفة، علل الحديث، زهد الثمانية من التابعين، المراسيل، أصول السنّة واعتقاد الدين، الردّ على الجهميّة، فضائل الإمام أحمد، فوائد أهل الريّ [٢].

في سير أعلام النبلاء: قال أبو يعلى الخليلي: أخذ أبو محمد علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، صنّف في الفقه وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، قال: وكان زاهداً يعدّ من الأبدال.

قال ابن كثير في البداية: كان من العبادة والزهادة والورع والحفظ والكرامات المشهورة على جانب كبير ﷺ. وقال أحمد بن علي القرضي: ما رأيت أحداً ممّن عرف عبدالرحمان ذ كر عنه جهلة قط [٣].

وهذا التفسير مهمّ لأهل السنّة ومرجع للمذاهب الإسلامية؛ لأنّه يشتمل على الخصائص التالية:

أولاً: أ نّه تفسير يحتوي على كثير من الروايات تبلغ ١٩٥٤١ حديثاً.

ثانياً: جمع بين تفسير الكتاب بالسنّة وآثار الصحابة والتابعين بالإسناد.

---

١ . سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٦٦.

٢ . تفسير القرآن العظيم ١: ١٠، المقدّمة.

٣ . أُنظر إلى مقدّمة تفسيره، المحقّق في عشرة مجلّدات.

ثالثاً: اختار أصحّ الأسانيد حسب ادّعائه وطاقته.

رابعاً: اعتمد على هذا التفسير جميع كبار العلماء.

خامساً: يشتمل على نظم وأسلوب دقيق ومهم، الأمر الذي يجعل القارئ يستفيد منه بسهولة. ولكنّ الروايات الموجودة في التفسير لم تشمل جميع السّور، والمحقق للكتاب أكمله، فالموجود من التفسير كان من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الرعد، ومن سورة: المؤمنون إلى نهاية العنكبوت، فجمع المحقق الروايات المفقودة للسّور الأخرى من كتب الذين رووا عن ابن أبي حاتم مثل: تفسير ابن كثير، الدر المنثور، فتح الباري للعسقلاني، تغليق التعليق للعسقلاني، وفتح القدير للشوكاني [١].

وقد أثنى ابن تيمية على هذا التفسير كثيراً، ونقل عنه في مواضع من كتبه، وهو من أعظم مصادر ابن كثير في تفسيره، ونقل عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح، والبدر العيني في عمدة القارئ، وهو أحد أهم مصادر السيوطي في الدر المنثور، وقال عنه في طبقات المفسّرين: ومن تصانيفه: التفسير المسند، اثناعشر مجلّداً لخّصته في تفسيري [٢].

منهجه: لكي يتّضح لنا منهجه، نذكر أموراً:

الأول: ليست الروايات الموجودة فيه منقولة عن الرسول والصحابة والتابعين فقط، بل ينقل عن أتباع التابعين وتابعي أتباع التابعين، فإنّه يقول في مقدمة تفسيره: فإن لم أجد عن الصحابة ووجدته عن التابعين، عملت فيما أجد عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذا أجعل المثال في أتباع التابعين وأتباعهم [٣].

الثاني: كثير من التفاسير الروائيّة، تشتمل على عدد ضخم من الروايات المتعلّقة

١. راجع: مقدّمة المحقّق على التفسير: ١٢.

٢. راجع: مقدّمة التفسير، المحقّق بواسطة الدكتور أحمد عبدالسلام العماري.

٣. تفسير ابن أبي حاتم ١: ١٤.

بالقرآن، ولكن غير مفسّرة له، لكنّ تفسير ابن أبي حاتم، جرى على خلاف ما جرى غيره، فقد اجتنب كثيراً من الروايات غير التفسيرية، فإنّه قال في مقدمة تفسيره: سألني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصحّ الأسانيد وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات، وتنزيل السّور، وأن نقصد لإخراج التفسير مجرّداً من ذلك كلّه، متقصّين تفسير الآي، حتى لانترك حرفاً من القرآن يوجد له تفسير إلّا أخرج ذلك [١].

الثالث: هذا التفسير يعدّ من المصادر التفسيرية الروائيّة، وليس من المجاميع الروائيّة في التفسير، لأنّه ينقل الروايات بنحو حدّثنا، الأمر الذي يدلّ على أنّه سمع الأحاديث والآثار مشافهة، وليست رواياته مستندة إلى الكتب والآثار المكتوبة.

الرابع: اعتمد المؤلّف على أصحّ الإسناد عنده، ويذكر الروايات بأحسن أسلوب، فإنّه يقول في مقدّمة تفسيره: فتحرّيت إخراج ذلك بأصحّ الأخبار إسناداً، وأشبهها متناً، فإذا وجدت التفسير عن رسول الله ﷺ لم أذكر معه أحداً من الصحابة ممّن أتىٰ بمثل ذلك، وإذا وجدته عن الصحابة، فإن كانوا متّفقين، ذكرته عن أعلاهم درجة بأصحّ الأسانيد، وسمّيت موافقيهم بحذف الإسناد، وإن كانوا مختلفين، ذكرت اختلافهم، وذكرت لكلّ واحد منهم إسناداً، وسميت موافقيهم بحذف الإسناد، فإن لم أجد عن الصحابة ووجدته عن التابعين، عملت فيما أجد عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذلك أجعل المثال في أتباع التابعين وأتباعهم، جعل الله ذلك لوجهه خالصاً ونفع به [٢].

الخامس: مع أنّ المؤلّف وعد بأن يذكر أصحّ الأسانيد وأحسن الأخبار وأقواها،

---

١. تفسير ابن أبي حاتم ١: ١٤.

٢. المصدر السابق.

ولكنّ تفسيره لم يخل من الروايات الضعيفة والإسرائيليّات المروية عن المشهورين بنقلها، فنرى في تفسيره روايات تعارض القرآن والعقيدة، وتضادّ المحكمات من العقل والنقل؛ فإنّه في قصة يوسف ذيل الآية ٢٤ من السورة يروي روايات يسقط بها مقام يوسف النبي عن أدنى إنسان مؤمن، بشكل لايترك من همَّ بها حتى بعد نداءٍ من السماء يقول له: «لاتكن كطائر نتف ريشه فبقي لا ريش له» فلم يتّعظ من النداء شيئاً... الحديث [1].

فلايستثنىٰ تفسيره من النقد والتمحيص بالمعايير الثابتة، كما يحتاج إلى هذا النقد جميع التفاسير الروائية من الشيعة والسنّة.

النموذج الثالث

تفسير العيّاشي

هذا التفسير معروف بتفسير العيّاشي، ولكنّ المكتوب على جلده: «التفسير» أو «كتاب التفسير» وبما أنّ هذين العنوانين عامّان، فقد صار ذلك سبباً لاشتهار اسمه بتفسير العيّاشي

والمؤلّف: هو أبوالنضر محمدبن مسعود بن محمد بن عيّاش السُّلمي السمرقندي المعروف بالعياشي. لم يعيّن أحد تاريخ ولادته، ولكنّ بعض العلماء ذكر تاريخ وفاته، فمنهم من قال: توفي سنة ٣٢٠هـ [2]، ومنهم من تردّد في زمان وفاته ولم يذكر تاريخاً خاصّاً، بل تكلّم على عصره، فمثلاً قال آغا بزرك: هو من طبقة ثقة الإسلام الكليني [3]، وكما نعرف، فقد توفي الشيخ الكليني سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩.

---

١. تفسير ابن أبي حاتم ٧: ٢١٢٣، الرواية ١١٤٧٤، ذيل الآية ٢٤ من سورة يوسف.

٢. راجع: باشا إبراهيم، هدية العارفين ٢: ٣٢.

٣. الذريعة ٤: ٢٩٥.

وبما أنّ العيّاشي روى عن أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري، فيمكن القول بأ نّه كان حيّاً في زمن الغيبة الصغرى (٢٦٠ ـ ٣٢٩) حسب ما تعتقده الشيعة.

قال عنه النّجاشي: «ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، كان يروي عن الضّعفاء كثيراً، وكان في أوّل أمره عاميّ المذهب، وسمع حديث العامّة فأ كثر فيه، ثمّ تبصّر وعاد إلينا وكان حديث السنّ».

وقال الشيخ الطوسي عنه: «... جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات، مطّلع عليها، له كتب تزيد على مأتي مصنّف، ذكر فهرست كتبه أبو إسحاق النّديم، منها: كتاب التفسير...».

وقال العلّامة الطباطبائي عنه: «وأمّا مؤلّفه فهو الشيخ الجليل أبو النضر محمد بن المسعود بن محمد بن العيّاش التّميمي الكوفي السمرقندي، من أعيان علماء الشيعة وأساطين الحديث والتفسير بالرواية ممّن عاش في أواخر القرن الثالث من الهجرة النبويّة، أجمع كلّ من جاء بعده من أهل العلم على جلالة قدره وعلوّ منزلته وسعة فضله، وأطراه علماء الرجال متسالمين على أ نّه ثقة، عين، صدوق في حديثه، من مشايخ الرواية، يروي عنه أعيان المحدّثين كشيخنا الكشّي صاحب الرجال، وهو من تلامذته، وشيخنا جعفر بن محمد بن المسعود العيّاشي وهو ولده، كان شيخنا المترجَم عنه، نشأ على مذهب أهل السنّة، ثمّ تشيّع فكان أحد أساطين العلم وأعيان الطائفة، اشتغل في حداثة سنّه بتحصيل العلم، فلم يلبث كثيراً حتى برع وتمهّر في شتّى العلوم وتضلّع في مختلفها كالفقه والحديث والطب والنجوم والقيافة وغيرها.

وكان ﵀ ذا جدّ بليغ في تجديد ما اندرس من رسوم العلم ورفع ما عفا من قواعده، فكانت داره مجمع رجال العلم والثّقافة وطلاب الفضيلة كالمدرسة

المملوءة بأهلها من محصّل وباحث وكاتب ومقابل وناسخ، حتى قيل: إنّه انفق في سبيل العلم جميع ما كان عنده من مال وثروة بالغة، وقد كان ورث من أبيه ثلاثمائة ألف دينار، وكان له مجلس مع العام ومجلس مع الخاصّ[١].

والتفسير الموجود الآن، يشتمل على تفسير القرآن المجيد إلى آخر سورة الكهف، من دون ذكر أسانيد الروايات، ويحتوي على ٢٧٢٢ رواية في مجلّدين.

ومن هذه الروايات ٧٣ رواية تختصّ بعلوم القرآن، وهي ما يلي:

باب: في فضل القرآن، وفيه ١٨ حديثاً.

باب: ترك الرواية التي بخلاف القرآن، وفيه ٧ أحاديث.

باب: في ما أنزل فيه القرآن، وفيه ٧ أحاديث.

باب: الناسخ والمنسوخ، الظاهر والباطن، المحكم والمتشابه، وفيه ١١ حديثاً.

باب: فيما عنى الأئمة من القرآن، وفيه ٨ أحاديث.

باب: علم الأئمة بالتأويل، وفيه ١٣ حديثاً.

باب: من فسّر القرآن برأيه، وفيه ٦ أحاديث.

باب: كراهية الجدال بالقرآن، وفيه ٤ أحاديث.

لكنّ التفسير الموجود الآن ليس كل ما كتبه العيّاشي.

قال العلامة الطباطبائي: أصيب الكتاب من جهتين:

إحداهما: أنّ جلّ رواياته كانت مسندة، فاختصره بعض النساخ بحذف الأسانيد وذكر المتون، فالنسخة الموجودة الآن، مختصر التفسير.

والثانية: أنّ الجزء الثاني منه صار مفقوداً بعده حتى أنّ أرباب التفاسير الروائيّة والمحدّثين لم ينقلوا منه إلّا ما في جزئه الأول من الروايات، كالبحراني في تفسير البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والكاشاني في الصافي، والمجلسي في البحار.

---

١. راجع: مقدّمة تفسير العيّاشي، تحقيق الحاجّ السيد هاشم الرسولي المحلّاتي: ج، د.

أقول: كثيراً ما ينقل الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل روايات عن العيّاشي ممّا يتعلّق بتفسير النصف الأخير من القرآن المجيد، وكذلك العلّامة الطبرسي في مجمع البيان، ينقل عنه في تفسير السّور الأخيرة من القرآن، وهذا يدلّ على أنّ الجزء الثاني من الكتاب، كان عندهما، ولعلّ المتتبع يجد لدىٰ غير هذين العلمين.

وجاء في معجم المفسّرين عنه: فقيه، إماميّ، من كبارهم، مشارك في عدّة علوم، من أهل سمرقند، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهاراً عظيماً، وهي تزيد على مأتي كتاب [١].

منهجه: يعدّ هذا التفسير من التفاسير الروائيّة المحضة التي لاتشتمل على زيادة توضيح أو نقد، بل اكتفي فيها بنقل الروايات فحسب.

والروايات الموجودة فيه أربعة أقسام:

منها ٧٣ حديثاً ذكرت في مقدّمة الكتاب.

ومنها روايات حول فضائل السور والآيات.

ومنها روايات فيها معلومات غير تفسيريّة حول الآيات.

ومنها روايات تفسيريّة أكثرها بيان المصداق والنموذج العيني للآيات، وهي في الحقيقة ليست من باب التفسير المصطلح.

يشتمل هذا التفسير على الأخبار والروايات المخالفة لظواهر الآيات أو المؤوّلة للآيات بما تأباه العقول والآثار، من دون أيّ جرح أو تعديل، تاركاً ذلك إلى عهدة الأسانيد التي حذفت مع الأسف بيد الناسخ الذي أسقط الأسانيد، معتذراً بأنّه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع أو إجازة من المؤلّف، ولذا قال المولى المجلسي بشأنه: إنّ اعتذاره هذا أشنع من فعلته بحذف الأسانيد [٢].

١. معجم المفسّرين ٢: ٦٣٦، لعادل نويهض، حرف العين.

٢. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣٢٣.

إنّ لهذا التفسير قيمته العالية؛ لأنّه اشتمل على كثير من الروايات التفسيرية، ولكن حُذفت منها الأسانيد، ونجد فيه روايات ضعافاً، فلابدّ من ملاحظة القرائن الداخليّة والخارجيّة لقبولها وردّها، وهو المنهج الذي يضطرّ إليه في كثير من التفاسير الروائيّة لدى المدرستين التي تشتمل على روايات الضّعاف أو الموضوعة والإسرائيليّات.

النموذج الرابع
تفسير القمّي

لم نجد له اسماً غير ما هو المعروف بتفسير القمّي، نسبة التفسير إلى المفسّر، وهذا الاسم طبع على جلده، ولكن يمكن تسميته بتفسير العباس؛ لانّه من صنعه كما يلوح لك في البحوث الآتية، كما أنّ العلامة آغا بزرك الطهراني يقول: والتلميذ (أبو الفضل العباس) هو الذي صدّر التفسير باسمه في عامّة نسخه الصحيحة التي رأيناها؛ فإنّ فيها بعد الديباجة والفراغ عن بيان أنواع علوم القرآن ما لفظه: (حدّثني أبو الفضل العباس بن محمد بن قاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم قال...) [١].

والمؤلّف: اسمه علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي، المكنّىٰ بأبي الحسن، المتوفّىٰ في أوائل القرن الرابع، كان في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام حكى الشيخ والنّجاشي أ نّه أوّل من نشر أحاديث الكوفيين بقم.

كان أبوه من أصحاب الحديث، وكان له ثلاثة أبناء كلّهم من أصحاب الحديث. أصله كوفي، ارتحل من الكوفة إلى قم المقدّسة، ونشر هناك حديث الكوفيين.

---

١ . راجع: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤: ٣٠٢.

وقيل: إنّه توفي سنة ٣٢٩ هـ[١]، لكن جاء في موسوعة طبقات الفقهاء: لم نظفر بتاريخ وفاة المترجَم، إلّا أنّه كان حيّاً في سنة سبع وثلاثمائة.

أقول: ذكر السيد عادل نويهض في «معجم المفسّرين» أنّ المترجَم كان حيّاً سنة ٣٢٩ هـ، وهذا وهم، أوقعه فيه قوله: (أخذ عن الكليني المتوفّىٰ ٣٢٩ هـ) والصحيح: أنّ الكليني هو الذي أخذ عن علي بن إبراهيم لا العكس[٢].

ولكنّ الامر المسلّم أنّه كان سنة ٣٠٧ حياً، لأنّه روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام عن حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا علي بن إبراهيم بن هاشم (سنة ٣٠٧)...[٣].

قال النّجاشي: علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمّي ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب، سمع فأكثر وصنّف كتباً، وأضرّ[٤] في وسط عمره، وله:

كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب قرب الأسناد، كتاب الشرائع، كتاب الحيض، كتاب التوحيد والشرك، كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء...[٥].

قيل في موسوعة طبقات الفقهاء: هو شيخ ثقة الإسلام الكليني،... له في الكتب الأربعة روايات كثيرة بلغت سبعة آلاف ومائة وأربعين مورداً، روى منها ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر مورداً عن أبيه إبراهيم بن هاشم[٦].

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣٢٥.

٢. موسوعة طبقات الفقهاء ٤: ٢٦٦.

٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤: ٣٠٢، رقم ١٣١٦.

٤. أي: صار ضريراً أعمى.

٥. رجال النجاشي ٢: ٨٦ ـ ٨٧، الرقم ٦٧٨.

٦. موسوعة طبقات الفقهاء ٤: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

جاء في «كليّات في علم الرجال»: إنّ علي بن إبراهيم بن هاشم أحد مشايخ الشيعة في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وكفى في عظمته أنّه من مشايخ الكليني، وقد أكثر في الكافي الرواية عنه [1].

وهذا التفسير يشتمل على جزءَين، الجزء الأوّل له مقدّمة من المصنّف في ٢٧ صفحة، تشتمل على بعض المسائل من علوم القرآن الكريم مثل: أصناف الآيات القرآنية من الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وما يتعلّق بعلم الكلام من المباحث والآراء، ذكرها المؤلّف عن طريق تقسيم آيات القرآن.

وهذه المقدّمة تعدّ من التفاسير الروائيّة المختلطة بالتفاسير الاجتهادية لبعض الآيات القرآنية؛ إذ يثبت المؤلّف عقائده لا من طريق الروايات فقط، بل بظهور الآيات وما يستفاد من الأخبار [2] وإن كانت تلك الدراية المختلطة بالرواية الموجودة في المقدّمة يرجع أصلها إلى رواية طويلة مهمّة مرويّة عن علي أمير المؤمنين عليه السلام عن طريق الصادق عليه السلام وتبلغ ٩٧ صفحة في بحار الأنوار في أقسام الآيات [3].

قال الأستاذ جعفر السبحاني: أورد في أوّل تفسيره (تفسير القمي) مختصراً من الروايات المبسوطة المسندة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين في بيان علوم القرآن، ثم إنّ محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، تلميذ ثقة الإسلام الكليني، مؤلّف كتاب «الغيبة» رواها بإسناده إلى الإمام، وجعلها مقدّمة تفسيره، وقد دوّنت تلك المقدّمة مفردة مع خطبة مختصرة وسميت «المحكم والمتشابه» وطبعت في ايران، وربّما نسبت إلى السيد المرتضى، وطبعت تلك المقدّمة

---

١. كلّيات في علم الرجال، للشيخ جعفر السبحاني: ٣١٠.

٢. تفسير القمّي ١: ٥.

٣. راجع: بحار الأنوار ٩٠: ١ ـ ٧١.

مع تفسير القمّي تارةً ومستقلّة أخرىٰ، وأوردها بتمامها العلّامة المجلسي في مجلّد القرآن من البحار [١].

التفسير لمن؟ التفسير منسوب إلى القمّي، ولكنّ الواقع على خلاف هذه النسبة؛ لأنّ التفسير من صنع تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى ابن جعفر عليه‌السلام، وهو تلفيق من إملاءات القمّي، وقسط وافر من تفسير أبي الجارود زياد بن المنذر السّرحوب المتوفّى سنة (١٥٠هـ) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام وهو رأس الجارودية من الزيدية، فما أورده أبو الفضل في هذا التفسير من أحاديث الإمام الباقر، فهو من طريق أبي الجارود، وما أورده من أحاديث الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام فمن طريق علي بن إبراهيم، وأضاف إليهما بأسانيد عن غير طريقهما، فهو مؤلّف ثلاثيّ المأخذ، وعلى أيّ حال فهو من صنع أبي الفضل [٢].

ومع الأسف ، إنّه لا يوجد لراوي التفسير (العباس بن محمد) ذكر في الأصول الرجاليّة،بل المذكور فيها، ترجمة والده المعرف بـ «محمد الأعرابي»، وجدّه «القاسم» فقط، فقد ترجم والده، الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الإمام الهادي عليه‌السلام بعنوان محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي [٣].

يقول الأستاذ معرفة: إضافة إلى هذا، أنّ الإسناد إليه مجهول، لم يعرف من الراوي لهذا التفسير عن أبي الفضل هذا؟ ومن ثَمّ فانتساب هذا التفسير إلى علي بن إبراهيم أمر مشهور لا مستند له، أمّا الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، فيروي

١ . كلّيات في علم الرجال: ٣١٢.

٢ . راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣٢٥.

٣ . كلّيات في علم الرجال: ٣١٢.

أحاديث التفسير عن شيخه علي بن إبراهيم من غير هذا التفسير، ولم نجد من المشايخ العظام من اعتمد هذا التفسير أو نقل منه [١].

منهجه: ولمعرفة منهجه يجب أن ننظر إلى الأمور التالية:

١ ـ من ناحية المصادر والمآخذ، ينقسم هذا التفسير إلى الأقسام التالية:

(أ) ما رواه علي بن إبراهيم بالإسناد إلى الإمام الصادق عليه السلام [٢].

(ب) ما رواه أبو الجارود بالإسناد إلى الإمام الباقر عليه السلام [٣].

(ج) ما روي عن لسان علي بن إبراهيم، ويقال: قال علي بن إبراهيم، من دون الإسناد إلى أحدٍ [٤].

(د) ما رواه أبو الفضل العبّاسي من غير طريق علي بن إبراهيم وأبي الجارود [٥].

فهذا التفسير رباعي المصدر.

٢ ـ التفسير في ذات نفسه لابأس به، يعتمد على ظواهر القرآن، ويجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ بإيجاز واختصار بديع، ويتعرّض لبعض مباحث اللغة والشواهد التاريخية لدى المناسبة أو اقتضاء الضّرورة [٦].

٣ ـ التفسير كأكثر التفاسير الروائية من الشيعة والسنّة، فيه خصوصيّتان: عدم الشموليّة، والضّعف في بعض الروايات التفسيرية، فلا يشمل كثيراً من آيات القرآن المجيد، وإن شمل جميع السور، ومن ناحية أخرى قد يشتمل على روايات ضعيفة

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣٢٦.

٢. راجع: تفسير القمّي ١: ٣٠٤.

٣. المصدر السابق: ٢٩٢.

٤. المصدر نفسه: ١٢٩ و٣١٧.

٥. المصدر نفسه ٢: ٣٥١.

٦. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣٢٧.

لايمكن الاعتماد عليها عقلاً ولا تأييدها نقلاً، فلأجل وجود الضّعف في السند والمتن، لابدّ من تمحيصها بعلمي الرجال والدّراية.

٤ـ كثير من التفاسير الروائيّة تشتمل على الإفراط والتفريط، وعلى الغلو والإنحراف عن مسير الحقّ والبرهان، وتفسير القمّي لايخلو من هذه الخصوصيّة، فهو مشتمل على بعض ما ينكره علماء الشيعة، فالقمّي يسلك في منهجه التفسيري، منهج التفسير بالمأثور كتفسير العيّاشي والصنعاني ونور الثقلين والدر المنثور، وهذه التفاسير تفتقد الاجتهاد والدّراية، وكأنّهم أرادوا جمع الروايات فحسب، وإن كان المروي مخالفاً لما هو الحقّ، أو يشتمل على ضعف في السّند أو المتن، فهدف المفسّرين الروائيين، جمع الروايات، وهذا لا يعني أنّهم كانوا يعتقدون بالمفاهيم الظاهرة من تلك الروايات جميعاً، فكم من مؤلّف همّه الجمع وغرضه الحفظ على المواريث الدينية.

وأنا أظن أنّ العلماءَ السابقين، لو وضعوا في قانون الكتابة منع تدوين الرواية الضعيفة، لم يبقَ إلى الآن من الآثار إلّا القليل، لأنّ كلّ شخص له رأي حول معيار ضعف الأحاديث وإسرائيليّتها، فلو ترك كلّ شخص حديثاً أو أحاديث لعلّة يراها، لم يكن عندنا الآن هذه الآثار القيّمة والروايات الصحيحة.

٥ ـ في بعض الروايات الموجودة في هذا التفسير، كبقية التفاسير النقليّة، نجد ذكر المصاديق لتفسير القرآن المجيد، وكما قلنا سابقاً: هذه العملية في الواقع لاتعدّ تفسيراً مفهوميّاً، بل يسمّى التفسير بالتشبيه والتمثيل أو ذكر المصداق، فهنا ننصح إخواننا الكرام من أهل السنّة، إذا نظروا إلى التفاسير الروائية لدى الشيعة، أن لايصدروا حكماً، إلّا بعد أن يلتفتوا إلى هذه النكتة المذكورة آنفاً التي يعترف به كبار علماء الشيعة، فلايعدّون ذكر المصداق تفسيراً مفهوميّاً للآيات الكريمة.

النموذج الخامس
الدر المنثور في التفسير بالمأثور

ليس لهذا التفسير إلّا اسم واحد وهو: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ولهذا الاسم أشار المصنف في مقدّمة تفسيره [١].

والمؤلّف: هو جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمان بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصرالدين محمدبن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي، انحدر من أسرة كان مقرّها مدينة أسيوط، قيل: كانت الأسرة من أصل فارسي، وكانت تعيش في بغداد، ثم ارتحلت إلى مصر [٢].

ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة(٨٤٩ هـ) وتوفي في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة(٩١١ هـ) إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس [٣]. وتوفّي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر.

قال الزركلي في شأنه وتعريفه: إمام حافظ مؤرّخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنَّف، منها: الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة.

ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعاً كأن لايعرف أحداً منهم،فألّف أكثر كتبه، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردّها، وطلبه السلطان مراراً

---

١. الدر المنثور ١: ٩.

٢. راجع: مقدّمة تفسير الدر المنثور ١: ٣، والتفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣ـ ٣٣٢.

٣. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٢٥١ ـ ٢٥٢.

فلم يحضر إليه، وبقي على ذلك إلى أن توفي [١].

قال الذهبي: شهرة مؤلّفاته تغني عن ذكرها، فقد اشتهرت شرقاً وغرباً ورزقت قبول الناس، وكان السيوطي ﷺ آية في سرعة التأليف، حتى قال تلميذه الداودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحدٍ ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً. وكان أعـلم زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالاً، وغريباً، ومتناً وسنداً، واستنباطاً للأحكام، ولقد أخبر عن نفسه بأنّه يحفظ مائتي ألف حديث قال: لو وجدت أكثر لحفظت [٢].

عرّف الجلال السيوطي تفسيره والعلّة الباعثة على تأليفه فقال في الإتقان: وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف، وقد تمّ ولله الحمد في أربع مجلّدات، وسمّيته «ترجمان القرآن»، ورأيت وأنا في أثناء تصنيفه النبي ﷺ في المنام في قصّة طويلة تحتوي على بشارة حسنةٍ [٣].

ويقول في مقدمة تفسير «الدر المنثور»: فما ألّفت كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وتمّ بحمد الله في مجلّدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرّج منها واردات (أي: طرقاً كثيرة)، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخّصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدّراً بالعزو والتخريج إلى كلّ كتاب معتبر [٤].

هذا التفسير، يشتمل على أكثر من عشرة آلاف حديث، كما أشير إليه، فهو أجمع

---

١. الأعلام، للزركلي ٣: ٣٠١.

٢. راجع: التفسير والمفسّرون ١: ٢٥٢.

٣. الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٢٢، النوع الثامن والسبعون.

٤. تفسير الدر المنثور ١: ٩.

تفسير روائي بين أهل السنّة. فقد أتعب نفسه وتحمّل كثيراً من المشقّة لجمع هذه الروايات وذكر الراوي الأول مع ذكر المصادر، فلهذا صار هذا التفسير ممتازاً وفريداً بين التفاسير الروائية ومرجعاً للمفسّرين.

منهجه: نفهم منهجه التفسيري من خلال أمور ثلاثة:

(أ) الأحاديث الموجودة في هذا التفسير، ككثير من التفاسير الأثريّة ليست منحصرة بتفسير الآيات، ويمكن تنويع الرّوايات الموجودة فيه كما يلي:

١ ـ روايات وردت بشأن نزول الآيات وإن لم تشتمل على تفسيرها.

٢ ـ روايات تدلّ على فضل القراءة.

٣ ـ روايات حول خواصّ الآيات وآثارها.

٤ ـ الروايات التفسيرية.

٥ ـ الروايات الجانبيّة التي تتعلّق بالآية تعلّقاً مّا، وإن لم تدخل في الأقسام السابقة.

(ب) ومن جانب آخر، اكتفى المؤلّف بنقل الروايات فحسب، دون أيّ توضيح أو نقد لها؛ لأنّه أراد جمع كلّ الروايات التفسيرية، فاشتمل تفسيره على الأعاجيب والإسرائيليّات، ممّا لايقبله العقل ولايؤيّده الشرع، فحينما ننظر إلى ما رواه في قصّة هاروت وماروت، وقصّة الذبيح، وقصة يوسف، خصوصاً كيفيّة إبائه ما دعته إليه زليخا، وكذلك قصة داود وسليمان وإلياس، وغير ذلك من القصص الروائيّة، نرى الأكاذيب والروايات الموضوعة بكثرة. فلابدّ لمن يراجع هذا التفسير، أن يتعامل معه بمثل ما يتعامل مع كلّ الروايات المشكوكة الصدور.

(ج) كما أشرنا سابقاً، أراد السيوطي أن يجمع كلّ الروايات التفسيرية، فهناك سؤال: هل يشتمل تفسيره على جميع الروايات التفسيرية؟ وهل يشتمل تفسيره على جميع الروايات المرويّة في فضائل أهل بيت الرسول ﷺ؟

وفي الإجابة نقول: هذا التفسير من أشمل التفاسير الروائيّة لأهل السنّة، ولكن مع الأسف، لم يشتمل تفسيره على كلّ الروايات، فإنّنا نجد في كتب أخرى روايات لانجدها في الدر المنثور. فعلى سبيل المثال: نجد في الكشف والبيان، ذكر سبب نزول آية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه...﴾ [١] وأنّها نزلت في شأن علي عليه السلام بروايتين مختلفتين، ولكنّ السيوطي لم يذكرهما [٢].

النموذج السادس
تفسير نور الثقلين

لهذا التفسير اسم واحد، وهو (نور الثقلين)، والمؤلّف هو الذي سمّاه بهذا الاسم، فقال: وسمّيته نور الثقلين راجياً مطابقته للمعنى [٣].

أقول: زيادة كلمة «التفسير» على «نور الثقلين» في عنوان هذا التأليف، لعلّها حدثت من الآخرين، كما هي الحال في تفاسير أخرى خالية من كلمة «التفسير» في أساميها، ليدلّ الاسم على المحتوى ويفهم القارئ ـ بمجرد رؤية اسم الكتاب ـ أنّه تفسير لا غير [٤].

---

١. البقرة: ٢٠٧.

٢. راجع: الكشف والبيان ٢: ١٢٤، ذيل الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

٣. تفسير نور الثقلين ١: ٣.

٤. سمّى الحويزي تفسيره بنور الثقلين بناءً على ما يستفاد من الحديث المشهور لدى المدرستين:

ففي صحيح مسلم يرفعه إلى زيد بن حسان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سمرة وعمر بن مسلم إلى زيد ابن أرقم، قال: فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد تلقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت معه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من

←

والمؤلّف: هو عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي من محدّثي القرن الحادي عشر. ولد في مدينة الحويزة من المدن الصغيرة في إقليم خوزستان قرب الأهواز باثني عشر فرسخاً [١]، الواقعة في جنوب إيران، ويكتبونها باللغة الفارسيّة «هويزه»، ولأجل ذلك يقال له: الحويزي. معاصر لكبار المحدّثين مثل البحراني والحر العاملي [٢]. يقال: إنّه كان على مشرب الأخباريّة [٣].

لم يذكر أصحاب التراجم والرجال، تاريخ ولادته وأحوال حياته، وإنّما ذكروا أنّه ذهب إلى مدينة شيراز، وبقي هناك وتوفي سنة ١١١٢هـ [٤].

قال الشيخ الحر العاملي: الشيخ الجليل عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي

← رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلّفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعىٰ خمّاً فيما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وذكّر، ثم قال: «أما بعد أيّها الناس فإنّما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وإنّي تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه النور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي، اذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، فقال حصين: ومن أهل بيته، أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهل بيته من حرم الصدقة بعده. راجع: صحيح مسلم ٧: ١٢٣، باب فضائل عليّ عليه السلام.

١. راجع: لغت نامه دهخدا ٦: ٩٢٤١، حرف الحاء.

٢. لم نجد دليلاً على كونه على مذهب الأخبارية، ولايدلّ كتابه على ذلك. إذ كان همّه جمع الروايات دون نقد ونظر، ولم يكن هدفه تصحيح الروايات وتمحيصها؛ فإنّ هذا عمل آخر يحتاج إلى عُدّة وعِدّة وإمكانات خاصّة، ربما لم تكن متوفّرة للمصنّف.

إضافة إلى ما ذكر، يلوح من ظاهر كلام المؤلف أنّه لم يكن أخبارياً؛ لأنّه قبل التفسير الاجتهادي؛ إذ يذكر أنواعاً من التفاسير ولايردّها قال: أحببت أن أضيف إلى بعض آيات الكتاب المبين شيئاً من آثار أهل الذكر. (راجع: مقدمة تفسيره).

٣. راجع: التفسير والمفسّرون ٢: ٣٢٩.

٤. راجع: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤: ٣٦٥، رقم ١٩٦٧.

ساكن شيراز، كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، محدّثاً، ورعاً، شاعراً، أديباً، جامعاً للعلوم والفنون، معاصراً، له نور الثقلين في تفسير القرآن، أربع مجلّدات أحسن فيه وأجاد، نقل فيه أحاديث النبي والأئمة عليهم السلام في تفسير الآيات من أكثر كتب الحديث، ولم ينقل فيه عن غيرهم، وقد رأيته بخطّه واستكتبته منه، وله شرح لاميّة العجم، وله شرح شواهد المغني أيضاً لم يتمّ، وغير ذلك [١].

ويقول العلّامة الطباطبائي:... الفقيه المحدّث البارع الشيخ عبد علي الحويزي، ثم الشيرازي قدس الله نفسه وروّح الله رمسه، الذي جاد به عصر أساطين الحديث وجهابذة الرواية وهو النصف الأخير من القرن الحادي عشر من الهجرة تقريباً، سمح بمثل مولانا المجلسي صاحب البحار، ومولانا الفيض صاحب الوافي، وشيخنا الحرّ العاملي صاحب الوسائل، وسيدنا السيد هاشم البحراني صاحب البرهان، رضوان الله عليهم أجمعين [٢].

وفي الأعيان: في رياض العلماء: الشيخ الجليل عبد علي بن جمعة العروسي منتمىً الحويزي مولداً، نزيل شيراز، الفاضل العالم المحدّث المعروف [٣].

يعدّ هذا التفسير من أحسن المجاميع الروائية في تفسير القرآن، لم يسبقه أحد في الشيعة، ولم يأتِ بمثله مفسّر إمامي، فالمؤلّف أتىٰ بروايات كثيرة تبلغ أكثر من ثلاثة عشر ألف حديث، مؤلَّف في خمس مجلّدات، فجمع فيه ما يحتاج إليه كلّ مفسّر في تفسيره، وجعل أمر التحقيق سهلاً لأهل التحقيق والتفسير.

استفاد المؤلّف من ثلاثة وأربعين مصدراً روائيّاً شيعيّاً، ولكنّ هذا لايعني أنّ

---

١. معجم رجال الشيعة، للخوئي ١٠: ٥١، رقم ٦٥٨٣.

٢. تفسير نور الثقلين ١: ج.

٣. أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٢٩، حرف ع.

تفسيره جامع لجميع الروايات التفسيرية، كما يشهد بهذا ما روي في تفسير البرهان من الروايات غير الموجودة في نور الثقلين، كما أنّ الحويزي أحياناً يقطّع الروايات التفسيرية، ولكنّها مذكورة كاملة في الكتب الأخرى مثل ما ورد في تفسير البرهان من كلام الرسول ﷺ مع علي عليه السلام بعد نزول سورة النصر، فإنّ تمام الرواية موجود في البرهان، ولكن هي مقطوعة في نور الثقلين [1]. كما أنّه لم يذكر حديثاً من بعض المصادر المهمة الشيعية مثل أمالي المفيد وغيره.

منهجه: منهجه بشكل عام، هو منهج الأخباريين في ذكر الروايات، وإن لم يكن أخباريّاً في الاعتقاد، ولم يشتمل كتابه على شرح وبيان أو نقد ونظر أو إبداع منهج خاص في ذكر الروايات والآثار، ولكي نتعرّف منهجه أكثر، نذكر هنا بعض الأمور بما فيه تبصرة للعموم وفائدة لمن يستفيد من هذا الكتاب:

١ ـ هدف المؤلّف من هذا التأليف، هو جمع روايات التفسير فقط، إذ يقول في مقدمته: إنّي لما رأيت خَدَمة كتاب الله والمقتبسين من أنوار وحي الله، سلكوا مسالك مختلفة، فمنهم من اقتصر على ذكر عربيّته ومعاني ألفاظه، ومنهم من اقتصر على بيان التراكيب النحويّة، ومنهم من اقتصر على استخراج المسائل الصرفيّة، ومنهم: من استفرغ وسعه فيما يتعلّق بالإعراب والتصريف، ومنهم من استكثر من علم اللغة واشتقاق الألفاظ، ومنهم من صرف همّته إلى ما يتعلّق بالمعاني الكلاميّة، ومنهم من قرن بين فنون عديدة.

أحببت أن أضيف إلى بعض آيات الكتاب المبين شيئاً من آثار أهل الذكر المنتجبين، ما يكون مبدياً بشموس بعض التنزيل، وكاشفاً عن أسرار بعض التأويل،

---

١ . راجع: تفسير البرهان ٤: ٥١٧، ح ١ من سورة النصر، وراجع أيضاً: تفسير نور الثقلين ٥: ٦٩، ح ٩، ذيل سورة النصر.

وأمّا ما نقلت ممّا ظاهره مخالف لإجماع الطائفة المحقّة، فلم أقصد به بيان اعتقاد ولا عمل، وإنّما أوردته ليعلم الناظر المطّلع كيف نقل وعمّن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرجه من ذلك، مع أنّي لم أُخل موضعاً من تلك المواضع عن نقل ما يضادّه ويكون عليه المعوّل في الكشف والإبداء [1].

٢ ـ الأحاديث الموجودة في الكتاب تنقسم إلى الأقسام التالية:

(أ) الأحاديث التي لم تتعلّق بآي القرآن، بل الرسول ﷺ أو الأئمة ذكروها في مجالات أخرى ولأهداف غير تفسيريّة، ولكن لما وجد بينها وبين الآيات ارتباطاً في المضمون، ذكرها فيه، مثل الرواية ٧٧ في تفسير سورة لقمان وغيرها.

(ب) الأحاديث الدالّة على فضائل السور والآيات وخواصّهما.

(ج) روايات دالّة على أهميّة بعض الآيات وعظمتها، مثل رقم ١٤ من الأعلى.

(د) روايات حول قراءة بعض الآيات مثل رقم ١٦ من سورة الأعلى.

(هـ) روايات من أهل السنّة وردت في تفسيره عن طريق بعض مصادره، مثل مجمع البيان وغيره، فعلى سبيل المثال: الرواية الثانية في تفسير سورة الكوثر المنقولة عن مجمع البيان، أصلها من كتب أهل السنّة، ومن أجل هذا نرى روايات منقولة عن غير المعصوم في هذا التفسير.

(و) عبارات مشتملة على روايات منقولة عن كتب أخرى، مثل مجمع البيان، فهو في سورة الكوثر، ينقل كلام الطبرسي في تفسير السورة.

(ز) روايات سبب النزول، وهذا القسم ينقسم إلى قسمين: قسم فيه نوع تفسير للآيات، ويكشف القناع عن وجهها، وقسم آخر لايفسّرها ولايوضحها.

(ح) الروايات التفسيرية التي تكون بصدد البيان للآيات وتفسير مجملاتها

---

١. تفسير نور الثقلين ١: ٢.

وتأويل متشابهاتها، وكثير من الروايات الموجودة في هذا القسم تعدّ من باب ذكر المصداق للآيات ولاتعدّ من التفسير، وهذه الخصوصيّة منتشرة بكثرة في التفاسير الروائية للشيعة والسنّة.

٣ ـ لايمكن الاعتماد على هذا التفسير إلّا بعد ملاحظة الإسناد والمتن، كما هو شأن جميع التفاسير الروائية، وذلك لما يلي:

(أ) الضعف في السند، والدليل على هذا الضعف أمور كثيرة من جملتها:

ـ نقل الروايات من المصادر الضعيفة أحياناً، مثل تفسير القمّي، مقتل أبي مخنف، و...

ـ نقل العبارات من نفس المفسّرين وغير المعصومين، كما نقله عن الطبرسي وعن التابعين وتابعي التابعين، وهذه المصادر ليست حجّة لدى الإماميّة.

ـ حذف الإسناد في بعض الروايات، فبعد الحذف، لايمكن الاعتماد عليها إلّا أن نجد الأصل، فيكون هو المعتمد.

(ب) الضعف في المتن.

قد نجد القوّة في السند، ولكنّ المتن والمضمون، ليس مقبولاً لدى الشرع والعقل، فلايعتمد على الرواية؛ لأنّه يمكن الدسّ في نفس الإسناد في هذه الروايات، وتفسير نور الثقلين أيضاً مشتمل على بعض هذه الروايات، مثل روايات تعارض عصمة الأنبياء، أو مقام الأئمة المعصومين، أو ما لايكون مقبولاً لدى العقل السليم.

وفي الخاتمة نذكر ثلاث مسائل:

١ ـ الروايات الضعيفة تنقسم قسمين: أمّا روايات لاتتناسب مع الدين ومخالفة للقرآن المجيد، فهذه لابدّ من حذفها من المجاميع الروائيّة والمنع من تكرارها في الكتب، وأمّا ضعيفة دون هذه الخصوصيّة، فكتابتها في المجاميع الروائية لا تعدّ من القبائح.

٢ ـ مراعاة قواعد القبول والردّ المضمونيّة والسنديّة، واجبة عند مواجهتنا لهذه

التفاسير كما أشرنا إلى ذلك أكثر من مرّة.

٣ ـ الحويزي نفسُه أعلن أنّ تفسيره مشتمل على الغثّ والسمين، وأنّ هدفه جمع كلّ الروايات التفسيرية، لكي يسهل الطريق أمامَ أصحاب التحقيق.

النموذج السابع
تفسير الطبري

لهذا التفسير، ثلاثة أسماء:

أ ـ تفسير الطبري، من باب تسمية الأثر باسم المؤثّر.

ب ـ جامع البيان في تفسير القرآن، وهذا الاسم مكتوب على بعض طبعاته.

ج ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وهذا الاسم ذكر في كتاب تاريخ الأمم والملوك تأليف الطبري، وفي الحقيقة أنّ المؤلّف سمّىٰ تفسيره بهذا الاسم فقط [١]، كما نجده على بعض طبعاته أيضاً.

قيل: إنّ الطبري استعمل كلمة «التأويل» في اسم كتابه؛ لأنّه يريد بالتأويل درجة بعد التفسير، خلافاً لقول بعض العلماء إنّ التفسير والتأويل مترادفان، بينما يرى أكثر المتأخّرين، أنّ التفسير بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، أو أنّه يرجع إلى معرفة المعنى بالنقل والرواية، وأنّ التأويل بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة، أو: أنّه معرفة المعنى بالاجتهاد والاستنباط والرأي، وترجيح محتملات اللفظ، والاستدلال على ذلك بالأدلّة المختلفة العقليّة والنقليّة والتاريخيّة واللغويّة، واستنباط الأحكام وتحديد العقيدة، وبيان المراد من النصّ، وهذا ما أراده الطبري ﵀، فالتفسير عنده مقدّمة للتأويل [٢].

---

١ . أُنظر إلى: يادنامه طبرى: ٧١.

٢ . الإمام الطبري، للدكتور محمد الزحيلي: ١٠١.

ولكن لإثبات صحّة هذا المقال، لابدّ أن ننظر إلى نفس جامع البيان، فنرى فيه أ نّه يفسّر التأويل بالتفسير، فيقول: ومعنى التأويل في كلام العرب: التفسير، وأيضاً يفسّر جملة (وما يعلم تأويله إلّا الله)، ويقول: وما يعلم وقت قيام الساعة، وكلّ ما هو كائن إلّا الله [١].

فحينما نلاحظ ما ذكرناه آنفاً، ونلاحظ أ نّه يقسّم التفسير إلى ثلاثة أقسام، ويجعل قسماً منها: ما اختصّ الله وحده بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، كوقت قيام الساعة [٢]، يمكن القول بأنّ التفسير والتأويل عنده بمنزله سواء.

ولكن بما أنّ منهجه روائي ومختلط بالقليل من الاجتهاد، وفي ذلك الوقت لم تكن المناهج الأخرى مقبولة لدى الكثيرين، وأراد أن يذكر في تفسيره، آراء أخرى غير ما سلكه من كان قبله من المفسّرين بهذا المنهج، واستفاد من العقل والسياق، ومن الأشعار والمفردات العربية، فرأىٰ أنّ التأويل أنسب لقبول الآخرين، وأقوى لسكوت المخالفين، فلايخالفونه بعد ما سمّى تفسيره بالتأويل، الاسم الذي لاينسب المعنى إلى الله في ظاهر العبارة، ويجعل المفسّر في وسع وفراغ ممّا جرى بين الخواصّ والعوام، كما أنّ ابن عربي يذكر علّة استعمال لفظة التأويل من قبل الإشاريين بنفس الأسلوب.

ومؤلّف: هذا التفسير هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد في مدينة آمل، من المدن الإيرانية الواقعة في شمالها قرب بحر قزوين، سنة ٢٢٤ هـ، ورحل إلى بلدان، وزار مصر والشام والعراق، وأخيراً استقرّ ببغداد، وبقي بها إلى أن مات سنة عشر وثلاثمائة، ودفن في داره ليلاً، قال ياقوت الحموي:

---

١. تفسير الطبري ٢: ٢١٤، ذيل الآية ٧ من سورة آل عمران.

٢. تفسير الطبري ١: ٤٠، مقدّمته لتفسيره.

ودفن ليلاً خوفاً من العامّة، لأنّه كان يتّهم بالتشيّع [١].

وبمناسبة الذكرىٰ السنويّة لوفاته سنة ١٤١٠ من ذي الحجة (بعد مضي ألف ومائة سنة من وفاته) أقيمت حفلة علمية عظيمة في ايران بأمر من رئيس الجمهورية الإسلامية آنذاك «الشيخ الرفسنجاني» (مؤلف تفسير «راهنما» في عشرين جزءاً)، وحضرها كثير من العلماء أكثرهم من الشيعة، وتكلّموا على حياته وآثاره من دون أيّ تعصّب وعناد، وجهالة وشقاق، فبيّنوا فضائله العلميّة وثمراته الكبيرة، مع نقد في جنبها، بما يناسب المحافل العلميّة.

وكانت نتيجة هذا المؤتمر العظيم: عدة كتب ومقالات تفيد من أراد الاطلاع على الطبري وآرائه ومناهجه في التفسير والتاريخ وغيرها من العلوم الأخرىٰ.

وأمّا مذهب الطبري، فقد كان ابتداءً على مذهب الشافعية؛ لأنّه درسه ودرّسه وأفتى به، ولكنّه صار مجتهداً، بل كان من كبار أئمة الاجتهاد [٢]، وعلى الرغم من إدّعاء بعض الشافعية أنّه من حزبهم، إلّا أنّ الصواب أنّه مجتهد مطلق، وله مذهب مستقلّ، ولكن لم يأتِ بمذهب جديد كبقية المذاهب الفقهيّة أو الكلاميّة، ومن ثم، لانجد طلابه داخلين في مذهب جديد، وإن سمّوا بالجريريين، ولكنّ هذه النسبة، نشأت بواسطة علاقة تعليمية وتربوية ومنهجية جديدة، فلا تكون علامة لمذهب جديد.

في ميزان الاعتدال: محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسّر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة،... ثقة صادق، فيه تشيّع يسير، وموالاة لاتضرّ... من كبار أئمة الإسلام [٣].

---

١. معجم الأدباء ١٨: ٤٠.

٢. راجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٤: ٢٦٩.

٣. ميزان الاعتدال، للذهبي ٣: ٤٩١، حرف الميم.

وفي الإتقان: أجلّ التفاسير وأعظمها... فإنّه يتعرّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين [١].

ويقول السيوطي أيضاً: فإن قلت: فأيّ التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعوّل عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، الذي أجمع المعتبرون على أ نّه لم يؤلَّف في التفسير مثله، قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنّف أحد مثله [٢].

وفي طبقات المفسّرين للداودي: قال الخطيب أبو بكر: (ابن جرير) أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيّام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في «تاريخ الأمم والملوك»، وكتاب التفسير الذي لم يصنّف أحد مثله، وكتاب «تهذيب الآثار» لم أر سواه في معناه، إلّا أ نّه لم يُتمّه، وكتاب حسن في القراءات سمّاه «الجامع»، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرّد بمسائل حفظت عنه.

وبلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الأسفرايني قال: لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير، لم يكن ذلك كثيراً.

وسمعت علي بن عبيدالله بن عبدالغفار اللغوي، يحكي أنّ محمد بن جرير مكث

---

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٤: ٢٤٢٧، النوع الثمانون.

٢. المصدر السابق: ٢٤٤.

أربعين سنةً، يكتب في كلّ يوم منها أربعين ورقة [١].

ويعتبر تفسير الطبري مرجعاً لجميع التفاسير التي كتبت بعده، خصوصاً للذين عنوا بالتفسير النقلي، ويقع في ثلاثين جزءً من الحجم الكبير، وقد كان هذا الكتاب من عهد قريب يكاد يعتبر مفقوداً لا وجود له، ولكنّ الله قدّره موجوداً متناولاً للناس، فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق والغرب أن وجدت في حيازة أمير (حائل) الأمير حمود ابن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة من الكتاب [٢]، ويشتمل على ٢٩٦٨٤ حديثاً [٣].

ويقول الذهبي أيضاً: ويظهر ممّا بأيدينا من المراجع: أنّ هذا التفسير كان أوسع ممّا هو عليه اليوم، ثمّ اختصره مؤلّفه إلى هذا القدر الذي هو عليه الآن، كما أنّ كتابه في التاريخ ظفر بمثل هذا البسط والاختصار، فابن السبكي يذكر في طبقاته الكبرى أنّ أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ربما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة [٤].

أقول: النسخة الموجودة لدينا الآن، تصل إلى ١٥ مجلداً، فإذا كان هذا عُشر ما كتبه الطبري أوّلاً، فهذا يعني: أنّ ما كتبه ابتداءً يصل إلى ١٥٠ جلداً، وهذا بعيد جداً، فربما يستفاد من كلامه: أنّ ذلك السؤال كان قبل أن يبدأ بالتفسير، وكأ نّه أراد أن

---

١. طبقات المفسّرين، للداودي ٢: ١١٢ ـ ١١٣.

٢. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٣. أُنظر إلى الصفحة الأخيرة من تفسيره بتحقيق صدقي جميل العطّار، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وفي هذه الطبعة جعل لكلّ حديث رقماً، ولكن هناك كثير من الآثار والأحاديث لم يذكر له رقماً مثل الحديث الموجود في الصفحة الأخيرة من هذه الطبعة عن ابن عباس، فإنّه لا رقم له.

٤. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٢٠٩.

يذكر عظمة القرآن وسعة تفسيره أولاً، وأ نّه يقدّر تأليف تفسير كبير بذلك المقدار إن أمكنته الأيام، ولكنّه جمع ما عنده في مختصر أو كان عنده عدّة من الطلاب الأفاضل، وهؤلاء كانوا يساعدونه في جمع كلّ ما يتعلّق بالدين ويمكن إدراجه في تـفسير القرآن المجيد، وكان هو مشرفاً عليهم، وعلى كلّ حال فالله هو العالم بحقيقة الحال.

منهجه: نقدّم أموراً لكي نفهم منهجه في التفسير:

أ ـ أهميّة هذا التفسير

يعدّ تفسير الطبري أمّ التفاسير لأهل السنّة؛ لأنّه نهضة اجتهاديّة في علم التفسير لديهم، وأدخله في مرحلة جديدة واسعة، صارت لمن يأتي بعده نموذجاً وأسوة، فإنّ أكثر المفسّرين الذين عاشوا قبله، جمعوا الروايات التفسيرية فقط دون زيادة ونقد وشرح وبيان، ولكنّ الطبري، ذكر الروايات لتفسير الآيات، وجاء بأمرين كانا جديدين في ما يتعلّق بتفسير القرآن، فهو أولاً ذكر الترجيح بين الروايات، وثانياً: أدخل في تفسير كلام الله غير الروايات، فهو يعدّ أوّل من استفاد من مصادر أخرى مثل، القرآن، العقل، اللغة، الأدب، الأشعار وغيرها.

ب ـ أسلوب بيانه

إنّه يذكر الآية أوّلاً، ثم يعقبها بتفسير غريب اللغة فيها، أو إعراب مشكـلها إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وكثيراً ما يستشهد بأشعار العرب، وبعد ذلك يبدأ بـتأويل الآية، أي: تفسيرها على الوجه الراجح، فيأتي بحديث أو قول مأثور، إن كان هناك رأي واحد، أمّا إذا ازدحمت الأقوال وتكثرت الآراء، فعند ذلك يذكر كلّ تأويل على حده، وربما رجّح عند تضارب الآراء أحدَها، ويأتي بمرجّحاته، إن لغةً أو اعتباراً، وربّما فصّل الكلام في اللغة والإعراب، واستشهد بالشعر والأدب.

ج ـ اهتمامه بالقراءات

كثيراً ما يعرض اختلاف القرّاء في القراءات القرآنية ، وقد يذكر رأيه ، وأحياناً يجمع بين الأقوال في موارد الإختلاف ، كما يؤيّد رأي الجمهور في مقابل القراءات الشاذة بكثرة، وإذا رأى القراءتين مشهورتين، يجعل الخيار فيها . كما يقول : واختلف القرّاء في قراءة قوله« والوتر »[١] فقراءة عامّة قراء المدينة ومكّة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة بكسر الواو، والصواب من القول في ذلك: أنّهما قراءتان مستفيضتان معروفتان في قراءة الأمصار ، ولغتان مشهورتان في العرب، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[٢].

د ـ مصادر الطبري في التفسير

ممّا يساعدنا على معرفة المنهج التفسيري للطبري، هو معرفة مصادره التفسيرية، فنقول: أصحّ الطرق وأوضحها لتفسير القرآن عنده هو التفسير الروائي، كما أشار إليه في مقدمة تفسيره حينما تكلّم على أقرب المفسّرين إلى إصابة الحقّ في التفسير.

لكن بما أنّ تفسيره من التفاسير الروائية المشتملة على دقائق وعلوم إضافة إلى ذكر الروايات الكثيرة، فنرى أنّه استفاد في التفسير من المصادر الأخرى مثل:

١ ـ القرآن وتفسير الآيات بالآيات الأخرىٰ، مثل تفسير ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٣] بواسطة الآية ٢٣ من الجاثية.

وكذلك تفسير الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[٤] بواسطة الآية ﴿جَعَلَ

١ . الفجر: ٣.

٢ . تفسير الطبري ١٥: ٢١٦، ذيل الآية ٣ من سورة الفجر.

٣ . المصدر السابق ١: ١٠١، ذيل الآية ٧ من سورة البقرة.

٤ . البقرة: ١٨٧.

لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاساً﴾ [١]

٢ ـ العلوم العربية، فهو يقول: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك (مواقع النجوم) فقال بعضهم: معناه: فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجوماً متفرّقة، وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم، وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم، وقال آخرون: بل معنى ذلك: بانتشار النجوم عند قيام الساعة.

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بـمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وذلك أنّ المواقع جمع موقع، والموقع المفعل، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك [٢].

٣ ـ سياق الكلام، حين تفسير ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [٣] يقول: معناه فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربّه، لأنّ افتتاح الكلام جرى في أوّل السورة بالخبر عن رسول الله ﷺ وعن جبريل ﷺ وقوله: فأوحى إلى عبده ما أوحى، في سياق ذلك، ولم يأتِ ما يدلّ على انصراف الخبر عنهما [٤].

وأيضاً عند تفسير الآية: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللهِ﴾ [٥] يقول: وفي قوله: «تجدوه» كلمة مقدّرة، أي: تجدوا ثواب الخير عند الله، وقد حذفت كلمة (ثواب) من الجملة؛ لاستغناء السامع عنها، بدلالة ظاهر السياق عليها [٦].

---

١ . الفرقان: ٤٧.

٢ . تفسير الطبري ٧: ٢١٣، ذيل الآية ٨٠ من سورة الواقعة.

٣ . النجم: ١٠.

٤ . تفسير الطبري ٧: ١٤٥، ذيل الآية ١٠ من سورة النجم.

٥ . البقرة: ١١٠.

٦ . تفسير الطبري ١: ٤٠١، ذيل الآية ١١٠ من سورة البقرة.

٤ ـ ظهور الكلام العرفي، فالطبري في تفسير قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [١] يقول : اختلف أهل الرواية في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه، ولو اعتذر بالقول ممّا قد أتى من المآثم وركب من المعاصي وجادل بالباطل، وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل للانسان على نفسه من نفسه بصيرة ولو تجرّد، وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو أرخى السّتور وأغلق الباب، وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو ألقى معاذيره لم تقبل، وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معناه: ولو اعتذر؛ لأنّ ذلك أشبه بظاهر التنزيل [٢].

٥ ـ الشعر العربي، قد أكثر الطبري من الاستشهاد بالأشعار العربية لتفسير آيات القرآن والمفردات غير الواضحة، حتى قيل: إنّ تفسيره يعدّ ديواناً شعرياً ومرجعاً للباحثين في ألفاظ القرآن. وإليك نماذج قليلة ممّا ذكره:

(أ) تفسير قاسط بالظالم بواسطة الشعر، ذيل الآية ١٥ من سوة الجن.

(ب) تفسير قمطريراً بالتشديد بواسطة الشعر، ذيل الآية ١٠ من سورة الإنسان.

(ج) تفسير كلمة أزفت،بـ (دنت واقتربت)، ذيل الآية ٥٧ من سورة النجم.

(د) تفسير كلمة قضينابـ (أعلمنا) بواسطة الشعر، ذيل الآية ١١٧ من سورة البقرة.

٦ ـ الاجتهاد العقلي، تارة نجد الطبري يفسّر آية من دون أن يستفيد من المصادر السابقة، بل هو ينتفع باجتهاداته الشخصيّة، على سبيل المثال حين تفسيره لآية ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [٣] فهو يعتقد بأنّه: خصّ الوجه بالذكر دون سائر

---

١. القيامة: ١٥.

٢. تفسير الطبري ٧: ٤١٢، ذيل الآية ١٥ من سورة القيامة.

٣. البقرة: ١١٢.

الجوارح؛ لأنّ الوجه هو أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه، وهو أعظمها على ابن آدم حرمة وحقّاً، فإن خضع وجهه لشيء، كان خضوع باقي الجوارح من باب أولىٰ، فالمراد بالوجه هنا، نفس الإنسان وبدنه كلّه [١].

٧ ـ الإجماع، عندما يفسّر آية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [٢]، ويذكر الاحتمالين أو التأويلين في المراد من المفسدين في الأرض، وهما: الذين لم يأتوا بعد، والمنافقون الذين جاؤا وكانوا موجودين زمن النبي ﷺ. يقول الطبري: وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال...: نزلت في المنافقين... وإنّما قلنا: أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا؛ لإجماع الحجّة من أهل التأويل [٣].

هـ ـ تفسير الطبري كبقية التفاسير الروائية، لم يخل من الإسرائيليّات والمجاهيل والضعاف، وهذا التفسير مشتمل على ٢٩٦٨٤ حديثاً، فمن المتوقّع أن لايختلف عن بقية التفاسير الروائية فيالاشتمال على الروايات الضعيفة. يقول الذهبي: ثم إنّنا نجد ابن جرير يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبّه، وابن جريج والسّدي وغيرهم... وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليّات، ولعلّ هذا راجع إلى ما تأثّر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة، وإذا كان ابن جرير يتعقّب كثيراً من هذه الروايات بالنقد، فتفسيره لايزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل، احتياج كثير من كتب التفسير التي اشتملت على الموضوع والقصص الاسرائيلي، على أنّ ابن جرير ـ كماقدمنا ـ قد ذكر لنا السند بتمامه في كلّ رواية يرويها، وبذلك يكون

---

١. راجع: تفسير الطبري: ٤٠٤، ذيل الآية ١١٢ من سورة البقرة.

٢. البقرة: ١١.

٣. تفسير الطبري ١: ١٨٢ ـ ١٨٣، ذيل الآية ١١ من سورة البقرة.

قد خرج من العهدة، وعلينا نحن أن ننظر في السند ونتفقّد الروايات [١].

ز ـ الإنسان حتىٰ لو بلغ مرحلة من كماله العلمي، لايكون معصوماً من الخطأ في الفكر، وبالتبع لايكون محفوظاً من النقد والإشكال.

فنقول: تفسير الطبري حقّاً من التفاسير المهمّة، ويعدّ نهضة علميّة عميقة لأهل السنّة في مسيرة التفسير، ولكن هناك ملاحظات ترد عليه نقتصر على اثنتين:

١ ـ مع أنّ الطبري ذكر أكثر من ٢٩٦٨٤ حديثاً في تفسيره، ولكن مع الأسف نجد تفسيره، أحياناً خالياً من روايات في فضائل أهل البيت، ولم يذكر الروايات المذكورة في التفاسير الأخرى، مثلاً حينما يذكر تفسير آية المودّة ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٢] لايذكر الروايات الموجودة في التفاسير الأخرى، ففي الكشاف: «روي أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما» [٣]

وحينما ذكر آية الإكمال [٤] لم يتعرّض لحديث الغدير، رغم ما قيل من أنّه صنّف حول الغدير وفضائل علي عليه السلام كتاباً مستقلاً.

٢ ـ حينما نجد الإسرائيليّات والروايات الضعيفة في التفاسير الروائية المحضة، يمكن الإغضاء عن نقد مؤلّفها، ولكن المتوقّع من الطبري الذي يعدّ أباً للتفسير كما يعدّ أباً للتاريخ الإسلامي أن لا يذكر روايات مخالفة للأصول الدينيّة الصحيحة وفروعها، وإن ذكر شطراً منها، كان يجب عليه تمحيصها ونقدها، وهو أهلٌ لهذا التمحيص، كما فعله أحياناً في كتابه.

---

١. التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٢١٤ ـ ٢١٥.

٢. الشورى: ٢٣.

٣. تفسير الكشّاف ٤: ٢٢٠.

٤. المائدة: ٣.

النموذج الثامن

تفسير الصافي

ذكرت لهذا التفسير أسماء مختلفة مثل:

١ ـ تفسير الصّافي، هذا الاسم مكتوب على طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت.

٢ ـ كتاب الصّافي في تفسير القرآن، هذا العنوان موجود على طبعة دار الكتب الإسلامية في إيران، المحققة بواسطة السيد المحسن الحسيني الأميني.

٣ ـ الصّافي في تفسير كلام الله.

٤ ـ الصّافي في تفسير القرآن. هذه العناوين المختلفة نشأت لأنّ المؤلف سمّى كتابه بالصّافي فقط، وقال في مقدمة الكتاب: وبالحريّ أن يسمّى هذا التفسير بالصّافي؛ لصفائه من كدورات آراء العامّة والمملّ والمحيّر والمتنافي[1]. وبما أنّ ذكر كلمة «الصافي» لا يشير إلى أنّه تفسير، فذكروا معه كلمة «التفسير» إمّا قبل لفظة الصّافي أو بعدها، لتدلّ على أنّه تفسير.

والمؤلّف: هو محمد بن المرتضى الملقّب بالفيض الكاشاني. ولد في الرابع عشر من شهر صفر عام ١٠٠٧هـ، ونشأ في بلدة قم، ثم انتقل إلى كاشان بقرب قم، ثم ارتحل إلى مدينة شيراز، مركز إقليم فارس، جنوب إيران، لكي يستفيد من العلماء الكبار مثل الفيلسوف الكبير صدر المتألّهين محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بـ«ملا صدرا»، وقد صار الكاشاني عند ملا صدرىٰ محبوباً حتى زوّجه ابنته، وبعد أن اكتسب العلوم من أهلها، غادر شيراز مع عائلته إلى كاشان مرّة أخرى، وبقي هناك إلى أن توفي فيها سنة ١٠٩١هـ، وهو ابن أربع وثمانين، ودفن هناك، وكتب

---

١. راجع: تفسير الصافي ١: مقدّمة المؤلّف.

على الحجر الموجود على قبره: «قبض المعتصم بحبل الله المؤمن المهيمن» محمد بن مرتضى المدعو بـ«محسن»، سنة إحدى وتسعين وألف وهو ابن أربع وثمانين، حشره الله مع مواليه المعصومين [١].

في لؤلؤة البحرين: وهذا الشيخ: كان فاضلاً محدّثاً أخبارياً صلباً [٢].

وفي روضات الجنات: أمره في الفضل والفهم والنبل في الفروع والأصول، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول، وكثرة التأليف والتصنيف، مع جودة التعبير والترصيف، أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحدٍ إلى منتهى الأبد [٣].

وفي مستدرك الوسائل: هو من مشايخ العلّامة المجلسي، العالم الفاضل المتبحّر، المحدّث العارف الحكيم المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني، صاحب الوافي والصافي والمفاتيح وغيرها ممّا كتبه في الحكمة والتصوّف والأخلاق والآداب [٤].

وفي الكنى والألقاب: أمره في الفضل والأدب وطول الباع وكثرة الاطّلاع وجودة التعبير وحسن التحرير والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى [٥].

الشيخ المترجم له، يعدّ من العلماء الذين تخصّصوا في علوم متعدّدة، وصاروا قدوة في كلّ واحد منها، ولا عجب منه، إذ تلمذ عند كلّ من كان في ذلك الزمان، رأساً لكلّ علم وكمال، فملّا صدرىٰ كان أستاذه في الفلسفة والعلوم العقليّة، والبحراني في العلوم النقليّة والحديث.

---

١. راجع: مقدّمة المحقّق على التفسير.

٢. لؤلؤة البحرين، للمحدّث البحراني: ١٣٠.

٣. روضات الجنّات ٦: ٧٩.

٤. مستدرك الوسائل ٣: ٤٢١.

٥. الكنى والألقاب ٣: ٤١.

ويمكن القول: إنّ أباه هو الذي قدّم له الرعاية ليتعلّم العلوم، لأنّه قيل في توصيف أبيه وهو شاه مرتضى ابن شاه محمود: إنّه كان عالماً، نبيهاً، فقيهاً، أصوليّاً، حكيماً، متألّهاً، متكلّماً، أديباً، شاعراً، بارعاً، عابداً، زاهداً، مفسّراً، نبيلاً [١]. فنشأ في بيت ذي فنون وعلوم، وتلمذ عند أساتذة عالمين بالعلوم المتعدّدة، فبدأ التدريس في العلوم الكثيرة، فأوجبت أن ألّف كتباً كبيرة وكثيرة في علوم شتّى وفنون مختلفة.

وكان الفيض الكاشاني يستفيد من تفاسير الشيعة والسنّة، خصوصاً تفسير البيضاوي بأسلوبين مختلفين في ذكر المصدر:

أ ـ أحياناً لايذكر المصدر، وكان يكتبه كأنّه جزء من اعتقاده، مثلاً يذكر متعلّق الإخلاص في الآية الشريفة ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] ويقول بعد الآية مباشرةً: من الشرك [٣].

ب ـ قد يذكر كلام البيضاوي معنوناً بكلمة «قيل»، مثلاً حينما يفسّر الآية ٢٧ من سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [٤] يقول الفيض: قيل: كانوا يكفّونه عن قتله، ويقولون: إنّه ليس الذي تخافه، بل هو ساحر، ولو قتلته ظنّ أنّك عجزت عن معارضته بالحجّة، وتعلّله بذلك، مع كونه سفّاكاً في أهون شيء دليل على أنّه تيقّن أنّه نبيّ فخاف من قتله، أو ظن أنّه لو حاول لم يتيسّر له [٥].

فهذا التفسير لتلك الجملة من تلك الآية، موجود بعينه في تفسير البيضاوي عند

---

١. راجع: تفسير الصافي ١: المقدّمة، نقلاً عن معادن الحكمة ١: ١٠.

٢. غافر: ١٤.

٣. تفسير الصافي ١: ٢٩٦، ذيل الآية ١٤ من سورة غافر

٤. غافر: ٢٦.

٥. تفسير الصافي ٦: ٣٠١، ذيل الآية ٢٧ من سورة غافر.

تفسير الآية[١]. ولعلّ سبب كثرة نقله عن ذلك التفسير، مع وجود تفسير مجمع البيان، هو العبارات الواضحة في كلام البيضاوي وخلوه من القيل والقال والآراء المتعارضة، الأمر الذي يتناسب مع هدف الفيض من تدوين خلاصة في التفسير.

يعتبر تفسيره روائيّاً مختلطاً بقليل من الدّراية، ويشتمل على جميع القرآن، وكثيراً ما ينقل عبارات مختصرة تفسيرية، ثم يعتمد على نصوص الأحاديث المرويّة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وهذا التفسير من التفاسير المزيّنة بمقدّمة طويلة عميقة، ومفيدة للمفيد والمستفيد في علم التفسير، فجاء باثنتي عشرة مقدّمة، في ثلاث وستين صفحة:

الأولى: في نُبذ ممّا جاء في الوصيّة بالتمسّك بالقرآن وفي فضله.

الثانية: في نُبذ ممّا جاء في أنّ علم القرآن كلّه إنّما هو عند أهل البيت عليهم السلام.

الثالثة: في نُبذ ممّا جاء في أنّ جلّ القرآن إنّما نزل في أهل البيت وفي أوليائهم وأعدائهم، وبيان سرّ ذلك.

الرابعة: في نُبذ ممّا جاء في معاني وجوه الآيات وتحقيق القول في المتشابه وتأويله.

الخامسة: في نُبذ ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسرّ فيه.

السادسة: في نُبذ ممّا جاء في جمع القرآن.

السابعة: في نُبذ ممّا جاء في أنّ القرآن تبيان كلّ شيء وتحقيق معناه.

الثامنة: في نُبذ ممّا جاء في أقسام الآيات واشتمالها على البطون والتأويلات و...

التاسعة: في نُبذ ممّا جاء في زمان نزول القرآن وتحقيق ذلك.

العاشرة: في نُبذ ممّا جاء في تمثّل القرآن لأهله يوم القيامة وشفاعته لهم.

الحادية عشرة: في نُبذ ممّا جاء في كيفية التلاوة وآدابها.

---

١. تفسير البيضاوي ٤: ٥٤ ـ ٥٥، ذيل الآية ٢٧ من سورة غافر.

الثانية عشرة: في نُبذ ممّا جاء في بيان ما اصطلحنا عليه في التفسير.

ويذكر السورة، وبعدها يشير إلى مكان نزولها وعدد آيها، ويأتي ببعض الروايات مما يتعلّق بفضيلة السورة، ثمّ يذكر آية أو مجموعة من الآيات المناسبة، وكثيراً ما يأتي بجملة أو كلمات تفسيرية بين الجمل والكلمات القرآنية، وأحياناً يترك تفسير بعض الآيات، معلّلاً بأنّها ظاهرة المعنى، مثل الآية ١٧٣ من النساء. وبعد تفسير مختصر، ينقل بعض الروايات ممّا يتناسب مع الآيات، ولكن كثيراً من الروايات تعدّ من باب تعيين المصداق، لا من باب تفسير الآيات.

منهجه: لمعرفة منهج تفسير الصافي، لابدّ من ذكر الأمور التالية:

١ ـ إذا أراد المؤلّف تفسير آية أو مجموعة آيات متناسبة، فإنّه حين ذكر تلك الآيات والجمل، يذكر جملة من الآية ويفسّرها إمّا بالرواية إذا وجدت أو بالدراية.

وحينما يفسّر الآية دون ذكر الرواية، لايعني ذلك: أنّه لم يستفد من الرواية، بل إنّه كثيراً ما يفسّر الآيات من دون نقل الروايات، ولكنّه في الحقيقة يستفيد من الأحاديث المرويّة حول تلك الآية ويفسّر الآيات طبقاً لتلك الروايات.

٢ ـ يجعل الآيات على قسمين: قسم يفهم المراد من ظاهره، وقسم يحتاج إلى تفسير أو تأويل أو ذكر سبب نزوله، فهو في القسم الأول لايرى الرجوع إلى الروايات، بل يكتفي بمراجعة بعض التفاسير، ولكن في القسم الثاني يراجع القرآن، ثمّ كلام المعصوم، الموجود في كتب الإمامية، ثمّ الموجود في كتب أهل السنّة المرويّة عن المعصوم، ثم من علماء التفسير إذا وافق كلامهم القرآن.

قال الفيض في المقدمة الثانية عشرة: كلّ ما يحتاج من الآيات إلى بيان وتفسير لفهم المقصود من معانيه، أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه، أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقّف عليه فهمه وتعاطيه، أو إلى تعرّف نسخ أو تخصيص أو صفة أخرى فيه، وبالجملة: ما يزيد على شرح اللفظ والمفهوم ممّا يفتقر إلى السّماع من المعصوم،

فإن وجدنا شاهداً من محكمات القرآن يدلّ عليه أتينا به، فإنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وقد أمرنا من جهة أئمة الحق عليهم السلام بأن نردّ متشابهات القرآن إلى محكماته، وإلّا فإن ظفرنا فيها بحديث معتبر عن أهل البيت عليهم السلام في الكتب المعتبرة من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم أوردناه، وإلّا أوردنا ما روينا عنهم عليهم السلام من طرق العامة؛ لنسبته إلى المعصوم، وعدم ما يخالفه، نظيره في الأحكام ما روي عن الصادق عليه السلام: إذا نزلت بكم حادثة لاتجدون حكمها فيما يروى عنّا، فانظروا ما روي عن علي عليه السلام فاعملوا به، رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في العُدّة، وما لم نظفر فيه بحديث عنهم عليهم السلام أوردنا ما وصل إلينا من غيرهم من علماء التفسير إذا وافق القرآن وفحواه وأشبه أحاديثهم في معناه، فإن لم نعتمد عليه من جهة الاستناد، اعتمدنا عليه من جهة الموافقة والشبه والسّداد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»[1][2].

٣ ـ إن المترجَم له، خلافاً لما اشتهر في بعض الألسنة من أنّه جامد على مذهب الإمامية، نراه قارئاً لكتب علماء أهل السنّة، ويستفيد منها كثيراً من دون أيّ غرور أو جمود، فاستفاد من عبائر تفسير البيضاوي كثيراً، ولم يسمح لنفسه بتغيير أسلوب عبارة البيضاوي وتركيبها.

٤ ـ تعامله مع الروايات يكون بوصفه محدّثاً مؤمناً بجميع الروايات الموجودة في الكتب الأربعة للإمامية، فإنّه بعد اليأس وعدم الظفر بما يفسّر الآية من نفس القرآن حسب قوله، يرجع إلى روايات معتبرة موجودة في الكتب الأربعة (الكافي، التهذيب، الاستبصار، من لايحضره الفقيه)، فإذا كانت رواية واحدة يأتي بها، وأمّا إذا كانت حول الآية روايات كثيرة، فإن لم يكن فيها كثير اختلاف اقتصر منها على ما

١. تفسير العيّاشي ١: ٨، ح ٣.
٢. تفسير الصافي ١: ١١١، المقدّمة الثانية عشرة.

اشتمل على جامعها وترك سائرها ممّا في معناه؛ رعاية للاختصار وصوناً من الإكثار، وربّما أشار إلى تعدّدها وتكثرها إذا أهمّه الاعتماد، وإن كانت مختلفة نقل أصحّها وأحسنها وأعمّها فائدة، ثم أشار إلى مواضع الاختلاف، وبعد هذا كلّه إذا لم يجد رواية لتفسير الآية، يرجع إلى ما ظهر من الآيات وما قاله المفسّرون في توضيح مجملاتها كتفسير البيضاوي والمجمع وغيرهما [١].

٥ ـ ليس تفسير الصافي من التفاسير الأخباريّة، إذ كان الأخباريّون يعرفون بالاعتماد على الروايات ورفض المصادر الأخرى في تفسير الآيات، فهذا الاعتماد بهذا الشكل يعدّ من خواصّ الأخباريين؛ لأنّ الأخباري يتعاطىٰ أخبار أهل البيت ويعمل بها لا غير [٢].

والكاشاني كما ذكرنا يعتمد على نفس القرآن، قبل أن يعتمد على الروايات، ويعنمد على الظهورات الموجودة للآيات بعد فقد الروايات، فلانستطيع أن نسمّيه أخباريّاً ونعدّ تفسيره من تفاسير الأخباريين. فهو في المقدّمة الخامسة من تفسيره يؤوّل الأخبار المانعة من تفسير القرآن بالرأي على وجهين:

أ ـ أن يكون للمفسّر في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتجّ على تصحيح غرضه ومدّعاه.

ب ـ أن يتسارع الإنسان إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة [٣].

وعلى كلّ حال فتفسيره تفسير روائيّ، يعتمد على الروايات، ويستفيد من هذا المصدر أكثر من المصادر الأخرى، الأمر الذي صار سبباً لتسمية تفسيره تفسيراً روائيّاً غير محض، لاختلاطه ببعض الاجتهاد.

---

١. راجع: المقدّمة الثانية عشرة من مقدّمات تفسيره.

٢. مقباس الهداية ١: ٦٣.

٣. تفسير الصافي ١: ٧٢ ـ ٧٣، المقدّمة الخامسة.

٦ ـ إنّ الفيض الكاشاني كان عارفاً حكيماً، والإنسان مهما حاول أن لايستفيد من علومه الأخرى في علم آخر، لايمكنه هذا، فنرى أنّه يفسّر بعض الآيات تفسيراً عرفانيّاً مناسباً لأهل الذوق وجمع من المتصوّفة، مراعياً حفظ الروايات وقواعد التفسير في بعض الموارد وتاركاً تلك القواعد في موارد أخرى، فمن هذه الموارد تأويله لشرب الخمر والزنا والسجدة للصنم بواسطة هاروت وماروت حسب ذوق المتصوّفة، فإنّ الكاشاني يقول: لعلّ المراد بالمَلكين: الروح والقلب، فإنّهما من العالم الروحاني، أُهبطا إلى العالم الجسماني؛ لإقامة الحقّ، فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا ووقعا في شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة وعبدا صنم الهوى وقتلا عقلهما النّاصح لهما، بمنع تغذيته بالعلم والتقوى، ومحو أثر نصحه على أنفسهما وتهيّآ للزنا ببغي الدنيا الدنيّة، التي يلي تربية النشاط والطرب فيها الكوكب المسمّى بزهرة، فهربت الدنيا منهما وفاتتهما [1].

ذكر الفيض هذه الرواية الإسرائيليّة حول هاروت وماروت، وكتب ذلك التأويل؛ لكي يحلّ ظاهرها الكاذب بباطنها الصادق، ولكن ليته لم يحلّ هذه المشكلة بهذا المنهج، بل كان يردّها من أساسها، فإنّ هذا التأويل غير الظاهر من الأخبار والآيات، اذا انفتح للجاهلين الذين ليسوا مثل الفيض الكاشاني، لم يبق حجر على حجر ، وخربَ أساس الدين وأحكام الشريعة ؛ لأنّ الدين والشريعة مترتبة على ظواهر القرآن والروايات، لا على ما لا يمكن فهمه من تلك الظواهر أو ما يخالف صريح تلك الحجج والظهورات.

فإذا كان المحدّث والمفسّر (سواء من الشيعة أو السنّة) يرى اعتبار جميع الروايات الموجودة في الكتب الأربعة أو في الصحاح والسنن، وأنّه لايقبل النقد،

١. تفسير الصافي ١: ٢٦٠، ذيل الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

فهذا الاعتقاد يجرّه إلى المآزق والمشكلات، وإلى تأويلات عجيبة وأقوال بعيدة عن ظواهر البيّنات من الآيات والروايات.

٧ ـ تفسير الصافي تفسير روائي، مشتمل على بعض الروايات الموضوعة والضعيفة والإسرائيليّة، الأمر الذي نجده في جلّ التفاسير الروائية. فنراه يذكر قصّة هاروت وماروت، حسب رواية إسرائيليّة، وتبعاً لما ذكره البيضاوي في تفسيره: أنّهما شربا الخمر وسجدا للصنم وزنيا. كما يروي رواية تدلّ على أنّ الرسول ﷺ صار مسحوراً بواسطة لبيد بن أعصم اليهودي في بئر أزوان [١].

ومن ثم يجب أن نتعامل مع الروايات الموجودة في هذا التفسير تعامل النّاقد البصير، ونقبل ما يبقى بعد التمحيص، ونردّ ما لايبقى بعد التدقيق والتمحيص. وبما أنّ الفيض الكاشاني لم يكن محدّثاً فحسب، بل كان حكيماً مدقّقاً، فقد كان الأجدر به أن ينبذ تلكم الروايات الإسرائيلية المشوّهة المفتراة على الرسول وأهل بيته، أو يتركها دون ارتكاب التأويل [٢].

---

١. تفسير الصافي ٧: ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

٢. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٣٣٨.

الباب الثالث

منهج التفسير الاجتهادي ونماذجه

القسم الأول
منهج التفسير الاجتهادي الجامع ونماذجه

يعدّ التفسير الاجتهادي الجامع من المناهج المشتركة بين الشيعة والسنّة . وعلىٰ الرغم من وجود الاتّجاهات المختلفة في مجال التمسّك بالعقل وأحكامه في العلوم الإسلامية ، والأبحاث العلميّة ، وعلى الرغم من الاختلاف في المصادر الاجتهادية كمّاً وكيفاً، فإننا نرى المدرستين يفسّران القرآن تفسيراً اجتهادياً متقارباً جدّاً ، ولانرى تفاوتاً جوهريّاً بينهما ، ولعلّ السرّ في ذلك هو: الانتفاع بالعقل والتعامل مع الميراث الإسلامي علىٰ ضوابط معقولة ومقبولة لدى العقلاء ... فما دام العقل الفطري، السليم عن الانحراف، هو القاضي بين الأفراد، فلانرى اختلافاً إلّا في موارد قليلة تنشأ من عدم التدبّر والتعقّل اللازم .

وعلىٰ كلّ حال ، لابدّ من ذكر أمور حول هذا المنهج، ثمّ نذكر بعد ذلك نماذج من التفاسير الاجتهادية من طريق الشيعة وأهل السنّة وشرح مناهجهم :

الفصل الأول
مباحث في التفسير الاجتهادي

تعريف التفسير الاجتهادي الجامع

قبل كلّ شيء لابدّ من ذكر تعريف التفسير الاجتهادي،وقبل أن نصل إلى التعريف

المختار، نشير إلى بعض التعريفات المذكورة من القوم في هذا المجال:

يقول الدكتور محمّد حمد زغلول: (التفسير بالرأي) أي: التفسير بالدّراية، ويقصد به: التفسير المبني على أساس النظر والاستدلال العقلي والاستنباط الذي هو منطلق الاجتهاد وإبداء الرأي، في نطاق التزام المفسّر بالشروط والآداب التي يجب أن يتحلّىٰ بها المفسّر، فالمراد بالرأي هنا تحديداً: الاجتهاد [١]. فالتفسير الاجتهادي في رأي زغلول: هو الاستنباط العقلي مع مراعاة شروط لازمة وضوابط واجبة.

وذكر المحقّقان في مقدّمة معالم التنزيل للبغوي: أنّ التفسير بالمعقول، هو: التفسير العقلي الذي يعتمد فيه على الفهم العميق والإدراك المركّز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك العبارات القرآنية التي تُنظَم في سلكها تلك الألفاظ الكريمة، وفهم دلالاتها فهماً دقيقاً، وهذا القسم من التفسير يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية، وإدراك مقاصدها ومعرفة مدلولها، من طريق معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول وأساليبهم في التعبير، ومعرفة دلالة الألفاظ ووجوهها، وآلة هذا النوع من التفسير «علوم الاستنباط وأُصول التشريع» [٢].

فهذا التعريف أقرب إلى الاجتهاد اللازم لفهم النصوص الشرعية، ولأجل ذلك يجب على المفسّر أن يعرف مقاصد القرآن ومدلول الآيات، بواسطة معرفة كلام العرب المبتني على أساس الظهورات وغيرها.

يقول الشيخ خالد عبدالرحمان العك في تعريف الاجتهاد: وإنّما المراد به هنا: بذل المفسّر جهده في تفهّم معنى النصّ القرآني والكشف عن مرامي ألفاظه ومدلولاتها،

---

١. التفسير بالرأي: ١٠٧.

٢. تفسير البغوي المسمّى: معالم التنزيل، المقدّمة: ١١، وراجع: أُصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبدالرحمان العك: ١٦٧.

فهو اجتهاد ضمن دائرة النصّ الموجود في حدود الأُصول اللغوية والشرعية ، أي: الاجتهاد الذي نعنيه هو: بيان النصّ والكشف عمّا يتضمنه من أحكام وحكم ومواعظ وعبر، إلىٰ غير ذلك ممّا يتعلّق بوظيفة التفسير والمفسّر، فمثلاً: اللفظ القرآني من حيث هو، قد يكون واضحاً وقد يكون مبهماً، وفي حالة وضوحه، لايخلو بعض أنواعه من الاحتمال الذي يجعله محتاجاً إلىٰ تحديد المراد، فعلىٰ المفسّر أن يعلم أنّ اللفظ باقٍ علىٰ احتماله فهو من الظاهر، أو أنّه قام الدليل الذي رجّح غير المعنى الظاهر من ذلك اللفظ فأصبح مؤوّلاً ، فهذا العمل من المفسّر هو : الاجتهاد في طريق إدراك المعنى المراد [1].

هذا التعريف لايختلف عن التعريفين السابقين حقيقة، فكلّ هذه التعريفات تريد أن تشير إلى حقيقة واحدة، وهي: عدم إعمال الرأي والعقل في مجال التفسير.

ومن طريق علماء الشيعة، يقول الأستاذ محمّد هادي معرفة: التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر، أكثر ممّا يعتمد النقل والأثر، ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد، دون مجرّد الاعتماد على المنقول من الآثار والأخبار، نعم لاننكر أنّ مزالّ الأقدام في هذا المجال كثيرة وعواقبه وخيمة، ومن ثمّ تجب الحيطة والحذر وإمعان النظر ، بعد التوكّل على الله والاستعانة به ، الأمر الذي يحصل عند حسن النيّة والإخلاص في العمل المستمرّ والله من وراء القصد [2].

هذا التعريف يعدّ استمراراً للتعاريف المذكورة من مفسّري أهل السنّة، إذ يتمركز على العقل في مجال التفسير.

ويقول الزنجاني: منهج التفسير الاجتهادي يستفيد من اعتماده على التدبّر والعقل مع التقيّد بالروايات التفسيرية ، فلذا يختلف عن التفسير بالرأي وعن التفسير

---

١ . أُصول التفسير وقواعده : ١٧٦و١٧٧ .

٢ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٣٤٩ .

النقلي اختلافاً مبدئيّاً ، إضافة إلىٰ هذا ـ ومع أنّ السنّة والرواية تعدّ من أركان التفسير الاجتهادي لاستخراج المعاني الصحيحة من الآيات بواسطة التدبّر والتعقل ـ فهذا المنهج يحتاج إلىٰ شروط ومقدّمات أخرىٰ يجب على المفسّر أن يطّلع عليها بقدر الكفاية [١].

وهذا التعريف يختلف عن التعاريف السابقة؛ إذ يصرّح بلزوم العنصرين في التفسير الاجتهادي وهما: العقل والنقل، أي: الروايات.

ويمكننا أن نقول : التعاريف الموجودة ـ إذا كانت للاجتهادي الجامع ـ سواء كانت للتفسير العقلي، أو الاجتهادي، أو العقلي الاجتهادي، أو التفسير بالرأي الصحيح ، كلّها تشير إلىٰ حقيقة واحدة ذات وصفين ، أمّا الحقيقة الواحدة فهي: أنّ التفسير الاجتهادي (الجامع) هو: منهج فهم القرآن بأيّة وسيلة وأيّة طريقة توصلنا إلى المراد من الآيات .

وأمّا الوصفان اللازمان في التفسير الاجتهادي الجامع فهما :

الأول: لزوم اتخاذ كلّ ما يمكن أن يكون مصدراً لفهم كلام الله تعالىٰ ، مثل القرآن نفسه، الروايات ، العقل ، اللغة ، العلم التجربي، وغير ذلك من المصادر .

والثاني : المقصود من هذا النوع من التفسير أن يتمّ فهم الآيات بأيّ طريق من الطرق الصحيحة، ولايحبس المفسِّر نفسه في مصدر خاصّ، يستفيد منه أكثر من المصادر الأخرىٰ، بل يشرح الآيات ويستفيد من المصادر بقدر ما تركّزت عليه الآيات أو يتناسب معها ، فالتفسير الاجتهادي الجامع ، يجمع بين جميع المصادر الممكنة لفهم القرآن ، ويأتي بجميع المباحث حسب الآيات وبكميّة تناسبها وبكيفية توافقها .

---

١ . مبانى وروش‌هاى تفسير قرآن ، للزنجاني، : ٢٥٧ و ٢٥٨.

ففي ضوء ما ذكرناه، يمكن أن نعرّف منهج التفسير الاجتهادي الجامعبـ : تفسير القرآن الكريم بواسطة كلّ ما يمكن أن يقع وسيلة لفهم الآيات بمقدار يتناسب معها.

الفرق بين التفسير الاجتهادي المقبول والتفسير بالرأي

التفسير الاجتهادي المقبول يغاير التفسير بالرأي المذموم في روايات المدرستين .

يقول الأستاذ السّبحاني: ثمّ إنّ المحظور هو التفسير بالرأي على ما عرفت، وأمّا السعي وبذل الجهد في فهم مقاصد الآيات ومراميها بالطرق المألوفة بين العلماء خلفاً عن سلف، فليس بمحظور، بل هو ممدوح ، بل لا محيص عنه في فهم القرآن الكريم ؛ فإنّ ما يهتدي إليه المفسّر بعد التفكّر والتأمّل في مفردات الآية وجملها وسياقها ونظائرها من الآيات إذا كان له صلة بها ، هو تفسير مقبول ولا صلة له بالتفسير بالرأي، وإذا كانت الآية ممّا يتضمن حكماً فقهيّاً يرجع في فهم الموضوع وشرائطه وجزئيّاته وموانعه إلى الروايات والأخبار المأثورة ، ثمّ يتمسّك في موارد الشك في اعتبار شيء أو خروج فرد عن شمول الدليل بإطلاقها أو عمومها، فلايعدّ ذلك تفسيراً بالرأي، بل اجتهاداً معقولاً ومقبولاً في فهم الآية [١].

ويقول القرطبي:فإن قال فيه بما سنح في وهمه وخطر على باله،من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطئ، وإن استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح [٢].

أقول: ورد في روايات المدرستين المنع من تفسير القرآن بالرأي، ومعنى ذلك هو: جعل الرأي الشخصي أو العقيدة تفسيراً للقرآن، لأجل هذا لا نرىٰ من الإماميّة

١ . المناهج التفسيرية في علوم القرآن، للسبحاني: ٦٧و٦٨ .

٢ . الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٣، باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي.

من يستفيد من هذا التركيب (تفسير القرآن بالرأي) المعنى الإيجابي، ولكنّ إخواننا من أهل السنّة يستعملون هذا التركيب ويقسّمونه على نوعين:

أ ـ النوع المقبول، إذا توفّرت فيه الشروط اللازمة.

ب ـ النوع المرفوض، إذا لم تتوفر فيه هذه الشروط اللازمة.

فالنوع المقبول في الغالب ينطبق على التفسير الاجتهادي المقبول، والنوع المرفوض ينطبق على التفسير الاجتهادي غير المقبول.

تاريخ التفسير الاجتهادي

تفسير القرآن بواسطة مصادر الاجتهاد، مثل: العقل والقرآن والروايات وغير ذلك، دون أن يصل إلى المنهجيّة، بل ينحصر في عمليّات مفردة تفسيرية، يمكن أن نقول عنه: إنّ تاريخ هذا التفسير بدء منذ زمن نزول القرآن إلىٰ عصرنا هذا؛ لأنّ القرآن يأمر المؤمنين بأن يستفيدوا من نفس القرآن لفهم الآيات، ومن ذلك إرجاع المتشابهات إلى المحكمات ، وبعد القرآن ، نجد الرسول ﷺ يعلّم هذا النوع من التفسير الاجتهادي لأصحابه، كما مرّ في منهج تفسير القرآن بالقرآن .

وكذلك نجد الصحابة قد يفسّرون القرآن تفسيراً اجتهادياً، والأئمة من أهل البيت يسلكون نفس الطريق، وفي ما يلي نماذج لذلك :

أ ـ عُرف ابن عبّاس بأ نّه كان يفسّر القرآن عن طريق النظر والاجتهاد، حتّىٰ أنّ ابن عمر قد انتقده علىٰ جرأته في تفسيره، كما يصوّره لنا الطبري بأنّ رجلاً جاء إلىٰ ابن عمر يسأله عن قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[1] فقال : إذهب إلىٰ ابن عبّاس، ثمّ تعال أخبرني، فذهب فسأله، فقال : «كانت السماوات رتقاً لاتمطر، وكانت الأرض رتقاً لاتنبت، ففتق هذه

---

١. الأنبياء: ٣٠ .

بالمطر، وهذه بالنبات»، فرجع الرجل إلىٰ ابن عمر فأخبره، فقال : قد كنت أقول : ما يعجبني جرأة ابن عبّاس علىٰ تفسير القرآن، فالآن قد علمت أ نّه أوتي علماً [١].

وكذلك نجده ، يفسّر القرآن بالقرآن كتفسيره الآية ٤١ من سورة غافر بواسط الآية ٢٨ من سورة البقرة [٢]. وأيضاً كان يرجع إلى المأثور عن الرسول ﷺ وعليّ عليه السلام وغيرهما لتفسير بعض الآيات [٣].

ب ـ عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [٤] قال : إنّ الله تبارك وتعالىٰ لايأسف كأسفنا ... ولو كان يصل إلى المكوّن الأسف والضّجر، وهو الذي أحدثهما وأنشأهما، لجاز لقائل أن يقول : إنّ المكوّن يبيد يوماً؛ لأنّه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوِّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً [٥].

وكما أشرنا ابتداءً، كلّ هذا يتعلّق بعمليّة التفسير الاجتهادي، أمّا التفسير الاجتهادي بوصفه منهجاً تفسيريّاً ذا قواعد خاصة، فإنّه بدأ في زمن الطبري، كما أشرنا سابقاً.

حكم التفسير الاجتهادي

يشهد التاريخ بأنّ علماء الإسلام في مواجهة تفسير القرآن، كانوا طائفتين : إمّا من المجيزين للتفسير الاجتهادي أو المانعين منه ، لنذكر آراءهم ودلائلهم :

---

١ . راجع : جامع البيان، للطبري ٣ : ٤٣ .

٢ . راجع : المصدر السابق ١ : ١٨٧ .

٣ . راجع : الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر ٢ : ٣٣٣ .

٤ . الزخرف: ٥٥ .

٥ . بحار الأنوار ٤٢: ٦٥، ح ٦ .

أدلّة المجيزين للتفسير الاجتهادي

الأول: من القرآن الكريم ، فنجد بين الآيات ما ينصّ على التدبّر والتبصّر والتفكّر في القرآن الكريم ،مثل : قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ (١).

وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ ...﴾ (٥).

ففي هذه الآيات ونظائرها ، يحثّ الله تعالىٰ على التدبّر ، وهذا لايتأتّىٰ إلّا بالاجتهاد وإعمال العقل من قبل أولي الألباب،لما وهبهم الله من العقل السليم، فالتفقّه في كتاب الله وفهم مراميه ومقاصده هو مطلب شرعي، بل واجب على المكلّفين(٦).

الثاني: من السنّة : فالنبيّ ﷺ دعا لابن عبّاس فقال : «**اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل**»(٧)، فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل، لما كان هناك فائدة

---

١ . النساء: ٨٢ .

٢ . ص: ٢٩ .

٣ . النساء: ٨٣ .

٤ . يوسف: ٢ .

٥ . النساء: ٥٩ .

٦ . راجع : التفسير بالرأي ، للدكتور محمّد حمد زغلول : ١٠٨و١٠٩ .

٧ . البخاري ، كتاب العلم ١ : ١٧٠، رقم ٧٥ .

لتخصيص ابن عبّاس بهذا الدعاء .

الثالث: الدليل العقلي: أنّ النبيّ ﷺ لم يفسّر كثيراً من القرآن لعموم الناس، فالمنع من التفسير الاجتهادي ومن إعمال العقل يؤدّي إلىٰ بقاء الكثير من آيات القرآن دون توضيح وبيان، فيؤدّي إلىٰ تعطيل الأحكام ولغوية بعض القرآن؛ لعدم الفائدة في الإنزال .

الرابع: بناء العقلاء: العقلاء بما هم عقلاء، يبنون على قبول المنهج الاجتهادي في فهم النصوص والمتون، وعلى أساسه يفسّرون كلّ كلام، وجملة في كلّ كتاب ، فإذا رأوا إجمالاً أو إبهاماً في جملة بعد مراجعة الظواهر ، يرجعون إلى القواعد والقرائن الموجودة، لفظية كانت أو غير لفظية، لكي يفهموا مراد المتكلّم أو الكاتب ، فهم يستفيدون من أيّ طريقة ممكنة لفهم المراد، ولايحبسون أنفسهم في ضيق مصدر خاصّ ومنهج واحد .

الخامس: ملازمة التفسير الاجتهادي لطراوة القرآن: قيل: ولعلّ كون القرآن كتاب القرون والأجيال، لاتنقضي عجائبه ، يلازم قبول هذا النوع من التفسير الاجتهادي، ولأجل ذلك لم يزل كتاب الله طريّاً على مرّ الأجيال، لم يطرأ عليه الإندراس ، بل هو طريّ ما دامت السماوات والأرض ، ولازم ذلك وجود معارف وحقائق في القرآن يهتدي إليها الإنسان بالتعمّق في الدلالة اللفظيّة : المطابقيّة والتضمنيّة والالتزاميّة، وإن كان السّلف في الأعصار الماضية غافلين عن هذه المعاني ، ولعلّه إلىٰ ذلك يشير الصادق عليه السلام في جواب من سأله : ما بال القرآن لايزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة ؟ بقوله : «**لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس ، وهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلىٰ يوم القيامة**».

وبالجملة فإيصاد هذا الباب في وجه المفسّرين يوجب وقف الحركة العلميّة في

فهم الكتاب العزيز، ومن ثمّ يكون القرآن كسائر الكتب محدود المعنىٰ ومقصور المراد، لايحتاج إلىٰ داوم البحث وتضافره [١].

السادس: إذا منعنا من التفسير الاجتهادي، واكتفينا بالروايات فحسب، نواجه المشكلتين التاليتين:

(أ) قلّة الروايات التفسيرية، وعدم وجود روايات لبعض الآيات المهمّة في الكتب الموجودة، ومن ثمّ لانجد تفسيراً روائيّاً كاملاً بين التفاسير الروائية الشيعية والسنية.

(ب) وجود الضعف في كثير من الروايات التفسيرية الموجودة، سواء ما نقل عن طريق أهل السنّة أو الشيعة، وهذه المشكلة صارت سبباً لعدم إمكان الاعتماد على كثير من هذه الروايات.

السابع: لولا التفسير الاجتهادي، يختلّ الاجتهاد الفقهي؛ إذ في كثير من المواقف، يتعلّق الاجتهاد الفقهي بالقرآن المجيد، وتفسير آيات الأحكام التي تحتاج إلىٰ إعمال الدقّة والتأمّل والتعقّل في الآيات والاجتهاد فيها، وكذلك في مجالات أخرىٰ كالعقيدة بالمبدأ والمعاد ممّا تحدّث عنه القرآن.

ومن المناسب أن نذكر هنا نصّاً كاملاً دالّاً على لزوم التفسير الاجتهادي عن الجنابذي صاحب تفسير بيان السعادة؛ إذ فيه إشارات قيّمة ودلائل واضحة، فهو يقول: إعلم أنّ الآيات والأخبار الدالّة على مدح التدبّر في القرآن وذمّ ترك التدبّر، ولزوم التوسّل به جعله إماماً، واتّباع أحكامه، والإستنارة بنوره، والاستضاءة بضيائه، وأنّه المنجي حين التباس الفتن، وأنّه شفاء من داء الجهل، وأنّ فيه دليل الإمامة وحجة الأئمّة، وأنّه لاتنقضي عجائبه ولاتبلىٰ غرائبه، وأنّه دليل على المعرفة لمن عرف الصّفة، وأنّه الدليل علىٰ خير سبيل، وأنّه فيه مصابيح الهدىٰ

١. راجع: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، للسبحاني.

ومنار الحكمة، وأنّه ينبغي أن يجلو جالٍ بصره، ويبلغ الصّفة نظره، وأنّ من التمس الهدىٰ في غيره أضلّه الله، ولايشبع منه العلماء، وأنّ من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن اعتصم به فقد هدى إلىٰ صراط مستقيم، وأنّه هدىً من الضلالة، وتبيان من العمىٰ، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وأنّه من جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوّله الذي ينتهي إليه أدّاه الله إلىٰ جنّات النعيم ،كثيرة ، وكلّها دالّات علىٰ جواز النظر في آيات القرآن والتأمّل في معانيها وتفسيرها ، وامتثال أوامرها ونواهيها ، والاعتبار بقصصها وأمثالها ، واستنباط إشاراتها واستبطان بطونها ولطائفها لمن كان أهلاً لها .

وخطابات الله للناس عامّة أو خاصّة تدلّ علىٰ جواز النظر والتأمّل لمن يخاطب بتلك الخطابات ، فمنع بعضهم من النظر في الآيات وبيان معانيها وتفسيرها ، لايصغىٰ إليه بعد ماذكره [١].

أدلّة المانعين من التفسير الاجتهادي

الأوّل: القرآن الكريم ، مثل : ﴿وَلاَتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَتَعْلَمُونَ﴾ [٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٤].

---

١. تفسير بيان السعادة،١ :١٢ .

٢. الإسراء:٣٦ .

٣. الأعراف:٣٣ .

٤. النحل:٤٤ .

فالمانعون من التفسير الاجتهادي، يتمسّكون بهذه الآيات، ويقولون: إنّ التفسير الاجتهادي لايصل إلى العلم بمراد الله من الآيات ، وكلّ ما لايصل إلى العلم لا اعتبار به، فالتفسير الاجتهادي لا اعتبار به،وغاية ما يصل به المفسّر في المنهج الاجتهادي هو: الظن بمراد الله، والظن لايغني من الحقّ شيئاً، وإضافة إلىٰ هذا فإنّ الله تـعالىٰ كلّف النبيّ ﷺ بتبيين القرآن للناس ، فالتفكّر في القرآن يجب أن يكون من طريق بيان الرسول ﷺ.

الثاني : السنّة الشريفة : واستدلّ المانعون بالحديث المعروف بين الشيعة والسنّة، وهو: قول النبيّ ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار**»[١].

الثالث:اجتناب بعض الصحابة والتابعين التفسير الاجتهادي،كما ثبت في التاريخ.

الرابع :اختصاص فهم القرآن بمن خوطب به .

ذهب بعض إلىٰ أنَّ فهم القرآن مختصّ بمن خوطب بـه، ودليـل هـؤلاء عـدّة روايات واردة في الموضوع،مثل : ما نقل عن أبي جعفر عليه السلام حينما دخل قتادة عليه فقال له : «**أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال: هكذا يزعمون** » ،فقال عليه السلام : «**بلغني أنّك تفسّر القرآن**»، قال : نعم . إلىٰ أن قال : «**ياقتادة! إن كنت قد فسّرت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسّرته من الرجال، فقد هلكت وأهلكت، ياقتادة ويحك إنّما يعرف القرآن من خوطب به**»[٢].

الجواب عن إشكالات المانعين من التفسير الاجتهادي

أمّا الجواب عن الآيات،فهو :

أ ـإنّ كلّ واحد من السمع والبصر والفؤاد مسؤول، ولأجل ذلك لابدّ للإنسان من

---

١ . سنن الترمذي ، كتاب التفسير ٨ : ١٤٦، رقم ٢٩٥١ .

٢ . راجع : البيان في تفسير القرآن، للإمام الخوئي: ٢٦٩ .

أن يستفيد من هذه الآيات مع الضوابط العقليّة والشرعيّة، وهذا لايعني ترك النظر والفكر، والاجتهاد في فهم الآيات .

ب ـ التقوّل على الله حرام، فإذا علم الإنسان شيئاً بنحو اليقين والقطع ، يجوز له إسناده إلى الله، وإذا ظنّ شيئاً، فبقدر الظن يمكن الاسناد إليه، سواء حصل العلم أو الظن من اجتهاده أو من ملاحظته لرواية ودلالة آية .

ج ـ كثيراً ما يحصل للإنسان في التفسير الاجتهادي العلم بمراد الله تعالى من الآيات ، ولا يمكن أن نقول : إنّ ما يحصل في ضوء التفسير الاجتهادي هو الظن دائماً .

د ـ التفكّر في القرآن يجب أن يكون بواسطة بيان الرسول ﷺ، ولكن إذا لم نجد أثراً معتبراً عن الرسول وأصحابه، فلابدّ من التفسير الاجتهادي لفهم الآيات القرآنية.

هـ ـ إنّ الرسول ﷺ كثيراً ما لم يبيّن جميع نواحي الآيات وجوانبها، كما لانجد حلّاً للمشاكل العلميّة الجديدة أحياناً في التفسير الروائي.

فلابدّ أن نفسّر القرآن تفسيراً اجتهادياً؛ لكي تحلّ مشاكل العصر وتطبّق أحكام القرآن في المجتمعات المعاصرة .

والجواب عن حديث منع التفسير بالرأي:

أمّا عن أهل السنّة، فهو: إنّ علماء السنّة قد أجابوا عن حديث المنع من التفسير بالرأي منذ زمن قديم ، قال ابن النقيب : إنّ جملة ما تحصّل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال :

أحدها : التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير .

ثانيها : تفسير المتشابه الذي لايعلمه إلّا الله .

ثالثها : التفسير المقرّر للمذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن وإن كان ضعيفاً .

رابعها: التفسير بأنّ مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

خامسها: التفسير بالاستحسان والهوىٰ[١].

قال الزركشي: قال الإمام أبو الحسن الماوردي في نكته: قد حمل بعض المتورّعة هذا الحديث علىٰ ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد، ولم يعارض شواهدها نصّ صريح، وهذا عدول عمّا تعبّدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام منه، كما قال تعالى: ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[٢][٣].

وأمّا من الشيعة: فيقول الفيض الكاشاني: فلابدّ من تنزيل التفسير المنهيّ عنه على أحد وجهين:

الأول: أن يكون للمفسّر في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأوّل القرآن علىٰ وفق رأيه وهواه؛ ليحتجّ علىٰ تصحيح غرضه ومدّعاه، ولو لم يكن ذلك الرأي والهوىٰ، لكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنىٰ.

والثاني: أن يتسارع إلىٰ تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسّماع والنقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة وغيرها[٤].

ويقول العلّامة الطباطبائي بعد ذكر الحديث: الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق على القول عن الهوىٰ والاستحسان، وكيف كان لمّا ورد قوله: «برأيه» مع الإضافة إلى الضمير، علم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن، حتّىٰ يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقتصار بما ورد من الروايات في

---

١. راجع: الإتقان، للسيوطي ٤: ٢١٩، النوع الثامن والسبعون.

٢. النساء: ٨٣.

٣. البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢: ٣٠٤، النوع الحادي والأربعون.

٤. التفسير الصافي، للفيض الكاشاني ١: ٣٤، (المقدّمة الخامسة).

تفسير الآيات عن النبيّ وأهل بيته ﷺ، علىٰ ما يراه أهل الحديث... بل الإضافة في قوله: برأيه، تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال، بأن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي[١].

فمن عبائر علماء المدرستين يفهم أنّ من يحاول معرفة المراد من الآيات بواسطة الاجتهاد، طبقاً للقواعد والضوابط، لاتشمله أحاديث المنع من التفسير بالرأي.

وأمّا الجواب عن اجتناب بعض الصحابة والتابعين، فهو:

أ ـ نعم، بعض الصحابة والتابعين كفّوا أنفسهم عن التفسير الاجتهادي وإعمال النظر والرأي، ولكن بقي كثير منهم، إمّا فسروا بأنفسهم القرآن باجتهاداتهم، أو قبلوا هذه الطريقة ولم يرفضوها، فمن هنا يظهر أنّ الكفّ لايدلّ على المنع .

ب ـ في زمن الصحابة والتابعين ، كان تفسير القرآن المجيد في مراحله الابتدائية، ولم يلمسوا الحاجة إلى إعمال الرأي في التفسير ، إضافة إلىٰ هذا كانوا قريبي العهد بالنبيّ ﷺ وكان بأيديهم الحجم الكبير من روايات النبيّ ﷺ.

ج ـ بعض الصحابة والتابعين الذين لم يفسّروا القرآن بالاجتهاد والعقل، كان ذلك منهم لأجل عدم قدرتهم على الورود في هذا الميدان، فاحتاطوا لدينهم وبقوا علىٰ سلامتهم في الفكر والعمل ، إذ التفسير الاجتهادي كان عمليّة خطيرة خصوصاً في ذلك العهد .

وأمّا الجواب عن اختصاص فهم القرآن بمن خوطب به، فهو:

(أ) المراد من هذه الروايات ـ علىٰ فرض صحتها سنداً ـ هو: اختصاص فهم القرآن حقّ فهمه ومعرفة ظاهره وباطنه بمن خوطب به ، فلايمكن لغير المعصوم أن يدّعي فهم القرآن حقّ فهمه ومعرفة كلّه حقّ معرفته .

---

١ . الميزان في تفسير القرآن ٣ : ٧٦و٧٧ ، ذيل الآية ٩ من سورة آل عمران .

(ب) تخصيص فهم القرآن بمن خوطب به مخالف لكثير من الآيات القرآنيّة الآمرة بالتدبّر والتفكّر في القرآن، إذ التدبّر أو التعقّل لازم في الاجتهاد ؛ كما أنّ هذا التخصيص مخالف للسنّة الشريفة والسيرة المأثورة .

شروط التفسير الاجتهادي

التفسير الاجتهادي واسع النطاق، ومحلّ الزيغ والأهواء، ومزلّة للسقوط في ورطة التفسير بالرأي والهوىٰ؛ فلأجل ذلك عدّ المفسّرون له شروطاً، تجب رعايتها. ونذكر هنا نصّين من علماء المدرستين الذين جمعوا كثيراً من هذه الشروط:

ذكر كتاب أُصول التفسير وقواعده أنّ شروط المفسّر خمسة عشر شرطاً :

الأوّل: أن يكون عالماً بالحديث الشريف رواية ودراية، ومعلوم أنّ أحاديث الرسول ﷺ هي المبيّنة لتفسير المجمل والمبهم، وهي التي يستعين بها المفسّر علىٰ توضيح ما يشكل عليه .

الثاني: أن يكون عالماً باللغة؛ لأنّه بها يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع .

الثالث: أن يكون عالماً بالنحو؛ لأنّ المعنى يتغيّر ويختلف باختلاف الإعراب .

الرابع: أن يكون عالماً بالصرف ، فإن وجد كلمة مبهمةً، فإذا صرّفها اتّضحت بمصادرها .

الخامس: العلم بالاشتقاق؛ لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما .

السادس والسابع والثامن: أن يكون عالماً بالبلاغة بأقسامها الثلاثة : المعاني، والبيان والبديع .

التاسع: أن يكون عالماً بالقراءات؛ لأنّه بالقراءات يترجّح بعض الوجوه المحتملة علىٰ بعض .

العاشر: أن يكون عالماً بأُصول الدين، وهو علم التوحيد، وبه يستطيع المفسّر أن ينظر في الآيات المتعلّقة بالنبوّات والمعاد وما إلىٰ غير ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسّر فيما لايحمد عقباه.

الحادي عشر: أن يكون عالماً بأصول الفقه؛ إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام الشرعيّة من الآيات، ويستدلّ عليها ويعرف الإجمال والتبيين و ...

الثاني عشر: أن يكون عالماً بأسباب النزول.

الثالث عشر: أن يكون عالماً بالقصص.

الرابع عشر: أن يكون عالماً بالناسخ والمنسوخ.

الخامس عشر: أن يكون عاملاً بما يعلم، فيتولّد له علم الموهبة، وهذا العلم يورثه الله تعالىٰ لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾ [1] وقد روى أبو نعيم: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لايعلم» [2].

وذكر الشيخ جعفر السبحاني شروطاً نلخّصها هنا:

١ ـ معرفة قواعد اللغة العربية من النحو والصرف والاشتقاق.

٢ ـ معرفة معاني المفردات والكلمات القرآنية.

٣ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٤ ـ الحفاظ علىٰ سياق الآيات في موضوع واحد، وعدم تقطيع الآية.

٥ ـ الرجوع إلى الأحاديث الصحيحة وإجماع المسلمين.

٦ ـ معرفة أسباب النزول.

٧ ـ الإحاطة بتاريخ صدر الإسلام.

---

١. البقرة: ٢٨٢.

٢. راجع: أُصول التفسير وقواعده، للشيخ خالدالعك: ١٨٦و١٨٧.

٨ ـ تمييز الآيات المكية عن المدنية .

٩ ـ الوقوف على الآراء المطروحة حول الآية .

١٠ ـ اجتناب التفسير بالرأي[١].

في ضوء هذين النصّين، يمكن أن نقول: إنّ الشروط اللازمة في التفسير الاجتهادي تنحصر في الأمور الخمسة التالية.

١ ـ العلم بكلّ القرآن وما يتعلّق به، وكذلك التفاسير الموجودة.

٢ ـ العلم بالسنّة الشريفة قولاً وعملاً وتقريراً، وما يتعلّق بالآيات.

٣ ـ العلم بالعلوم العربية.

٤ ـ العلم بالتاريخ والقصص، ممّا يتناسب مع الآيات.

٥ ـ اجتناب الهوىٰ.

---

١ . راجع : المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ٢٥ ـ ٤٥ .

الفصل الثاني
نماذج من التفسير الاجتهادي

نورد هاهنا أربعة نماذج:

النموذج الأول
التفسير الكبير

نبذة من حياة الفخر الرازي: هو الإمام أبو عبدالله محمّد بن عمر بن حسين الطبرستاني الرّازي، المعروف بـ : فخر الدين الرّازي، وابن الخطيب ، وخطيب الرّي، وإمام المشككين. ولد في شهر رمضان عام ٥٤٤هـ، في مدينة الرّي قرب طهران ، عاصمة إيران ، وإليها نسبته بالرازي.

أخذ العلم عن والده ضياء الدين عمر، وهو من تلامذة البغوي، وعن الكمال السمعاني والمجد الجيلي وغيرهم،قام فخرالدين برحلات كثيرة إلىٰ خوارزم وبخارى وسمرقند وخجند وغيرها، وأتقن علوماً كثيرة، وبرز فيها، وتقدّم وسار، وقصده الطلبة من سائر البلدان، وكان له مجلس كبير للوعظ يحضره الخاصّ والعام[1].

---

١ . راجع: طبقات المفسّرين، للداودي ٢: ٢١٦، حرف الميم.

وعلىٰ الرغم من مناظراته للمعتزلة وغيرهم في هذه البلدان ، كان موضع الإحترام والإكبار، مع وجود التحريض عليه من قِبل بعض العلماء الذين كانوا يحاولون أن يهيّجوا عليه العامّة ، ولذلك ترك بخارىٰ وعاد إلى الري حتّىٰ اتصل بالسلطان الكبير خوارزم شاه واستقرّ عنده بخراسان، وأقام بهرات ، حتّىٰ توفّي فيها يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ وقيل: إنّ الكرّاميّة سقوه السمّ فمات .

علمه: يعدّ الرازي من العلماء البارزين في علوم كثيرة، وصاحب رأي في حقول عديدة . أمّا الفقه ، فنراه حين مناقشته لآراء فقهاء الأحناف، بمناسبة تفسير آيات الأحكام، كيف يُظهر علمه ويغلب خصمه . وأمّا علم الأُصول ، فصار إماماً في هذا العلم، فألّف كتاب (المحصول) الذي يشتمل علىٰ خلاصة الكتب المهمّة في علم الأُصول . وأمّا في علم الكلام ، فاشتهاره في هذا العلم أكثر من اشتهاره بعلم الأُصول والفقه . ولا عجب إذ نراه متكلّماً في تفسيره وبيانه للمسائل الإسلامية في شتّى العلوم . وفي علم الفلسفة ، صرف وقتاً كثيراً لمعرفة القواعد الفلسفية، ومع أنّ قراءته للفلسفة لم تكن محض الفهم والعلم بها، بل كان هدفه الأساسي الردّ عليها ، ولكن بما أنّه منصف في التعلّم والتعليم والإقبال والإعراض ، نراه أفضل نموذج من بين العلماء المنكرين للفلسفة والفلاسفة ، فألّف كتباً في هذا الفن مثل : شرح الإشارات ، لباب الإشارات، والملخّص في الفلسفة .

وكان عارفاً بالطبّ أيضاً ، وترجم للرازي في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) للقفطي ٢: ٢٣، وقال فيه : جيّد الفطرة ، حادّ الذهن ، حسن العبارة ، كثير البراعة ، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها .

وقال فيه تلميذه ، قاضي مرند : ثمّ اشتغل الرازي بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية، وتميّز حتّىٰ لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه . وله كتاب (مسائل الطب)، وآخر يسمّى (الجامع الكبير في الطب)، وثالث (التشريح من الرأس إلى الخلية)،

وكتاب في (النبض) . ويدلّ علىٰ مهارته في علم الطب، تفسيره الذي نرى فيه بحوثاً متعدّدة، تناسب الآيات في مسائل الطب والعلوم المتعلّقة بجسم الإنسان . وأمّا علمه بتفسير القرآن ، فله مجال واسع ومباحث خاصّة ، وسوف نتكلّم عليه مفصّلاً [١].

منزلته عند العلماء: قال الدّاودي في وصفه:

المفسّر، المتكلّم، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، صاحب المصنفات المشهورة، والفضائل الغزيرة المذكورة، وأحد المبعوثين على رأس المائة السادسة لتجديد الدين، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم، وقيل: إنّه كان يحفظ (الشامل) لإمام الحرمين في الكلام [٢].

وجاء في طبقات السيوطي: قال ابن خلّكان فيه: فريد عصره، نسيج وحده، شهرته تغني عن استقصاء فضائله، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة [٣].

وقال الأستاذ معرفة في وصف تفسيره: وتفسيره هذا من جلائل كتب التفسير، وقد استوفىٰ الكلام فيه، بما وسعه من الاضطلاع بأنحاء المعارف وفنون العلوم، ولم يدع براعته متجوّلة في مختلف مسائل الأصول والفلسفة والكلام، وسائر المسائل الاجتهادية النظرية والعقلية، وأسهب الكلام فيها بما ربما أخرجه عن حدّ الإعتدال، وكثيراً ما يترك وراءه لمّة من تشكيكات وإبهامات، بما يعرقل سبيل الباحثين في التفسير، ولكنّه مع ذلك فتّاح لكثير من مغالق المسائل في أبحاث إسلامية عريقة [٤].

محبته الخاصّة لأهل البيت عليهم السلام : حبّ أهل البيت ليس مخصوصاً بفرقة دون أخرى ، بل جميع الفرق والمذاهب الإسلامية تحبّ أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن في

---

١ . راجع: مقدّمة تفسيره .

٢ . طبقات المفسّرين، للداودي ٢: ٢١٦.

٣ . طبقات المفسّرين للسيوطي: ١٠٠، حرف الميم، رقم ١١٩.

٤ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٤٠٦.

كثير من الكتب لإخواننا من أهل السنّة، لانرى أثراً واضحاً من هذا الحب، مثل ما نرىٰ في تفسير الرازي، فإنّه وإن لم يكن شيعيّاً إماميّاً، ولكنّه مسلم معتقد بما يرىٰ أ نّه من آثار الرسول ﷺ، فيذكر أهل البيت بإجلال وإكبار، ممّا يكشف عن ولاء متين منه للعترة الطاهرة، الذين هم عدل القرآن العظيم، حسب ما ورد في الحديث، ونذكر هنا بعض كلماته الدالّة على عنايته الخاصّة بأهل البيت :

أ ـ حين البحث عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، يقول : وأمّا أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية، فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدىٰ، والدليل عليه قوله عليه السلام : «**اللّهم أدر الحق مع عليّ حيث دار**»[1].

ب ـ ذيل جملة «المودّة في القربى» يقول : نقل صاحب الكشاف عن النبي ﷺ أ نّه قال : «**من مات علىٰ حب آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات علىٰ حب آل محمّد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات علىٰ حب آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة، ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فُتح له في قبره بابان إلى الجنّة ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة ، ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد مات كافراً ، ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة**»، هذا هو الذي رواه صاحب الكشّاف، وأنا أقول: آل محمّد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولاشكّ أنّ فاطمة وعلياً

---

١ . التفسير الكبير ١: ٢٠٥ ، ذيل المسائل الفقهية المستنبطة من سورة الفاتحة .

والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل [١].

ج ـ يعقّب أسماء أئمة أهل البيت بـ (السلام عليهم) أو (عليهم السلام)، وليس هذا في الإمام علي عليه السلام والحسن والحسين فقط، بل نجد دأبه هذا حين ذكر بقيّة الأئمة، ففي سورة التكوير يقول: وقال جعفر الصادق عليه السلام: «**النعيم المعرفة والمشاهدة، والجحيم ظلمات الشّهوات**» [٢] فهو يذكر لفظة (عليه السلام) بعد ذكر الإمام الصادق عليه السلام.

د ـ وأيضاً في الأقوال التي ذكرها لتفسير (الكوثر) يقول: القول الثالث: الكوثر، أولاده، قالوا: لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً علىٰ من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنىٰ: أنّه يعطيه نسلاً يبقون علىٰ مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أميّة في الدنيا أحد يعبأ به، ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكيّة وأمثالهم [٣].

قال الأُستاذ معرفة: وأمّا ما نجده أحياناً من تحامله على الشيعة، وربما لعنهم بعنوان الروافض، فلعلّه من عمل النسّاخ، إذ لايليق بقلب كاتب أديب وعلّامة أريب أن يهدر في سفه الهذر:

من يُعنَ بالحمدِ لم ينطقْ بما سَفَه ... ولم يحِدْ عن سبيل الحلمِ والأدبِ [٤]

التعريف بالتفسير: التفسير الكبير المسمّى بـ: (تفسير مفاتيح الغيب) و(تفسير

---

١. التفسير الكبير ٢٧: ١٦٦، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورىٰ.

٢. المصدر السابق ٣١: ٨٥، ذيل الآية ١٣ و ١٤ من سورة التكوير.

٣. المصدر نفسه ٣٢: ١٢٤، ذيل الآية الأُولى من سورة الكوثر.

٤. التفسير والمفسّرون ٢: ٤١٢.

الرازي) تفسير شامل لجميع القرآن، وهو من أشهر التفاسير، ويشتمل على المباحث العقلية المتعلّقة بالدين، ومن جانب آخر فإنّ تفسير الرازي فريد بين التفاسير لا مثيل له من نوعه؛ لتنوّعه وشموله لجوانب مختلفة من المباحث والعلوم، بحيث لا غنى للدارس عن الإطلاع عليه ودراسته والاستفادة منه في فهم كلّ ما يتعلّق بالقرآن، ويعدّ هذا التفسير تفسيراً اجتهاديّاً جامعاً، لأنّه تعرّض لمباحث اللغة والإعراب والقراءة والبيان والكلام والأصول والفقه وغيرها، فأشبع في كلّ واحد منها القول، وعقد لكلّ موضوع يريد بحثه مسألة من المسائل المتعلّقة بالآيات، خصوصاً المسائل الكلامية، وحاول إثبات مذهبه الأشعري في مقابل المعتزلة والقدرية والشيعة، ويقع هذا التفسير الضخم في بعض طبعاته في اثنين وثلاثين مجلّداً، وطبع مرّات عديدة بأساليب مختلفة .

استغرق الرازي في كتابة تفسيره عشر سنوات تقريباً ، ويعتبر التفسير موسوعة رائعة علمية إسلامية وقرآنية، يشتمل علىٰ كثير من البحوث الإسلامية والعلوم الدنيويّة والأخرويّة .

قال الأُستاذمعرفة : ... بل الظاهر أنّه فسّر القرآن كلّه حتّىٰ آخر سورة منه؛ نظراً لوحدة الأسلوب والمنهج والقلم والبيان، فضلاً عن الشواهد الموفورة علىٰ أنّ الرازي قد أكمل تفسيره حتّى النهاية ، اللّهم إلّا بعض التعليق ممّا أضيف إليه بعد ذلك، فألحق بالمتن في الاستنساخات المتأخرة ، ونذكر شاهداً علىٰ ذلك: أنّه عند تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزّمر (رقمها ٣٩ ورقم سورة الأنبياء ٢١) في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [١] يقول : واعلم أنّا بالغنا في تفسير سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

١ . الزمر: ٢٢ .

صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾[١] في تفسير شرح الصدر وفي تفسير الهداية[٢]، وأمثال هذه العبارة كثير في القسم المتأخّر من التفسير [٣].

وعلىٰ كلّ حال فتفسيره هذا يغلب عليه اللون الكلامي الفلسفي؛ لاضطلاعه بهذين العلمين، ومن ثمّ نجده يكثر الكلام في ذلك كلّما أُتيحت له الفرصة، فيغتنمها ويسهب في الكلام في مسائل فلسفية بعيدة الأغوار، بما ربّما أخرجه عن حدّ تفسير القرآن إلى مباحث جدليّة كلاميّة ربّما كانت فارغة [٤].

أقول: روي عنه أنّه قال: «لقد اختبرت الطرق الكلاميّة والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً ولاتشفي عليلاً، ورأيت أصحّ الطرق طريقة القرآن» [٥].

ولكن مع هذه كلّه، صار تفسيره مجمعاً لآراء المتكلّمين، فهو قد اشتغل بالقرآن ظاهراً وبعلم الكلام مرّة أخرىٰ باطناً، ولا ضيرَ في ذلك لدىٰ أهل التحقيق؛ لأنّ كثيراً من أهل التدقيق يستفيدون من هذا التفسير ليعرفوا علاقة المسائل الكلاميّة بالتنزيل.

أسلوب التفسير: أوّلاً يذكر اسم السورة، ومحلّ نزولها، وعدد آياتها، والأقوال التي قيلت فيها . ثمّ يذكر آية أو آيتين أو مجموعة من الآيات، ويشرح الربط بين الآيات، وبعده يذكر المسائل المتعلّقة بالآية ، وقد تبلغ المسائل المطروحة حول الآية عشراً أوأكثر ، وقد يبيّن هذه المسائل بعناوين مثل: النحو والأُصول وسبب النزول واختلاف أوجه القراءات وغيرها ، وهو من أحسن الأساليب التفسيرية، إذ تتجزّأ المسائل وتتركّز الأبحاث مفصّلة كلاً في محلّها، دون أن يختلط البحث أو

---

١ . الأنعام: ١٢٥ .

٢ . راجع: التفسير الكبير ٢٦ : ٢٦٥، ذيل الآية ٢٢ من سورة الزمر .

٣ . راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٤٩ .

٤ . راجع : المصدر السابق ٢ :٤٠٨ .

٥ . راجع: طبقات المفسّرين، للداودي ٢: ٢١٧.

تتشابك المطالب،ومس تم لايترك القارئ حائراً في أمره من البحث الذي ورد فيه[١].

مثلاً: في سورة الإخلاص يأتي بهذه المسائل على الترتيب التالي:

١ ـ اسم السورة .

٢ ـ ذكر عدد آياتها .

٣ ـ ذكر فصول أربعة قبل تفسير الآيات : (الفصل الأول : ثواب القراءة ، الفصل الثاني : ذكر الوجوه المذكورة في سبب نزول السورة ، الفصل الثالث : في أساميها ، الفصل الرابع : في فضائل السورة) .

٤ ـ ذكر الآية الأولىٰ مع ذكر ست مسائل حولها ، ثمّ ذكر الآيات الأخرىٰ مع بعض المسائل حول كلّ آية .

٥ ـ ذكر تناسب الآيات من السورة، وفوائد الترتيب الموجود فيها .

٦ ـ ذكر تناسب سورة الإخلاص مع سورة الكوثر [٢].

منهجه في التفسير: لكي نعرف منهجه في التفسير، لابدّ من ذكر أمور كما هي العادة :

١ ـ كان الرازي يعتقد أنّ لله كونين : كوناً منظوراً، هو الوجود بما فيه من مظاهر عالم الجماد والحياة، وكوناً مقروءاً، هو القرآن الكريم .

وكلّما تعمّقنا في العالم الأوّل ازداد فهمنا للعالم الثاني، ولذا طبّق اعتقاده العلمي هذا في تفسيره، وسخّر جميع ما كان معروفاً في ذلك الزمان من حقائق علميّة، لتفسير آي القرآن الكريم [٣].

٢ ـ إيراد المسائل القريبة والبعيدة من الآية في التفسير .

---

١. راجع : التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٤٠٦، والمفسّرون وحياتهم ومنهجهم : ٦٥٥و٦٥٦ .

٢. راجع: التفسير الكبير ٣٢ : ١٧٤ ـ ١٨٥ ، تفسير سورة الإخلاص .

٣. راجع : المفسّرون حياتهم ومنهجهم، للأستاذ إيازي: ٦٥٣ .

لم يكتفِ الرازي بما يتعلّق بظاهر الآية فحسب ، بل ذكر كلّ ما خطر بباله أ نّه يتعلّق بالآية تعلّقاً مّا ، فلأجل ذلك نرى أ نّه يذكر أموراً كثيرة ذيل آية واحدة يسيرة . فمثلاً يقول الرازي: إعلم أ نّه مرّ علىٰ لساني في بعض الأوقات أنّ هذه السورة ـ يريد سورة الفاتحة ـ الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحسّاد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد.

ثمّ أخذ يضرب الأمثلة فيقول : فثبت بهذا الطريق أنّ قولنا : أعوذ بالله (مشتمل علىٰ عشرة آلاف مسألة أو أزيد)[1] . ويقول : الباء في بسم الله ، باء الإلصاق، وهي متعلّقة بفعل ، والتقدير : باسم الله أشرع في أداء الطاعات ، وهذا المعنىٰ لا يصير ملخّصاً معلوماً إلّا بعد الوقوف علىٰ أقسام الطاعات ، وهي العقائد الحقّة ، والأعمال الصافية مع الدلائل والبيّنات ، ومع الأجوبة عن الشّبهات، وهذا المجموع ربّما زاد علىٰ عشرة آلاف مسألة .

٣ ـ يذكر كلمات المخالفين وأدلّتهم بشكل واضح ومفصّل، مع رعاية الإنصاف، يقول الحافظ بن حجر في لسان الميزان : وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلّها، حتّىٰ قال بعض المغاربة : يورد الشبهة نقداً ويحلّها نسيئة ... ورأيت في (الإكسير في علم التفسير) للنجم الطوفي ما ملخّصه : ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ، ومن تفسير الإمام فخر الدين ، إلّا أ نّه كثير العيوب ، فحدّثني شرف الدين النصيبي، عن شيخه سراج الدين السرمياحي المغربي، أ نّه صنّف كتاب المأخذ في مجلّدين ، بيّن فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج ، وكان ينقم عليه كثيراً، ويقول : يورد شبه المخالفين في المذهب والدين علىٰ غاية ما يكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنّة والحق ، على غاية من الوهاء ... قال الطوفي : ولعمري إنّ هذا دأبه في كتبه الكلامية والحكميّة ، حتّىٰ اتّهمه بعض الناس ،

---

١ . التفسير الكبير ١ : ٢١ و ٢٢ ، ذيل آية بسم الله .

ولكنّه خلاف ظاهر حاله ؛ لأنّه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ما كان عنده من يخاف منه حتّىٰ يستر عنه، ولعلّ سببه أ نّه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه، لايبقىٰ عنده شيء من القوىٰ، ولاشكّ أنّ القوىٰ النفسانية تابعة للقوىٰ البدنية، وقد صرّح في مقدّمة نهاية العقول : أ نّه مقرّر مذهب خصمه تقريراً، لو أراد خصمه تقريره، لم يقدر على الزيادة علىٰ ذلك [١].

وأحياناً يذكر أموراً ذيلَ بعض الآيات لا دخل لها في تفسيرها،فمثلاً يذكر أربعة فصول لتفسير آية : ﴿ **وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾: الفصل الأول: في ترتيب الأفلاك، الفصل الثاني: في معرفة الأفلاك،الفصل الثالث:في مقادير الحركات،الفصل الرابع:في كيفيّة الاستدلال بهذه الأحوال على الوجود [٢].

٤ ـ الاهتمام ببيان المناسبات، يمتاز تفسير الرازي بذكر المناسبات بين سورة وسورة، وبين آية وآية، وأحياناً يذكر المناسبة بين أوّل السورة وآخرها .

مثال الأول: ما ذكره في مناسبة قوله تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [٣]، للآية التي قبلها وهي قوله تعالىٰ: ﴿**بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [٤]، ذكر المناسبة بين هاتين الآيتين فقال : إعلم أ نّه سبحانه وتعالى ما ذكر في القرآن آيةً في الوعيد إلّا ذكر بجانبها آيةً في الوعد؛ وذلك لفوائد منها :

أ ـ ليظهر بذلك عدله سبحانه وتعالىٰ، لأنّه لما حكم بالعذاب الدائم على

---

١ . لسان الميزان ٤ : ٤٢٧ و٤٢٨، وراجع التفسير والمفسّرون، للذهبي ١ : ٢٩٤و٢٩٥ .

٢ . التفسير الكبير ٤: ١٨٠ ـ ٢١٠، ذيل الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

٣ . البقرة:٨٢ .

٤ . البقرة:٨١ .

المصرّين على الكفر، وجب أن يحكم بالنعيم الدائم للمصرّين على الإيمان .

ب ـ أنّ المؤمن لابدّ أن يعتدل خوفه ورجاؤه .

ج ـ أنّه يُظهر بوعده كمال رحمته، وبوعيده كمال حكمته، فيصير ذلك سبباً للعرفان [١].

ومثال الثاني وهو: تناسب أوّل السورة مع آخرها ، عند تفسير سورة النساء، يقول : واعلم أنّ في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي: أنّ أوّلها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالىٰ، فإنّه قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [٢] وهذا دالّ علىٰ سعة القدرة ، وآخرها مشتمل علىٰ بيان كمال العلم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣]، وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبيّة والألوهيّة والجلالة والعزّة ، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعاً للأوامر والنواهي، منقاداً لكلّ التكاليف [٤].

مصادره في التفسير

الأوّل : القرآن الكريم

يستفيد الرازي من القرآن الكريم؛ ليفسّر بعض الآيات، وإن كان ينتفع بهذا المصدر قليلاً، فنراه بعد ذكر آية : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [٥] يقول : المسألة الثانية قوله : «ربنا واجعلنا مسلمين لك» يفيد الحصر ، أي: نكون مسلمين لك

---

١ . راجع: التفسير الكبير ٣ : ١٦٢ ، ذيل الآية ٨٢ من سورة البقرة .

٢ . النساء:١ .

٣ . النساء:١٧٦ .

٤ . التفسير الكبير ١١ : ٢٢ ، ذيل الآية ١٧٦ من سورة النساء .

٥ . البقرة:١٢٨ .

لا لغيرك ، وهذا يدلّ علىٰ أنّ كمال سعادة العبد في أن يكون مسلماً لأحكـام الله تعالىٰ وقضائه وقدره ، وأن لايكون ملتفت الخاطر إلىٰ شيء سواه ، وهذا هو المراد من قول إبراهيم عليه السلام في موضع آخر: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [1][2].

وذيل الآية : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [3] يقول : وقال في سورة النحل : ﴿إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [4]، ولمّا تأمّلت فيه، لاحت لي فيه دقيقة،كأ نّه يقول : إذا حصلت النّعم الكثيرة، فأنت الذي أخذتها، وأنا الذي أعطيتها، فحصل لك من أخذه وصفان ، وهما: كونك ظلوماً كفّاراً ، ولي وصفان عند إعطائها، وهما: كوني غفوراً رحـيماً ، والمقصود كأ نّه يقول : إن كنتَ ظلوماً فأنا غفور، وإن كنت كفّاراً فأنا رحيم ، اعلم عجزك وقصورك، فلا أقابل تقصيرك إلّا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلّا بالوفاء [5].

الثاني: السنّة الشريفة والآثار المرويّة

في سورة الكوثر حول جملة (وانحر) يقول : روى الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه السورة، قال النبيّ صلى الله عليه وآله لجبريل : «**ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربّي؟ قال: ليست بنحيرة، ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذ كبرت، وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع ، وإن لكلّ شيء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كلّ تكبيرة**» [6].

---

١ . الشعراء: ٧٧ .

٢ . التفسير الكبير ٤ : ٦٧ ، ذيل الآية ١٢٨ من سورة البقرة .

٣ . إبراهيم: ٣٤ .

٤ . النحل: ١٨ .

٥ . التفسير الكبير ١٩ : ١٣٠ و ١٣١

٦ . راجع: المصدر السابق ٣٢ : ١٢٩ .

الثالث : القواعد الفلسفية والكلامية

في تفسير سورة الإخلاص يقول : نفي كونه تعالى والداً، مستفاد من العلم بأ نّه تعالى ليس بجسم ولا متبعّض ولا منقسم، ونفي كونه تعالىٰ مولوداً، مستفاد من العلم بأ نّه تعالىٰ قديم، والعلم بكلّ واحد من هذين الأصلين متقدّم على العلم بالنبوّة والقرآن [١].

وفي تفسير آية الكرسي يقول : إنّه تعالىٰ حيّ قيوم ، وكلّ من كان حيّاً قيوماً يمتنع أن يكون له ولد، وإنّما قلنا: إنه حيّ قيوم ؛ لأنّه واجب الوجود لذاته ، وكلّ ما سواه، فإنّه ممكن لذاته ، محدث حصل تكوينه وتخليقه وإيجاده، علىٰ ما بيّنا كلّ ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿اللّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وإذا كان الكلّ محدَثاً مخلوقاً، امتنع كون شيء منها ولداً له وإلهاً ، كما قال : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾، وأيضاً لمّا ثبت أنّ الاإله يجب أن يكون حيّاً قيّوماً ، وثبت أنّ عيسى ما كان حيّاً قيوماً، لأنّه ولد ، وكان يأ كل ويشرب ويُحدث ، والنصارى زعموا أ نّه قتل ، وما قدر على رفع القتل عن نفسه، فثبت أ نّه ما كان حيّاً قيّوماً ، وذلك يقتضي القطع والجزم بأ نّه ما كان إلهاً، فهذه الكلمة وهي وقوله : «الحي القيوم» جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى في التثليث [٢].

الرابع : الشهود وقواعد العرفان

في سبب دعاء إبراهيم عليه‌السلام في الآية : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [٣] يقول : إنّ الصوفيّة يقولون : إنّ الشرك نوعان : شرك جليّ، وهو الذي يقول به

١ . التفسير الكبير ٣٢ : ١٨٣و ١٨٤ .

٢ . المصدر السابق ٧ : ١٦٧ .

٣ . إبراهيم: ٣٥ .

المشركون ، وشرك خفيّ، وهو تعليق القلب بالوسائط وبالأسباب الظاهرة، والتوحيد المحض هو: أن ينقطع نظره عن الوسائط، ولايرىٰ متصرّفاً سوى الحقّ سبحانه وتعالىٰ، فيحتمل أن يكون قوله : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ المراد منه: أن يعصمه عن هذا الشرك الخفيّ، والله أعلم بمراده (١).

وكذلك نرى الفخر الرازي يفسّر كلّ سورة الفلق والناس على لسان بعض العارفين في صفحتين من تفسيره (٢).

الخامس: العلم التجريبي

كان الفخر الرازي ماهراً في كثير من العلوم الأخروية والدنيوية ، وكان يستفيد من هذه العلوم في تفسير الآيات، فهو يفسّر الآيات بالعلوم التجربية الموجودة آنذاك ، فمثلاً يفسر جملة : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لَاتُحْصُوهَا﴾ بذكر مصداق لذلك فيقول : إنّ الأطباء ذكروا أنّ الأعصاب قسمان : منها دماغية، ومنها نخاعية ، أمّا الدماغية فإنّها سبعة، ثمّ أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كلّ واحد من تلك الأرواح السبعة ، ثم ممّا لاشكّ فيه أنّ كلّ واحد من الأرواح السبعة ينقسم إلى شُعب كثيرة، وكلّ واحد من تلك الشعب أيضاً إلى شعب دقيقة أدقّ من الشعرة، ولكلّ واحد منها ممرّ إلى الأعضاء، ولو أنّ شعبة واحدة اختلّت، إمّا بسبب الكميّة، أو بسبب الكيفية، أو بسبب الوضع، لاختلّت مصالح البنية ، ثمّ إنّ تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدّاً، ولكلّ واحدة منها حكمة مخصوصة، فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أنّ الله تعالى يحسب كل شظيّة من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة، لو فاتت لعظم الضرر عليه، وعرف قطعاً أنّه لاسبيل

---

١. التفسير الكبير ١٩ : ١٣٢ .

٢. المصدر السابق ٣٢ : ١٨٦ .

له إلى الوقوف عليها والاطلاع علىٰ أحوالها، وعند هذا يقطع بصحّة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَتُحْصُوهَا﴾ [١].

في هذا النوع من التفسير في الواقع، ذكر مصداقاً بارزاً من العلوم التجربية على عدم إمكان إحصاء نعم الله تعالى.

السادس : قول أهل اللغة

في ذيل الآية : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ...﴾ [٢] يقول : من الدلائل علىٰ أنّ كلّ مسكر خمر ، التمسّك بالاشتقاقات ، قال أهل اللغة : أصل هذا الحرف التغطية ، سمّي الخمار خماراً؛ لأنّه يغطّي رأس المرأة، والخمر ما واراك من شجر وغيره ، من وهدة وأَكَمَة ، وخمّرتُ رأس الإناء، أي: غطّيته، والخامر هو: الذي يكتم شهادته ، قال ابن الأنباري : سميت خمراً؛ لأنّها تخامر العقل ، أي: تخالطه ، يقال : خامره الداء ، إذا خالطه وأنشد لكثير :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

ويقال: خامر السّقام كبده ، وهذا الذي ذكره راجع إلى الأوّل ؛ لأنّ الشيء إذا خالط الشيء، صار بمنزلة الساتر له . فهذه الاشتقاقات دالّة علىٰ أنّ الخمر ما يكون ساتراً للعقل، كما سمّيت مُسكراً؛ لأنّها تُسكر العقل، أي: تحجزه [٣].

السابع : التاريخ

ذيل الآية : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ...﴾ [٤] يقول : إنّ القوم علموا أنّهم لو

١ . التفسير الكبير ١٩ : ١٢٩، ذيل الآية ٣٤ من سورة إبراهيم.

٢ . البقرة: ٢١٩ .

٣ . التفسير الكبير ٦ : ٤٥ ، ذيل الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

٤ . التوبة: ٣٧ .

رتّبوا حسابهم على السنّة القمرية ، فإنّه يقع حجّهم تارة في الصيف وتارة في الشتاء ، وكان يشقّ عليهم الأسفار، ولم ينتفعوا بها في المرابحات والتجارات؛ لأنّ ساير الناس من سائر البلاد ما كانوا يحضرون إلّا في الأوقات اللائقة الموافقة، فعلموا أنّ بناء الأمر علىٰ رعاية السنّة القمرية، يُخل بمصالح الدنيا، فتركوا ذلك واعتبروا السنة الشمسية، ولما كانت السنّة الشمسية زائدة على السنّة القمرية بمقدار معيّن، احتاجوا إلى الكبيسة وحصل لهم بسبب تلك الكبيسة أمران :

أحدهما : أ نّهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهراً؛ بسبب اجتماع تلك الزيادات .

والثاني : أ نّه كان ينتقل الحج من بعض الشهور القمرية إلى غيره ، فكان الحج يقع في بعض السنين في ذي الحجة، وبعده في المحرم، وبعده في صفر، وهكذا في الدور، حتّىٰ ينتهي بعد مدّة مخصوصة مرة أخرى إلى ذي الحجة، فحصل بسبب الكبيسة هذان الأمران : أحدهما الزيادة في عدّة الشهور ، والثاني : تأخير الحرمة الحاصلة لشهر إلىٰ شهر آخر [1]. فهذا التفسير للآية تفسير على حسب الأحداث التاريخيّة التي كانت تتعلّق بما يفعله بعض في الجاهلية.

النموذج الثاني
تفسير المنار

نبذة من حياة الشيخ محمّد عبده: ولد محمّد عبده سنة ١٨٤٩م، في قرية مصريّة (محلّة نصر)، من أبوين مصريين متوسطي الحال، وتعلّم القراءة والكتابة في منزل والديه، دون أن يذهب إلى الكتّاب .

---

١ . التفسير الكبير ١٦ : ٥٦ ، ذيل الآية ٣٧ من سورة التوبة .

وبعد أن جاوز الصبيّ العاشرة من عمره ، أتمَّ حفظ القرآن على حافظ خاصّ، ثمّ ذهب إلىٰ (الجامع الأحمدي) في طنطا ، يتعلّم تجويد القرآن وقواعد اللغة العربية ، لكنّ منهج التعليم في الجامع الأحمدي كان منهجاً وعراً شاقّاً، يخالف ما تقضي به أبسط قواعد التربية، وكاد الصبيّ أن ينصرف عن العلم، وأن يشتغل بالزراعة، ولكن أحد أخوال أبيه ، الشيخ درويش ، ساعده في هذا الوقت الحرج؛ إذ كان الشيخ درويش رجلاً صوفيّاً طيّب القلب زكيّ الفؤاد، استطاع في خمسة عشر يوماً أن يروّض جماح الفتى، وأن يوجّهه إلى المعاني القدسيّة واللذات الروحية، وهذا هو الشيخ محمّد عبده نفسه يتحدّث عن الواقعة : وتفرّقت عنّي جميع الهموم، ولم يبق إلّا همّ واحد، وهو: أن أكون كامل المعرفة ، كامل أدب النفس، ولم أجد إماماً يرشدني إلىٰ ما وجّهت إليه نفسي، إلّا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلىٰ فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلىٰ إطلاق التوحيد ... هو مفتاح سعادتي إن كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا، وهو الذي ردّ لي ما كان غاب عنّي من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عنّي ممّا أودع في فطرتي [١] .

والتحق بالجامع الأزهر، ولكن لم تعجبه المناهج التعليميّة والمصادر الدرسيّة .

ومن حسن حظّه أنّه التقىٰ بشخصيّة عظيمة سيكون لها أثر عميق يلهمه ويوجّهه إلى رتبة أعلىٰ، وكانت تلك الشخصيّة هذه المرّة شخصية رجل ثائر وبطل من أبطال التحرير هو السيد جمال الدين الأسد آبادي، من محافظة همدان في ايران، أو الأفغاني، على حسب الاختلاف المشهور [٢] .

---

١ . راجع : رائد الفكر المصري، الإمام محمّد عبده للدكتور عثمان أمين: ٢٥ و٢٦، نقلاً عن رشيد رضا ، تاريخ الأُستاذ الإمام ١ :٢٣ .

٢ . هناك خلاف بين طائفتين : طائفة تقول: إنّه من أسد آباد، وهو إيراني، وطائفة أُخرى تقول : إنّه من

←

وقد أثّر السيّد في الشيخ محمّد عبده تأثيراً عميقاً في أفكاره وعقائده ، يقول الشيخ في رسالة مرسلة إلى السيد : مولاي الأعظم حفظه الله وأيّد مقاصده ، ليتني كنت أعلم ماذا أكتب إليك، وأنت تعلم ما في نفسي كما أعلم ما في نفسك ، صنعتنا بيديك وأفضت على موادّها صورها الكمالية، وأنشأتنا في أحسن تقويم،فبك عرفنا أنفسنا ، وبك عرفناك، وبك عرفنا العالم أجمعين، فعلمك بنا كما لايخفاك، علم من طريق الموجب، وعلمك بذاتك وثقتك بقدرتك وإرادتك، فعنك صدرنا وإليك المآب[١].

وبدأ بالتعليم بعدما أخذ الشهادة من الأزهر عام ١٨٧٧م ، وكتب في الصحف ولاسيّما جريدة (الوقائع المصرية)، وقد تولّى تحريرها، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، ولمّا احتلّ الإنكليز مصر ناوأهم وشارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن مدّة ثلاثة أشهر للتحقيق، ونفي إلىٰ بلاد الشام سنة ١٨٨١م، وسافر إلىٰ باريس، وأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين، جريدة (العروة الوثقىٰ)، وعاد إلىٰ بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٨٨٨ م وتولّىٰ منصب القضاء، ثمّ جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصريّة، واستمرّ إلىٰ أن توفّي بالاسكندرية، ودفن بالقاهرة [٢].

تأليفاته :

١ ـ تفسير المنار ، سوف نتكلّم عليه بالتفصيل.

٢ ـ شرح على نهج البلاغة .

← أفغانستان ، وهذا لايهمنا بعد كون محور القيمة هو أفكار السيد وعقائده، وليست جنسيته ومولده ، بل المهمّ أنّه مسلم، فيكون لجميع المسلمين .

١ . الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمّد عبده ١ : ٦٢٥ .

٢ . راجع : التفسير والمفسّرون في العصر الحديث، لعبدالقادر محمّد صالح : ٣٠٢ .

٣ ـ الواردات في سرّ التجلّيات .

٤ ـ حاشية على العقائد العضدية .

٥ ـ علم الاجتماع والعمران .

٦ ـ رسالة في الردّ على الدهريين .

٧ ـ شرح مقامات بديع الزمان .

٨ ـ رسالة التوحيد .

٩ ـ شرح البصائر النصيرية .

١٠ ـ الإسلام والردّ على منتقديه .

١١ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية .

١٢ ـ إصلاح المحاكم الشرعية .

١٣ ـ تفسير جزء عمّ.

١٤ ـ تفسير سورة العصر .

١٥ ـ رسالة المدبّر الإنساني والمدبّر العقلي والروحاني.

وكتب ومقالات أخرىٰ.

نبذة من حياة محمّد رشيد رضا: هو محمّد رشيد بن علي رضا بن محمّد البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب وعلماء الحديث والأدب والتاريخ والتفسير .

ولد سنة ١٢٨٢هـ، ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس في لبنان) وتعلّم فيها وفي طرابلس ، ثمّ رحل إلىٰ مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمّد عبده وتتلمذ له ، وكان قد اتّصل به قبل ذلك في بيروت، ثمّ أصدر مجلة (المنار) في ٣٤ مجلّداً، وفيها نشر تفسير القرآن الكريم المسمّى بالمنار ولم يكمله. توفي فجأة سنة ١٣٥٤هـ، في سيارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة، ودفن في القاهرة .

تأليفاته:

١ ـ تفسير القرآن الكريم (إملاء ما بيّنه الشيخ محمّد عبده وماأ لّفه).

٢ ـ الوحي المحمّدي.

٣ ـ يسر الإسلام وأُصول التشريع العامّ.

٤ ـ الوهابيّون والحجاز.

٥ ـ محاورات المصلح والمقلّد.

٦ ـ ذكرى المولد النبوي[١].

وآثار أخرى.

تعريف بتفسير المنار: هو تفسير غير شامل لجميع القرآن، ينتهي آخر أجزائه وهو المجلد الثاني عشر عند قوله تعالىٰ في الآية ٥٣ من سورة يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

أمّا ما فسّر من أوّل القرآن إلىٰ سورة النساء الآية ١٢٥ فهو بإنشاء معاني الشيخ وإملاء السيد محمّد رشيد رضا، وهو المجلد الخامس صفحة ٤٤١، يقول رشيد رضا في هذه الصفحة: هذه الآية (١٢٥ من النساء) كانت آخر ما فسّره شيخنا الأُستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده في الجامع الأزهر، فرضي الله عنه وجزاه عن نفسه وعنّا خير الجزاء، وسنستمر في التفسير على هذه الطريقة التي اقتبسناها منه إن شاء الله تعالىٰ، وإن كنّا محرومين في تفسير سائر القرآن من الفوائد والحكم التي كانت تهبط من الفيض الإلهي علىٰ عقله المنير، إلّا في الجزء الثلاثين؛ فإنّه كتب له تفسيراً مختصراً مفيداً، وكان فراغه من تفسير هذه الآية في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣هـ، وقد توفي في شهر جمادى الأولى منها رحمه الله تعالى ونفعنا به، وكتبت

---

١. راجع: المفسّرون حياتهم ومنهجهم، لمحمّد عليّ إيازي: ٦٦٥ و٦٦٦، وانظر ترجمة محمّد رشيد رضا في: الأعلام، للزركلي ٦: ١٢٦.

تفسير هذه الآيات في مدينة بمبي (أو بومباي) من ثغور الهند في غرّة ربيع الآخر سنة ١٣٣٠هـ، والله أسأل أن يوفقني لإتمام هذا التفسير، إنّه على ما يشاء قدير [١].

أمّا قصّة تدوين هذا التفسير، فتنشأ من كتابات الشيخ محمّد عبده للتفسير في مجلّة (العروة الوثقىٰ)؛ فإنّ السيّد اقترح على الشيخ أن يكتب تفسيراً للقرآن على النهج الذي كان يكتبه في جريدة (العروة الوثقىٰ)، وبعد تبادل الكلمات بين الشيخين، اقتنع الأُستاذ الإمام بأن يقرأ دروساً في التفسير بالجامع الأزهر، ولم يلبث إلّا قليلاً حتّىٰ قام بإلقاء دروسه في التفسير علىٰ طلابه ومريديه مدة ست سنوات، وكان رشيد رضا يكتب بعض ما يسمع ويزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك، ثمّ قام بنشر ما كتب على الناس في مجلته (المنار)، ولكن لم يفعل ذلك إلّا بعد مراجعة أستاذه لما كتب؛ لكي يقوم بتنقيحه وتهذيبه، ولإضافة بعض المطالب .

ابتدأ رشيد رضا قبل التفسير ببيان عدة أمور ، منها : صفة القرآن المستفادة من الآيات، وتذكير المسلمين بكتاب الله، والحاجة إلى التفسير ، وسيادة العرب بإصلاح القرآن لأنفسهم، وما في التفاسير من الشواغل عن هداية القرآن، وبحث حول التفسير بالمأثور، واتصال المؤلّف (رشيد رضا) بالأُستاذ الإمام واقتراحه التفسير عليه، وتحاورهما في كتابة التفسير أو قراءاته، وطريقة الإمام في قراءة التفسير، وطريقة المؤلّف في كتابته ، وبيان نكات حول التفسير مقتبسة من دروس الامام، ممّا يحتاج إليها في التفسير من العلوم وحدوده، ومباحث حول مبلغ معرفتنا بالقرآن وما نعظّمه به، وبقاء الإسلام بالقرآن ولغته، وغيرها من المباحث المفيدة جدّاً في علم التفسير [٢].

ويعدّ هذا التفسير رائداً باللون الأدبي الاجتماعي في عالم التفسير، وبعيداً عن التأثر بالآراء والمذاهب ، فهذه المدرسة لاتعتني بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة .

---

١ . تفسير المنار ٥ : ٤٤١، ذيل الآية ٥٣ من سورة يوسف .

٢ . راجع : المفسّرون حياتهم ومنهجهم : ٦٦٨ و٦٦٩، وانظر تفسير المنار : ٣ـ٣١ .

يقول الأُستاذ معرفة: رائد هذه المدرسة الأوّل وزعيمها وعـميدها هـو الإمـام الشيخ محمّد عبده، الذي بنىٰ أساس هذا البنيان الرفيع، وفتح باب الاجـتهاد فـي التفسير بعدما كان مغلقاً طيلة قرون، فقد نبذ طريقة التقليد السّلفي، وأعطى للعقل حريته في النقد والتمحيص، وسار على منهجه الأجلّاء من تلامذته ، أمثال السـيد محمّد رشيد رضا، والشيخ محمّد القاسمي، والشيخ أحمد مصطفى المراغي، ومن جاء بعدهم، جارياً علىٰ نفس التعاليم، أمثال السيد قطب، والشيخ محمّد جواد مغنية، والشيخ محمّد الصادقي، والسيد محمّد حسين فضل الله ، والسيد محمّد الشيرازي، والشيخ سعيد حوّى، والأُستاذ محمّد علي الصّابوني، والسيد محمّد تقي المدرّسي، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والذي فاق الجميع في هذا المـجال هـو العـلّامة الفيلسوف السيد محمّد حسين الطباطبائي، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار[1].

منهج تفسير المنار: لكي نعرف منهج (تفسير القرآن الكريم) الشهير بـ (تـفسير المنار) ، لابدّ من ذكر بعض خصوصيّات هذا التفسير وهي:

١ ـ تقسيم التفسير إلىٰ قسمين

في رأي المؤلّفين، التفسير تارة يتمركز على ظـاهر القـرآن وألفـاظه والفـنون المتعلّقة بها، أي: التفسير الأدبي، فهذا النوع ليس تفسيراً في الواقع، وتارة يتمركز على الاهتداء بالقرآن، وفهم المراد والغاية من الآيات، فينبغي أن ينحصر التفسير في هذا القسم فقط.

جاء في مقدّمة تفسير المنار : فعلم ممّا ذكرنا أنّ التفسير قسمان :

أحدهما: جافّ مبعّد عن الله وعن كتابه، وهو: ما يقصد به حلّ الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنيّة، وهذا لاينبغي

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٤٥٣ و ٤٥٤ .

أن يسمّى تفسيراً ، وإنّما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرها .

وثانيهما: هو التفسير الذي قلنا : إنّه يجب على الناس علىٰ أ نّه فرض كفاية ، وهو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو: ذهاب المفسّر إلىٰ فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقّق فيه معنى قوله: ﴿هدىً ورحمة﴾ ونحوهما من الأوصاف، فالمقصد الحقيقي لتلك الشروط والفنون هو: الاهتداء بالقرآن ، قال الأُستاذ الإمام : وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير [١].

٢ ـ للتفسير مرتبتان : دنيا وعليا

ذكر في مقدّمة التفسير: أنّ للتفسير مراتب ، أدناها أن يبيّن بالإجمال ما يُشرب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشرّ ويجذبها إلى الخير، وهذه هي التي قلنا: إنّها متيسّرة لكلّ أحد ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [٢].

وأمّا المرتبة العليا فهي لاتتم إلّا بأمور :

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة .

وثانيها: الأساليب ، فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة .

وثالثها: علم أحوال البشر فيما بيّن الله تعالى في القرآن كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم، فلابدّ للناظر في القرآن من النظر في أحوال البشر .

ورابعها: العلم بوجه هداية البشر كلّهم بالقرآن، وكيفيّة مواجهة القرآن عصر الجاهلية .

---

١ . تفسير المنار ١: ٢٤و٢٥ .

٢ . القمر:١٧ .

وخامسها: العلم بسيرة النبيّ ﷺ وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل [١].

٣ ـ الحرية الفكريّة والخروج عن التعبّد بكثير من المأثورات والأقوال

الحرية الفكرية وعدم التعبّد بكلمات القوم، وكثير من المأثورات في تفسير القرآن تعدّ من المميّزات الأصليّة في منهج تفسير المنار أكثر من التفاسير الأخرى.

يقول المؤلّف : التفسير عند قومنا اليوم ومن قبل اليوم بقرون ، هو: عبارة عن الاطلاع على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير، على ما في كلامهم من اختلاف يتنزّه عنه القرآن : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [٢] وليت أهل العناية بالاطلاع علىٰ كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنى تستقرّ عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب، ثمّ يبثّونه في الناس ويحملونهم عليه، ولكنّهم لم يطلبوا ذلك، وإنّما طلبوا صناعة يفاخرون بالتفنّن فيها [٣].

ولأجل هذه الحرية ترك عبده كثيراً من الروايات والأقوال ، ولكن حينما وصلت النوبة إلى تلميذه رشيد رضا ، نرىٰ تعادلاً بين الحرية والنقل، إذ نجده أكثر عناية من أستاذه بالتفسير بالمأثور عن النبي ﷺ، كما أنّه ينقل أقوالاً كثيرة عن المفسّرين .

ولعل السبب في ذلك كما ذكر السيد: أنّ الإمام عندما يلقي درساً ، كان يكتب ما يتمثّل في عقله وقلبه، وممّا قرأ وتأمّل وتدبّر في القرآن [٤].

٤ ـ اجتناب ذكر التفاصيل والجزئيات وكذلك الإسرائيليّات

طبيعة الحرية العقلية في عالم التفسير تحكم باجتناب كلّ ما يخالف هذه الحرية، كذكر الجزئيّات والإسرائيليّات التي لم ترد في الكتاب ولا في الأثر الصحيح، ولم يكن عليها شاهد من العقل الرشيد .

---

١ . راجع: تفسير المنار ١ : ٢١ ـ ٢٤ .

٢ . النساء: ٨٢ .

٣ . تفسير المنار ١ : ٢٥ ـ ٢٦ .

٤ . راجع: منهج الإمام عبده في تفسير القرآن ، لشحاتة: ط .

يقول الذهبي: إنّ الأُستاذ الإمام لم يكن كغيره من المفسّرين الذين كَلِفوا بالإسرائيليّات، فجعلوا منها شروحاً لمبهمات القرآن، بل وجدناه على العكس من ذلك، نفوراً منها وشروداً من الخوض فيها؛ لاعتقاده أنّ الله تعالىٰ لم يكلّفنا بالبحث عن الجزئيّات والتفصيلات، لما جاء به مبهماً في كتابه، ولو أراد منّا ذلك لدلّنا عليه في كتابه أو على لسان نبيه، وهو يصرّح بأنّ هذا هو مذهبه في جميع مبهمات القرآن، يقف عند النصّ القطعي لايتعدّاه، ويثبت أنّ الفائدة لاتتوقّف على سواه (١).

مصادره في التفسير: يقول محمّد رشيد رضا: كانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة ممّا ارتآه في كتابة التفسير، وهي أن يتوسّع فيما أغفله أو قصّر فيه المفسّرون، ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة، وفي الروايات التي لاتدلّ عليها ولاتتوقف علىٰ فهمها الآيات، ويتوكّأ في ذلك علىٰ عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير، فكان يقرأ عبارته، فيقرّها أو ينتقد منها ما يراه منتقداً (٢).

ويعتمد كثيراً أيضاً علىٰ مفردات الراغب الإصفهاني، كما يراجع بعض التفاسير الأخرى مثل: تفسير البيضاوي وتفسير الرازي وغيرهما من التفاسير أحياناً.

كما أنّه رجع إلى خمسة وعشرين تفسيراً؛ لكي يجد تفسيراً مناسباً لآية: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ﴾ (٣)(٤).

ونرى المصادر التالية في هذا التفسير:

---

١. التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢: ٥٦، وتفسير المنار ١: ٣٢٠.

٢. تفسير المنار ١: ١٤ـ١٥.

٣. النساء: ٤٣.

٤. راجع: تفسير المنار ٥: ١١٩.

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن

من يتصفّح التفاسير يرىٰ أنّه من الممكن تسمية تفسير المنار بتفسير القرآن بالقرآن، فإنّ المؤلّفينِ قد استفادا من الآيات الكثيرة في تفسير كثير من الآيات الأخرى، ولكن لأنّهما ركّزا على العقل والاجتهاد النظري، أكثر من التفاسير المعروفة باسم تفسير القرآن بالقرآن، لم يشتهر هذا التفسير بهذا العنوان. وعلى كلّ حال نجد موارد كثيرة يتّضح منها منهج تفسير القرآن بالقرآن في تفسير المنار ، وقد كان بحاجة إلى هذا المنهج بعد رفضه التفسير بالمأثور .

فبعد ذكر الأقوال في كيفيّة استهزاء الله بالمنافقين، يقول: وأشهر الأقوال: إنّ معناه: يجازيهم بالعقاب على استهزائهم، أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ إلىٰ قوله : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [٢]، وكذلك في تفسير كلمة (المدّ) في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٣] بالآية ٢٨ من سورة لقمان ، وكذلك بواسطة الآية ٧٥ من سورة مريم [٤].

٢ ـ تفسير القرآن بالمأثور

المفسّر مهما حاول الفرار من تفسير القرآن بالآثار والأخبار ، لايمكنه ذلك؛ إذ الأخبار الصحيحة والسنّة الشريفة من النبيّ ﷺ تعدّ مصدراً لتبيين القرآن، كما أكّدته

١ . الحديد: ١٣ .

٢ . المطفّفين: ٢٩ ـ ٣٥ .

٣ . البقرة: ١٥ .

٤ . راجع: تفسير المنار ١ : ١٦٤ ـ ١٦٥ .

نفس الآيات القرآنية .

فمؤلّف المنار يفسّر الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١]، بالرواية المرويّة عن السّدي، حيث قال : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السّدي قال : إلتقىٰ ناس من المسلمين واليهود والنصارىٰ، فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم: ديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن علىٰ دين إبراهيم، ولن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً ، وقالت النصارىٰ مثل ذلك ، فقال المسلمون: كتابنا بعد كتابكم، ونبينا ﷺ بعد نبيكم، وديننا بعد دينكم، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم، فنحن خير منكم، نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ولن يدخل الجنّة إلّا من كان على ديننا ، فأنزل الله : ﴿ليس بأمانيّكم ...﴾ الآيه ، وروى نحوه مسروق وقتادة ، وأخرج البخاري في التاريخ من حديث أنس مرفوعاً: ليس الايمان بالتمنّي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل [٢].

٣ ـ تفسير القرآن بالعقل

إن للعقل وحرية الفكر في تفسير عبده وتلميذه ـ كما أشرنا إليه ـ مجالاً واسعاً ونماذج كثيرة، فنراهما يعتمدان على العقل كثيراً في تفسير الآيات .

في ذيل الآية : ﴿أفلا يتدبّرون القرآن﴾ [٣] يقول : وفيه أيضاً وجوب الاستقلال في فهم القرآن؛ لأنّ التدبّر لايتمّ إلّا بذلك، ويلزم من ذلك بطلان التقليد ، قال الرازي: دلّت الآية علىٰ وجوب النظر والاستدلال، وعلى القول بفساد التقليد؛ لأنّه تعالى

---

١ . البقرة: ٦٢ .

٢ . تفسير المنار ١ : ٣٣٦ .

٣ . النساء: ٨٢ .

أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحّة نبوّته، وإذا كان لابدّ في صحّة نبوّته من استدلال، فبأن يحتاج في معرفته ذات الله وصفاته إلى الاستدلال كان أولى (١).

فمع أنّ مؤلّف تفسير المنار، يعدّ من أصحاب المذهب الأشعري، ولكن لحريته الفكرية لايوافق الأشعري على جميع الأمور، ولايخالف المعتزلة في كلّ المسائل، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾ (٢) يقول: والمعروف: ما تعرف العقول السليمة حسنه، وترتاح القلوب الطاهرة له؛ لنفعه وموافقته للفطرة والمصلحة، بحيث لايستطيع العاقل المنصف السليم الفطرة أن يردّه أو يعترض عليه إذا ورد الشرع به، والمنكر: ما تنكره العقول السليمة، وتنفر منه القلوب وتأباه، على الوجه المذكور أيضاً.

وأمّا تفسير المعروف بما أمرت به الشريعة، والمنكر بما نهت عنه، فهو من قبيل تفسير الماء بالماء، وكون ما قلناه يثبت مسألة التحسين والتقبيح العقليين وفاقاً للمعتزلة وخلافاً للأشاعرة مردود إطلاقه، بأنّنا إنّما نوافق كلاً منهما من وجه، ونخالفه من وجه؛ اتباعاً لظواهر الكتاب والسنّة وفهم السّلف لهما، فلا ننكر إدراك العقول لحسن الأشياء مطلقاً، ولانقيّد التشريع بعقولنا، ولا نوجب على الله شيئاً من عند أنفسنا، بل نقول: إنّه لا سلطان لشيء عليه، فهو الذي يوجب على نفسه ما شاء إن شاء، كما كتب على نفسه الرحمة لمن شاء، وإنّ من الشرع ما لم تعرف العقول حسنه قبل شرعه، وإن كان ما شرّعه تعالى يطاع بلا شرط وقيد (٣).

فمع أنّ مسألة الحسن والقبح الشرعيين ، وأنّ الحسن ما حسّنه الشارع والقبيح ما قبّحه الشارع ، تعدّ من أصول مذهب الأشاعرة ، ولكن نرى مؤلّف تفسير المنار ،

---

١. تفسير المنار ٥ :٢٩٦ .

٢. الأعراف: ١٥٧.

٣. تفسير المنار ٩: ٢٢٧، ذيل الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.

يناقش هذا الرأي ويعطي للعقل موقعه في هذا المجال ، لتعيين الحسن والقبيح من الأفعال.

٤ ـ تفسير القرآن بالعلم الحديث

يقول الذهبي : نجد الأُستاذ الإمام ﷺ يتناول بعض آيات القرآن فيشرحها شرحاً يقوم علىٰ أساس نظريّات العلم الحديث، وغرضه بذلك : أن يوفّق بين معاني القرآن التي تبدو مستبعدة في نظر بعض الناس، وبين ما عندهم من معلومات توشك أن تكون مسلّمة عندهم ، أو هي مسلّمة بالفعل [١].

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في أوّل سورة الانشقاق ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ [٢] يقول: انشقاق السماء مثل انفطارها الذي مرّ تفسيره في سورة: ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾، وهو: فساد تركيبها واختلال نظامها ، عندما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه ، وفيه تكون حادثة من الحوادث التي قد ينجرّ إليها سير العالم ، كأن يمرّ كوكب في سيره بالقرب من آخر فيتجاذبان ويتصادمان ، فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث من ذلك غمام وأيّ غمام، يظهر في مواضع متفرّقة من الجوّ والفضاء الواسع، فتكون السماء قد تشققت بالغمام، واختلّ نظامها حال ظهوره [٣].

٥ ـ تفسير القرآن بالعلوم الأدبية

يقول المؤلّف : إنّ تدبّر القرآن فرض على كلّ مكلّف، لا خاصّ بنفر يسمّون المجتهدين، يشترط فيهم شروط ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنّما الشرط الذي لابدّ

١ . التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢ : ٥٦٧ .

٢ . الانشقاق:١ .

٣ . راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢: ٥٦٨، نقلاً عن تفسير جزء عم : ٤٩ .

منه ولا غنى عنه هو معرفة لغة القرآن، مفرداتها وأساليبها، فهي التي يجب على كلّ من دخل الإسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته بمزاولة كلام بلغاء أهلها، ومحاكاتهم في القول والكتابة، حتّىٰ تصير ملكة وذوقاً، لا بمجرد النظر في قوانين النحو والبيان التي وضعت لضبطها، وليس تعلّم هذه اللغة ولا غيرها من اللغات بالأمر العسير، فقد كان الأعاجم في القرون الأولى يحذقونها في زمن قريب، حتّىٰ يزاحموا الخلّص من أهلها في بلاغتها، وإنّما يراه أهل هذه الأعصار عسيراً؛ لأنّهم شغلوا عن اللغة نفسها بتلك القوانين وفلسفتها ، فمثلهم كمثل من يتعلّم علم النبات من غير أن يعرف النبات نفسه بالمشاهدة، فلايكون حظّه منه إلّا حفظ القواعد والمسائل [١].

٦ ـ تفسير القرآن بالتاريخ

فالمؤلّف بعد ذكر الآية الشريفة : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [٢] يقول : ومن الغريب أنّ ابن جرير الطبري قال في تفسيره: إنّ الآية في اتحاد المسيحيين مع بختنصر البابلي على تخريب بيت المقدس، مع أنّ حادثة بختنصر كانت قبل وجود المسيح والمسيحيّة بستمائة وثلاث وثلاثين سنة، ولو لم يكن مؤرّخاً من أكبر المؤرخين، لالتمس له العذر بحمل قوله على حادثة أدرينال الروماني، الذي جاء بعد المسيح بمئة وثلاثين سنة وبنى مدينة علىٰ أطلال أورشليم وزيّنها وجعل الحمّامات [٣].

منهج الإمام عبده في التفسير: يمكن اختصار منهجه في تفسير القرآن بما يلي:

---

١. تفسير المنار ٥ : ٢٦٥ـ٢٦٦ .

٢. البقرة: ١١٤ .

٣. تفسير المنار ١ : ٤٣١ .

١ ـ الاتّجاه إلى التغير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة .

٢ ـ عدم تحكيم قوانين البلاغة في النسق القرآني.

٣ ـ عدم وجود تعارض بين القرآن والعلم .

٤ ـ المطالبة من القرآن بدراسة الظواهر الكونية والطبيعية والصناعية .

٥ ـ الهجوم العنيف على التقليد والخرافة، والدعوة إلىٰ احترام العقل .

٦ ـ استخراجه لبعض نظريّات علميّة بفهم جديد للقرآن ، وتحقيقه لبعض القضايا في ضوء هذا الفهم الجديد .

٧ ـ لايبيح لنفسه تعدّي حدود الفهم علىٰ أساس الوحي، خاصّة فيما وراء الحسّ .

٨ ـ الإسلام هو دين العقل، والشريعة هي مصدر الخير والصلاح الاجتماعي، وتكرار حملته على الساكتين من العلماء علىٰ انتشار الخرافات والتقليد الأعمى، بل وإنكارهم علىٰ من يعارض ذلك [1].

٩ ـ إضفاء حوادث الحياة القائمة في وقته على نصوص القرآن الكريم، إمّا بالتوسع في معنى النصّ، أو بحمل الشبيه على الشبيه .

١٠ ـ اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة، لايصحّ الإيمان ببعضه وترك بعض آخر منه ، كما أنّ فهم بعضه متوقّف علىٰ فهم جميعه .

١١ ـ اعتبار السورة كلّها أساساً لفهم آياتها ، واعتبار الموضوع فيها أساساً لفهم جميع النصوص التي وردت فيه .

١٢ ـ إبعاد الصنعة اللغوية عن مجال تفسير القرآن، وإبعاد تفسيره عن أن يجعل مجالاً لتدريب الملكة اللغوية .

---

١. راجع : مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد تسهير : ٣٦٩ ـ ٣٧٢، وراجع : الإمام محمّد عبده ومنهجه في التفسير، للدكتور عبدالغفار عبدالرحيم : ١٧٤ .

١٣ ـ عدم إغفال الوقائع التاريخية في مسيرة الدعوة إلى الإسلام عند تفسير الآيات التي نزلت فيها [١].

١٤ ـ محاربة التقليد.

١٥ ـ إعمال النظر والفكر واستخدام المنهج العلمي.

١٦ ـ تحكيم العقل والاعتماد عليه في فهم القرآن.

١٧ ـ ترك الإطناب في الكلام على ما ورد في القرآن بصورة مبهمة.

١٨ ـ التحفّظ من الأخذ بالتفسير بالمأثور، والتحذير من الإسرائيليّات [٢].

١٩ ـ القرآن لايتبع العقيدة، وإنّما تؤخذ العقيدة من القرآن.

٢٠ ـ عدم وجود تعارض بين القرآن والحقائق العلمية الراهنة.

٢١ ـ استعمال الذوق الأدبي النزيه في فهم مرامي الآيات الكريمة.

٢٢ ـ معالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق والسلوك.

٢٣ ـ حذره من الخوض في الأمور المغيّبة عن الحس والإدراك.

٢٤ ـ موقفه النّزيه تجاه سحر السّحرة، ولاسيّما التأثير في شخصيّة الرسول ﷺ.

٢٥ ـ موقفه الصحيح من روايات أهل الحشو، ولو كانت في الكتب الصحاح [٣].

ملاحظات على تفسير المنار: يعدّ تفسير المنار رائد سلسلة من التفاسير المهمّة في الأقطار الإسلامية، بما يشتمل عليه من الأفكار الجديدة والمناهج الرشيدة، بالإضافة إلى الحرية في العقيدة، والخروج عمّا كان السّلف عليه من الأمور السخيفة، فصار ممتازاً من بين التفاسير في الفضيلة، واستحقّ الثناء أكثر من

---

١. راجع: الإمام محمّد عبده ومنهجه في التفسير: ١٨٥، وراجع أيضاً: الفكر الإسلامي الحديث: ٢٧١ ـ ٢٧٦.

٢. راجع: الإمام محمّد عبده ومنهجه في التفسير: ١٨٦.

٣. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٤٥٦.

الماضين؛ لأجل هذه الصفات الشريفة .

ولكنّ هذا لايعني عدم وجود النقص فيه، نعم ، هناك عدّة ملاحظات غير صحيحة من بعض السّلفية الذين فسّروا القرآن بآرائهم متجمدين على الظواهر ، فهجموا على الأُستاذ الإمام على قدر عقولهم وأفكارهم الضيّقة .

ولكن مع هذا كلّه، يمكن إيراد ملاحظات حول بعض ما نجد في هذا التفسير ، نذكر قليلاً منها :

١ ـ عدم التقيّد بالحرية الفكريّة في جميع الحالات

في بعض الأحيان يخالف رأي جمهور علماء الإسلام، محتجّاً بظاهر القرآن ، فمثلاً حين تفسير الآية : ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ ...﴾[1] نجده يطرح رأياً لم يطرحه أحد من مفسري الشيعة والسنّة .

فهو يعتقد أنّ المسافر يجوز له التيمم ، ولو كان الماء بين يديه ، ولا علّة تمنعه من استعماله إلّا كونه مسافراً[2] ، ولكنّه حينما يفسّر آية الوضوء في سورة المائدة ، مع أنّ ظاهر الآية يدلّ علىٰ مسح الأرجل في الوضوء ، يحاول كثيراً أن يجد مستمسكاً ويخلّص نفسه من مخالفة أهل السنّة، فيملأ ثماني صفحات ليقنع الآخرين بوجوب الغسل في جملة : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ ، ولا أدري ـ إذا كان القرآن ظاهراً وواضحاً ـ لماذا هذه المحاولات العجيبة لتفسير جملة يسيرة ، وهل هذا إلّا لرفعه اليد عن ظاهر القرآن ؟

نعم ، هذه المحاولات كانت بواسطة محمّد رشيد رضا ، وأنا أظن أنّ الآية إذا كانت مفسّرة من قبل عبده ، فإنّه كان يتعامل مع ظاهر القرآن ، ولا يرتكب تلك المحاولات.

---

١ . النساء:٤٣ .

٢ . راجع : تفسير المنار ٥ : ١١٩ ، ذيل الآية ٤٣ من سورة النساء .

٢ ـ كثير من الأمور الغيبيّة وارد في الأحاديث الصحيحة والمصادر القطعية، فما دمنا لم نجد من العلم الحديث ما يـخالف تـلك الأمـور الغـيبيّة، لا يـمكن ردّهـا وإنكارها ، علىٰ أنّ العلم الحديث ساكت عن موضوع الغيب، لا ينكره ولا يثبته؛ لأنّ المادة الجسميّة هي محور العلم الحديث، الذي يُظهر أحكامها وقواعدها في مجال التجربة الحسيّة فقط .

وهنا نجد مؤلّف تفسير المنار في تفسير سورة الفيل يقول : فيجوز لك أن تعتقد أنّ هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمـراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس ، الذي تحمله الرياح، فـيتعلّق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتّصل بجسده دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقطه [١] .

٣ ـ تاريخ البشر مملوء بالإفراط والتفريط في كثير من مجالات الفكر والعمل، فنجد بعض المفسّرين قد أفرطوا في المنهج الروائـي، فـبدلاً أن يـفسروا القـرآن ويجعلوه محوراً أساسيّاً ، نراهم جعلوا الروايات محوراً، وفسروا القرآن بما وجدوا من الروايات ضعيفة أو صحيحة ، وهذا في الواقع نوع من التفسير بالرأي المذموم ، ومن طرف آخر نجد التفريط بحقّ آثار الإسلام من الروايات والتـاريخ المسـلّم ، فتركوا كثيراً من الأحاديث المأثورة عن النبيّ ﷺ وآله وأصحابه ، مع أنّ القرآن هو الذي جعل السنّة تقريراً وتبييناً للوحي، إمّا مصداقاً كما فـي كـثير مـن روايـات التفسير، وإمّا مفهوماً مثل التخصيص ،التقييد ، والتوضيح والتفصيل ...

وهذا النوع من التفريط بشأن روايات التفسير، قد نجده فـي تـفسير الأُسـتاذ الإمام، كما نجده في تفسير تلميذه أحياناً .

---

١ . راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢ : ٥٦٨ نقلاً عن تفسير جزء عم : ٤٩ .

النموذج الثالث

تفسير التبيان

حياة الشيخ الطوسي: هو أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي، وطوس ناحية بخراسان، تشتمل علىٰ منطقتين : إحداهما طابران، والأخرىٰ نوغان ، وفي جنب طوس قبر الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الإمام الثامن للإمامية ، وكذلك قبر الخليفة العباسي هارون الرشيد [١].

ولد الشيخ الطوسي في شهر رمضان عام ٣٨٥هـ، في طوس بإيران، وقد كانت أحد المراكز العلمية المهمّة، وفيها نشأ وترعرع كثير من كبار علماء الإسلام سنّة وشيعة، ولابأس بذكر بعضهم هنا :

أبو حامد الغزالي، صاحب إحياء العلوم، الطبرسي، صاحب تفسير مجمع البيان، الحرّ العاملي، صاحب وسائل الشيعة، الزمخشري، صاحب تفسير الكشاف، نصيرالدين الطوسي، الحكيم الفلكي الفيلسوف الكبير، النّسائي، صاحب كتاب الخصائص والسنن، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الفقيه الشافعي، أبو الفتح محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني، صاحب كتاب الملل والنحل ، العالم اللغوي الشهير عبد الملك بن محمّد إسماعيل الثعالبي الملقّب بالفرّاء، صاحب كتاب فقه اللغة، ويتيمة الدهر، وسحر البلاغة ، العالم المنطقي المعروف سعد بن عمر بن عبدالله التفتازاني، مصنّف كتاب (التهذيب) في المنطق و(المطوّل) في المعاني والبيان ، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الفارابي المعلّم الثاني، العالم الرياضي الحكيم الخيّام [٢].

وممّا أضفى على هذه المدينة أهميّة كبرىٰ: مرقد الإمام علي بن موسى

---

١. راجع : دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١٥ : ٣٥٢ ، كلمة طوس .

٢. راجع : الشيخ الطوسي مفسّراً ، تأليف خضير جعفر : ١٤ ـ ١٥ .

الرضا عليه‌السلام ثامن أئمّة الشيعة الإثني عشرية، وهي لذلك مهوىٰ أفئدتهم ، يؤمّونها من الأماكن البعيدة والبلدان النائية، ويتقاطرون إليها من كلّ حدب وصوب؛ للتبرك بالعتبة المقدّسة [١].

هجرته إلىٰ بغداد: ترعرع الشيخ الطوسي في مسقط رأسه، ودرس فيها علوم اللغة والأدب والفقه والحديث وعلم الكلام ، ليهاجر بعدها إلى العراق، فاستقرّ في بغداد سنة ٤٠٨هـ، وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً ، وقد كان العراق ذلك الزمان مقصوداً للطلاب في مجال المعرفة والعلم ، ووصل إلى بغداد في حين كان الشيخ المفيد جالساً علىٰ كرسي الزعامة الفكرية للمذهب الجعفري، فكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، فتلمذ علىٰ يد الشيخ المفيد آنذاك، ونهل من معارفه وعلومه ، حتّىٰ توفي الشيخ المفيد، فانتقلت زعامة الدين ورئاسة المذهب إلىٰ علّامة تلاميذه علم الهدى السيد المرتضى، فلازم الشيخ الطوسي الحضور تحت منبره، وعني به المرتضى وبالغ في توجيهه وتلقينه أكثر من بقيّة تلاميذه ، وعيّن له في كلّ شهر اثني عشر ديناراً، وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة ، حتّىٰ توفي السيد المرتضى لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦هـ، فاستقلّ الشيخ بالإمامة، وظهر علىٰ منصّة الزعامة ، وأصبح علماً للشيعة ومناراً للشريعة [٢].

هجرته إلى النجف الأشرف: ورد طغرل بيك ، أوّل ملوك السّلاجقة بغداد ، سنة ٤٤٧هـ، وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي كانت مخزناً لكثير من الكتب الأصلية الخطيّة لأرباب الفنون والعلوم، وقد بناها الوزير

---

١. مقدّمة الأمالي من بحر العلوم ١ : ٤ .

٢. راجع: مقدّمة تفسيره ١ : ٩ ـ ١٠ .

الأديب أبو نصر سابور بن أردشير ، وكانت علىٰ مثال مكتبة (بيت الحكمة) التي بناها هارون الرشيد .

يقول ياقوت الحموي: وبها كانت خزانة الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها ، كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأصولهم المحرّرة [١].

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨هـ: وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره [٢]. فلمّا رأى الشيخ الخطر مُحدقاً به، هاجر إلى النجف الأشرف في جوار قبر علي بن أبي طالب، وجعلها مركزاً للعلم، وجامعة كبرى للشيعة الإمامية ، وأصبحت مهبط رجال العلم ومهوى أفئدتهم .

وقد بقي الشيخ الطوسي في مدينة النجف الأشرف اثني عشر عاماً، منذ أن نزلها عام ٤٤٨ حتّىٰ وفاته فيها سنة ٤٦٠هـ ، ولازال بيته موجوداً فيها، وتحوّل فيما بعد إلى مسجد يحمل اسم الشيخ الطوسي في شمال ضريح الإمام علي عليه السلام بعد أن وصل عمره خمسة وسبعين عاماً من ٣٨٥هـ وحتّىٰ ٤٦٠هـ [٣].

وصف العلماء للشيخ الطوسي: هناك تراجم للطوسي لدى علماء أهل السنّة، مثل : البداية والنهاية ١٢ : ١٠٤ ، طبقات الشافعية للسّبكي ٤ : ١٢٦ ، وطبقات المفسّرين للسيوطي ، ولسان الميزان ٥ : ١٣٥ ، والمنتظم لابن الجوزي ٨ : ٢٥٢ ، وطبقات المفسّرين للداودي ٢ : ١٣٠ ومعجم المفسّرين ٢ : ٥١٥ .

وهناك تراجم له لعلماء الإماميّة ، نذكر في ما يلي قليلاً منها :

يصفه العلّامة الحلّي بما يلي: شيخ الإمامية ووجههم ورئيس الطائفة ، جليل

---

١ . معجم البلدان ٢ : ٣٤٢ .

٢ . المنتظم، لابن الجوزي ٨ : ١٧٩ .

٣ . أعيان الشيعة ٩ : ١٦٠ .

القدر ، عظيم المنزلة . ثقة ، عين ، صدوق ، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنّف في كلّ فنون الإسلام ، وهو المهذّب للعقائد في الأُصول والفروع ، الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل (١).

وقال السيد بحر العلوم عند ترجمته للشيخ الطوسي : شيخ الطائفة المحقّة، ورافع أعلام الشريعة الحقّة ، إمام الفرقة بعد الأئمة المعصومين ، وعماد الشيعة الإمامية في كلّ ما يتعلّق بالمذهب والدين ، محقق الأُصول والفروع ، ومهذب فنون المعقول والمسموع ، شيخ الطائفة على الإطلاق ، ورئيسها الذي تلوىٰ إليه الأعناق ، صنّف في جميع علوم الإسلام، وكان القدوة في كلّ ذلك (٢).

وقال المجلسي : ثقة ، وفضله وجلالته أشهر من أن يحتاج إلى بيان (٣).

وأمّا عند علماء أهل السنّة، فقد جاء في معجم المفسّرين : فقيه الشيعة الإمامية ومصنّفهم، ولد في طوس ، وانتقل إلىٰ بغداد سنة ٤٠٨هـ، وأقام أربعين سنة ، وكان يسكن بالكرخ، وقد أحرقت كتبه عدّة مرّات بمحضر من الناس ، ثمّ تحوّل إلى (الغري) بالنجف، وأقام بالمشهد يفقّه الناس إلىٰ أن توفّي، من تصانيفه (التبيان في تفسير القرآن ، في عشر مجلّدات ، والمسائل الدمشقية في تفسير القرآن ، والمسائل الرجبيّة في تفسير آيٍ من القرآن) (٤).

وجاء في طبقات الداودي في أوصافه : له مصنّفات كثيرة في الكلام علىٰ مذهب الإماميّة، جمع تفسير القرآن ، وأملى أحاديث وحكايات تشتمل علىٰ مجلدين ... قرأ الأُصول والكلام علىٰ أبي عبدالله بن محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد فقيه

---

١ . خلاصة الأقوال في معرفة الرجال :٧٣ .

٢ . الفوائد الرجالية، لبحر العلوم٣ :٢٢٧ .

٣ . الوجيز، للمجلسي :١٦٣ .

٤ . معجم المفسّرين ، لعادل نويهض ٢ : ٥١٥ .

الإمامية ... وقد أحرقت كتبه عدة نُوَب بمحضر من الناس في رحبة جامع القصر، واستتر هو خوفاً علىٰ نفسه؛ بسبب ما يظهر عنه من انتقاص السّلف، مات بمشهد عليّ من الكوفة في المحرّم [١].

تأليفاته: إنّ تأليفاته تبلغ مايقارب خمسين عنواناً، في موضوعات متعدّدة وعلوم مختلفة، مثل: التفسير، والكلام، والحديث، والتاريخ، والرجال، والفقه والأُصول.

وفي التفسير له: التبيان في التفسير، والمسائل الدمشقية في تفسير القرآن التي وصفها في (الفهرست) وقال: لم يعمل مثلها، وتشتمل على اثنتي عشرة مسألة.

وأيضاً له المسائل الرجبية في تفسير آي من القرآن، ذكرها الشيخ في الفهرست، ووصفها بأ نّه لم يصنّف مثلها، وذكرها في حرف الميم من الذريعة [٢].

تعريف بالتبيان: هو تفسير كامل للقرآن، تعرّض الشيخ فيه لعلوم القرآن في شتّى المجالات كالقراءة واللغة والإعراب وأسباب النزول والنظم والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغيرها، بأسلوب علمي، وهو أوّل تفسير شيعي جامع بين المنقول والمعقول وبين الرواية والدراية. وقد اعتمد علىٰ هذا التفسير من فسّر القرآن بعده من كبار الشيعة، مثل الطبرسي في مجمع البيان.

ويشتمل علىٰ مقدّمة يشرح فيها أهدافه، وأنواع التفسير، ومعاني القرآن المجيد، ونزول القرآن على الحرف الواحد، وبيان وجوه اختلاف القراءات، وشرح مفهوم الظاهر والباطن، والمحكم والمتشابه، وتعليل وجود المتشابهات في القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ وأقسامهما، وسبب تكرير القصص في القرآن، ووجه تسمية القرآن قرآناً، والأسماء الأخرى للقرآن، وبيان معنى السورة والآية واشتقاقهما [٣].

---

١. طبقات المفسّرين، للداودي ٢ : ١٣٠، رقم ٤٧٦.

٢. راجع : مقدّمة تفسيره ١ : ٤٢، طبع جماعة المدرّسين بمدينة قم.

٣. التبيان ١: ٢، مقدّمة المؤلّف.

أسلوب التبيان: يقول الشيخ في مقدّمة تفسيره : وأنا إن شاء الله تعالىٰ، أشرع في ذلك على وجه الإيجاز والاختصار لكلّ فن من فنونه، ولا أطيل فيملّه الناظر فيه ، ولا أختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه ، وأقدّم أمام ذلك فصلاً يشتمل علىٰ ذكر جمل لابدّ من معرفتها دون استيفائها [١]. فيراعي ما ذكره في مقدّمة كتابه، وخطواته هي:

١ ـ ذكر محلّ نزول السورة، وأنّها مكية أو مدنية .

٢ ـ ذكر أرقام السّور والآيات .

٣ ـ ذكر جملة من الآيات المترابطة .

٤ ـ ذكر القراءات المختلفة والحجج .

٥ ـ الإشارة إلىٰ إعراب الكلمات والجمل .

٦ ـ توضيح اللغات والمفردات .

٧ ـ ذكر تناسب بعض الآيات مع الآيات السابقة .

٨ ـ تفسير الآيات والجمل .

٩ ـ الإشارة إلى أقوال الصحابة والتابعين والمفسّرين الآخرين كالطبري.

هذه الخطوات هي التي نراها في التبيان، وإن لم تكن بهذا الترتيب المذكور.

منهج الشيخ في تفسير التبيان: ولكي نعرف منهج الشيخ الطوسي في تفسيره، نشرح بعض ما يتعلّق بمنهجه :

الأوّل : هدفه من التأليف

الشيخ الطوسي ككثير من المفسّرين الكبار ، يشرح في مقدّمة تفسيره علّة تأليفه تفسير التبيان، فقال في هذه المقدّمة :

---

١ . المصدر السابق .

أمّا بعد : فإنّ الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أنّي لم أجد أحداً من أصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه، وإنّما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المرويّة في الحديث، ولم يتعرّض أحد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج إليه ، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمّة بين مطيل في جميع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه ـ كالطبري وغيره ـ وبين مقصّر اقتصر علىٰ ذكر غريبه ومعاني ألفاظه، وسلك الباقون المتوسّطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منّتهم، وتركوا ما لا معرفة لهم به، فإنّ الزجاج والفرّاء ومن أشبههما من النحويين، أفرغوا وسعهم فيما يتعلّق بالإعراب والتصريف ، ومفضل بن سلمة وغيره، استكثروا من علم اللغة واشتقاق الألفاظ، والمتكلّمين ـ كأبي علي الجُبّائي وغيره ـ صرفوا همّتهم إلىٰ ما يتعلّق بالمعاني الكلامية، ومنهم من أضاف إلى ذلك الكلام في فنون علمه ، فأدخل فيه ما لايليق به، من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء ـ كالبلخي وغيره ـ وأصلحُ من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً محمّد ابن بحر أبو مسلم الإصفهاني، وعليّ بن عيسى الرّماني، فإنّ كتابيهما أصلحُ ما صنّف في هذا المعنى ، غير أنّهما أطالا الخطب فيه، وأوردا فيه كثيراً ممّا لايحتاج، وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصر يجتمع علىٰ جميع فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والإعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسّمة وغيرهم، وذكر ما يختصّ أصحابنا به من الاستدلال لمواضع كثيرة منه على صحّة مذاهبهم في أُصول الديانات وفروعها [١].

---

١. تفسير التبيان ١ : ١ ـ ٢ .

يفهم من هذه العبارة أنّ هدف الطوسي من التفسير كان أموراً أربعة:

١ ـ التعدّي عن التفسير الروائي.

٢ ـ التفسير المتناسب مع القرآن كمّاً وكيفاً.

٣ ـ التفسير في ضوء مدرسة أهل البيت، خصوصاً ما يتعلّق بالعقيدة.

٤ ـ الدفاع عن القرآن تجاه الملحدين وأصحاب الديانات الأخرى من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل المذاهب الباطلة.

الثاني: أقسام معاني الآيات من حيث التفسير

يقول الشيخ الطوسي: إنّ معاني القرآن علىٰ أربعة أقسام:

أحدها: ما اختصّ الله تعالىٰ بالعلم به، فلايجوز لأحد تكلّف القول فيه ولاتعاطي معرفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [١]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّـهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [٢] إلىٰ آخرها، فتعاطي معرفة ما اختصّ الله تعالىٰ به خطأ.

وثانيها: ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكلّ من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناها، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [٣]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٤]، وغير ذلك.

وثالثها: ما هو مجمل لاينبئ ظاهره عن المراد به مفصّلاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [٥]، ومثل قوله: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

---

١. الأعراف: ١٨٧.

٢. لقمان: ٣٤.

٣. الأنعام: ١٥١.

٤. التوحيد: ١.

٥. البقرة: ٤٣.

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (١)، وقوله : ﴿وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (٢)، وقوله : ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٣)، وما أشبه ذلك ، فإنّ تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتها، وتفصيل مناسك الحج وشروطه، ومقادير النصاب في الزكاة، لايمكن استخراجه إلّا ببيان النبي ﷺ ووحي من جهة الله تعالىٰ، فتكلّف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن أن تكون الأخبار متناولة له .

ورابعها: ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عليهما ، ويمكن أن يكون كلّ واحد منهما مراداً ، فإنّه لاينبغي أن يقدّم أحد فيه فيقول : إنّ مراد الله فيه بعض ما يحتمل ، إلّا بقول نبيّ أو إمام معصوم ، بل ينبغي أن يقول : إنّ الظاهر يحتمل لأمور، وكلّ واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل والله أعلم بما أراد ، ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين أو ما زاد عليهما، ودلّ الدليل علىٰ أنّه لايجوز أن يريد إلّا وجهاً واحداً ، جاز أن يقال: إنّه هو المراد (٤).

مصادر الشيخ الطوسي في تفسيره: تفسير التبيان تفسير اجتهادي جامع ، وهذا يعني: أنّ الشيخ الطوسي استفاد في تفسير الآيات من كلّ ما يمكن الاعتماد عليه في مجال التفسير من القرآن والروايات والعقل واللغة وغيرها، وفي ما يلي نماذج من تفسير الآيات التي استخدمت فيها مصادر شتّى:

الأول : القرآن الكريم

عند تفسير الآية : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ...﴾ (٥) يقول : ومعنى قوله : ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ

---

١ . آل عمران: ٩٧ .

٢ . الأنعام: ١٤١ .

٣ . المعارج : ٢٤ .

٤ . التبيان في تفسير القرآن ١: ٥ ـ ٦، مقدّمة المؤلّف.

٥ . البقرة: ٥٠ .

﴿الْبَحْرَ﴾ أي: جعلنا كم بين فِرقيه، تمرّون في طريق يبس، كما قال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ [١] وقال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٢][٣].

وكذلك يستفيد من سياق الآيات كثيراً، وهنا نكتفي بذكر مورد واحد: عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤]. يقول: وجه اتصال هذه الآية بما قبلها: أنّه لمّا تقدّم النهي عن اتخاذ الكفّار أولياء، خُوّفوا من الإعلان بخلاف الإظمار في ما نهوا عنه بأنّ الله تعالى يعلم الإسرار كما يعلم الإعلان [٥].

الثاني: أقوال المعصوم وآثار السّلف

تفسير القرآن بالروايات يعدّ من الأركان المهمّة في التفسير الاجتهادي الجامع؛ لأنّها شارحة للقرآن ومبيّنة له، ولذا نرىٰ الشيخ كباقي المفسّرين ينتفع بهذا المصدر لتفسير القرآن المجيد.

يقول الشيخ الطوسي: وقوله: ﴿أكّالون للسّحت﴾ [٦] معناه: أنّه يكثر أكلهم للسّحت، وهو: الحرام، وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: السّحت الرشوة في الحكم ... وقال الحسن: سمعوا كذبه وأكلوا رشوته، وقال ابن مسعود وقتادة وإبراهيم ومجاهد والضحاك والسّدّي: السّحت: الرّشىٰ، وروي عن علي عليه السلام أنّه قال: السّحت الرشوة

---

١. طه:٧٧.
٢. الشعراء:٦٣.
٣. تفسير التبيان، ذيل الآية ٥٠ من سورة البقرة.
٤. آل عمران:٢٩.
٥. تفسير التبيان ٢: ٤٣٨، ذيل الآية ٢٩ من سورة آل عمران.
٦. المائدة:٤٢.

في الحكم ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجّام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة، وحلوان الكاهن والاستعجال في المعصية، وروي عن أبي هريرة مثله.

وقال مسروق : سألت عبدالله عن الجور في الحكم، قال : ذلك الكفر ، وعن السّحت : فقال الرجل يقضي لغيره الحاجة فيهدي له الهدية [١].

الثالث : العلوم العربية

للجانب الأدبي في تفسير التبيان أثر واسع كبير ، فالمؤلّف الفاضل ظهر في هذا الميدان كالمتخصص العالم في العلوم الأدبيّة، فصار تفسيره مصدراً من المصادر المهمّة لأهل اللغة والأدب في تفسير كتاب الله الكريم؛ ولأجل هذه الكثرة والعمق في بيان الآيات بهذه العلوم، اعتبر بعض العلماء تفسير التبيان من التفاسير الأدبية.

ولكن لأنّه استفاد من المصادر الأخرى كثيراً، جعلنا تفسيره ضمن التفاسير الاجتهادية الجامعة.

فعند تفسير ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ يقول : ومعنى (الحمد لله): الشكر لله خالصاً، دون سائر ما يعبد، بما أنعم علىٰ عباده من ضروب النّعم الدينية والدنياوية، وقال بعضهم : الحمد لله : ثناء عليه بأسمائه وصفاته ، وقوله: الشكر لله: ثناء علىٰ نعمه وأياديه، والأول أصحّ في اللغة ؛ لأنّ الحمد والشكر يوضع كلّ واحد منهما موضع صاحبه ، ويقال أيضاً : الحمد لله شكراً فنصب شكراً على المصدر ، ولو لم يكن في معناه لما نصبه ، ودخول الألف واللام فيه لفائدة الاستيعاب ، فكأ نّه قال : جميع الحمد لله؛ لأنّ التالي مخبر بذلك ، ولو نصبه فقال : حمداً لله ، أفاد أنّ القائل هو الحامد فحسب، وليس ذلك المراد ، ولذلك أجمعت القرّاء علىٰ ضمّ الدالّ علىٰ

---

١ . تفسير التبيان ٣: ٥٢٨ ، ذيل الآية ٤٢ من سورة المائدة .

مابيّناه، والتقدير : قولوا: الحمد لله ، وإذا كان الحمد هو الشكر ، والشكر هو الاعتراف بالنعمة علىٰ ضرب من التعظيم ، فالمدح ليس من الشكر في شيء ، وإنّما هو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد إليه .

وأمّا (الربّ)، فله معانٍ في اللغة : فسمّي السيّد المطاع ربّاً ، وقال لبيد بن ربيعة :

فاهلكنَ يوماً ربّ كنده وابنه ... وربّ معدّ بين خبت وعرعر

يعني: سيد كندة، ومنه قوله تعالى : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾ [١] يعني: سيده . ويسمّى الرجل المصلح ربّاً ، قال الفرزدق بن غالب :

كانوا كسالئة حمقاء إذ حقنت ... سلاءَها في أديمٍ غير مربوب

يعني: غير مُصلح ، ومنه قيل : فلان ربّ ضيعة، إذا كان يحاول إتمامها، والربانيون من هذا، من حيث كانوا مدبّرين لهم ، واشتق (ربّ) من التربية، يقال: ربته وربيته بمعنىً واحد، والربّىٰ: الشاة ولدت حديثاً؛ لأنّها تربّىٰ [٢] .

الرابع : العقل

العقل هو المعيار في فهم النصوص من الذكر الحكيم والحديث الشريف ، وهو محور أساسيّ في العقيدة الشيعية في كثير من المجالات.

ونرىٰ الشيخ الطوسي عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [٣] يقول : تدلّ هذه الآية على أشياء :

أحدها: بطلان التقليد وصحّة الاستدلال في أُصول الدين ؛ لأنّه حثّ ودعا إلىٰ التدبّر، وذلك لايكون إلّا بالفكر والنظر .

---

١ . يوسف: ٤١ .

٢ . تفسير التبيان ١ : ٣١ ـ ٣٢ ، ذيل الآية ٣ من سورة الفاتحة .

٣ . النساء: ٨٢ .

والثاني: فساد مذهب من زعم أنّ القرآن لايفهم معناه إلّا بتفسير الرسول، من الحشوية والمجبّرة، لأنّه تعالى حثّ علىٰ تدبّره ليعملوا به [١].

وفي ذيل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٢]. يقول الشيخ الطوسي: معناه: أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكّروا فيه ويعتبروا به، أم علىٰ قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك؟ تنبيهاً لهم علىٰ أنّ الأمر بخلافه، وليس عليها ما يمنع من التدبّر والتفكّر، والتدبّر في النظر من موجب الأمر وعاقبته، وعلىٰ ذلك دعاهم إلىٰ تدبّر القرآن، وفي ذلك حجّة علىٰ بطلان قول من يقول: لايجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلّا بخبر وسمع [٣].

الخامس: الإجماع

الاجماع كما هو مصدر من مصادر تشريع الأحكام الشرعية عند الشيخ بشروط خاصّة، كذلك يعدّ مصدراً للتفسير لديه شريطة الإبهام في المقصود، بشكل لايفهم المراد من ظاهر الآيات؛ إذ يقول في مقدّمة تفسيره:

ولاينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لاينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً، أو يقلّد أحداً من المفسّرين، إلّا أن يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتّباعه لمكان الإجماع؛ لأنّ من المفسّرين من حمدت طرائقه ومدحت مذاهبه كابن عبّاس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم، ومنهم من ذُمّت مذاهبه كأبي صالح والسُّدّي والكلبي وغيرهم [٤].

---

١. التبيان ٣: ٢٧٠، ذيل الآية ٨٢ من سورة النساء.

٢. محمّد: ٢٤.

٣. التبيان ٩: ٣٠١، ذيل الآية ٢٤ من سورة محمد.

٤. المصدر السابق ١: ٦.

السادس : التاريخ

يرجع الطوسي إلى التاريخ في مجالات مختلفة ، من جملتها: تعرّف الأقوىٰ من المنقول في أسباب النزول وترجيحه علىٰ ما سواه ، ففي تتبّعه للأقوال الواردة في سبب نزول الآية : ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ...﴾ [١] ، يرجّح قول أكثر المفسّرين بأ نّها نزلت في بني قريظة من اليهود لما نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، وعاونوا أبا سفيان ومن معه من الأحزاب ، يرجّحه علىٰ قول الحسن البصري: إنّها نزلت في بني النضير ، مستدلاً علىٰ ذلك بالأحداث التاريخية إذ يقول : والأوّل أصحّ وأليق بسياق الآيات ، لأنّ بني النضير لم يكن لهم في قتال الأحزاب شيء، وكانوا قد انجلوا قبل ذلك [٢].

النموذج الرابع
مجمع البيان في تفسير القرآن

اسم التفسير ووجه تسميته: يقول الشيخ الطبرسي في مقدّمة تفسيره : وسمّيته كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) وأرجو إن شاء الله تعالى أن يكون كتاباً كثير الدرر غزير الغرر [٣].

فهو لم يذكر سبب تسمية كتابه بهذا الاسم، ولكن يمكن أن نقول: إنّه أخذ هذا الاسم واستعاره من اسم تفسير الطبري، وهو (جامع البيان في تفسير القرآن) وفي الواقع أراد أن يلقي في الأذهان أنّ مجمع البيان هو التفسير الكامل للقرآن؛ لأنّه اشتمل علىٰ جميع العلوم الدينية الموجودة في القرآن الكريم .

---

١ . الأحزاب: ٢٦ .

٢ . راجع: التبيان ٨ : ٣٣٢، ذيل الآية ٢٦ من سورة الأحزاب .

٣ . مجمع البيان ١: ٥ ، المقدّمة .

ويمكن أن نقول: إنّه أشار بكلمة (المجمع)، وهو اسم مكان ، إلى أنّ كتابه أفضل من كتاب الطبري ؛ فإن كان كتابه جامع البيان ، يكون تفسير الطبرسي مجمع البيان، فإذا أراد شخص أن يجمع البيان، لابدّ أن يرجع إلى محلّه ومجمعه .

حياة المؤلّف: هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطّبْرسي ، نسبة إلىٰ طَبْرس علىٰ وزان جعفر ، معرّب (تفرِش) بكسر الراء، مدينة عامرة وسط مدن قم وساوة وأراك في إيران .

وقيل: الطبرسي نسبة إلى طبرستان، ولكنّ النسبة إليها تكون الطّبري .

ولقبه : أمين الدين ، أمين الإسلام ، أمين الدولة .

علم شامخ من أعلام الإمامية ، علّامة ،فاضل ، أديب حاذق ، مفسّر،فقيه ، تلمّذ لدى مشايخ عصره الأجلاء منهم : الشيخ أبو علي ابن شيخ الطائفة الطوسي، والشيخ أبو الوفاء الرازي، والسيد أبو طالب الجرجاني، والسيد أبو الحمد مهدي بن نـزار الحسن القايني، والحاكم أبي القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني، وغـيرهم مـن أعلام القرن السادس .

الشيخ الطبرسي أسوة للتقريب: الاختلاف بين الأمّة والتـفرقة بـين المـذاهب الإسلامية داء عظيم، قد بدأ من عهد الصحابة ولايزال مستمراً إلى الآن، فأفنى كثيراً من قوّتنا، وسلّط علينا أعداءنا، فصرنا ضعفاء، في حين أنّ أعداء الإسلام قد اتحدوا واجتمعوا، وعلينا قد هجموا، وفي جنب هذه المأساة والبلايا، نجد حججاً لله على الناس من الشيعة والسنّة ، فإذا تابعناهم نجونا، وإذا خالفناهم هلكنا .

والشيخ الطبرسي هو من كبار رجال التقريب بمعناه الدقيق، فكل منصف إذا رأىٰ تفسير المجمع ، يجد الإنصاف في قلمه، عندما يذكر آراء المخالفين لعقيدته .

ومن أبرز ما يدلّ علىٰ هذا، كلامه في مقدّمة تفسير (جوامع الجامع) وذكر علّة تأليفه الذي يكشف عن عظمته الروحية وخشوعه للحقّ أينما يوجد، فهو بعد تأليف

المجمع ، صار مفسّراً كبيراً في العالم، يفتخر به كلّ من معه ، وصار علماً للشيعة، وكانوا بآرائه وحججه يحتجون على الآخرين من أتباع المذاهب الأخرىٰ، ولكن حين ندخل في زوايا قلبه وروحه ، نجده كأ نّه يقول لنفسه: يانفس لاتغرّي؛ فإنّ هناك تفسيراً أحسن من تفسيرك في بعض الجوانب، فاستفد منه وأعلن للناس حسنه وروعته ، فلنسمع إلىٰ كلامه، الذي هو بمثابة موعظة لأهل العالم في القرن الواحد والعشرين، حتّىٰ لروّاد الوحدة والمحاورة الدولية : أمّا بعد ، فإنّي لمّا فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ (مجمع البيان لعلوم القرآن)، عثرت من بعد بالكتاب (الكشاف لحقائق التنزيل) لجار الله العلّامة، واستخلصت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه ما لايلفى مثله في كتاب مجتمع الأطراف، ورأيت أن أسمه وأسمّيه بالكافي الشافي، فخرج الكتابان إلى الوجود ، وقد ملكا أزمّة القلوب؛ إذ أحرزا من فنون العلم غاية المطلوب (إلىٰ أن قال :) وممّا حداني إليه وحثّني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل ألقي في روعي محبّة الاستمداد من كلام جار الله العلّامة ولطائفه؛ فإنّ لألفاظه لذّة الجدّة ورونق الحداثة، مقتصراً فيه علىٰ إيراد المعنى البحت والإشارة إلىٰ مواضع النكت بالعبارات الموجزة والإيماءات المعجزة، ممّا يناسب الحق والحقيقة ويطابق الطريقة المستقيمة (١).

أقول: ونرى مثل هذا الموقف الشريف من الشيخ عبدالمجيد سليم، شيخ الجامع الأزهر، وسيأتي من الشيخ محمود شلتوت أيضاً وكيل الجامع الأزهر تجاه تفسير مجمع البيان ومفسّره، وسيأتي كلامهما في الفصل القادم.

رأي العلماء في الطبرسي وتفسيره: يقول الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر : أمّا بعد ، فإنّ كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن، الذي أ لّفه الشيخ العلّامة ثقة

---

١ . تفسير جوامع الجامع، للشيخ الطبرسي ١ : ٤، مقدّمة المصنّف .

الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري، هو كتاب جليل الشأن، غزير العلم، كثير الفوائد حسن الترتيب، لا أحسبني مبالغاً إذا قلت: إنّه في مقدّمة كتب التفسير التي تعدّ مراجع لعلومه وبحوثه ، ولقد قرأت في هذا الكتاب كثيراً، ورجعت إليه في مواطن عدّة، فوجدته حلّال معضلات، كشّاف مبهماتٍ ، ووجدت صاحبه ﷺ عميق التفكر ، عظيم التدبّر ، متمكّناً من علمه ، قويّاً في أسلوبه وتعبيره ، شديد الحرص على أن يجلّي للناس كثيراً من المسائل التي يفيدهم علمها، فإذا قامت اليوم جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ولي شرف المساهمة في تأسيسها وأعمالها ، بإحياء هذا التفسير الجليل ، فإنّه لعمل من الباقيات الصالحات، آمل أن يثبتنا الله عليه ويثيب كلّ معين علىٰ إتمامه ثواباً حسناً ، والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً [١].

فالشيخ عبدالمجيد يصف تفسير مجمع البيان بأ نّه: في مقدّمة كتب التفسير، وأ نّه حلّال معضلات، كما يعدّ من الباقيات الصالحات.

وقال الأُستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت ، وكيل الجامع الأزهر : ولقد قلت: إنّ هذا الكتاب نسيج وحده بين كتب التفسير، وذلك لأ نّه مع سعة بحوثه وعمقها وتنوعها ، له خاصيّة في الترتيب والتبويب والتنسيق والتهذيب ، لم تعرف لكتب التفسير من قبله ، ولاتكاد تعرف لكتب التفسير من بعده، فعهدنا بكتب التفسير الأُولى أ نّها تجمع الروايات والآراء في المسائل المختلفة، وتسوقها عند الكلام على الآيات سوقاً متشابكاً ربّما اختلط فيه فن بفنّ، فما يزال القارئ يكدّ نفسه في استخلاص ما يريد من هنا وهناك، حتّىٰ يجتمع إليه ما تفرّق، وربما وجد العناية ببعض النواحي واضحة إلىٰ حدّ الإملال، والتقصير في بعض آخر واضحاً إلىٰ درجة

---

١ . مجمع البيان ١ : المقدّمة ، طبعة الهدىٰ للنشر والتوزيع .

الإخلال ، أمّا الذين جاؤوا بعد ذلك من المفسّرين ، فلئن كان بعضهم قـد أطـنبوا ، وحققوا وهذّبوا وفصّلوا وبوّبوا، إنّ قليلاً منهم أولئك الذين استطاعوا مـع ذلك أن يحتفظوا لتفسيرهم بالجوّ القرآني الذي يشعر معه القارئ بأ نّه يجول في مجالات متصلة بكتاب الله اتّصالاً وثيقاً ، وتتطلبها خدمته حقاً .

لكنّ كتابنا هذا كان أول ـ ولم يزل أكمل ـ مؤلّف من كتب التـفسير الجـامعة، استطاع أن يجمع إلىٰ غزارة البحث وعمق الدرس ، وطول النّفَس في الاستقصاء، هذا النظم الفريد القائم على التقسيم والتنظيم ، والمـحافظة عـلىٰ خـواصّ تـفسير القرآن، وملاحظة أ نّه فنّ يقصد به خدمة القرآن ، لا خدمة اللغويين بـالقرآن ، ولا خدمة الفقهاء بالقرآن ، ولاتـطبيق آيـات القـرآن عـلىٰ نـحو سـيبويه ، أو بـلاغة عبدالقاهر ، أو فلسفة اليونان أو الرومان ، ولا الحكم على القرآن بـالمذاهب التـي يجب أن تخضع هي لحكم القرآن .

ومن مزايا هذا التنظيم: أ نّه يتيح لقارئ القرآن فرصة القصد إلىٰ ما يريده قصداً مباشراً ، فمن شاء أن يبحث عن اللغة عمد إلىٰ فصلها المخصص لها ، ومن شاء أن يبحث بحثاً نحوياً اتجه إليه، ومن شاء معرفة القراءات رواية وتخريجاً وحجّة عمد إلىٰ موضع ذلك في كلّ آية فوجده ميسّراً محرّراً ، وهكذا ...

ولاشك أنّ في هذا تقريباً أيَّ تقريب على المشتغلين بـالدراسـات القـرآنـية ، ولاسيّما في عصرنا الحاضر، الذي كان من أهم صوارف المثقفين فيه عن دراسـة كتب التفسير ما يصادفونه فيها من العَنَت ، وما يشقّ عليهم من متابعتها في صـبر ودأب وكدّ وتعب. فتلك مزيّة نظاميّة لهذا الكتاب، بجانب مزاياه العلمية الفكرية[١].

ومن خلال كلمات الشيخ شلتوت يفهم أ نّه يعتقد أنّ تفسير المجمع أحسن من

١ . تفسير مجمع البيان ١ : مقدّمة الكتاب .

التفاسير السابقة نظماً وترتيباً، واعتدالاً في ذكر المطالب.

ويقول الدكتور محمّد حسين الذهبي: والحقّ: أنّ تفسير الطبرسي ـ بصرف النظر عمّا فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية ـ لكتاب عظيم في بابه، يدلّ على تبحّر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة ، والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه في تناسق تامّ وترتيب جميل ، وهو يجيد في كلّ ناحية من النواحي التي يتكلّم عنها ، فإذا تكلّم عن القراءات ووجوهها، أجاد ، وإذا تكلّم عن المعاني اللغوية للمفردات، أجاد ، وإذا تكلّم عن وجوه الإعراب، أجاد ، وإذا شرح المعنى الإجمالي، أوضح المراد، وإذا تكلّم عن أسباب النزول وشرح القصص، استوفى الأقوال وأفاض ، وإذا تكلّم عن الأحكام، تعرّض لمذاهب الفقهاء وجهر بمذهبه ونصره، إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء ، وإذا ربط بين الآيات آخىٰ بين الجمل، وأوضح لنا حسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن، أذهب الإشكال وأراح البال ، وهو ينقل أقوال من تقدّمه من المفسّرين معزوّة لأصحابها، ويرجّح ويوجّه ما يختار منها ، وإذا كان لنا بعض المآخذ عليه، فهو تشيّعه لمذهبه وانتصاره له ، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام علىٰ مايتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو ومن على شاكلته، وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعة، غير أنّه ـ والحق يقال ـ ليس مغالياً في تشيّعه ، ولا متطرفاً في عقيدته ، كما هو شأن كثير غيره من علماء الإماميّة الاثني عشرية .

وقال الذهبي في مكان آخر من كتابه : ولقد قرأنا في تفسيره، فلم نلمس عليه تعصّباً كبيراً ، ولم نأخذ عليه أنّه كفّر أحداً من الصحابة أو طعن فيهم بما يذهب بعدالتهم ودينهم . كما أنّه لم يغال في شأن علي ما يجعله في مرتبة الإله أو مصاف الأنبياء، وإن كان يقول بالعصمة ، ولقد وجدناه يروي عن رسول الله ﷺ حديثاً في شأن من والىٰ علياً ومن عاداه، وهو يصرف النظر عن درجته من الصحّة، يدلّ

[على] أنّ الرجل وقف موقفاً وسطاً أو فوق الوسط إلىٰ حدّ ما من حبه لعليّ ﷺ، هذا الحديث هو ما رواه في الوجه الرابع من الوجوه التي قيلت في سبب نزول قوله تعالى في الآية ٥٧ من سورة الزخرف [١].

فالذهبي، يصف تفسير المجمع بالصفات التالية: التناسق التام، إجادة البحث في كلّ مطلب دخل فيه، خلوّه من الغلو والتطرّف ومن التعصّب المذهبي والطعن بالصحابة.

ملاحظة حول بعض ما قاله الدكتور الذهبي:

أوّلاً: لم نجد بين من ينتمي إلىٰ مذهب الشيعة من يزعم أنّ عليّاً عليه السلام في مرتبة الإله، اللّهم إلّا الغلاة، وهم خارجون عن الملّة، وتحكم الشيعة عليهم بالكفر والإلحاد.

وثانياً : مصاف الأنبياء هو بلوغ مرتبة توازي مرتبة الأنبياء في الفضيلة دون النبوّة، فهو أمر معقول ، وقد جعل النبيّ ﷺ العلماء في مصاف الأنبياء ، فقال : «**علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل**» [٢]، وقال أيضاً : «**العلماء ورثة الأنبياء**»، وقال بشأن عليّ عليه السلام «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**» [٣]، وهذا حديث متواتر وقد رواه أصحاب الصحاح والمسانيد وغيرهم.

وثالثاً : نسبة الاعتزال إلى الطبرسي أو أيّ عالم شيعي نسبة خاطئة ، إنّ للشيعة الإماميّة مبانيَ خاصّة في الأُصول والفروع قد تتفق مع الاعتزال وقد تخالف .

ونكتفي بذكر بعض ما ذكره بعض روّاد التقريب في العصر الحديث .

(١) الشيخ محمّد تقي القمّي، يتكلّم على مؤلّف المجمع فيقول : وقف مؤلّفه موقف الإنصاف ، والتزم جادة الأدب القرآني، فلم يعنّف في جدال، ولم يسفّه في

---

١ . التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢ : ١٠٤ـ١٠٥ و١٤٢ .

٢ . كنز العمّال، رقم ح ٣٢٨٨١.

٣ . جمع الجوامع، للسيوطي ٥: ٢٠٢، رقم ح ١٤٥٣٥.

مقال ، بل أعطى مخالفيه ما أعطى موافقيه من حسن العرض ، وبيان الحجّة ، ورواية السند ، فمكّن القارئ بذلك من الحكم السّديد، وجعل من كتابه موضعاً للقدوة الحسنة في الجدال بالتي هي أحسن [1].

(٢) الشيخ محمّد واعظ زاده الخراساني، قال : التفسير القيّم (مجمع البيان) واحد من ثلاثة تفاسير للشيخ الجليل أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفّى عام ٥٤٨هـ)، وهو أوّلها وأساس التفسيرين الآخرين، أي: (الكافي الشافي)، و(جوامع الجامع) ... وقد اشتهر في عصره بمختلف العلوم الشائعة آنذاك، كالتفسير والفقه والكلام والسيرة وتاريخ الأئمة، وألّف الكتب في جميع هذه الفروع . وكما هو واضح من كتبه، لاسيّما تفسيريه المعروفين: (مجمع البيان) و(جوامع الجامع)، فإنّه ضليع ومتبحّر في اللغة العربية وقواعدها، ويحرّر العبارات العربية بغاية الجزالة والفصاحة والإيجاز، وله ولع شديد بطرائف الأدب ... [2].

وقال النوري في حقّه : صاحب تفسير مجمع البيان ، الذي عكف عليه المفسّرون [3].

تأليفاته:

١ ـ الآداب الدينية للخزانة المعينية ، ألّفه على اسم الحاكم آنذاك ، ويشتمل على ١٤ باباً في الأخلاق والمسائل التربويّة .

٢ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى ، في فضائل الأئمة الهداة وأحوالهم عليهم السلام .

٣ ـ تاج المواليد ، في الأنساب .

---

١ . مجمع البيان لعلوم القرآن ، طبع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، مقدّمة الشيخ محمّد تقي القمّي : ١٧ .

٢ . مجمع البيان.

٣ . خاتمة مستدرك الوسائل :٤٨٧ .

٤ ـ عدّة السفر وعمدة الحضر ، يبحث في آداب المعاشرة والسفر والأخلاق .

٥ ـ العمدة في أُصول الدين والفرائض والنوافل ، يبحث في المسائل الفقهيّة .

٦ ـ غُنية العابد ومُنية الزاهد .

٧ ـ كنوز النجاح ، وهو في الأدعية والمناجاة .

٨ ـ مشكاة الأنوار ، في الأخبار والأدعية .

٩ ـ معارج السؤال ، في أحوال الأئمة .

١٠ ـ نثر اللآلي ، في كلمات الإمام عليّ عليه السلام .

١١ ـ المؤتلف من المختلف بين أئمة السّلف ، هو تحرير لكتاب مسائل [١] .

التعريف بمجمع البيان: كان تفسير مجمع البيان، قبل تأليف تفسير الميزان، أحسن من جميع تفاسير الشيعة وأشهرها؛ إذ كان مشتملاً علىٰ جميع العلوم اللازمة في تفسير الآيات الباهرة، ومع ذلك كان ناصراً لمذهب الإمامية، واشتمل علىٰ جميع محاسن كتب المفسّرين السابقين، وجاء بنظم دقيق في بيان المطالب والمسائل ، فهو تفسير حافل بالأدب واللغة والقراءات وحججها من ناحية ، وشامل لآراء المفسّرين من السنّة والشيعة من ناحية أخرىٰ ، ويحتوي الآراء المهمّة في باب العقيدة وعلم الكلام، بما يتناسب مع الآيات المفسَّرة ثالثة ، وذكر عقيدة الشيعة وآرائهم، بما يراه مناسباً للآيات، وناقش آراء المخالفين، وسلك في هذا السبيل مسلك العالم النبيل ، لا الجاهل الذي ليس له كلام إلّا السّب والاستهزاء، ممّا يوجب العداوة والفُرقة .

فقد مشىٰ في تفسير القرآن كما مشىٰ الشيخ الطوسي، من ناحية الكمّ والكيف، إلّا أنّ الطبرسي جاء بزيادات في المباني والفروع والشكل والأسلوب .

---

١ . راجع : طبقات مفسران شيعه، للعقيقي البخشايشي ٢ : ١٣٨ .

فلنرجع إلىٰ كلام الشيخ الطبرسي في مقدّمة مجمع البيان، فهو يقول : وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن، واجتهدوا في إبراز مكنونه، وإظهار مصونه ،وألّفوا فيه كتباً جمّة، غاصوا في كثير منها إلىٰ أعماق لُجحه، وشققوا الشَّعر في إيضاح حُججه، وحقّقوا في تنقيح أبوابه وتغلغل شعابه، إلّا أنّ أصحابنا لم يدوّنوا في ذلك غير مختصرات، نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الأسرار، إلّا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد أبو جعفر محمّد ابن الحسن الطوسي ﵀ من كتاب التبيان، فإنّه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح عليه رواء الصّدق، قد تضمّن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة [1].

قدّم الطبرسي علىٰ تفسيره مقدّمات سبع : بحث فيها عن عدد آي القرآن الكريم ، وأسماء القرّاء المشهورين ، وبيان التفسير والتأويل ، وأسامي القرآن المجيد ، وعلوم القرآن وفضله وتلاوته ، وأثبت في المقدّمة صيانة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان، وأنّ عليه إجماع علماء الإماميّة واتّفاقهم [2].

سبب التأليف:ذكر في سبب تأليف مجمع البيان أمور ثلاثة :

الأول : فقدان النظم والتناسب في التفاسير السابقة. يقول الطبرسي في مقدّمة كتابه_ بعد ما ذكر ملاحظاتٍ حول التفاسير _ في شأن تفسير التبيان :أنّه خلط في أشياء ممّا ذكره في الإعراب والنحو الغث بالسمين والخاثر بالزباد ، ولم يميّز بين الصلاح ممّا ذكر فيه والفساد، وأدّىٰ الألفاظ في مواضع من متضمّناته قاصرة عن المراد، وأخلّ بحسن الترتيب وجودة التهذيب، فلم يقع لذلك من القلوب السليمة

---

١ . راجع: مجمع البيان ١ : ٧٥، مقدّمة الكتاب .

٢ . راجع : المفسّرون حياتهم ومنهجهم : ٦١٠ .

الموقع المرضي، ولم يعلُ من الخواطر الكريمة المكان العلي [١].

الثاني: إجابة لطلب بعض الكبار منه. يقول الشيخ الطبرسي: فهداني علىٰ تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل العالم وليّ النعم جلال الدين ركن الإسلام، مخلّص الملوك والسلاطين، سيد نقباء الشرف، تاج أمراء السادة، فخر آل رسول الله ﷺ أبي منصور [٢] محمّدبن يحيى بن هبة الله الحسيني [٣].

الثالث: نذر في القبر! عن صاحب رياض العلماء: ممّا اشتهر بين الخاصّ والعامّ: أنّه ﵀ أصابته السكتة، فظنّوا به الوفاة، فغسلوه وكفنوه ودفنوه وانصرفوا، فأفاق ووجد نفسه مدفوناً، فنذر إن خلّصه الله من هذه البليّة أن يؤلّف كتاباً في تفسير القرآن، واتفق أنّ بعض النبّاشين كان قد قصد قبره في تلك الحال وأخذ في نبشه، فلما نبشه وجعل ينزع عنه الأكفان قبض بيده عليه، فخاف النبّاش خوفاً عظيماً، ثمّ كلّمه فازداد خوف النبّاش، فقال له: لاتخف، وأخبره بقصته، فحمله النبّاش على ظهره وأوصله إلى بيته، فأعطاه الأكفان ووهب له مالاً جزيلاً، وتاب النبّاش على يده، ثمّ وفىٰ بنذره وألّف كتاب مجمع البيان [٤].

أقول: وقوع مثل هذه القصة في الواقع أمر مرفوض؛ لما يلي:

١ ـ أنّ الشيخ الطبرسي نفسه لم يذكر هذه القصة علّة للتأليف، بل ذكر سببين في

---

١. مجمع البيان ١: ٧٥، مقدّمة المؤلّف.

٢. هو جلال الدين أبو منصور محمّد بن عمّار الدين يحيى بن ركن الدين أبو منصور هبة الله بن سيد أجل أبو الحسين من أكابر السادة والشرفاء من آل زبارة الذين كانوا في مدينة سبزوار في إقليم خراسان والمشهد الرضوي من بلاد إيران، وكان بين الطبرسي وآل زبارة علاقة سببية. (راجع: تاريخ البيهقي: ٥٨ و٢٤٢).

٣. تفسير المجمع ١: ٧٦.

٤. راجع: تفسير مجمع البيان ١: ١٤، ترجمة المؤلّف، ورياض العلماء ٤: ٣٥٧.

مقدّمة الكتاب كماذكرناهما .

٢ ـ لم تذكر هذه القصة في كتاب قبل كتاب (رياض العلماء)، وصاحب الرياض اكتفى باشتهارها فقط .

٣ ـ أنّ حياة الإنسان من دون الهواء غير ممكنة عادة، والهواء الموجود في القبر بعد ثوانٍ لايكفي لبقاء الإنسان . على كلّ حال فإنّ المؤلّف أراد أن يؤلّف تفسيراً ممتازاً في النظم والنسق البديع، وطلب بعض الكبار أيضاً شجّعه على تحقيق هذا الغرض.

بين تفسير التبيان ومجمع البيان: حين المقارنة بين الكتابين ، لتعيين الأحسن من الحسن والأجود من الجيّد ، لابدّ أن لانغفل عن نكتة مهمّة، وهي: أنّ أيّ كتاب إذا كان أحسن ممّا كتب سابقاً لايعني: أنّ المؤلّف الأوّل أقلّ علماً واجتهاداً من المؤلّف الثاني ، فكم من مؤلّف أبدع فكرة مهمّة وعلماً عظيماً، فبدأ الآخرون اللاحقون ينشرون علمه وفكرته، ويزيدون عليه شيئاً أو أشياء .

فإنّا إذا نظرنا بعين الإنصاف في المجمع والتبيان ، لرأينا أنّ التبيان هو أصل المجمع، وإذا حذفنا مطالب التبيان عن المجمع، لايبقى في المجمع ما يمكن أن نسمّيه تفسيراً للقرآن ، إضافة إلى هذا ، فإنّ الشيخ الطوسي أبدع تفسيراً لم يكن له مثيل في السابق، كما يقول الشيخ في مقدّمة كتابه :

فإنّ الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب ، أنّي لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً وحديثاً، من عمل كتاباً يحتوي علىٰ تفسير جميع القرآن، ويشتمل علىٰ فنون معانيه، وإنّما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المرويّة في الحديث ، ولم يتعرّض أحد منهم لاستيفاء ذلك، وتفسير ما يحتاج إليه [١]، فهو بسبق وإبداع مستوجب للمدح الكثير ، وإن كان المجمع الآن

---

١ . تفسير التبيان ١ : المقدّمة .

أفضل منه وأتقن، كما أنّه أكثر منه وأشهر.

فالمجمع أحسن من التبيان في أمورٍ، منها:

١ ـ حسن الترتيب، فإنّ حسن الترتيب في مجمع البيان شيء أخبر به نفس المؤلّف وبعض الكبار، ويصدّقه ما نشاهده في الكتاب.

يقول الطبرسي بعد مدحه لتفسير التبيان: غير أنّه خلط في أشياء ممّا ذكره في الإعراب والنحو، الغثّ بالسمين والخاثر بالزباد، ولم يميّز بين الصلاح ممّا ذكره فيه والفساد، وأدّى الألفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد، وأخلّ بحسن الترتيب وجودة التهذيب [١].

٢ ـ زيادة المطالب في فضل السّور والآيات والقراءات وحججها والإعراب، ممّا جعل المجمع في زمرة التفاسير الأدبية، مع أنّ فيه الاتّجاهات الأخرىٰ.

٣ ـ تكثير المسائل في تفسير الآيات؛ لأنّ الطبرسي، أشار في ذيل الآيات أحياناً إلى بعض المسائل التي لم تكن موجودة في التبيان.

أسلوب التفسير: عادة يذكر اسم السورة، ومكان نزولها، وعدد آيها في العنوان، وبعد ذلك حين الشروع ينقل الآراء المختلفة في مكان نزولها وعدد آياتها، وإذا كان هناك أسماء أخر للسورة، يذكرها ويوضّح تناسبها. فيأتي بروايات في فضل السورة لتلاوتها وخواصّها، وبعد هذه الأمور التي تعدّ مقدّمة لتفسير السورة، يذكر آية أو مجموعة من الآيات المناسبة لها، وعادة يأتي بسبعة عناوين: القراءة، حجّة القراءات المختلفة، اللغة، الإعراب، النزول، النظم وارتباطها بالآيات الأخرى، معنى الآيات وتفسيرها.

فأسلوب تفسير المجمع، وكيفيّة عرض المطالب عادة تذكر في هذا الإطار،

---

١. مجمع البيان ١: المقدّمة.

وترتّب في إحدى عشرة مسألة، لكلّ سورة من القرآن ، وبهذا الأسلوب الجميل والترتيب الحسن صار الوصول إلى المراد سهلاً لكلّ الناس من الطلاب والفحول، ومع هذا النظم امتاز عن جميع التفاسير الموجودة في عصره، سواء أ لّفت من قبل الشيعة الإمامية، أو إخواننا من أهل السنّة، كتفسير الطبري وغيره .

منهج مجمع البيان: نذكر أموراً لكي نعرف من خلالها منهج مجمع البيان :

١ ـ تفسير مجمع البيان تفسير اجتهادي؛ لأنّ الطبرسي استخدم كلّ ما يمكن أن يقع في طريق فهم القرآن المجيد، من نفس الكتاب الكريم، أو الحديث الشريف ، أو العقل الرشيد ، أو الأدب الصحيح، وغير ذلك ممّا يستدلّ به على فهم تفسير القرآن .

ولكن مع هذا ، نرى بعض التفاسير الاجتهادية يميل إلى مصادر معيّنة، أكثر من المصادر الأخرى، ونحسب تفسير المجمع مائلاً إلى التفسير الأدبي ، فالمجمع يتعرّض لبحث القراءات واللغات والنحو بكثرة وعمق، حتّىٰ صار مرجعاً للعلماء لفهم لغات القرآن والقراءات وقواعد النحو والصرف .

٢ ـ أنّ المؤلّف الكريم مع سعة علمه وقوة فهمه ، وتشيّعه، لم يكن له تعصب أعمى ولم يصرّ على ما عنده من الآراء، بل نراه كثيراً ما يذكر الآراء المختلفة، ويترك القارئ متفكّراً؛ لكي يختار بنفسه ما يريد ، وفي كثير من الموارد ، نراه يذكر الأقوال المختلفة، ويذكر قول إمام من أئمّة أهل بيت الرسول ﷺ ويترك الأمر من دون تعليق أو تعريض ، فهو على الرغم من أ نّه إمامي في المذهب، ينقل كلّ ما أحاط به علمه من أقوال المفسّرين علىٰ اختلاف مذاهبهم، حتّىٰ لو كان فيما ينقله ما يناهض عقيدته ويخالف مذهبه، من غير جرح أو قدح أو نقد أو ردّ، بل نراه يُعرض عن أقوال الإمامية في تفسير بعض الآيات إذا كان فيها ما يخدش شعور الآخرين فيقول : «للشيعة أقوال في تفسير هذه الآية أضربنا عنها؛ مخافة أن ينسبنا ناسب إلىٰ شيء»، بل نراه يترك الحكم للقارئ في كلّ ما ينقله من اختلاف

المفسّرين، دون ترجيح أو تفضيل، ونراه أيضاً ينقل الآراء والروايات عن المذاهب الأخرى بلا تحريف أو تحوير ، ومن هنا سمّي أو لقّب بـ(أمين الإسلام) و(ثقة الإسلام) و(أمين الدين) و(أمين الدولة) و(أمين الرؤساء)؛ لمحافظته على الأمانة العلميّة التي تقلّدها [١].

٣ ـ أنّ الطبرسي لايفسّر الآيات فحسب، بل بالمناسبات الواردة في ذيل الآيات يتعرّض لبعض المباحث والعلوم القرآنية والإسلامية، إذا كانت تناسب الآيات، ولو لم تعدّ تفسيراً للقرآن ، وبهذا الأسلوب يمكن القول: إنّ تفسير مجمع البيان يعدّ دائرة معارف إسلامية قرآنية ، فهو مرجع للجميع، يرتوي منه الصغير والكبير، كما يستفيد منه جميع أصحاب العلوم الإسلامية، ونذكر هنا نموذجين:

الأوّل: في الفقه

عند تفسير سورة الجمعة يقول : وفرض الجمعة لازم جميع المكلّفين، إلّا أصحاب الأعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج ، أو أن يكون امرأة أو شيخاً هِمّاً لا حراك به ، أو عبداً، أو يكون رأس أكثر من فرسخين من الجامع ، وعند حصول هذه الشرائط لايجب إلّا عند حضور السلطان العادل ، أو من نصبه السلطان للصلاة ، والعدد يتكامل عند أهل البيت عليهم السلام بسبعة ، وقيل: ينعقد بثلاثة سوى الإمام ، عن أبي حنيفة والثوري، وقيل: إنّما ينعقد بأربعين رجلاً أحراراً بالغين مقيمين ، عن الشافعي وقيل: ينعقد باثنين سوى الإمام ، عن أبي يوسف ، وقيل: ينعقد بواحد كسائر الجماعات ، عن الحسين وداود ، والاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير، موضعه كتب الفقه [٢].

---

١ . راجع : الطبرسي ومنهجه في التفسير اللغوي، للدكتور ناصر كاظم السراجي: ٤١٧ .

٢ . مجمع البيان ١٠: ١٤ ، ذيل الآية ٩ من سورة الجمعة .

والثاني: في علم الكلام

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ يقول : قال المفسّرون: حكم هذه الآية مختصّ باليهود؛ لأنّهم قالوا: نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا ، فأيأسهم الله عن ذلك، فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص، ويدلّ على ذلك: أنّ الأمّة اجتمعت على أنّ للنبي ﷺ شفاعة مقبولة، وإن اختلفوا في كيفيّتها ، فعندنا: هي مختصّة بدفع المضارّ وإسقاط العقاب عن مستحقّيه من مذنبي المؤمنين ، وقالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين، وهي ثابتة عندنا للنبيّ ﷺ ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين، وينجّي الله تعالى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، ويؤيّده الخبر الذي تلقته الأمّة بالقبول، وهو قوله: ادّخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، وما جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ أنّه قال : إنّي أشفع يوم القيامة فأُشفّع، ويشفع عليّ فيُشفّع، ويشفع أهل بيتي فيشفّعون، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه، كل قد استوجب النار (١) (٢).

مصادره في التفسير: تفسير مجمع البيان تفسير جامع بين المعقول والمنقول، فاستخدم كلّ ما يمكن جعله وسيلة لفهم القرآن الكريم، وقد استفاد من المصادر التالية لفهم معاني القرآن العالية :

١ ـ القرآن الكريم

في ذيل تفسير الكلمات في الآية : ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات﴾ يقول : فأمّا

---

١ . ليس هذه الرحمة خلاف الحكمة، فكأنّ هناك طائفتين مستحقّتين للدخول في النار ، ولكنّ الطائفة الأُولى منهما مع ذنوبها ابتعدت أيضاً عن المؤمنين والصلحاء ، والطائفة الثانية اختلطت واحترمت المؤمنين والصالحين ، فلأجل هذا التعامل جعل الله الصالحين من المؤمنين شفعاء لهم .

٢ . مجمع البيان ١ : ٢٢٣ ، ذيل الآية ٤٨ من سورة البقرة .

الكلمات سوىٰ ماذ كرناه، فمنها: اليقين، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وليكون من الموقنين﴾، ومنها: المعرفة بالتوحيد والتنزيه عن التشبيه، حين نظر إلى الكوكب والقمر والشمس، ومنها: الشجاعة، بدلالة قوله: ﴿فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم﴾ ومقاومته وهو واحد ألوفاً من أعداء الله تعالىٰ، ومنها: الحلم، وقد تضمّنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾، ومنها: السخاء، ويدلّ عليه قوله: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾، ثم: العزلة عن العشيرة، وقد تضمّنه قوله: ﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾، ثمّ: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان ذلك في قوله: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ الآيات، ثمّ: دفع السيّئة بالحسنة في جواب قول أبيه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾[1].

٢ ـ الروايات والآثار

من يقرأ تفسير المجمع، يرىٰ نقل الروايات والآثار لتفسير الآيات بكثرة، سواء نقلاً عن الرسول ﷺ أو أهل بيته أو الصحابة والتابعين، وكثيراً ما ينقل آراءً مختلفة دون تقييم، وقد يذكر بعد ذكر الآراء رأيه، كما قد يجمع الأقوال المختلفة.

في تفسير كلمة (الكوثر) يقول: اختلفوا في تفسير الكوثر، فقيل: هو نهر في الجنّة، عن عائشة وابن عمر، قال ابن عبّاس: لمّا نزلت: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ صعد رسول الله ﷺ المنبر فقرأها على الناس، فلما نزل قالوا: يارسول الله ما هذا الذي أعطاك الله؟ قال: نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدح، حافتاه قباب الدرّ والياقوت، ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت، قالوا: يارسول الله ما أنعم تلك الطير؟ قال: أفلا أخبركم بأنعم منها؟ قالوا: بلىٰ، قال: من

---

١. تفسير مجمع البيان ١: ٣٧٨، ذيل الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

أكل الطير وشرب الماء، فاز برضوان الله ، وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : نهر في الجنة أعطاه الله نبيّه صلى الله عليه وآله عوضاً من ابنه ، وقيل: هو حوض النبيّ صلى الله عليه وآله الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة ، عن عطاء ، وقال أنس : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفىٰ إغفاءة، ثمّ رفع رأسه مبتسماً، فقلت : ما أضحكك يارسول الله ؟ قال : أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ سورة الكوثر ، ثمّ قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ،قال : فإنّه نهر وعدنيه عليه ربّي خيراً كثيراً هو حوضي، ترد عليه أمّتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج القرن منهم، فأقول: يارب إنّهم من أمّتي، فيقال : إنّك لاتدري ما أحدثوا بعدك، أورده مسلم في الصحيح، وقيل: الكوثر: الخير الكثير، عن ابن عبّاس وابن جبير ومجاهد، وقيل: هو النبوّة والكتاب، عن عكرمة ، وقيل: هو القرآن، عن الحسن . وقيل: هو كثرة الأصحاب والأشياع، عن أبي بكر ابن عياش ، وقيل: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتّىٰ لايحصىٰ عددهم، واتصل إلىٰ يوم القيامة مددهم ، وقيل: هو الشفاعة ، رووه عن الصادق عليه السلام ، واللفظ يحتمل للكلّ، فيجب أن يحمل علىٰ جميع ما ذكر من الأقوال، فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى الخير الكثير في الدنيا، ووعده الخير الكثير في الآخرة، وجميع هذه الأقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين [١].

٣ ـ العقل

للعقل في الفكر الشيعي الإمامي موقع مهمّ وآثار كثيرة ، لأجل هذا يعدّ العقل مصدراً مهمّاً لتفسير القرآن الكريم ، فالطبرسي في ذيل الآية : ﴿إنّ المنافقين في

---

١ . مجمع البيان ١٠ : ٨٣٧، ذيل الآية الأُولى من سورة الكوثر .

الدرك الأسفل من النار﴾ يقول : وهذه الآية تدلّ على بطلان قول من حرّم النظر والحجاج العقلي؛ لأنّ الله عزّ اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآية، وألزمهم به تصديق نبيّه عليه الصلاة والسلام، وقرّرهم بأنّ القرآن كلامه، إذ قال : إن كان هذا القرآن كلام محمّد فأتوا بسورة من مثله؛ لأنّه لو كان كلام البشر لتهيّأ لكم مع تقدّمكم في البلاغة والفصاحة ، الإتيان بمثله أو بسورة منه ، مع قوّة دواعيكم إليه، فإذا لم يتأتّ لكم ذلك ، فاعلموا بعقولكم أنّه كلام الله تعالى ، وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي [١].

٤ ـ التاريخ

إنّ كثيراً من الآيات المتعلّقة بالأنبياء لاتفهم إلّا بذكر تاريخهم، فنرى الطبرسي يذكر قصصاً كثيرة؛ ليبيّن الآيات، فمثلاً نرىٰ أنّه في ذيل الآية ٤٩ من البقرة، يذكر قصة في نصف صفحة، وفي ذيل الآية ٥٠ من البقرة، يذكر قصة تملأ أكثر من صفحة ، وفي ذيل الآية ٥١ من نفس السورة، يذكر قصة في صفحة واحدة [٢].

وهناك ملاحظة على تفسير الطبرسي، وهي: نقل بعض الإسرائيليّات عندما يذكر قصصاً حول الجزئيّات المتعلّقة بحياة الأنبياء، دون نقد وتمحيص في بعض الموارد .

ولكن المتعمّق في مجمع البيان، يفهم منهجه حول ما يتعلّق بساحة الأنبياء أو بعض ما يخالف أحكام العقل وقواعد البرهان ، فإنّ الطبرسي قد أظهر آراءه في التفسير بعبارات محكمة وكلمات صريحة واضحة ، فإذا لم ينقد قصة إسرائيليّة ، لايعني ذلك: قبولها والاعتراف بها ، بل كما قلنا ذكرُ الأقوال والآراء المختلفة دون نقد وتمحيص، يعدّ من منهجه في كثير من الحالات .

---

١ . مجمع البيان ١ : ١٦٠، ذيل الآية ٢٤ من سورة البقرة .

٢ . راجع : مجمع البيان ١ : ٢٢٧ ـ ٢٢٩ و٢٣٣ ، ذيل الآيات ٤٩ و ٥٠ و ٥١ من سورة البقرة .

٥ ـ اللغة

إنّ اللغة العربية الفصيحة تعدّ مصدراً مهمّاً لفهم كلمات القرآن الكريم، ولكن عادة يرجع المفسّرون لفهم لغات القرآن إلىٰ كلمات الجاهلية وأشعارها ، ولكن الطبرسي يرجع إلى القرآن الكريم، وكذلك إلى الحديث النبوي الشريف، كما يرجع إلىٰ لغات الجاهلية وأشعارها، فالطبرسي لغوي كبير، وتفسيره يعدّ مصدراً مهمّاً للأدب العربي البليغ .

وفي ما يلي نذكر نموذجاً لمنهجه في تفسير كلمات القرآن العظيم :

أ ـ رجوعه إلى القرآن لفهم الكلمات

لتفسير كلمة (السفهاء) في الآية : ﴿قالوا أنؤمن كَما آمَنَ السُّفَهاء﴾ يرجع إلىٰ قوله تعالى : ﴿ولاتؤتوا السّفهاء أموالكم﴾، ولتفسير (الظالمين) في قوله تعالى : ﴿فتكونا من الظالمين﴾ يرجع إلىٰ ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً﴾.

ب ـ الحديث النبوي الشريف

لتفسير كلمة (الربّ) في قوله تعالى : ﴿ربّ العالمين﴾ يذكر معاني ويقول : ومنها: المالك ، نحو قول النبي ﷺ لرجل : أربّ غنم ، أم ربّ إبل؟ فقال : ما آتاني الله فأكثر وأطيب [١].

ج ـ لغات الجاهلية وأشعارها وغيرها

يستشهد الطبرسي بأشعار الجاهلية، مثل أشعار امرئ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والحارث بن حِلِّزة اليشكري ، ودريد بن الصّمة ، وطرفة بن العبد ، وعنترة ، وحاتم الطائي، وغيرهم [٢].

ويعدّ من هذا الباب رجوعه للأمثال العربية مثل : «رهبوت خير من رحموت»

١ . راجع: مجمع البيان، ذيل تفسير الآية الثانية من سورة الفاتحة .

٢ . راجع: الطبرسي ومنهجه في التفسير اللغوي: ٣٤٧ .

لتفسير كلمة (فارهبون)[١]، ومثل: «لا أفعل ذلك ما ذرّ شارق» لتفسير كلمة (المشرق) في قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾[٢].

٦ ـ القواعد النحوية

يعدّ الطبرسي في علم النحو وإعراب الكلمات والجمل من الأجلّاء، ويعارض أرباب هذا الفن، ويغلّطهم بالبراهين والأدلّة.

فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٣].

يقول: تقدير العامل في (إذ) يجوز أن يكون اُذكر، كأنّه قال: اُذكر يوسف، قال الزجاج: «ويجوز أن يكون على نقصُّ عليك إذ قال يوسف»، وقد غلط في هذا؛ لأنّ الله لم يقصّ على نبيه ﷺ هذا القصص في وقت قول يوسف عليه السلام[٤].

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿آلر كتابٌ اُحكِمَت آياته ثمَّ فَصِّلَت مِنْ لَدُن حَكِيم خَبِير﴾[٥] يقول الطبرسي: قال بعضهم: (كتاب) خبر (آلر)، وهذا غلط؛ لأنّ (كتاب) أحكمت آياته، ليس هو (آلر) ومدّها، أي: أنّه لايمكن إعراب (كتاب) خبر لـ (آلر)؛ لأنّ خبر المبتدأ، هو المبتدأ في المعنى، ففي قولنا: (زيد قائم) يكون زيد هو القائم، والقائم هو زيد، أمّا في «آلر كتاب أحكمت آيات»، فإنّ «كتاب أحكمت آياته» تشمل «آلر» وتشمل غيره كذلك[٦].

---

١. مجمع البيان ١: ذيل الآية ٤٠ من سورة البقرة.

٢. مجمع البيان ١: ذيل الآية ١١٥ من سورة البقرة.

٣. يوسف: ٤.

٤. المجمع ٥: ٣١٩، ذيل الآية ٤ من سورة يوسف.

٥. هود: ١.

٦. المجمع ٥: ٢١٣، ذيل الآية ١ من سورة هود.

القسم الثاني
منهج التفسير الاجتهادي غير الجامع ونماذجه

ذكرنا أنّنا نجد بعض المفسّرين يعتمدون على مصدر واحد لتفسير القرآن، ويرونه أصحّ المصادر في تفسير كتاب الله تعالى، لنأتي بمنهجين في هذا الإطار: تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الإشاري.

الفصل الأوّل
منهج تفسير القرآن بالقرآن ونماذجه

تعريف منهج تفسير القرآن بالقرآن

ما يفهم من تفسير القرآن بالقرآن، واضح، ولأجل هذا الوضوح لم يتعرّض المفسّرون لتعريفه، بل أشاروا إليه بأنّه: تفسير للقرآن بواسطة نفس القرآن، فإذا رأينا إجمالاً في آية، يوضّح ذلك الإجمال بواسطة آية أخرى، إذ القرآن يشهد بعضه على بعض و يفسّر بعضه بعضاً.

وعرّف بعض، هذا النوع من التفسير بأنّه: مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر؛ ليستدلّ على هذه بهذه؛ لمعرفة مراد الله تعالى من قرآنه الكريم[1].

---

١. المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم لأبي طبرة: ٦٥.

ولكنّ هذا التعريف ليس شاملاً لهذا المنهج؛ إذ لتفسير القرآن بالقرآن أنواع كثيرة لاتنحصر في النوع الذي أشير إليه في التعريف. أي: الشاهديّة والتأييد، فالأصحّ أن نقول في تعريفه: تفسير آية أو آيات بواسطة آية أو آياتٍ أخرى؛ لوجود علاقة بينهما. فالباء في جملة تفسير القرآن بالقرآن، تكون للاستعانة، كما هو الظاهر منها، أي: تفسير القرآن بمساعدة نفس القرآن، وأيضاً لابدّ من وجود علاقة بين الآيات. وإلّا لايمكن تفسير آية بآية أخرى أجنبيّة عن الأولى، والعلاقات بين الآيات كثيرة لاتنحصر في علاقة التأكيد والموافقة في المؤدّىٰ.

أفضليّة تفسير القرآن بالقرآن وأولويّته

منهج تفسير القرآن بالقرآن من المناهج التفسيرية المشتركة بين الشيعة الإماميّة والسنّة، وجميع الطوائف الاسلامية وكلّ المفسّرين الذين أشاروا إلى المناهج التفسيرية، وتكلّموا على الطرق التفسيرية قالوا: إنّ أفضلها وأصحّها وأدقّها هو تفسير القرآن بالقرآن، فنذكر بعض تعبيراتهم:

قال ابن تيمية: فإن قال قائل: فما أحسن الطرق التفسيرية؟ فالجواب: الأول: إنّ أصحّ الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان، فإنّه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فقد بسط في موضع آخر [1].

وقال ابن جُزيّ: أمّا وجوه الترجيح فهي اثنا عشر: الأوّل: تفسير القرآن ببعض، فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر، حملناه عليه ورجّحنا القول على غيره من الأقوال... [2].

وقال عبدالسلام في توضيح تفسير القرآن بالقرآن: كان على من يفسّر القرآن

---

١. دقائق التفسير ١: ٧٢.

٢. التسهيل ١: ٩.

الكريم أن يرجع إلى القرآن أوّلاً، يبحث فيه عن تفسير مايريد، فيقابل الآيات بعضها ببعض، ويستعين بما جاء مسهباً ليعرف به ما جاء موجزاً، وبالمبيّن ليفهم به المجمل، ويحمل المطلق على المقيّد والعامّ على الخاص، ولايجوز لأحدٍ كائناً من كان أن يتخطّى هذا التفسير القرآني [١].

وقال الشيخ خالد عبدالرحمان العك: أجمع العلماء على أنّ من أراد تفسير القرآن الكريم، طلبه أوّلاً من القرآن نفسه، فما أُجمل منه في مكان، فقد فسّر في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان، فقد بسط في موضع آخر منه، فلزم أن ينظر في القرآن نظرة فاحص مدقق، ويجمع الآيات في موضع واحد، ثمّ يقارن بعضها ببعضها الآخر، فمن عدل عن هذا وفسّر برأيه دخل تحت قوله ﷺ: «من قال في كتاب الله تعالى برأيه فأصاب فقد أخطأ» ويكون تصرّفه تصرّفاً مذموماً [٢].

وقال الشنقيطي: ... واعلم أنّ من أهم المقصود بتأليفه (التفسير) أمرين: أحدهما: بيان القرآن بالقرآن؛ لاجماع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله... [٣].

وقال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: التفسيرالواقعي للقرآن هو: التفسير الذي ينبع من التدبّر في الآيات الكريمة، وضم بعضها إلى بعضٍ، وبعبارة أوضح: يمكن أن نسلك في التفسير إحدى طرق ثلاث:

أ ـ تفسير الآية وحدها بالمقدّمات العلمية وغيرها التي نملكها.

ب ـ تفسير الآية بمعونة الأحاديث المأثورة عن المعصومين عليهم السلام.

ج ـ تفسير الآية بالتدبّر والدقّة فيها وفي غيرها والاستفادة من الأحاديث.

---

١. علوم القرآن عند المفسّرين، ٣: ٥٦٤.

٢. أُصول التفسير وقواعده: ٧٩.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١: ٥.

الطريقة الثالثة هي: المَنهج الذي توصّلنا إليه في الفصل الماضي، وهو المـنهج الذي حثّ عليه النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فيما أثر عنهم، قال ﷺ: «وإنّما نزل ليصدق بعضه بعضاً» وقال عليه السلام: «ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض» (إلى أن قال): والطريقة الأولى من الطرق الثلاث لايمكن الاعتماد عليها، وهي في الحقيقة مـن قبيل التفسير بالرأي الذي لايجوز، إلّا ما وافق منه الطريقة الثالثة.

وأمّا الطريقة الثانية، فهي التي كان يتّبعها علماء التفسير في الصدر الأوّل، وكان العمل عليها عدة قرون، وهي الطريقة المعمولة حتى الآن عند الأخباريين من الشيعة والسنّة ، وهذه الطريقة محدودة لا تفي بالحاجات غير المحدودة ؛ لأنّ ستة آلاف وعدة مئات من الآيات التي نقرؤها في القرآن الكريم ، تقابلها مئات الألوف مـن الأسئلة العلمية وغير العلمية ، فمن أين نجد الإجابة عـن هـذه الأسـئلة ؟ وكـيف التخلص منها [١]؟

وقال الجوادي الآملي، مؤلّف تفسير «تسنيم»: أفضل المناهج التفسيرية و أكثرها فائدة، وهو الذي يعدّ منهجاً تفسيرياً لأهل البيت عليهم السلام أيضاً، هو المـنهج الخـاص المعروف بتفسير القرآن بالقرآن، ففي هذا المنهج تبيّن كلّ آية من القـرآن الكـريم بالتدبر في الآيات الأخرى [٢].

وجاء في تفسير الفرقان: وإذا كان القرآن هو المعوّل عليه والمرجع لسواه، فأحرىٰ أن يكون مرجعاً لنفسه، حيث التمسّك بالقرآن في الأمور المشـتبهة إصـلاح لهـا، ووصول للرشد فيها، فهو أحقّ أن يمسّك في تفسيره بنفسه ﴿وَٱلَّـذِينَ يُـمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّـلاَةَ إِنَّـا لاَنُـضِيعُ أَجْـرَ ٱلْـمُصْلِحِينَ﴾[٣] فـالذين لايـمسكون

---

١ . القرآن في الإسلام، للعلّامة الطباطبائي: ٨١ ـ ٨٣.

٢ . تفسير «تسنيم» ١: ٦١.

٣ . الأعراف: ١٧٠.

بالكتاب، أو يمسكون في تفسير الكتاب بغير الكتاب، هم من المفسدين، حيث المرجع الوحيد في المختلف فيه هو الله، ولا يمثّل الحكم فيه إلّا كتاب الله [١].

تاريخ تفسير القرآن بالقرآن

عمليّة تفسير القرآن بالقرآن قبل أن تصل إلى المنهجيّة، بدأت في زمان نزول القرآن، والقرآن شاهد على ذلك؛ إذ نجد بعض الآيات تشير إلى بعض آخر وتبيّنها.

يقول الذهبي: ومن أجل ذلك نستطيع أن نوافق الأستاذ جولد زيهر، على ما قاله في كتابه (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن): «أنّ المرحلة الأولى لتفسير القرآن، والنواة التي بدأ بها، تتركّز في القرآن نفسه، وفي نصوصه نفسها، وبعبارة أوضح: في قراءاته، ففي هذه الأشكال المختلفة، نستطيع أن نرىٰ أوّل محاولة للتفسير»، نعم نستطيع أن نوافقه على أنّ المرحلة الأولى للتفسير تتركّز في القرآن نفسه، على معنى ردّ متشابهه إلى محكمه، وحمل مجمله على مبيّنه، وعامّه على خاصّه، ومطلقه على مقيّده... [٢].

كما أنّ الرسول ﷺ أيضاً كان يفسّر القرآن بالقرآن أحياناً، وبعده سلك هذا المسلك أصحابه الكرام وأئمة الهدى، ومع كثرة الروايات التفسيرية وظهور المناهج الاجتهادية في التفسير لم ينقص من قيمة منهج تفسير القرآن بالقرآن شيء، بل بقي على قوّته وزيد في عظمته.

ونذكر في ما يلي ما يدلّ على وجود هذا النوع من التفسير في عصر النزول:

أ ـ تفسير القرآن بالقرآن حين النزول

أوّل من فسّر القرآن بالقرآن، هو الله تبارك وتعالى حين إنزاله الآيات على

---

١ . تفسير الفرقان، لمحمد الصادقي ١: ١٦، المقدّمة.

٢ . التفسير والمفسّرون، للذهبي ١: ٤١.

الرسول ﷺ، فنذكر نموذجين لذلك:

جاء في تفسير أضواء البيان: إنّ الله تارة يحيل على شيء ذكر في آية أخرىٰ، كقوله في النساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ ٱللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [١]. والآية المحال عليها هي قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [٢]. ومن أمثلته: قوله تعالى في النحل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [٣]، الآية، والمراد به ما قصّ عليه في الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [٤]. ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللهُ﴾ [٥].

فإنّ محلّ الإتيان المعبّر عنه بلفظة (حيث) هنا، أشير إليه في موضعين:

أحدهما: قوله هنا: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [٦]؛ لأنّ قوله: فأتوا، أمر منه تعالى بالإتيان، وقوله: حرثكم، يعيّن محلّ الإتيان، وأنّه في محلّ حرث الأولاد وهو القُبُل دون الدّبُر، فاتّضح: أنّ محلّ الإتيان المأمور به المحال عليه هو محلّ بذر الأولاد، ومعلوم أنّه القُبل، وسترى إن شاء الله تحقيق تحريم الإتيان في الدّبر في سورة البقرة.

والآخر: قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللهُ لَكُمْ﴾ [٧] فقوله تعالى:

---

١. النساء: ١٤٠.

٢. الأنعام: ٦٨.

٣. النحل: ١١٨.

٤. الأنعام/١٤٦.

٥. البقرة: ٢٢٢.

٦. البقرة: ٢٢٣.

٧. البقرة: ١٨٧.

باشروهن، أي: جامعوهنّ، والمراد بما كتب الله لكم: الولد على التحقيق، وهو قول الجمهور[١].

يقول الطباطبائي في تفسير الميزان ذيل تفسير الآية: ﴿اليوم يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾[٢]: فالآية تنبئ عن أنّ المؤمنين في أمن بعد خوفهم، وأنّ الله رضي لهم أن يتديّنوا بالإسلام الذي هو دين التوحيد، فعليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً بطاعة غير الله أو من أمر بطاعته، وإذا تدبّرت قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾[٣]، ثم طبّقت فقرات الآية على فقرات قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ الخ، وجدت آية سورة المائدة من مصاديق إنجاز الوعد الذي تشتمل عليه آية سورة النور، على أن يكون قوله: ﴿ يعبدونني لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ مسوقاً سوق الغاية كما ربّما يشعر به قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾، وسورة النور قبل سورة المائدة نزولاً[٤]. فآية المائدة تشير إلى آية النور وتبيّنها مصداقاً.

ب ـ تفسير القرآن بالقرآن في عهد الرسول ﷺ

يقول السيوطي في الإتقان: وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم ـ وصححه ـ وغيرهم، عن أبي أُمامة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ *

---

١. راجع: أضواء البيان: ٢٦.

٢. المائدة: ٣.

٣. النور: ٥٥.

٤. الميزان في تفسير القرآن ٥: ١٨٢، ذيل الآية ٣ من سورة المائدة.

يَتَجَرَّعُهُ﴾[١] قال: «يقرّب إليه فيتكرّهه، فإذا أُدني منه شوى وجهه ورفع فروة رأسه، فإذا شربه قطّع أمعاءه، حتّى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾»[٣][٤].

وفي الإتقان أيضاً: أخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[٥] شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله! وأيّنا لايظلم نفسه؟ قال: «إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٦] إنّما هو الشرك»[٧].

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن ابن أذينة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بسم الله الرحمن الرحيم أحقّ ما أجهر، وهي الآية التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾»[٨][٩].

ج ـ تفسير القرآن بالقرآن في عهد الصحابة والأئمة

في (جامع البيان للطبري) عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ

---

١. إبراهيم: ١٦ و١٧.

٢. محمد: ١٥.

٣. الكهف: ٢٩.

٤. الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٦٥، النوع الثمانون.

٥. الأنعام: ٨٢.

٦. لقمان: ١٣.

٧. الإتقان ٤: ٢٥٣ و٢٥٤، النوع الثمانون.

٨. الإسراء: ٤٦.

٩. تفسير نور الثقلين ٣: ١٧٣، ح ٢٤٥.

حَرَجٍ﴾ [١] يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق، هو واسع، هو مثل قوله في الأنعام: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [٢]. يقول: من أراد أن يضلّه يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الإسلام ضيّقاً، والإسلام واسع [٣].

وفي (تفسير القرآن العزيز) للصنعاني: عن عبدالله بن الحارث، قال: اجتمع ابن عباس وكعب، قال: فقال ابن عباس: أمّا نحن بنو هاشم فنزعم أو نقول: إنّ محمداً رأى ربّه مرّتين، قال: فكبّر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: إنّ الله قسّم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلّمه موسى، ورآه محمد بقلبه. قال مجالد: وقال الشعبي: وأخبرني مسروق أنّه قال لعائشة قلت: أي أمّتاه! هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: إنّك لتقول قولاً، إنّه (ليقف) منه شعري، قال: قلت: رويداً، قال: فقرأت عليها: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [٤] حتى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [٥] فقالت: رويداً أين يذهب بك؟ إنّما رأى جبريل في صورته، من حدّثك أنّ محمداً رأى ربّه فقد كذب، ومن حدّثك أنّه يعلم الخمسة من الغيب فقد كذب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾» [٦] إلى آخر السورة. قال عبدالرزاق: فذكرت هذا الحديث لمعمر، فقال: ما عندنا بأعلم من ابن عباس [٧].

---

١. الحج: ٧٨.

٢. الأنعام: ١٢٥.

٣. جامع البيان ١٠: ٢٠٧، ذيل الآية ٧٨ من سورة الحجّ.

٤. النجم: ١.

٥. النجم: ٩.

٦. لقمان: ٣٤.

٧. تفسير القرآن العزيز ٢: ٢٠٣ و٢٠٤، ذيل الآية ١ من سورة النجم.

وفي بحار الأنوار: ومن المناقب: أنّ عمر أُتي بامرأة وضعت لستة أشهر، فهمّ برجمها، فبلغ ذلك علياً، فقال: ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه يسأله، فقال علي عليه السلام: ﴿وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [١]، وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾» [٢] فستة أشهر حمله وحولان تمام الرضاعة، لا حدّ عليها ولا رجم عليها، قال: فخلّى عنها [٣].

وفي تفسير نور الثقلين: عن زرارة ومحمد بن مسلم أنّهما قالا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر، كيف هي، وكم هي؟ فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ﴾ [٤] فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التّمام في الحضر»، قالا: قلنا: إنّما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ولم يقل: إفعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التّمام في الحضر؟ فقال عليه السلام: «أو ليس قد قال الله عزّ وجلّ في الصّفا والمروة: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [٥] ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض؟ لأنّ الله عزّ وجلّ، ذكره في كتابه وصنعه نبيّه صلى الله عليه وآله، وكذلك التقصير في السفر، شيء صنعه النبي صلى الله عليه وآله وذكره الله تعالى ذكره في كتابه» [٦].

حكم تفسير القرآن بالقرآن

تدلّ دلائل كثيرة على جواز تفسير القرآن بالقرآن أو لزومه، نذكر بعضاً منها:

---

١. البقرة: ٢٣٣.

٢. الأحقاف: ١٥.

٣. البحار ٤٠: ١٨٠.

٤. النساء: ١٠١.

٥. البقرة: ١٥٨.

٦. تفسير نور الثقلين ١: ٥٤١ و٥٤٢، ح ٥٢٧.

الأوّل: الآيات القرآنية

يدلّ من الآيات القرآنية أصناف متعدّدة، منها:

١ ـ الآيات التي تدلّ على البيان من الله للقرآن.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [١].

يقول الطباطبائي في تفسيره: وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: علينا إيضاحه عليك بعدما كان علينا جمعه وقرآنه،فـ (ثّم) للتأخير الرتبي؛ لأنّ البيان مترتّب على الجمع والقراءة رتبةً [٢]. وكلام الطباطبائي مبنيّ على ظاهر الآية، حيث تدل بظاهرها على: أنّ علينا بيان القرآن حيث ما كان يحتاج إلى البيان مثل المجملات و المطلقات والعمومات.

٢ ـ ما يدلّ من القرآن على وجوب إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، قال الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهاتٌ﴾ [٣].

يقول الطباطبائي في تفسير الميزان: ما معنى كون المحكمات أمّ الكتاب؟ (إلى أن قال): إنّ معناها كون المحكمات مبيّنة للمتشابهات، رافعة لتشابهها، (إلى أن قال:) فإنّ في هذه اللفظة، أعني: لفظة (الأمّ) عناية بالرجوع الذي فيه انتشاء واشتقاق وتبعّض، فلا تخلو اللفظة عن الدلالة على كون المتشابهات ذات مداليل ترجع وتتفرّع على المحكمات، ولازمه كون المحكمات مبيّنة للمتشابهات، على أنّ

---

١. القيامة: ١٧ـ ١٩.

٢. تفسير الميزان ٢٠: ١١٠، ذيل الآية ١٩ من سورة القيامة.

٣. آل عمران: ٧.

المتشابه إنّما كان متشابهاً لتشابه مراده، لا لكونه ذا تأويل، فإنّ التأويل كما مرّ، يوجد للمحكم كما يوجد للمتشابه، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، فللمتشابه مفسّر، وليس إلّا المحكم، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [١]؛ فإنّه متشابهة وبإرجاعها إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ﴾ [٣] يتبيّن: أنّ المراد بها نظرة ورؤية من غير سنخ رؤية البصر الحسّي [٤].

٣ ـ ما يدلّ على أنّ القرآن نور، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [٥] وقال أيضاً: ﴿وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ [٦].

هذه الآيات تدلّ على أنّ القرآن نور، فإذا كان القرآن نوراً فلايحتاج إلى غيره، ولايستنير النور بنور غيره، فالقرآن الكريم إذا جمعت آياته، ونجعل بعضها قرينة لبعض آخر، يكون واضحاً.

إنّ القرآن الكريم كتاب أبديّ للجميع، يخاطب الكلّ ويرشدهم إلى مقاصده، وقد تحدّى في كثير من آياته أن يؤتىٰ بمثله، واحتجّ بذلك على الناس، ووصف نفسه بأ نّه النور والضياء والتبيان لكلّ شيءٍ، فلايكون مثل هذا الكتاب محتاجاً إلى شيءٍ آخر، يقول محتجّاً لكونه ليس من كلام البشر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ [٧] ليس فيه أيّ اختلاف، بل هو مرتفع

---

١. القيامة: ٢٣.

٢. الشورى: ١١.

٣. الأنعام: ١٠٣.

٤. تفسير الميزان ٣: ٤٣، ذيل الآية ٧ من سورة آل عمران.

٥. النساء: ١٧٤.

٦. الأعراف: ١٥٧.

٧. النساء: ٨٢.

بالنظرة البدائية بالتدبّر في القرآن نفسه، ومثل هـذا الكـتاب لو احـتاج فـي بـيان مقاصده إلى شيءٍ آخر، لم تتمّ به الحجّة، لأنّه لو فـرض أنّ أحـد الكـفار وجـد اختلافاً في شيءٍ من القرآن لايرتفع من طريق الدلالة اللفظية للآيات، لم يقنع برفعه من طرق أخرى، كأن يقول النبي ﷺ مثلاً: يرتفع بكذا وكذا، ذلك لأنّ هذا الكـافر لايعتقد بصدق النبي ﷺ وبنبوّته وعصمته، فلم يتنازل لقوله ودعاويه [١].

٤ ـ وجود الآيات المكرّرة في القرآن.

القرآن كتاب موعظة، جاء بآيات متكررة، لكي يؤثّر في القلوب أكثر، وتكون فائدته أنفع، ومن هنا نرى أنّ بعض مسائله ذكرت بأساليب مختلفة وتعابير متعدّدة، فكلّ تعبير يمكن أن يقع تفسيراً وتوضيحاً للتعبير الآخر، فتفسير القرآن بآيات أخرى ضروري لمن يطلب فهم القرآن، ويريد أن يسترشد به و يهتدي بهدايته.

الثاني: سيرة العقلاء

سيرة العقلاء لاتزال مستمرة على فهم مجملات كتاب إلى مراجـعة نـفس ذلك الكتاب أوّلاً، لأنّ كثيراً من المؤلّفين، يفسّر ما أجمله أوّلاً، ويوضّح ما ذكره سابقاً، وأيضاً نرى أنّ من استشكل على جملةٍ من كتاب، من دون أن يرجع إلى الجـمل الأخرى في صفحات أخرىٰ، لايقبل إشكاله لدى العقلاء، ولايسمع كلامه عند العلماء، فيأمرونه بالتفتيش والبحث الزائد في التعابير الأخرى من الكتاب.

الثالث: الروايات

الروايات التي تدلّ على حجيّة تفسير القرآن بالقرآن مـن طـريق المـدرستين كثيرة، ويمكن جمع عناوينها في الأقسام التالية:

---

١. القرآن في الإسلام، للطباطبائي: ٧٩ ـ ٨١.

القسم الأول: الروايات الدالّة على الرجوع إلى القرآن مطلقاً

نجد في الروايات ما يدلّ على لزوم التمسّك بالقرآن من دون أيّ قيد وشرط، ومعنى التمسّك، هو: حجيّة القرآن وجواز الاكتفاء به، وعدم حاجته إلى ما سواه.

وفي مايلي نذكر بعض الأحاديث الدالّة على ذلك من المدرستين:

في كنز العمال: خطب رسول الله ﷺ فقال في حديث: «فإذا التبست الأمور عليكم كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وماحِل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار، وهو الدليل إلى خير سبيل»[١].

وفي الكافي عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ في حديث: فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وما حِل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل»[٢].

القسم الثاني: ما يدلّ على لزوم التدبّر في القرآن

إذا كان التدبر في القرآن واجباً، ففهمه يكون ممكناً. وبما أنّ التدبر في القرآن قد يحتاج إلى مراجعة سائر الآيات، كما هو شأن كلّ الكتب عند تفسير عباراتها، فالطريق أمام تفسير القرآن بالقرآن يكون مفتوحاً.

ونذكر هنا حديثين يؤكّدان أهميّة التدبّر في القرآن العظيم:

في فضائل القرآن: عن أبي حمزة، قال: قلت لابن عباس: إنّي سريع القراءة،

---

١. كنز العمّال ١: ٢٨٨، ح ٤٠٢٨.

٢. الكافي ٢: ٥٩٨، ح ٢.

وإنّي أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: «لئن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبّرها وأرتّلها، أحبّ إليّ من أن أقرأ كما تقول»[١].

وفي الكافي: عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا أخبركم بالفقيه حقّ الفقيه: من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خيرَ في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءةٍ ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر»[٢].

القسم الثالث: ما يدلّ على تصديق بعض الآيات ببعض

الروايات التى تدلّ على أن بعض الآيات يصدّق بعضاً آخر أو يفسّره، دليل على جواز تفسير القرآن بالقرآن وحجيّته.

في (الدرّ المنثور): عن سعيد بن جبير رضي الله عنه: في قوله (متشابهاً) قال: «يفسّر بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض»[٣].

وفيه أيضاً عن أبي الرجاء رضي الله عنه قال: سألت الحسن رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً﴾[٤] قال: «ثنّى الله فيه القضاء، تكون في هذه السورة الآية، وفي السورة الأخرى تشبّه بها»[٥].

في نهج البلاغة: عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «كتاب الله، تبصرون به،

١ . فضائل القرآن، لابن سلام: ٧٤.

٢ . أُصول الكافي ١: ٣٦، ح ٣.

٣ . الدرّ المنثور ٥: ٣٢٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الزمر.

٤ . الزمر: ٢٣.

٥ . الدرّ المنثور ٥: ٣٢٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الزمر.

وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولايختلف في الله، ولايخالف بصاحبه عن الله» [١].

القسم الرابع: ما يدلّ على ردّ ما لايوافق القرآن

الروايات الناطقة بردّ ما يخالف القرآن تدلّ على أنّ القرآن واضح ومبيّن، ولايحتاج إلى غيره، بل غيره يحتاج إليه، فإذا نظرنا إلى كلّ القرآن نجده مبيّناً، وإن كانت هناك مجملات، فالآيات الأخرى توضّحها لنا وتبيّنها.

ونذكر بعض الروايات المرتبطة بالموضوع من المدرستين:

في سنن الدار قطني: عن زرّ بن حبيش عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّها تكون رواة يروون عنّي الحديث، فاعرضوا حديثهم على القرآن، فما وافق القرآن، فخذوا به، وما لم يوافق القرآن، فلا تأخذوا به» [٢].

وفي الكافي: عن هشام بن الحكم وغيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله، فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله، فلم أقله» [٣].

أدلّة منكري تفسير القرآن بالقرآن

القول في اعتبار تفسير القرآن بالقرآن، يعدّ من الواضحات بعدما كان القرآن كتاب هداية ونور ورشاد وبيان، وبعدما أمر الله مراراً بلزوم التدبّر والتفكّر في كتابه، فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [٤]

---

١. نهج البلاغة: ١٩٢، الكلمة (١٣٣).

٢. سنن الدار قطني ٤٠: ١٣٤.

٣. الكافي ١: ٦٩، ح ٥.

٤. ص: ٢٩.

ولكن مع هذا كلّه، هناك شبهات وأوهام، تمنع من تفسير القرآن بالقرآن، وتسدّ باب العلم والبيان الحاصل من القرآن لمعرفة كتاب الله.

فنذكر بعض أدلّتهم مع ذكر بعض أجوبتها، تاركاً تفصيل ذلك، فمن أراد الوقوف على معرفة جزئيّات هذه المسألة، فعليه الرجوع إلى الكتب الأخرى في الباب.

١ ـ أحاديث الضرب

تمسّك بعض العلماء بظواهر بعض الأحاديث، لإثبات عدم حجيّة تفسير القرآن بالقرآن،فمن تلك الأحاديث، حديث الضرب،الذي رواه الفريقان في كتبهم الروائيّة، واليك نصّه من السنّة والشيعة.

في (الدرّ المنثور): وأخرج ابن سعد وابن الضريس في فضائله، وابن مردويه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: «أنّ رسول الله ﷺ خرج على قوم، يتراجعون في القرآن، وهو مغضب، فقال: بهذا ضلّت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضرب الكتاب بعضه ببعض، قال: وإنّ القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدّق بعضه بعضاً، فما عرفتم فاعملوا به، وما تشابه عليكم فآمنوا به».

وأخرج أحمد من وجه آخر، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: «سمع رسول الله ﷺ قوماً يتدارسون، فقال: إنّما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنّما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، فلا تكذّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكِلوه إلى عالمه.

وفي تفسير العياشي، عن معمّر بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام: «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلّا كفر»[1].

وقد أجيب عن هذا الإشكال بأجوبة، نذكر منها:

١. تفسير العيّاشي ١: ٣٠، كراهية الجدال في القرآن، ح ١.

١ ـ قول الفيض الكاشاني: لعلّ المراد بضرب بعضه ببعض: تأويل بعض متشابهاته إلى بعض بمقتضى الهوى، من دون سماع من أهله، أو نور وهدىً من الله[١].

٢ ـ قول الفيض الكاشاني أيضاً: ولايخفى أنّ هذه الأخبار تناقض بظواهرها ما مضى في المقدّمة الأولى من الأمر بالاعتصام بحبل القرآن، والتماس غرائبه، وطلب عجائبه، والتعمّق في بطونه، والتفكّر في تخومه، وجَوَلان البصر فيه، وتبليغ النظر إلى معانيه، فلابدّ من التوفيق والجمع [٢].

٣ ـ قول الطباطبائي في الميزان: والروايات ـ كما ترى ـ تعدّ ضرب القرآن بعضه ببعض مقابلاً لتصديق بعض القرآن بعضاً، وهو الخلط بين الآيات من حيث مقامات معانيها، والإخلال بترتيب مقاصدها، كأخذ المحكم متشابهاً، والمتشابه محكماً، ونحو ذلك [٣].

٤ ـ أقول: الروايات التي تدلّ على أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً كما يصدّق بعضه بعضاً، تدلّ بالصراحة على جواز تفسير القرآن بالقرآن، ولكنّ الروايات التي تدلّ على حرمة ضرب القرآن بعضه ببعض، لاتدلّ على عدم جواز تفسير القرآن بالقرآن، لا نصّاً ولا ظاهراً، فتبقى روايات الجواز بلا معارض من ناحية روايات الضرب.

٥ ـ إضافةً إلى ما مرّ من الجواب في روايات الضرب في المقام، فإنّ عمل الرسول والأئمة وأصحابه، في تفسير القرآن بالقرآن، لدليل مقنع على صحّة هذا المنهج، ولزوم توجيه روايات الضرب إلى معنى آخر غير تفسير القرآن بالقرآن؛ إذ عملهم صريح في الجواز، وروايات الضرب ليست صريحة في المنع، فما هو الصريح يعمل به قطعاً.

---

١. تفسير الصافي ١: ٧١، المقدّمة الخامسة.

٢. المصدر السابق.

٣. الميزان في تفسير القرآن ٣: ٨٣، ذيل الآية ٩ من سورة آل عمران.

٦ ـ الظاهر من بعض روايات الضرب: أنّه كان قوم يفتّشون في القرآن؛ لكي يجدوا التعارض والتناقض بين الآيات، فكانوا يضربون بعض الآيات ببعض آخر لهذا الغرض، فجاءت هذه الروايات تمنع التعارض والتناقض، وتؤكّد التلاؤم والتناسب بين الآيات، وأنّ بعضها يصدّق البعض الآخر، ولم ينزل القرآن لكي يكذّب بعضه بعضاً كما يتوهّمه القوم، وجملة «إنّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً» تشهد على هذا المدّعى.

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن لايحلّ مشكلة الإشكال والإجمال

قال الراغب: اعترض بعض الناس فقال: كيف وصف القرآن بالبيان فقال تعالى: ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾[1] ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾[2] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[3] وقال: ﴿وَلَقَدَ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾[4] وقد علم ما فيه من الإشكال والمتشابه، وما يجري مجرى الرموز، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[6]، وقد وصفه تعالى بالمتشابه، وبأنّه لايعلم تأويله إلّا هو؟

وقد أجاب الراغب نفسه عن الإشكال فقال: إنّ البيان المشروط فيه، إنّما هو بالإضافة إلى أعيان أهل الكتاب، لا إلى كلّ من يسمعه ممّن دبّ ودرج، فقد علمنا

---

١. آل عمران: ١٣٨.

٢. النساء: ١٧٦.

٣. الشعراء: ١٩٥.

٤. النور: ٣٤.

٥. البقرة: ١٠٢.

٦. الأنبياء: ٩٦.

أنّ ذلك ليس ببيان لمن ليس من أهل العربية، ثمّ أحوال أهل العربية مختلفة في معرفته، ولو كان البيان لايكون بياناً حتّى يعرفه العامّة، لأدّىٰ إلى أن يكون [البيان] في الكلام السوقي والعامي، أو إلى أن لايكون بياناً بوجه، إذ كلّ كلام بالاضافة إلى قوم بيان، وبالإضافة إلى آخرين ليس ببيان (١).

٣ ـ شبهة تحريف القرآن

من الأدلّة على عدم حجيّة تفسير القرآن بالقرآن: عدم حجية ظواهر القرآن، من زاوية تحريف القرآن بالنقيصة. ومع تحكّم هذه الشبهة لايبقى مجال لاعتماد ظواهر القرآن، ومن ثمة تفسيرالقرآن بالقرآن؛ إذ يمكن أنّ ما نقص منه كان مخصِّصاً، أو مقيِّداً، أو ناسخاً، فمع هذا الاحتمال، لا مجال للاستدلال بظواهرالقرآن (٢).

---

١. جامع التفاسير ٣: ٤٥ ـ ٤٦.

٢. والروايات الدالّة بظاهرها على هذه النقيصة، موجودة في كتب أهل السنّة والإمامية، كما يلي:

في فضائل القرآن لابن سلام: عن ابن عمر، قال: «لا يقولنّ أحدكم: قد أخذت القرآن كلّه، وما يدريك ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر منه» فضائل القرآن لابن سلام: ١٩٠ الباب ٥١، ح ١ ـ ٥١.

وفيه أيضاً عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: «كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي ﷺ مأتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف، لم يقدر منها إلّا على ما هو الآن» فضائل القرآن لابن سلام: ١٩٠ الباب ٥١، ح ٢ ـ ٥١.

في تفسير الصافي: عن البزنطي: قال: «دفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال: لاتنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فوجدت فيه اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، قال: فبعث إليّ: إبعث إليّ بالمصحف» تفسير الصافي ١: ٧٦، المقدّمة السادسة.

وفيه أيضاً ١: ٧٧ عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ القرآن قد طرح منه آي كثيرة، ولم يزد فيه إلّا حروف قد أخطأ بها الكتبة وتوهمتها الرجال».

والجواب: شبهة التحريف من الشّبه التي لا تستحقّ أن يطال فيها الحديث؛ لكونها شبهة في مقابل البديهة، والدليل على بطلان هذه الشبهة من المدرستين مذكور في الكتب [١]:

---

١. قال القرطبي: لا خلاف بين الأُمّة ولابين أئمّة أهل السنّة، أنّ القرآن اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد معجزة له ـ على نحو ما تقدّم ـ وأنّه محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الإضطرار سوره وآياته، مبرأةٌ من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته (الجامع لأحكام القرآن ١: ٨٠).

والزرقاني يبطل شبهة التحريف أيضاً بما ملخّصه:

أنّ الصحابة كانوا أحرص الناس على الاحتياط للقرآن، وكانوا أيقظ الخلق في حراسة القرآن، ولهذا لم يعتبروا من القرآن إلّا ما ثبت بالتواتر.

والرسول ﷺ كان يرشد كتّاب الوحي أن يضعوا آية كذا في مكان كذا من سورة كذا، وكان يقرؤها أصحابه كذلك، ويحفظها الجميع، ويكتبها من شاء منهم لنفسه على هذا النحو، حتى صار ترتيب القرآن وضبط آياته معروفاً (راجع: مناهل العرفان، للزرقاني ١: ٢٧٠ و٢٧٢).

يقول الأستاذ معرفة في دفع هذه الشبهة ما ملخّصه: وأمّا ما أستند إليه الشرذمة الأخبارية، ويترأسهم السيد نعمة الله الجزائري، وسار على أثره الشيخ ميرزا حسين النوري، في تهريج عارم، فهي روايات شاذّة أكثرها مراسيل وأخرى مجاهيل أو ضعاف، ليس لها أصل متين ولا قرار مكين، على ما فصّلنا الكلام فيها في كتابنا (صيانة القرآن من التحريف).

ومن أهم ما استند اليه الجزائري: رواية مرسلة لا إسناد لها، ومثله النوري في كتابه (فصل الخطاب) اعتمد روايات لا قيمة لها، وكانت المسانيد منها قابلة للتأويل الوجيه، حسبما فصّلنا الكلام عليها، ومن تلك الروايات ـ ولعلّه من أهمّها لدى الشيخ النوري ـ: ماذكره صاحب كتاب (دبستان المذاهب) من سورة الولاية المفتعلة، وفيها ركّة ونفارة، يرفضها الذوق السليم (راجع: التفسير الأثري الجامع ١: ٩٤ و٩٥).

أقول: وهناك أجوبة أخرى أذكر بعضها باختصارٍ:

←

أقسام البيان في تفسير القرآن بالقرآن

تفسير آيةً بآية أخرى، ليس على نمط واحد، بل له أقسام متعدّدة ونماذج مختلفة، يمكن الإشارة إليها في الأقسام التالية:

الأوّل: البيان التّوضيحي

فكثيراً ما نرى آيةً تحتاج إلى توضيح، أو كلمة مشكلة بحاجة إلى بيان، فنجد التوضيح والبيان في آية أخرى من القرآن. وفي ما يأتي من تفسير (أضواء البيان)، وكذلك في تفسير (الميزان)، نجد أمثلة كثيرة لهذا القسم من البيان، فلا حاجة لتكرارها.

الثاني: البيان التكميلي

أحياناً نجد آية واضحة، ولكن نجد آية أخرى تكمّلها وتتمّها من حيث بيان بعض الأحكام والمعارف الأخرى، ونذكر لذلك مثالين:

فقد جاء في أضواء البيان: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[1]: وصرّح في موضع آخر بأنّ من كان كذلك، فقد استمسك بالعروة

← ١ ـ وجود الاختلاف والتعارض الشديد في روايات التحريف، ينبئ عن ضعفها وعدم إمكان الاعتماد عليها.

٢ ـ هذه الروايات القليلة لاتقدر أن تقاوم الروايات المتواترة الدالّة على حفظ القرآن من الزيادة والنقصان.

٣ ـ إذا كان بعض الآيات المحذوفة ينفع علياً عليه السلام ويعيّن خلافته من دون فصل، فلماذا لم يرجعها وقت خلافته؟ مع أنّ حفظ القرآن ورفع التحريف من أوجب الواجبات.

٤ ـ الأخبار الدالّة على لزوم مراجعة القرآن وضرب ما خالف كتاب الله عرض الجدار، تدلّ أيضاً على حفظ القرآن وعدم تحريفه، كما تدلّ أيضاً على حجيّة القرآن واعتبار ظواهره.

١ . النساء: ١٢٥.

الوثقىٰ، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلى ٱللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[١][٢].

وجاء في تفسير الميزان في ذيل الآية: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣]: الذكر له مراتب، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٤] وقال: ﴿وَٱذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا ٱللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾[٦]، فالشدّة إنّما يتّصف بها المعنى دون اللفظ، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾[٧][٨].

الثالث: البيان التأكيدي

التكرار وقع في القرآن الكريم بعبارات مختلفة وأساليب متعددة، منها: البيان التأكيدي للآيات، فنجد آية واضحة تؤكّد مضمونها آية أخرى؛ لأغراض شتّى، وفي مايلي نذكر نموذجين:

ففي تفسير المراغي بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ إِنَّ

---

١. لقمان: ٢٢.

٢. أضواء البيان ١: ٣١٢ـ٣١٣.

٣. البقرة: ١٥٢.

٤. الرعد: ٢٨.

٥. الأعراف: ٢٠٥.

٦. البقرة: ٢٠٠.

٧. الكهف: ٢٤.

٨. تفسير الميزان ٢: ٣٣٩ ـ ٣٤٠، ذيل الآية ١٥٢ من سورة البقرة.

ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[١]. يقول: ونحوه قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[٢]، وقوله: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَٱلأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾[٣][٤].

وفي تفسير التبيان للشيخ الطوسي، بعد قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٥]، معناه: أنّ قوماً من المشركين كانوا يسخرون من قوم من المسلمين؛ لأنّ حالهم في ذات اليد كانت قليلة، فأعلم الله تعالى أنّ الذين اتّقوا فوقهم يوم القيامة؛ لأنّ المسلمين في عليين، والفجار في الجحيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[٦][٧].

الرابع: البيان التخصيصي

للبيان التخصيصي أمثلة كثيرة من تفسير القرآن بالقرآن، فهناك آيات كثيرة في القرآن، تخصّصها آيات أخرى من نفس القرآن.

ونذكر نموذجين لهذا القسم من البيان:

ففي تفسير ابن كثير بعد قوله تعالى: ﴿وَإِن مِن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ

---

١. فاطر: ١٩ ـ ٢٢.

٢. الأنعام: ١٢٢.

٣. هود: ٢٤.

٤. تفسير المراغي ٨: ١٢٢، ذيل الآية ٢٢ من سورة فاطر.

٥. البقرة: ٢١٢.

٦. المطفّفين: ٢٩.

٧. تفسير التبيان ٣: ٢٩١ ـ ٢٩٢، ذيل الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

ٱلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً﴾ [١]، يقول ابن كثير: إنّما كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ [٣] وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ [٤][٥].

وفي تفسير الميزان، بعد قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً﴾ [٦]، يقول: ومحصّل المعنى: تلك الدار الآخرة السعيدة نخصّها بالذين لايريدون فساداً في الأرض بالعلو على عباد الله، ولابأيّ معصية أخرىٰ، والآية عامّة، يخصّصها قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ [٧].

الخامس: البيان التقييدي

ففي تفسير (التفسير القرآني للقرآن)، بعد قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٨] يقول: وفي قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾، إشارة إلى أنّ كلّ ما يأتي من عند الله هو خير، وإن بدا في صورة الشرّ الخالص، ﴿وَعَسَىٰ

---

١. الإسراء: ٥٨.

٢. هود: ١٠١.

٣. الطلاق: ٩.

٤. الطلاق: ٨.

٥. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٥: ٨٢، ذيل الآية ٥٨ من سورة الإسراء.

٦. القصص: ٨٣.

٧. النساء: ٣١.

٨. آل عمران: ٢٦.

أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَٱللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١] [٢]. فقيّد الخير في أيدي الإنسان، لما يأتي من عند الله.

وفي تفسير الميزان، بعد قوله تعالى: ﴿ٱلآنَ خَفَّفَ ٱللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِنكُم مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [٣] يقول: الآية تقيّد إطلاق آية تحريم الفرار ممّا دون الثلاثة على الواحد [٤].

السادس: البيان النسخي

وقع النسخ في القرآن الكريم وإن كان قليلاً جداً، فالآية الناسخة تفسّر المنسوخة بأنّ أمدها قد تمّ، وزمانها قد انقطع.

ففي الدرّ المنثور: أخرج عبد بن حميد والترمذي عن علي، قال: «لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبَكُم بِهِ ٱللهُ﴾ [٥]، أحزنتنا، قلنا: أيحدّث أحدنا نفسه فيحاسب به، لا ندري ما يغفر منه وما لا يغفر منه، فنزلت هذه بعدها فنسختها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾» [٦] [٧].

وفي تفسير الميزان، بعد قوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ...﴾ [٨]،

---

١. البقرة: ٢١٦.

٢. التفسير القرآني للقرآن ١: ٤٢٨، ذيل الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

٣. الأنفال: ٦٦.

٤. تفسير الميزان ٩:٥٧، ذيل الآية ٢٩ من سورة الأنفال، بعد بحثه الروائي.

٥. البقرة: ٢٨٤.

٦. البقرة: ٢٨٦.

٧. تفسير الدر المنثور ١: ٣٧٤.

٨. النساء: ١٥.

جاء: وفي الترديد إشعار بأنّ من المرجوّ أن ينسخ هذا الحكم، وهكذا كان، فإنّ حكم الجلد نسخه، فإنّ من الضروري: أنّ الحكم الجاري على الزانيات في أواخر عهد النبي ﷺ والمعمول به بعده بين المسلمين هو الجلد دون الإمساك في البيوت، فالآية، على تقدير دلالتها على حكم الزانيات، منسوخة بآية الجلد، والسبيل المذكور فيها هو الجلد بلا ريب [١].

السابع: البيان الحلّي

قد نجد بعض الآيات الشريفة ليست مجملة، ولكن لايمكن جمعها ابتداءً مع بعض الآيات الأخرى من القرآن، وهذا القسم من البيان ينقسم قسمين:

القسم الأول: البيان الحلّي للآيات المتعارضة ظاهراً

إنّ القرآن الكريم نزل من عند الله، ولم يتطرّق إليه التعارض والتناقض، ولكنّ فهمنا قصير وعلمنا قليل، فنرى بين بعض الآيات الاختلاف والتعارض الظاهري، ولكن بعد التدقيق في نفس الآيات والتدبّر في مفاهيمها، نجد البيان لحلّ هذه المعارضة الظاهريّة من نفس القرآن.

ونذكر هنا نموذجين من الطريقين لهذا النوع من البيان:

قال الزركشي في (البرهان في علوم القرآن): وللاختلاف أسباب... (إلى أن قال:) الخامس: بوجهين واعتبارين، هو الجامع للمفترقات، كقوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٢]، وقال: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [٣]، قال

---

١. تفسير الميزان ٤: ٣٣٤.

٢. ق: ٢٢.

٣. الشورى: ٤٥.

قطرب: «فبصرك» أي: علمك ومعرفتك بها قويّة، من قولهم: (بصر بكذا وكذا) أي: علم، وليس المراد رؤية العين، قال الفارسي: ويدلّ على ذلك قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ (١) وصف البصر بالحدّة (إلى أن قال:) وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللهِ﴾ (٢) مع قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٣)، فقد يُظنّ أنّ الوجل خلاف الطمأنينة، وجوابه: أنّ الطمأنينة إنّما تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ ٱللهِ﴾ (٤) فإنّ هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ووثقوا به، فانتفى عنهم الشكّ (٥).

فنرى في عبارات الزركشي، أنّ الآية الثالثة تحلّ المشكلة بين الآيتين المتعارضتين في الظاهر.

ومن طريق الإماميّة جاء في توحيد الصدوق: عن أبي السعداني: أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين: إنّي قد شككت في كتاب الله المنزل، قال: ثكلتك أمّك، وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟ قال: لأنّي وجدت الكتاب يكذّب بعضه بعضاً، فكيف لاأشك فيه؟

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنّ كتاب الله ليصدّق بعضه بعضاً، ولايكذّب بعضه بعضاً، ولكن لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عزّ وجلّ

١. ق: ٢٢.
٢. الرعد: ٢٨.
٣. الأنفال: ٢.
٤. الزمر: ٢٣.
٥. البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢: ٧١، النوع الخامس والثلاثون.

(إلى أن قال:) قال: وأجد الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [١]، ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٢]، ويقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٣] إلى أن وصل الجواب، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: فأمّا قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فإنّ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عزّ وجلّ بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهرٍ يسمّى الحيوان، فيغتسلون فيه ويشربون منه، فتنضر وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كلّ قذىً ووعث، ثم يؤمرون بدخول الجنّة، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنّة، فذلك قوله عزّ وجلّ من تسليم الملائكة عليهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [٤] فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنّة، والنظر إلى ما وعدهم ربّهم، فذلك قوله: ﴿إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وإنّما يعني بالنظر إليه: النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى.

وأمّا قوله: ﴿لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ﴾ يعني: يحيط بها، وهو اللطيف الخبير، وذلك مدح امتدح به ربّنا نفسه تبارك وتعالى، وتقدّس علوّاً كبيراً وقد سأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من حمد الله عزّ وجلّ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [٥] فكانت مسألته تلك أمراً عظيماً، وسأل أمراً جسيماً، فعوقب، فقال الله تبارك وتعالى: لن تراني في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة، ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا، فانظر ﴿إلى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، فأبدى الله

---

١. القيامة: ٢٢ و٢٣.

٢. الأنعام: ١٠٣.

٣. النجم: ١٣ و١٤.

٤. الزمر: ٧٣.

٥. الأعراف: ١٤٣.

سبحانه بعض آياته، وتجلّى ربّنا للجبل، فتقطّع الجبل فصار رميماً...»[١] الحديث.

القسم الثاني: البيان الحلّي للمتشابهات

القرآن الكريم وصف الآيات المحكمة فقال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾[٢]، فيستفاد منه وجوب إرجاع المتشابهات إلى المحكمات لحلّها وفهمها، كما نجده في تفاسير السنّة والشيعة:

قال محمد الأمين: ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك، وهو من أهمّها: بيان أنّ جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن العظيم من الصفات كالاستواء واليد والوجه، ونحو ذلك من جميع الصفات، فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً، مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وذلك البيان العظيم لجميع الصفات في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣]، وأثبت له الصفات على الحقيقة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤].

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان: المراد بالتشابه: كون الآية بحيث لا يتعيّن مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها، بل يتردد بين معنىً ومعنىً، حتى يرجع إلى محكمات الكتاب، فتعيّن هي معناها وتبيّنها بياناً، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة، والآية المحكمة محكمة بنفسها، كما أنّ قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥] يشتبه المراد منه على السامع أوّل ما يسمعه،

---

١. توحيد الصدوق: ٢٥٤، باب بيانه في معنى أنّه تعالى يرى أولياءه نفسه، ح ٥.

٢. آل عمران: ٧.

٣. الشورى: ١١.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١: ٢٠ و٢١.

٥. طه: ٥.

فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) استقرّ الذهن على أنّ المراد به: التسلّط على الملك والإحاطة بالخلق، دون التمكّن والاعتماد على المكان، المستلزم للتجسّم المستحيل على الله سبحانه، وكذا قوله تعالى: ﴿إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢)، إذا رجع إلى مثل ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ﴾ (٣) علم به أنّ المراد بالنظر غير النظر بالبصر الحسّي (٤).

الثامن: البيان المصداقي

بعض الآيات، يعيّن مصداق بعض آخر،وذكر المصداق يعدّ في العرف نوع تفسير للكلام، وإن كان في الحقيقة ليس تفسيراً؛ إذ التفسير هو بيان مفهوم الآية، وليس ذكر مصداقه، وعلى كلّ حال، نجد أمثلة لذكر المصداق في تفاسير المدرستين:

ففي تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، بعد ذكر الآية: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ...﴾ (٥) يقول القنوجي البخاري: قال الحسن ومقاتل والسدي:كان قبطيّاً، وهو ابن عمّ فرعون، وهو الذي نجا مع موسى، وهو المراد بقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ (٦).

ويقول الأستاذ الآملي في تفسير (تسنيم)، بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾ (٧): يستفاد من ثلاث آيات أنّ آزر لم يكن والداً

١ . الشورى: ١١.

٢ . القيامة: ٢٣.

٣ . الأنعام: ١٠٣.

٤ . تفسير الميزان ٣: ٢١.

٥ . غافر: ٢٨.

٦ . القصص: ٢٠.

٧ . الأنعام: ٧٤.

لابراهيم، وكذلك يستفاد منها أنّ والده كان موحّداً؛ إذ قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[٢] يعني: بعد التبيّن، لم يستغفر له.

وقال تعالى أيضاً على لسان إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[٣]، وهذا الكلام كان في آخر حياته وحين شيخوخته، فتدلّ الآية على أنّ والده لم يكن آزر؛ لأنّه تبرّأ منه، وكذلك تدلّ على أنّ والده كان موحّداً؛ لأنّه استغفر له في آخر حياته في دعائه كما استغفر للمؤمنين[٤].

ونكتفي بهذا المقدار ممّا يتعلّق بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وندخل في ذكر بعض النماذج المهمّة والمشهورة له.

---

١. التوبة: ١١٣.

٢. التوبة: ١١٤.

٣. إبراهيم: ٤١.

٤. تفسير تسنيم ١: ١١٨.

نماذج من منهج تفسير القرآن بالقرآن

نورد نموذجين لهذا المنهج:

النموذج الأول
منهج الميزان في تفسير القرآن

حياة المؤلّف:

اسمه ونسبه: هو محمد حسين بن محمد بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن بن علي عليه‌السلام وابن فاطمة [1] بنت الإمام الحسين بن علي عليه‌السلام.

ألقابه: الحسني، الحسيني، الطباطبائي.

مولده: آخر سنة ١٣٢١ هجرية قمرية (٢٩ ذي الحجة من السنّة).

أسرته: كان أكثر رجال نسبه من الأشراف ومن رجال العلم، وأول من ارتحل منهم إلى إيران (تبريز): السيد عبدالغفار، ثم ابنه سراج الدين عبدالوهاب، في أواخر القرن العاشر من الهجرة، تقلّد فيه سمة شيخ الإسلام.

---

١ . أي: أنّ إبراهيم الغمر هو ابن فاطمة بنت الحسين عليه‌السلام من الحسن المثنى.

ومن مشاهير رجالهم جدّه الأقرب: السيد محمد حسين، الشهير بشيخ آقا، من أجلّاء تلامذة صاحب كتاب (الجواهر)، والشيخ موسى كاشف الغطاء، والشيخ جعفر الإسترآبادي، وهو صاحب التأليفات الكثيرة في الفقه والأصول والرجال وغيرها.

البيئة التي عاش فيها: تولّد في تبريز سنة ١٣٢١ آخر السنّة، وعاش هناك إلى سنة ١٣٤٤ قمرية، ثم ارتحل إلى النجف الأشرف للاستمرار، ومكث هناك إلى سنة ١٣٥٤، ثم رجع إلى تبريز وعاش فيه إلى سنة ١٣٦٥هـ ثم ارتحل إلى بلدة قم.

مؤلّفاته: من مؤلّفاته بالعربية: تفسير الميزان في عشرين مجلّداً، وبداية الحكمة في الفلسفة، ونهاية الحكمة في الفلسفة، ومقالات في البرهان، والمغالطة، والتحليل، والتركيب، والاعتباريّات، والنبوّات، والمنامات، والذات، والأسماء، والصفات، والأفعال، والوسائط، والإنسان قبل الدنيا، والإنسان في الدنيا، والإنسان بعد الدنيا وهو المعاد، والولاية، كلّها مخطوطة غير مطبوعة إلّا التفسير والبداية والنهاية.

ومن مؤلّفاته بالفارسية: كتاب أصول الفلسفة، والشيعة في الإسلام، والقرآن في الإسلام، ومصاحبات پروفسور كُربن المستشرق، و(الوحي أو الشعور المرموز)، ورسالة في علم الإمام، ورسالة نُظُم الحكم، وحاشية كفاية الأصول، ورسالة في الإعجاز، وحاشية الأسفار، كلّها مطبوعة.

شيوخه: شيخه في الفقه والأصول: الميرزا محمد حسين النائيني ﵀، والشيخ محمد حسين الكمباني الاصفهاني ﵀، وشيخه في الفلسفة السيد المحقق البارع السيد حسين بادكوبي ﵀، وشيخه في علم الحساب السيد البارع أبو القاسم الخونساري ﵀[1].

وأستاذه ومربيّه في العرفان والرياضات الفكرية والعملية، هو آية الحق واليقين،

---

١. راجع: روش علامة در تفسير، للأوسي: ٥٢ ـ ٥٥.

السيد علي القاضي الطباطبائي، الذي ربّىٰ كثيراً من العلماء العارفين بالله، فصار كلّ واحد منهم علماً للاسلام والمسلمين، وأسوة للطلاب والمهتدين.

العلّامة وتفسير الميزان عند الآخرين

أ ـ عند تلامذته من الامامية

يقول الأستاذ الشهيد المطهري: «في الواقع هذا الرجل ـ العلّامة الطباطبائي ـ من العظماء الذين خدموا الإسلام، وإنّ للعلّامة عدة نظريّات فلسفيّة، هذه النظريّات ربما عرف قيمتها أهل العلم بعد خمسين أو ستين سنة، وإنّ تعظيم العلّامة، تجليل للعلم والمجتمع، ليس فقط في العالم الإسلامي، بل في أوروبا وأمريكا، وهناك مستشرقون لهم معرفة بالمعارف الإسلامية، عدّوا الطباطبائي من المفكّرين الكبار، وإنّ العلّامة رأىٰ صوراً غيبيّة لايراها الأشخاص الآخرون العاديّون» [١].

والأستاذ جوادي الآملي تكلّم على العلّامة وتفسيره، بما نذكره باختصار: تفسير (الميزان) متقدّم على الآخرين في منهج تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان تفسير الميزان من الناحية التاريخية يعدّ من أبناء هذا المنهج، وعليه علامة البنوّة، وهو ابن للمفسّرين في هذا المجال، لكن فيه معنىً شاهد بأبوّته [٢].

الميزان وما أدراك ما الميزان ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [٣] [٤].

ويقول الأستاذ حسن زاده الآملي: الأستاذ العلّامة الطباطبائي رضوان الله عليه، كان له حظّ وافر، بل أوفر من نعمة المراقبة والأدب مع الله حقيقة، هو الوجود الذي

---

١. رمز موفقيت علامۀ طباطبائی: ٩٢.

٢. اقتباس من أشعار ابن الفارض المصري.

٣. سورة الجمعة: ٤.

٤. تفسير تسنيم ١: ٧٢.

كان جميع شؤون حياته وكلّ آثاره المكتوبة، من أقصرها حتى التفسير القويم والعظيم (الميزان)، وكذلك جميع أحواله وأطواره، ومحافل تدريسه وبحثه، ومجالس تأديبه وتعليمه، مملوءاً بالخير والبركة والعقل والفكر والحماسة والعشق، نعم العلماء الربانيّون هكذا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، إنّ الله تعالى يرفع درجاته، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المعلّمين وأتبرك في شأن هكذا عالم ربّاني وارتحاله، بكلام الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ [١] [٢].

ويقول تلميذه الآخر الأستاذ محمد تقي مصباح: في عالم التشيّع لا نظير للعلامة من حيث جمعه بين العلم والتقوى، وقد كان مظهراً للقوّة والوقار والطمأنينة والتوكّل وعزّة النفس والإخلاص والتواضع والعطف وغيره من المكارم الأخلاقية، وقد كان يسيطر على مجلسه هيبة وجلال تجعل الحضور يصمت ويتأمّل ويصغي له [٣].

ويقول الأستاذ معرفة: هو تفسير جامع حافل بمباحث نظريّة تحليليّة ذات صبغة فلسفيّة في الأغلب، جمع فيه المؤلّف إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة أموراً ممّا أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يثيره أعداء الاسلام من شبهات، وما يضلّلون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية على أساس من القرآن، وفهم عميق لنصوصه الحكيمة، ولهذا التفسير القيّم مزايا جمة نشير إلى أهمّها:

١ ـ جمع بين نمطي التفسير: الموضوعي والترتيبي.

٢ ـ عنايته التامّة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن.

---

١. النساء: ٦٩.

٢. يادنامه علامهٔ طباطبائی: ١٠٨، مقالة الولاية التكوينية.

٣) يادنامه مفسر كبير، استاد علامهٔ طباطبائی، مقالة محمدتقي مصباح: كلام حول شخصيّة الأُستاذ: ٣٦.

٣ ـ نظرية الوحدة الكليّة الحاكمة على القرآن كلّه.
٤ ـ الاستعانة بمنهج تفسير القرآن بالقرآن [١].

ب ـ تفسير الميزان عند أهل السنّة

هناك باحثون ممتازون يميلون إلى فهم ما يجري لدى الشيعة، ومنهم الدكتور فهد الرومي، وقد توجّه إلى هذا التفسير، وإن كانت بعض ملاحظاته ليست في محلّها، ولكنّ المهم هو العناية ولو مع ذكر النقد والنقاش، فهو يقول: لاشكّ أنّ هذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلّفات الإماميّة الاثني عشريّة في التفسير في القرن الرابع عشر، بل أهمّها على الإطلاق؛ نظراً للشموليّة التي سلكها مؤلّفه فيه، فلم يقتصر فيه على لون من ألوان التفسير للقرآن فحسب، بل هو كما وصفه مؤلّفه على غلاف كلّ جزء «كتاب علمي، فني، فلسفي، أدبي، تاريخي، روائي، اجتماعي، حديث، يفسّر القرآن بالقرآن» [٢].

وقال الرومي أيضاً: قراءة قصيرة في هذا التفسير، تدرك منها أوّل ما تدرك، أنّ هذا الكتاب لم يؤلّف للعامّة، وإنّما للعلماء؛ نظراً لما فيه من أبحاث دقيقة عميقة، ويقال فيه ما قيل في تفسير الكشّاف: إنّه من أحسن التفاسير، لولا ما فيه من الاعتزال، أمّا هذا التفسير فهو من أحسن التفاسير في العصر الحديث، لولا ما فيه من التشيّع المتطرّف! [٣].

ويقول عادل نويهض في معجم المفسّرين: (الطباطبائي) مفسّر، فيلسوف، زاهد، من أكابر علماء الشيعة الإماميّة، ولد في تبريز، وفيها أكمل تعليمه الابتدائي، وفي

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٤٧٠ و٤٧١.
٢. اتّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ١: ٢٣٩ و٢٤٠.
٣. المصدر السابق.

الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى النجف في العراق، حيث واصل دراسته، وكان أكثر اهتمامه منصبّاً على الحكمة والأصول والتفسير والفقه، ولم يغادر النجف حتى نال درجة الاجتهاد، عاد بعدها إلى إيران وتصدّر للتدريس في مدينة (قم)، فاجتمع حوله المئات من طلبة العلوم الدينيّة من كلّ أنحاء إيران ليتعلّموا على يديه العلم والتربية والفكر، من آثاره (الميزان في تفسير القرآن) في عشرين مجلّداً، طبع، قيل: استغرق منه عشرين سنة متتالية متتابعة [١].

التعريف العام بالتفسير

تفسير (الميزان في تفسير القرآن) من أهم تفاسير الشيعة وأجمعها بعد تفسير (مجمع البيان) ، ويعتبر أحد التفاسير الإسلامية في العصر الحاضر ، يشتمل على الإشارة إلى جميع العلوم الإسلامية، فمن يريد أن يفهم موقف القرآن تجاه العلوم الحديثة والقديمة يمكنه أن يستفيد من تفسيره، فيقف على موقفه تجاه جميع المسائل الدينية.

فالطباطبائي من دون أن يخرج عن القواعد الأساسيّة الإسلامية، يجيب عن الأسئلة الكثيرة في إطار تفسير القرآن بالقرآن، مع سعة نظره وانتفاعه بكلّ كلام جميل، من الشيعة والسنّة، فنراه يستفيد كثيراً من الروايات المرويّة عن أهل السنّة، وكذلك مراجعته لكتبهم مثل: جامع البيان، الكشاف، مفاتيح الغيب، أنوار التنزيل، روح المعاني، وتفسير المنار وغيرها، الأمر الذي جعل تفسيره من التفاسير المفيدة في مجال التقريب والوحدة.

ولون هذا التفسير هو: اللون الأدبي الاجتماعي الذي يعالج المشاكل العصريّة من العلميّة والعمليّة... وإن كان رائد هذه المدرسة وزعيمها هو الأستاذ الإمام الشيخ

١ . معجم المفسّرين، قسم المستدرك، لعادل نويهض ٢: ٧٧٧، حرف الطاء.

محمد عبده، فهو نبذ طريقة التقليد السّلفي، وأعطى العقل حريته في النقد والتمحيص، وسار على منهجه الأجلّاء من علماء المدرستين، ولكنّ الذي فاق الجميع هو العلّامة الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار[١].

هذا التفسير، يشتمل على عشرين مجلّداً، وطبع مراراً في إيران وبيروت. وترجم إلى اللغة الفارسيّة أيضاً[٢].

أسلوب تفسير الميزان

لتفسير الميزان أسلوب خاصّ، ونستطيع أن نميّزه عن أساليب التفاسير الأخرى بالأمور التالية:

١ ـ ينبّه العلّامة الطباطبائي في بداية تفسيره للسورة على مكيّ الآيات ومدنيّها، وقد يتعرّض لمناقشة ما ورد من أقوال في هذا الشأن، وكثيراً ما يردّ بعض الأقوال في هذا المجال، لمعارضتها سياق الآيات الموجودة في السورة والآيات.

٢ ـ في بداية كلّ سورة دأب المفسّر يتركّز على أن يضع بين يدي القارئ مفادها الأساسي الذي عالجته السورة، والأغراض التي تعرّضت لها آياتها.

٣ ـ يوزّع آيات السورة على مقاطع قرآنيّة، ويذكر عدداً معيّناً من الآيات المرتبطة بها، إمّا لأنّها يجمعها سياق واحد، أو لأنّها تعالج غرضاً من أغراض السورة، وقد يكون المقطع آية واحدة، كما قد يكون عشر آيات أو أكثر من صفحة واحدة من صفحات القرآن.

٤ ـ يشرح في الآية معاني المفردات ويبيّنها لغوياً، بالقدر الذي يعين على بيان

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٤٥٣ و ٤٥٤.

٢. راجع: المفسّرون حياتهم ومنهجهم، للأستاذ الأيازي: ٧٠٥.

المعنى وكشف المقصود، معتمداً في ذلك على كتب اللغة والتفسير [١].

٥ ـ الجمع بين الأسلوب الموضوعي والترتيبي، فالناظر في تفسير الميزان، حينما يدقّق فيه، يفهم أنّ العلّامة قبل أن يبدأ بالتفسير، رأى جميع الآيات القرآنية، وعيّن الموضوعات المتناسبة مع الآيات، وجعل الآية أو الآيات التي تتناسب مع موضوع أكثر من تناسب الآيات الأخرىٰ محوراً لذلك الموضوع، فجمع الآيات المتناسبة الأخرى، وبدأ بتفسيرها جميعاً، كما نرى في التفاسير الموضوعيّة، فبهذا الأسلوب، صار تفسير الميزان جامعاً بين التفسير الموضوعي والتفسيرالترتيبي، فمثلاً ترك البحث عن الحروف المقطّعة إلى ابتداء سورة الشورى؛ نظراً لكثرة تلك الحروف في مفتتح تلك السورة.

٦ ـ تفكيك البحث الروائي، إذ إنّ تفسير القرآن بالقرآن، هو المنهج الأساسي للطباطبائي، لذا نرى المؤلّف حين تفسير الآيات يعتمد على القرآن خاصّة، وقليلاً ما نجده يخرج عن هذا الأسلوب، ولكنّه في البحث الروائي يراعي الأمور التالية:

(أ) إتيان روايات المدرستين والانتفاع بكليهما أو النقد لهما.

(ب) إذا خالف حديث كتاب الله، يتركه ويكذّبه، عملاً بروايات تدلّ على طرح كلّ ما خالف كتاب الله، كما يترك كثيراً من الروايات التفسيرية؛ لمخالفتها للعقل أو السنّة أو عدم تطابقها مع الآيات تاريخيّاً.

(ج) إذا وجدت روايات تفسيريّة صحيحة غير مخالفة لكتاب الله، نرى العلّامة يستفيد من تلك الروايات ضمن بيان الآيات، وإن لم يشر إلى تلك الروايات حين التفسير.

(د) تحليل الروايات، فهو محدّث كبير وعميق، فتارة يردّ حديثاً وتارة يصحّحه،

---

١ . راجع: علوم القرآن عند المفسّرين ٣: ٥٨١ و٥٨٢.

ويجيب عن الإشكال، كما قد يجمع بين الأحاديث المتعارضة ظاهراً، وقد يشرح تلك الروايات شرحاً مبيّناً لغوامضها.

(هـ) خلافاً للذين قالوا: إنّ القرآن محتاج إلى الروايات، يقول العلّامة: القضية تكون على عكس ذلك، فإنّ القرآن نور وبيان، ولايحتاج إلى غيره في الإفادة والاستفادة، وإنّما الروايات محتاجة إلى القرآن في حجيّتها ومحتواها.

(و) كثير من الروايات في أسباب النزول ساقطة عن الاعتبار في رأي العلّامة، فأكثرها لاتوافق القرآن، وليست قطعيّة الصدور، فإذا وجدت رواية تشتمل على أحد الشرطين يعتمد عليها والّا فلا.

(ز) هناك روايات كثيرة تطبّق الآيات على الأئمة، ولكنّ أكثرها ليست من باب التفسير المصطلح، بل إمّا من باب الجري والتطبيق، أو من باب البطن الذي يمكن الاطلاع عليه بالتدبّر والدقّة، أو من باب تأويل الآية، نعم هناك روايات تدلّ على انحصار المصداق في الإمام عليه السلام مثل آية إكمال الدين، وآية التطهير. وما شابههما.

(ح) الخبر الواحد ليس حجّة في غير الفقه، أعني: الأحكام العمليّة، في رأي العلّامة، فلا اعتبار للخبر الواحد في باب الاعتقاد وما يحتاج الى الاطمينان واليقين [1].

وعلى كلّ حال، فالطباطبائي لايرىٰ لكثير من الروايات اعتباراً، وهو حين التفسير لايتعرّض للروايات، ولكن مع هذا الرأي، يلاحظ: أنّه حين التفسير يعتمد على كثير من الروايات التي توافق القرآن، وتتناسب مع السياق، وإن لم يذكرها حينما يفسّر الآيات [2].

---

١. راجع: القرآن في الإسلام للطباطبائي: ١٨ و١٠٥.

٢. راجع: علامه طباطبائى وحديث (العلّامة الطباطبائي والحديث)، لشادي نفيسي:٥٣١ ـ ٥٣٦.

المصادر التفسيرية في تفسير الميزان

يعدّ تفسير الميزان من التفاسير التي سلكت منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهذا لايعني: أنّ المؤلّف لم يستفد من المصادر الأخرى في تفسير آيات الله العليا، وفي ما يلي نأتي بالمصادر التي استفيد منها في الميزان:

١ ـ القرآن الكريم

القرآن الكريم هو أوّل مصدر من المصادر وأهمّها وأفضلها عند الطباطبائي لتفسير القرآن المجيد، وإنّه يرى: أنّ الرجوع إلى المصادر الأخرى ينشأ من نفس القرآن، فالقرآن هو الذي أمرنا بالتمسّك بالسنّة الشريفة، أو العقل السليم، أو العلم القطعي، أو القواعد الفلسفية المتيقّنة.

واستفاد العلّامة الطباطبائي، من القرآن لجواز تفسير القرآن بكلّ الطرق التي يقبلها العقل ويتحملها اللفظ، ولكن قاعدة السياق والانتفاع به لتفسير القرآن لها موقع مهم ومجال واسع في (الميزان)، لأجل هذا فقط، نشرح هنا الأهداف التي استفادها من السياق في تفسير الميزان.

إنّ من الضوابط المهمّة في حسن فهم القرآن وصحة تفسيره: مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولاتقطع عمّا قبلها وما بعدها، ثم تجرّ جرّاً لتقيّد معنى أو تؤيّد حكماً، يقصده قاصد [١].

قال الزركشي: فإنّها (دلالة السياق) ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالّة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته،

---

١ . راجع: كيف نتعامل مع القرآن، للأُستاذ الدكتور يوسف القرضاوي: ٢٧٤.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [١] كيف تجد سياقه يدلّ على أ نّه الذليل الحقير [٢].

والاعتماد على السياق في فهم الظواهر من الآيات، هو المعيار الأساسي عند الطباطبائي في تفسير القرآن، وفي ما يلي نأتي بنماذج تفسيريّة لمعرفة مدى انتفاع العلّامة بالسياق:

أ ـ الرجوع إلى السياق لمعرفة معنى الآيات

بعد قوله تعالى : ﴿قُل لوْ شَاءَ ٱللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فُيكُمْ عُمُراً مِن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [٣]، يقول الطباطبائي: وهذه الآية تتضمّن ردّ الشق الأوّل من سؤالهم، وهو قولهم: (ائت بقرآن غير هذا)، ومعناه على ما يساعد عليه السياق: أنّ الأمر فيه إلى مشيّة الله، لا إلى مشيّتي، فإنّما أنا رسول، ولو شاء الله أن ينزل قرآناً غير هذا ولم ينشئ هذا القرآن، ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فإنّي مكثت فيكم عمراً من قبل نزول القرآن، وعشت بينكم وعاشرتكم وعاشرتموني وخالطتكم وخالطتموني فوجدتموني لا خبر عندي من وحي القرآن [٤].

ب ـ الرجوع إلى السياق لفهم معنى الألفاظ

ذيل الآية الشريفة: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ...﴾ [٥]، يقول الطباطبائي: وقوله: (تفصيل الكتاب) عطف على (تصديق)، والمراد بالكتاب بدلالة السياق: جنس الكتاب السماوي،

---

١. الدخان: ٤٩.

٢. البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢: ٢٠٠.

٣. يونس: ١٦.

٤. الميزان ١٠: ٢٨.

٥. يونس: ٣٧.

النازل من عند الله سبحانه على أنبيائه [١].

ج ـ الرجوع إلى السياق لترجيح رأي على رأي آخر

بعد ذكر الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ...﴾ [٢]، يقول العلّامة: تنظير كما تقدّمت الإشارة إليه لشمول الجهل والضلال للناس، ورفعه تعالى ذلك بالرسالة والدعوة الحقّة كما يشاء، ولازم ذلك: أن يكون المراد بمدّ الظلّ: ما يعرض الظلّ الحادث بعد الزوال من التمدد شيئاً فشيئاً من المغرب إلى المشرق حسب اقتراب الشمس من الأفق، (إلى أن قال:) وما تقدّم من تفسير مدّ الظلّ بتمديد الفيء بعد زوال الشمس، وإن كان معنىً لم يذكره المفسّرون، لكن السياق ـ على ما أشرنا إليه ـ لايلائم غيره ممّا ذكره المفسّرون، كقول بعضهم: إنّ المراد بالظلّ الممدود ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس [٣].

د ـ الرجوع إلى السياق لقبول الروايات التفسيرية أو ردّها

بعد ذكر الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ﴾ [٤]، يقول العلّامة: في الدر المنثور: أخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب، قال: فينا والله أهلَ بدر نزلت هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾، أقول: وقوع الجملة في سياق هذه الآيات وهي مكيّة، يأبىٰ نزولها يوم بدر أو في أهل بدر، وقد وقعت الجملة أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [٥]، وهي أيضاً في

---

١ . الميزان ١٠: ٦٤.

٢ . الفرقان: ٤٥.

٣ . الميزان ١٥: ٢٢٥ و٢٢٦، ذيل الآية ٤٥ من سورة الفرقان.

٤ . الأعراف: ٤٣.

٥ . الحجر: ٤٧.

سياق آيات أهل الجنّة وهي مكيّة [١].

هـ ـ الرجوع إلى السياق لتعيين المكيّة والمدنيّة من الآيات

يقول العلّامة: وللعلم بمكيّة السور ومدنيتها، ثمّ ترتيب نـزولها، أثـر مـهمّ فـي الأبحاث المتعلّقة بالدعوة النبويّة وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمنه ﷺ وتحليل سيرته الشريفة، والروايات ـ كما ترى ـ لا تصلح أن تنهض حجّة معتمداً عليها في إثبات شيء من ذلك، على أنّ فيما بينها من التعارض ما يسـقطها عـن الاعتبار.

فالطريق المتعيّن لهذا الغرض، هو: التدبّر في سياق الآيـات والاسـتمداد مـمّا يتحصّل من القرآن والأمارات الداخلية والخارجية، وعلى ذلك نجري في هذا الكتاب والله المستعان [٢].

٢ ـ السنّة

يقول العلّامة بعد قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّـهَاتُكُمْ وَبَـنَاتُكُمْ وَأَخَـوَاتُكُـمْ وَعَـمَّاتُكُمْ وَخَـالاَتُكُمْ وَبَـنَاتُ ٱلأَخِ وَبَـنَاتُ ٱلأُخْتِ وَأُمَّـهَاتُكُمُ ٱلَّـلاتِي أَرْضَـعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ﴾ [٣]: وقد صحّ عن النبي ﷺ فيما رواه الفريقان: أنّه قال: إنّ الله حرّم من الرضاعة ما حرّم من النسب، ولازمه أن تنتشر الحرمة بالرضاع فيما يجاري محرّمات النسب من الأصناف، وهي: الأم والبنت والأخت والعمّة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت سبعة أصناف [٤].

---

١. الميزان ٨: ١٣٩.

٢. الميزان ١٣: ٢٣٥.

٣. النساء: ٢٣.

٤. الميزان في تفسير القرآن ٤: ٢٦٤.

٣ ـ العقل

بعد آية: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ...﴾ [١] وبعد إيراد الإشكالات المتعددة على الاحتمالات الكثيرة في مفهوم الآية ومصداق ذلك اليوم، يقول الطباطبائي: ومن جميع ما تقدّم يظهر أنّ تمام يأس الكفّار إنّما كان يتحقّق عند الاعتبار الصحيح بأن ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبي ﷺ في حفظه وتدبير أمره وإرشاد الأمّة القائمة به، فيتعقّب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين لمّا شاهدوا خروج الدين عن مرحلة القيام بالحامل الشخصي، إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي [٢]. فقوله: عند الاعتبار الصحيح، إشارة إلى العقل السليم.

٤ ـ العلم الحديث

إنّ العلوم التجريبيّة، التي تتوفر فيها شرائط القبول، يمكن أن يستفاد منها في التفسير، فتكون مصدراً من مصادره، والعلّامة الطباطبائي ليس من المنكرين ولا من المفرّطين في الانتفاع بآراء العلماء في هذه العلوم لتفسير القرآن المجيد.

يقول العلّامة الطباطبائي: يدعو القرآن المجيد في آيات كثيرة ـ لم ننقلها بسبب كثرتها ـ إلى التفكير في الآيات السماويّة والنجوم المضيئة، والاختلافات العجيبة التي تظهر في أوضاعها، والنظام المتقن الحاكم عليها، ويرغّب في التفكير في خلق الأرض والبحار والجبال، والصحاري، وما في باطن الأرض، واختلاف الليل والنهار، وتبدّل الفصول، ويدعو إلى التفكّر في خلق النبات العجيب والنظام المسيطر على حياته، وفي خلق الحيوانات المختلفة، والآثار والأحوال التي تظهر منها في محيط الأرض، وإلى التفكّر في خلق الإنسان... [٣].

---

١. المائدة: ٣.

٢. الميزان في تفسير القرآن ٥: ١٧٦.

٣. القرآن في الإسلام، للطباطبائي: ١١٩ و١٢٠.

ويقول أيضاً: وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [١] إشارة إلى المطر النازل من السحاب، وقد تسلّم الأبحاث العلمية الحديثة: أنّ الماء الموجود في الكرة الأرضية من الأمطار النازلة عليها من السماء على خلاف ما كان يعتقده القدماء: أنّه كرة ناقصة محيطة بكرة الأرض إحاطة ناقصة، وهو عنصر من العناصر الأربعة، وهذه الآية التي يثبت شطرها الأوّل: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ مسألة الزوجيّة واللقاح في النبات، وشطرها الثاني: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أنّ المياه الموجودة المدّخرة في الأرض تنتهي إلى الأمطار، وقوله تعالى السابق: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ الظاهر في أنّ للوزن دخلاً خاصّاً في الإنبات والإنماء، من نقود العلم التي سبق إليها القرآن الكريم الأبحاث العلمية، وهي تتلو المعجزة أو هي هي [٢]، وفي ما يلي نأتي بمثال من تفسيره.

يقول العلّامة بعد ذكر الآية: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [٣]: وأمّا جريها وهو حركتها، فظاهر النظر الحسّي يثبت لها حركة دورية حول الأرض، لكنّ الأبحاث العلميّة تقضي بالعكس، وتكشف عن أنّ لها مع سياراتها حركة انتقاليّة نحو النسر الواقع [٤].

٥ ـ القواعد الفلسفية

كان الطباطبائي فيلسوفاً شهيراً، وله كتب ومقالات كثيرة في الأبحاث الفلسفية العميقة، ولكن لانراه خرج عن الاعتدال في جري الفلسفة على القرآن، بل فرّق

١. الحجر: ٢٢.

٢. الميزان ١٢: ١٤٦، ذيل الآية ٢٢ من سورة الحجر.

٣. يس: ٣٨.

٤. الميزان ١٧: ٨٩.

الأبحاث الفلسفية عن بيان الآيات، وأنكر أيضاً على من خلط التفسير بـالفلسفة، فهو قد مشى مشياً معتدلاً في هذا المجال، وفي ما يلي نموذج لأخذه ببعض الآراء الفلسفية الحميدة لتفسير الآيات الكريمة:

بعد ذكر الآية ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوساً﴾[١] في بحث فلسفي يقول: ذكروا أنّ الشّرور داخلة في القضاء الالهي بالعرض، وقد أوردوا في بيانه ما يأتي: نقل عن أفلاطون أنّ الشر عدم، وقد بيّن ذلك بالأمثلة، فإنّ في القتل بالسيف مثلاً شرّاً، وليس هو في قدرة الضارب على مباشرة الضرب، ولا في شجاعته، ولا في قوّة عضلات يده، فإنّ ذلك كلّه كمال له، ليس من الشرّ في شيءٍ، وليس في حدّة السيف ودقّة ذبابه وكونه قطّاعاً، فإنّ ذلك من كماله وحسنه، وليس في انفعال رقبة المقتول بالآلة القطّاعة، فإنّ من كماله أن يكون كذلك، فلا يبقى للشرّ إلّا زهاق روح المقتول وبطلان حياته، وهو عدميّ، وعلى هذا سائر الأمثلة، فالشرّ عدمي[٢].

فهذا البيان ينشأ من القاعدة الفلسفية المعروفة، وهي: أنّ الشرّ عدميّ.

تطبيق لمنهج تفسير القرآن بالقرآن

يمكن أن نطبّق منهج تفسير القرآن بالقرآن في رأي العلّامة الطباطبائي على ما يلي: إنّ الله تعالى يقول: ﴿الله خالق كلّ شيء﴾[٣] يعني: أنّ كلّ شيء مخلوق لله، مثل: الجماد والنبات والحيوان والإنسان، وحتى أعماله الاختيارية. وفي الآية الأخرى يصف نفسه، فيقول: ﴿الذي أحسن كلّ شيء خلقه﴾[٤] فلو انضمت هذه

---

١. الإسراء: ٨٣.

٢. الميزان ١٣: ١٨٧، ذيل الآية ٨٣ من سورة الإسراء.

٣. الزمر: ٦٢.

٤. السجدة: ٧.

الآية إلى الآية الأولى، نحصل على قاعدة جميلة وهي: أنّ كلّ شيء مخلوق حسن وجميل، فإذا كان هناك شرّ أو سيئة، فليس مخلوقاً لله تعالى.

ومن آيات أخرى نعرف أنّ مصدر كلّ خير وكمال هو الله تعالى؛ إذ يقول: ﴿فإنّ العزّة لله جميعاً﴾[١] و﴿له الأسماء الحسنى﴾[٢] فكلّ ما يوجد في العالم من الحسن والجمال منسوب إلى الله تعالى، فحينما يعرف الإنسان هذه الحقائق الثلاث ينجذب إلى الله، لأجل ذلك يقول تعالى: ﴿والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾[٣]، فإذا وصل العبد إلى هذه المرحلة من الحبّ الشديد لله، دخلَ في ولايته، كما يقول تعالى: ﴿والله ولي المؤمنين﴾[٤] و﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾[٥]، فإذا خرج الانسان من الظّلمات إلى النور، يجد روحاً آخر، ويدخل في حياة جديدة، كما قال تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾[٦].

وفي آيات أخرىٰ يشير إلى كيفيّة حصول هذا النور والحياة السعيدة، فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾[٧].

وفي آية أخرى وضّح لنا الاتّباع، فقال: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي

١. النساء: ١٣٩.

٢. طه: ٨.

٣. البقرة: ١٦٥.

٤. آل عمران: ٦٨.

٥. البقرة: ٢٥٧.

٦. الأنعام: ١٢٢.

٧. الحديد: ٢٨.

الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (١).

هذه الآية الشريفة تنطبق على ما تهدي إليه الفطرة الإنسانية السعيدة، وترشدنا إلى البرامج الإسلامية والقوانين الشرعية القرآنية، فإذن الحياة السعيدة هي الحياة الفطريّة السليمة، التي ترشدنا إليها القوانين الإسلامية.

ففي ضوء ما مرّ من الكلام، ومقارنة الآيات، نستطيع أن نذكر مراحل الكمال كما يلي: العلم بأنّ كلّ شيء مخلوق لله ← العلم بأنّ كلّ شيء مخلوق حسن ← العلم بأنّ كلّ حسن وكمال من الله ← الانجذاب إلى الله تعالى ← اتباع القوانين الإسلامية ← الدخول في ولاية الله ← الدخول في النور الإلهي والحياة الفطريّة السعيدة (٢).

ألوان تفسير القرآن بالقرآن في الميزان

استخدم العلّامة الطباطبائي منهج تفسير القرآن بالقرآن بكلّ لون وأسلوب ممكن، فلم يستفد من لون دون آخر، فكلّ ما يمكن تسميته بتفسير القرآن بالقرآن، نجده في الميزان، ولكن هنا نشير إلى أهمّها وأشهرها في مايلي:

١ ـ التفسير التوضيحي

كثيراً مّا نرى إجمالاً ابتدائيّاً في بعض الآيات القرآنية، ولكنّ الآيات الأخرى ترفع ذلك الإجمال وتوضّحه توضيحاً كافياً، وهذه بعض أقسام هذا النوع من التفسير والتبيين:

---

١ . الأعراف: ١٥٧.

٢ . راجع: القرآن والإسلام، للطباطبائي: ٨٦ ـ ٩٢.

أ ـ توضيح المفردات

يقول العلّامة: والرحمن، فَعلان، صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة، والرحيم، فَعيل، صفة مشبهة تدلّ على الثبات والبقاء، ولذلك ناسب الرحمن أن يدلّ على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر، وهو الرحمة العامّة، وبهذا المعنى يستعمل كثيراً في القرآن، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [١] وقال: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدّاً﴾ [٢][٣].

فالآية الأولى، تشير إلى الرحمة العامّة؛ إذ ترشد الإنسان إلى سلطنته تعالى على العرش ومصدريّته لكلّ الأمور، والآية الثانية تشير إلى رحمته لأهل الضلالة وهي: إمهاله لهم، وهذه الرحمة تندرج تحت الرحمة العامّة؛ إذ الرحمة الخاصة تختصّ بالمؤمنين.

ب ـ توضيح الجملة

بعد قوله تعالى: ﴿لَاتَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا﴾ [٤] يقول العلّامة الطباطبائي: فيه نهي شديد عن قول (راعنا)، وهذه كلمة ذكرتها آية أخرى وبيّنت معناها في الجملة، وهي قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ﴾ [٥]، ومنه يعلم أنّ اليهود كانت تريد بقولها للنبي ﷺ: راعناً، نحواً من معنى قوله: أسمع غير مسمَع،

---

١ . طه: ٥.

٢ . مريم: ٧٥.

٣ . الميزان ١: ١٨.

٤ . البقرة: ١٠٤.

٥ . النساء: ٤٦.

ولذلك ورد النهي عن خطاب رسول الله ﷺ بذلك، وحينئذٍ ينطبق على ما نقل: أنّ المسلمين كانوا يخاطبون النبي ﷺ بذلك إذا ألقى إليهم كلاماً، يقولون: راعنا يا رسول الله ـ يريدون بذلك: أمهلنا وانظرنا حتى نفهم ماتقول ـ وكانت اللفظة تفيد في لغة اليهود معنى الشتم، فاغتنم اليهود ذلك، فكانوا يخاطبون النبي ﷺ بذلك [١].

٢ ـ التفسير التأكيدي

بعض الآيات واضحة المعاني والدلالات، ولكنّ المفسّرين عادة يكتبون لها النظائر والأمثال؛ لتتضح المعاني أكثر.

يقول العلّامة : فقوله : ﴿ وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٢] أمر بالأمر وبالمأمور به: قول الكلمة التي هي أحسن، فهو نظير قوله: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [٣].

٣ ـ التفسير التكميلي

من فائدة تفسير القرآن بالقرآن، تكميل مفاهيم الآيات، وجمع ما أراده الله من العباد، فمنها:

يقول العلّامة في ذيل الآية ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلى ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [٤]، ومن هنا يظهر: أنّ قول بعضهم: إنّ الحجّة في الآية بمعنى الحجّة التي في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [٥] في غير محلّه؛ وذلك أنّ

---

١ . الميزان ١: ٢٥١، ذيل الآية ١٠٤ من سورة البقرة.

٢ . الإسراء: ٥٣.

٣ . النحل: ١٢٥.

٤ . الإسراء: ٤٢.

٥ . الأنبياء: ٢١.

الحجّتين مختلفتان في مقدّماتهما، فالحجّة التي في الآية التي نحن فيها تدلّ على نفي الشرك من جهة ابتغاء الآلهة السبيل إلى ذي العرش، وطلبهم الغلبة عليه بانتزاع الملك منه، والتي في آية الأنبياء تدلّ على أنّ اختلاف الآلهة في ذواتهم يؤدّي إلى اختلافهم في التدبير، وذلك يؤدّي إلى فساد النظام [1]. فكلّ آية من هاتين الآيتين تكمّل الآية الأخرىٰ، إذ كلّ واحدة منهما تدلّ على التوحيد بأسلوب خاصّ.

٤ ـ التفسير المصداقي

يقول الطباطبائي: وإذا تدبّرت قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ [2]، ثم طبّقتَ فقرات الآية على فقرات قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ [3] الخ، وجدتَ آية سورة المائدة من مصاديق إنجاز الوعد الذي تشتمل عليه آية سورة النور [4].

فعلى ما أشار إليه الطباطبائي، يوم اليأس، وهو يوم غدير خم، يعدّ مصداقاً لإنجاز وعد الله بأ نّه يستخلف الصالحين في الأرض.

٥ ـ التفسير التخصيصي

بعد نفي تسمية أهل الكتاب بالمشركين، يقول العلّامة: وأمّا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [5]،

---

١ . الميزان ١٣: ١٠٧، ذيل الآية ٤٢ من سورة الإسراء.

٢ . النور: ٥٥.

٣ . المائدة: ٣.

٤ . الميزان ٥: ١٩٤، ذيل الآية ٣ من سورة المائدة.

٥ . البقرة: ١٣٥.

فليس المراد بالمشركين في الآية اليهود والنصارىٰ ليكون تعريضاً بهم، بل الظاهر أ نّهم غيرهم؛ بقرينة قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلٰكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١][٢].

فالآية الثانية لمّا جعلت المشركين قسيماً لليهود والنصارى، فالمراد بالمشركين غيرهم، فهذا المفهوم المستفاد من هذه الآية الشريفة يفسّر المشركين في الآية الأولى، ويخصّصهم بغير اليهود والنصارىٰ.

٦ ـ التفسير التقييدي

بعد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [٣]، يقول العلّامة: وقد أغلظ الله سبحانه في وعيد قاتل المؤمن متعمّداً بالنار الخالدة، غير أنّك عرفت في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [٤]، أنّ تلك الآية وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [٥]، تصلحان لتقييد هذه الآية، فهذه الآية توعد بالنار الخالدة، لكنّها ليست بصريحة في الحتم، فيمكن العفو بتوبة أو شفاعة [٦].

فالآية الأولى، تدلّ بظاهرها على دخول كلّ قاتل لمؤمن جهنّم، ولكنّ وعده بالمغفرة لجميع الذنوب، يدلّ على العفو في ظلّ التوبة.

---

١. آل عمران: ٦٧.

٢. الميزان ٢: ٢١٢، ذيل الآية ٢٢١ من سورة البقرة.

٣. النساء: ٩٣.

٤. النساء: ٤٨.

٥. الزمر: ٥٣.

٦. الميزان ٥: ٣٩ و ٤٠، ذيل الآية ٩٣ من سورة النساء.

٧ ـ التفسير النسخي

بعد آية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[١]، يقول العلّامة: وتعريف الحول باللام لايخلو من دلالة على كون الآية نازلة قبل تشريع عدّة الوفاة، أعني: الأربعة أشهر وعشرة أيام، فإنّ عرب الجاهليّة كانت نساؤهم يقعدن بعد موت أزواجهن حولاً كاملاً (إلى أن قال) وممّا ذكرنا يظهر: أنّ الآية منسوخة بآية عدّة الوفاة وآية الميراث بالربع والثمن [٢].

الآية الأولى، توجب على الرجل أن يوصي لزوجته؛ لتستفيد من ماله إلى الحول، ولكن آية عدّة الوفاة تنسخ هذا الحكم، وتدلّ على لزوم قعود الزوجة وعدم زواجها لمدّة أربعة أشهر وعشرة أيام، إذ تقول: يتربصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً.

٨ ـ التفسير التاريخي

قد نجد في تفسير الميزان الإتيان بمجموعة من الآيات المتعلّقة بواقعة تاريخية بمناسبة ذكر آية متعلّقة بتلك الواقعة.

يقول العلّامة الطباطبائي تحت عنوان: ما هي قصة عيسى عليه السلام وأمّه في القرآن؟ وقد كانت (مريم عليها السلام) صدّيقة وكانت معصومة بعصمة الله، طاهرة، مصطفاة، محدّثة، حدّثها الملائكة: بأنّ الله اصطفاها وطهّرها، وكانت من القانتين، ومن آيات الله للعالمين (سورة آل عمران الآية ٣٥ ـ ٤٤، سورة مريم الآية ٦٦، سورة الأنبياء الآية ٩١، سورة التحريم الآية ١٢).

ثم إنّ الله تعالى أرسل إليها الروح وهي محتجبة، فتمثّل لها بشراً سويّاً، وذكر لها

---

١. البقرة: ٢٤٠.

٢. الميزان ٢: ٢٥٨ و٢٥٩، ذيل الآية ٢٤٠ من سورة البقرة.

أ نّه رسول من ربّها؛ ليهب لها بإذن الله ولداً من غير أب، وبشّرها بما سيظهر من ولدها من المعجزات الباهرة، وأخبرها أنّ الله سيؤيّده بروح القدس، ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ورسولاً إلى بني إسرائيل بالآيات البيّنات، وأنبأها بشأنه وقصّته، ثم نفخ الروح فيها، فحملت به حمل المرأة بولدها (الآيات من آل عمران: ٣٥ ـ ٤٤) [١].

فالعلّامة ذكر تاريخ عيسى عليه السلام وأمّه في القرآن، ولكن لم يخرج عن منهج تفسير القرآن بالقرآن، إذ كلّ ما ذكره، مستفاد من الآيات الشريفة.

٩ ـ التفسير الحلّي لرفع التعارض بين الآيات

بعد ذكر آية البقرة: ﴿وَلَاتَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ...﴾ [٢]، وآية المائدة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾ [٣] يقول العلّامة: إنّ هذه الآية، أعني: آية البقرة بظاهرها لاتشمل أهل الكتاب، وآية المائدة لاتشمل إلّا الكتابيّة، فلا نسبة بين الآيتين بالتنافي [٤].

الوجه الذي يرجّحه الطباطبائي هو: أنّ لفظ المشركين لايطلق على أهل الكتاب في القرآن، ولكنّ لفظ الكافرين استعمل لهم، فإذن الآية الأولى تدلّ على حرمة نكاح غير أهل الكتاب من الأديان الأخرى، والآية الثانية في سورة المائدة تدلّ على جواز نكاح الكتابية، فلايوجد التنافي والتناقض، فلانسخ في البين.

---

١ . الميزان ٣: ٣٠٧، ذيل الآية ٨٠ من سورة آل عمران.

٢ . البقرة: ٢٢١.

٣ . المائدة: ٥.

٤ . الميزان ٢: ٢١٣، ذيل الآية ٢٢١ من سورة البقرة.

١٠ ـ التفسير الحلّي لرفع السؤال عن الآية

الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ [١] تثير سؤالاً: هل التكثّر الديني مشروع لدى القرآن؟ وإذا لم يُقبل من الإنسان إلّا الإسلام، فكيف تفسَّر هذه الآية؟ فيقول العلّامة من دون أن يشير الى هذا السؤال:... وهذا ممّا تكررت فيه آيات القرآن: أنّ السعادة والكرامة تدور مدار العبودية، فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لمتسمّيه شيئاً، ولا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه وينجيه، إلّا مع لزوم العبوديّة، الأنبياء ومن دونهم فيه سواء، فقد قال تعالى في أنبيائه ـ بعدما وصفهم بكلّ وصفجميل ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢] وقال في أصحاب نبيّه ومن آمن معه، مع ذكر عظم شأنهم وعلوّ قدرهم: ﴿وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [٣] فأتى بكلمة منهم [٤].

كلام العلّامة يدلّ على أنّ الآية لاتتحدّث عن التكثّر الديني، بل المقصود هو: الإشارة إلى أنّ المعيار عند الله هو العبودية والعمل الصالح، فالتسمية باليهود أو النصارى أو ما شابه ذلك، ليس معياراً للسعادة والكمال.

١١ ـ التفسير الحلّي لرفع التشابه بالمحكمات

بعد آية: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ [٥] يتحدّث العلّامة عن تفسير آيات تثبت الرؤية، فيقول ما ملخّصه: بين معلوماتنا ما لا نتوقّف في إطلاق الرؤية

١. البقرة: ٦٢.

٢. الأنعام: ٨٨.

٣. الفتح: ٢٩.

٤. الميزان ١: ١٩٤، ذيل الآية ٦٢ من سورة البقرة.

٥. الأعراف: ١٤٣.

عليه واستعمالها فيه، نقول: أرىٰ أنا، وأراني أريد كذا وأكره كذا وأحبّ كذا، وتسمية هذا القسم من العلم الذي يجد فيه الإنسان نفس المعلوم بواقعيته الخارجية رؤية مطردة وهي علم الإنسان بذاته وقواه الباطنة وأوصافه وذاته وأحواله الداخليّة، والله سبحانه فيما أثبت من الرؤية يذكر معها خصوصيّات، ويضمّ إليها ضمائم يدلّنا على أنّ المراد بالرؤية، هذا القسم.

كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (١)، وقد أثبت الله سبحانه في موارد من كلامه قسماً آخر من الرؤية، وراء رؤية الجارحة، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ (٢).

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (٣)(٤)

الآية الأولى بظاهرها تدلّ على إمكان الرؤية الظاهريّة الماديّة، ولكنّ الآيات الأخرىٰ تشرح لنا المراد من الرؤية، وأنّها رؤية باطنيّة قلبيّة.

النموذج الثاني
منهج أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

حياة المؤلّف

ولد محمد الأمين، عام ١٣٢٥ في منطقة اسمها: شنقيط، وهي الجزء الشرقيّ من بلاد موريتانيا الواقعة في غرب إفريقيا، شرق المحيط الأطلسي، جنوبيّ مراكش

١. فصّلت: ٥٣ و ٥٤.
٢. التكاثر: ٥ ـ ٧.
٣. الأنعام: ٧٥.
٤. راجع: الميزان ٩: ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

والجزائر، وشماليّ السنغال.

هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك، أصله من قبيلة معروفة بالجكنيين، وكان الجكنيّون من أصحاب الطباع الكريمة والسجايا الحميدة. تعلّم القرآن والقراءة والفقه المالكي والأدب العربي والأصول وبعض التفسير والحديث في بلده، وحصل على علوم المنطق وآداب البحث والمناظرة بالمطالعة، ولم يكتف بما علمه في هذه العلوم، بل تعمّق فيها ودقّق حتى صار مجتهداً.

خرج من بلاده لأداء فريضة الحج على نيّة العودة، غير أنّ وصوله إلى تلك البلاد رغّبه في البقاء، وقد أثّرت هذه الرحلة فيه من جوانب فكرية وفقهية وعقيدية.

بعد عدة لقاءات ببعض العلماء في الحجاز، عزم على البقاء، فبدأ التدريس في المسجد النبوي، وخالط العامّة والخاصة، فوجد من يمثّل المذاهب الأربعة ومن يناقش فيها، كما وجد أيضاً دراسة لاتقتصر على مذهب مالك، بل ولا على غيره، فكان لابدّ من دراسة المذاهب بجانب مذهب مالك، وبما أنّ الخلاف المذهبي لاينهيه إلّا الحديث أو القرآن، فكان لزاماً التوسّع في دراسة الحديث، وقد ساعده بعض العلماء، على هذا التوسّع والاستيعاب وقوّة الاستدلال ودقّة الترجيح، مع ما هو متمكّن فيه من فنّ الأصول والعربية، مع توسّعه في دراسة الحديث وبالأخصّ المجاميعكـ (نيل الأوطار) و(فتح الباري) وغيرها.

وعلى كلّ حال، فسّر القرآن كلّه مرّتين حين بقائه في المدينة. وارتحل إلى الرياض حيث افتتحت الإدارة العامة سنة ١٣٧١ هـ بالرياض معهداً علميّاً، تلاه عدة معاهد، وكلّيتا الشريعة واللغة، واختير للتدريس في المعهد والكلّيتين في التفسير والأصول. فتولّى تدريس هاتين المادتين إلى سنة ١٣٨١ هـ حين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة، واستقرّ في المدينة المنوّرة؛ لمواصلة تدريس التفسير والأصول، كما كان يدرّس ويحاضر في بيته والمسجد، واستمرت نشاطاته في المدينة المنوّرة

حتى وقت وفاته فيها في السابع عشر من ذي الحجة عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م [1].

وأمّا أخلاقه فلابدّ أن نقول: الإنسان عادةً لايمكن وصوله إلى درجة عالية من العلم إلّا مع نوع تجرّد عن الماديّات، وهذا التجرّد يحصل من عدم اهتمامه واشتغاله بالشّهوات وحب الدنيا وزخارفها، ومؤلّف أضواء البيان ليس خارجاً عن هذه القاعدة، وفي ما يلي نذكر بعض الأمور التي تدلّ على علوّ همّته ومدى ورعه:

١ ـ جهده في طريق التعلّم

يقول تلميذه عطية محمد سالم: حدّثني ﷺ قال: جئت للشيخ في قراءتي عليه، فشرح لي كما كان يشرح، ولكنّه لم يشف ما في نفسي على ما تعوّدت، ولم يروِ لي ظمئي، وقمت من عنده وأنا أجد فيّ حاجة إلى إزالة بعض اللبس وإيضاح بعض المشكل، وكان الوقت ظهراً، فأخذت الكتب والمراجع، فطالعت حتى العصر، فلم أفرغ من حاجتي، فعاودت حتى المغرب، فلم أنته أيضاً، فأوقد لي خادمي أعواداً من الحطب أقرأ في ضوئها كعادة الطلّاب، وواصلت المطالعة وتناول الشاي الأخضر، كلّما مللت أو كسلت، والخادم بجواري يوقد الضوء حتى انبثق الفجر، وأنا في مجلسي، لم أقم إلّا لصلاة فرض أو تناول طعام، إلى أن ارتفع النهار وقد فرغت من درسي وزال عنّي لبسي، ووجدت هذا المحلّ من الدرس كغيره في الوضوح والفهم، فتركت المطالعة ونمت، وأوصيت خادمي أن لايوقظني لدرسي في ذلك اليوم؛ اكتفاءً بما حصلت عليه، واستراحة من عناء سهر البارحة.

٢ ـ أخذ الاتّجاهات المنطقية من الشيعة الإماميّة والمذاهب الأخرى

حينما قدم مندوب إيران، وقدّم طلباً باعتراف الرابطة بالمذهب الجعفري، ومعه

---

١ . راجع: مقدّمة تفسير أضواء البيان: ١٨ ـ ٢٦، والتفسير والمفسّرون في العصر الحديث: ٢٤٩.

وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير تؤيّد دعواه، وتجيبه إلى طلبه، اقترحوا أن يتولّى الأمر فضيلته ﷺ في جلسة خاصة، فأجاب في المجلس قائلاً: لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوّهم، ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصول هي: الإسلام دين الجميع، والرسول محمد ﷺ رسول الجميع، والقرآن كتاب الله، والكعبة قبلة الجميع، والصلوات الخمس، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله الحرام، ومجتمعون على تحريم المحرّمات من قتل وشرب وزنا وسرق ونحو ذلك، وهذا القدر كافٍ للاجتماع والترابط، وهناك أمور نختلف فيها، وليس هذا مثار بحثها [١].

تعريف عام بأضواء البيان

كتب على جلد الكتاب ما يعيّن لنا منهج التفسير، وهو: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الحكيني الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٣ هـ)، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، ويليه: رفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ورسالة منع المجاز عن المنزل للتعبّد والإعجاز.

وهذا التفسير طبع عدة مرات، بأساليب مختلفة سعة وضيقاً، والنسخة التي رجعنا إليها تتكون من ست مجلدات، وتشتمل على ما يقارب ١٩٢٢٤٠٠ كلمة، في ٣٢٠٤ صفحة. تناول مؤلّفه محمد الأمين، تفسير القرآن بالقرآن، خصوصاً تفسير الآيات المجملة بالآيات المبيّنة على أقسامها، من أوّل الكتاب حتى نهاية سورة المجادلة، ومن عجيب الصّدف أن يكون وقوفه ﷺ في التفسير على قوله تعالى:

---

١. راجع: أضواء البيان: ١٤ و٢١.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [١] ثم أتمّه تلميذه عطية محمد سالم [٢].

فالنسخة التي بأيدينا من الابتداء حتى صفحة ٢٦٢ من المجلد الخامس، هي لمؤلّفه محمد الأمين الشنقيطي، وبقيّة هذا الجزء مع نصف المجلد السادس لتلميذه عطية محمد سالم، وتشتمل بقيّة المجلد السادس على رسالتين لنفس المؤلّف محمد الأمين، وهما:

أ ـ رسالة رفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وهذه الرسالة تبدأ من صفحة ٢١٣ إلى صفحة ٣٨٨.

ب ـ رسالة باسم: كتاب منع جواز المجاز في المُنزل للتعبّد والإعجاز، وهذه الرسالة تبدأ من صفحة ٣٨٩ إلى ٤١٢ وهي نهاية الكتاب.

وقد احتوى الكتاب أموراً زائدة غير بيان القرآن، فقد حوى أحكام الفقه، وتحقيق بعض المسائل اللغوية، وما يحتاج إليه من صرف وإعراب واستشهاد بشعر العرب، وتحقيق ما يحتاج إليه من المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث، ولمّا كان البحث في بيان القرآن بالقرآن، رأىٰ من الفائدة تقديم ملخّص إجمالي لما تضمّنه هذا الكتاب من أنواع بيان القرآن بالقرآن [٣].

سبب تأليف تفسير أضواء البيان

يقول الشنقيطي: فإنّا لما عرفنا إعراض أكثر المتسمّين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربّهم، ونبذهم له وراء ظهورهم، وعدم رغبتهم في وعده، وعدم خوفهم من

---

١. المجادلة: ٢٢.

٢. راجع: التفسير والمفسّرون في العصر الحديث، لعبدالقادر محمد صالح: ٢٩٢.

٣. المصدر السابق: ٢٥٤.

وعيده، علمنا أنّ ذلك ممّا يعيّن على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همّته في خدمته، من بيان معانيه وإظهار محاسنه، وإزالة الإشكال عمّا أشكل منه، وبيان أحكامه، والدعوة إلى العمل به وترك ما يخالفه.

واعلم أنّ من أهمّ المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن؛ لإجماع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير وأجلها: تفسير كتاب الله بكتاب الله؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله جلّ وعلا.

والثاني: بيان الأحكام الفقهيّة [1].

أسلوبه التفسيري

كان أسلوبه في تفسير الآيات أوّلاً: بيان المفردات، ثم الإعراب والتصريف، ثم البلاغة، مع إيراد الشواهد على ما يورد، ثم يأتي إلى الأحكام إن كان موضوع الآية فقهاً، فيستقصي باستنتاج الحكم وبيان الأقوال والترجيح لما يظهر له، ويدعم ذلك بالأصول، وبيان القرآن وعلومه من عامّ وخاصّ، ومطلق ومقيّد، وناسخ ومنسوخ، وأسباب نزول، وغير ذلك.

وإذا كانت الآية في قصص، أظهر العبر من القصّة وبيّن تاريخها، وقد يربط الحاضر بالماضي، كربط تكشّف النساء اليوم بفتنة إبليس لآدم وحوّاء في الجنّة، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتهما، وفتنة للجاهلية حين طافوا بالبيت عراةً رجالاً ونساءً، وها هو يستدرجهنّ إلى التكشّف شيئاً فشيئاً، بدأ يكشف الوجه ثم الرأس ثم الذراعين [2].

١. راجع: أضواء البيان ١: ٣٠.

٢. راجع: مقدّمة تفسيره: ١٧.

منهجه التفسيري

تفسير أضواء البيان، تفسير للقرآن بالقرآن، كما هو المشهور، ويدلّ عليه اسم التفسير، وما يحتويه من نوع البيان لآيات القرآن، ولكن نشير إلى بعض الجهات لمعرفة هذا التفسير أكثر:

١ ـ طريقته في الترجيح بين الاحتمالات والأقوال

يقول الشنقيطي: إنّا إذا بيّنا قرآناً بقرآن، في مسألة يخالفنا فيها غيرنا، ويدّعي أنّ مذهبه المخالف لنا يدلّ عليه قرآن أيضاً، فإنّا نبيّن بالسنّة الصحيحة صحّة بياننا، وبطلان بيانه، فيكون استدلالنا بكتاب وسنّة، فإن استدلّ من خالفنا بسنة أيضاً مع القرآن الذي استدلّ به، فإنّنا نبيّن رجحان ما يظهر لنا أنّه الراجح، وكذلك إذا استدل مخالفنا بقرآن، ولم يقم دليل من سنة شاهداً لنا ولا له، فإنّا نبيّن وجه رجحان بياننا على بيانه [١].

٢ ـ تجنّبه التعصّب عند الترجيح بين الأقوال

يقول محمد الأمين: ونرجّح ما ظهر لنا أنّه الراجح بالدليل، من غير تعصّب لمذهب معيّن، ولا لقول قائل معيّن؛ لأنّا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله؛ لأنّ كلّ كلام فيه مقبول ومردود، إلّا كلامه ﷺ ومعلوم: أنّ الحقّ حقّ ولو كان قائله حقيراً؛ ألا ترى أنّ ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها، لمّا قالت كلاماً حقّاً، صدّقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحقّ الذي قالته، وذلك في قولها فيما ذكر الله عنها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

١ . أضواء البيان ١: ٣٧.

وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ (١)، فقد قال تعالى مصدّقاً لها في قولها : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وقد قال الشاعر:

لاتحقرنَّ الرأي وهو موافق حكم الصواب إذا أتىٰ من ناقص
فالدرّ وهو أعزّ شيءٍ يقتنىٰ ما حطّ قيمته هوانُ الغائص (٢)

مصادره في التفسير

وقد استفاد المؤلّف من مصادر شتّى لتفسير القرآن، منها:

أ ـ القرآن الكريم

آيات القرآن الكريم تعدّ المصدر الأصلي في أضواء البيان وفي كلّ منهج تفسير للقرآن بالقرآن، وهذا شيء لايحتاج إلى الإطالة هنا، بل تكفيه الإشارة، ويأتي في الفصل القادم تفصيل ذلك بقلم المؤلّف.

ب ـ السنّة النبويّة

إنّ تفسير أضواء البيان، وإن كان معروفاً بـ «إيضاح القرآن بالقرآن»، فإنّ هذا لا يعني: الإعراض عن الأحاديث النبويّة المفسّرة ، ولأجل ذلك جاء المؤلّف بالروايات التي ساقها لإيضاح الإبهام أو تفصيل المجمل، وهذا شيء لا ضير فيه، ولايخرج الشنقيطي عن منهجه الذي اختصّه لنفسه، وهو: (إيضاح القرآن بالقرآن)؛ لأنّ الحديث يدعم وجهة نظره، في أنّ هذه الآية مفسّرة لتلك، أو تخصّص عامّها أو تقيّد مطلقها.

---

١ . النمل: ٣٤.

٢ . أضواء البيان: ٣٠.

يقول الشنقيطي: ويتّضح لك من هذا: أنّ معنى قوله تـعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [١] يعني: أن يكون الإتيان في محلّ الحرث، على أيّ حالة شاء الرجل، سواء كـانت المرأة مستلقية أو باركة أو على جنب أو غير ذلك، ويؤيّد هذا ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر ﵁ قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جـاءَ الولد أحول، فنزلت ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [٢].

فظهر من هذا أنّ جابراً ﵁ يرى: أنّ معنى الآية: فأتوهن من القُبُل على أيّةِ حالةٍ شئتم، ولو كانت من ورائها، والمقرّر في علوم الحديث: أنّ تفسير الصحابي الذي له تعلّق بسبب النزول، له حكم الرفع، كما عقده صاحب طلعة الأنوار بقوله:

تفسير صـاحب له تـعلّق   بالسبب الرفع له محقّق [٣]

ج ـ اللّغة والشعر

تفسير أضواء البيان غنيّ بأبحاثه اللغوية واستشهاداته الشعرية؛ تبياناً وتوضيحاً لمعاني ودلالات الكلمات القرآنية، وكان المؤلّف متمكّناً من لسان العرب ومتضلعاً فيه ومقتدراً على فهم الكتاب الكريم.

فمثلاً حينما يريد أن يبيّن كلمة (خُسر) في آية ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [٤] يقول: الخسر: الغبن، وقيل: النقص، وقيل: العقوبة، والهلكة... والكلّ متقارب.

وأطلق الخسر ليعمّ شؤون الحياة، وجاء بـحرف الظـرفيّة ليشـعر أنّ الإنسـان مستغرق في الخسران، وهو محيط به من كلّ جهة، ولو نظرنا إلى أمرين: المستثنى والسورة التي قبلها، لاتّضح هذا العموم؛ لأنّ مفهوم المستثنى يشمل أربعة أمور:

---

١ . البقرة: ٢٢٣.

٢ . البقرة: ٢٢٣.

٣ . أضواء البيان ١: ١٠٦، ذيل الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

٤ . العصر: ٢.

١ ـ عدم الإيمان، وهو الكفر.

٢ ـ عدم العمل الصالح، وهو العمل الفاسد.

٣ ـ عدم التواصي بالحق، وهو انعدام التواصي كليّة أو التواصي بالباطل.

٤ ـ عدم التواصي بالصبر، وهو إمّا انعدام التواصي كليّة أو الهلع أو الجزع.

وبربط سورة العصر بسورة التكاثر الواقعة قبلها في المصحف «يظهر تلهّي الإنسان بالتكاثر في المال والولد؛ بغية الغنى والتكثر فيه، وضدّه ضياع المال والولد وهو الخسران... فعليه يكون الخسران في الدين من حيث الإيمان بسبب الكفر، وفي الإسلام وهو ترك العمل وإن كان يشمله الإيمان في الاصطلاح، والتلهّي بالباطل وترك الحقّ، وفي الهلع والفراغ [١].

د ـ أقوال الصحابة والتابعين والمفسّرين

لاتخلو صفحة من صفحات أضواء البيان من قول أو أقوال للمفسّرين المتقدّمين والمتأخّرين ، أو الصحابة والتابعين . فهو في ذيل الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [٢] يقول: فالمعنى: حسبك الله، أي: كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين، وبهذا قال الشعبي وابن زيد وغيرهما ، وصدّر به صاحب الكشاف ، واقتصر عليه ابن كثير وغيره، والآيات القرآنية تدلّ على تعيين الوجه الأخير وأنّ المعنى: كافيك الله [٣].

أقسام البيان في تفسير القرآن بالقرآن في الأضواء

أقسام البيان في تفسير القرآن بالقرآن، في تفسير أضواء البيان، كثيرة ولايمكن التعرّض لكلّها هنا، فلابدّ أن نختار جزءاً منها؛ لنعرف منهج الأضواء:

---

١ . راجع: أضواء البيان ٦: ١٣٨، ذيل الآية ٢ من سورة العصر.

٢ . الأنفال: ٦٤.

٣ . أضواء البيان ١: ٤٧٦، ذيل الآية ٦٤ من سورة الأنفال.

١ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك في الاسم

فمن أمثلة هذا القسم، قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1]؛ فإنّ العتيق يطلق بالاشتراك على القديم وعلى المعتَق من الجبابرة وعلى الكريم، ولكنّه تعالى قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾[2] فيدلّ على القديم فقط.

٢ ـ بيان الإجمال بسبب الاشتراك في فعل

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[3] فإنّ كلمة عسعس، مشترك بين إقبال الليل وإدباره، وقد جاءت آية تؤيّد أنّ معناه في الآية: أدبر، وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[4].

٣ ـ بيان الإجمال بسبب الاشتراك في حرف

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[5]، فإنّ الواو في قوله: وعلى سمعهم، وقوله: وعلى أبصارهم، محتملة للعطف على ما قبلها وللإستئناف، ولكنّه تعالى بيّن في سورة الجاثية أنّ قوله: وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم، وأنّ قوله: وعلى أبصارهم، جملة مستأنفة مبتدأ وخبر، فيكون الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على خصوص الأبصار، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾[6]

---

١. الحج: ٢٩.

٢. آل عمران: ٩٦.

٣. التكوير: ١٧.

٤. المدثر: ٣٣ و٣٤.

٥. البقرة: ٧.

٦. الجاثية: ٢٣.

٤ ـ بيان الإجمال بسبب الإبهام في اسم الجنس المجموع

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[١]، فقد أبهمها هنا، وذكرها في سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[٢].

٥ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾[٣]، فبيّنها في سورة أخرى فقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤]

٦ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب الإبهام في اسم الجمع

قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾[٥]؛ فإنّه أبهم فيه القوم، ولكنّه بيّن في سورة الشعراء أنّ المراد بأولئك القوم بنو إسرائيل؛ لقوله في القصة بعينها: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾.

٧ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب الإبهام في صلة الموصول

قال تعالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٦] فقد أبهم هنا هذا المتلوّ عليهم الذي هو صلة الموصول ، ولكنّه بيّنه بقوله : ﴿ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾[٧].

---

١. البقرة: ٣٧.

٢. الأعراف: ٢٣.

٣. الأعراف: ١٣٧.

٤. القصص: ٥ و٦.

٥. الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

٦. المائدة: ١.

٧. البقرة: ١٧٣.

٨ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب الابهام في معنى حرف

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾؛ فإنّ لفظة (من) فيه للتبعيض، ولكنّ هـذا البعض المدلول عليه بحرف التبعيض المأمور بإنفاقه مبهم هنا، وقد بيّنه تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [١] والعفو هو: الزائد على الحاجة الضروريّة.

٩ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسّر الضمير

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [٢]؛ فإنّ الضمير يحتمل أن يكون عائداً إلى الانسان، وأن يكون عائداً إلى ربّ الإنسان، ولكنّ النظم الكريم يدلّ على عوده إلى الإنسان؛بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [٣]،فإنّه للإنسان بلا نزاع.

١٠ ـ بيان الإجمال بواسطة سؤال وجواب

قال تعالى: ﴿أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤]؛ فإنّه لم يبيّن هنا ما المراد بالعالمين، ولكنّه وقع سؤال وجواب عنها في موضع آخر، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [٥].

١١ ـ بيان الإجمال بواسطة توضيح وقوع ما أجمل وقوعه أوّلاً

قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنْ بَـعْدِهِ﴾ [٦]؛ فإنّه لم يبيّن هنا كيفية الوعد بها، هل كانت مفرّقة؟ أو مجتمعة؟ ولكنّه بينها في سورة

١ . البقرة: ٢١٩.

٢ . العاديات: ٧.

٣ . العاديات: ٨.

٤ . الفاتحة: ٢.

٥ . الشعراء: ٢٣ و ٢٤.

٦ . البقرة: ٥١.

الأعراف بقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (١).

١٢ ـ بيان المطلوب ممّا أجمل طلبه أوّلاً

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ (٢)؛ فإنّه بيّن في الفرقان: أنّ مرادهم بالملك المقترح إنزاله: نذير آخر معه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ (٣).

١٣ ـ بيان الإجمال بواسطة ذكر السبب

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (٤)؛ فإنّه لم يبيّن هنا سبب قسوة قلوبهم، ولكنّه بيّنه بقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (٥).

١٤ ـ بيان الإجمال بواسطة ذكر المفعول

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَىٰ﴾ (٦)؛ فإنّه لم يذكر مفعول (يخشى)، ولكنّه بيّنه في سورة هود، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلآخِرَةِ﴾ (٧)؛ لأنّ الآيتين مرتبطتان بفرعون.

---

١ . الأعراف: ١٤٢.

٢ . الأنعام: ٨.

٣ . الفرقان: ٧.

٤ . البقرة: ٧٤.

٥ . المائدة: ١٣.

٦ . النازعات: ٢٦.

٧ . هود: ١٠٣.

١٥ ـ بيان الإجمال بواسطة ذكر ظرف المكان

قال تعالى : ﴿ أَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ [١] ثمّ بيّن في سورة الروم أنّ السماوات والأرض من الظروف المكانيّة لحمده ، فقال تعالى : ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٢].

١٦ ـ بيان الإجمال بواسطة ذكر ظرف الزمان

قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [٣] فإنّ الله تعالى بيّن في سورة النساء: أنّ شهادة الرسول واقعة يوم القيامة، وذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ شَهِيداً * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [٤][٥].

وهناك أقسام أخرىٰ من البيان، موجودة في الأضواء، تركناها رعاية للاختصار.

---

١ . الفاتحة: ٢.

٢ . الروم: ١٨.

٣ . البقرة: ١٤٣.

٤ . النساء: ٤٠ و٤١.

٥ . راجع: مقدّمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣١ ـ ٤٢.

الفصل الثاني
منهج التفسير الإشاري ونماذجه

تعريف التفسير الإشاري

بما أنّ هناك عبارات مختلفة في معنى التفسير الإشاري،فقبل أن نجمع بين الآراء ونذكر الرأي المختار، سنأتي بكلمات بعض العلماء في تعريف التفسير الإشاري:

الدكتور الذهبي: لم يعرّف التفسير الإشاري بشكل يشمل أقسام هذا النوع من التفسير، بل إنّه في بداية الأمر يقسّم التفسير الصوفي إلى القسمين النظري والعملي، ويعرّف الأول. على أنّه البحوث النظرية والفلسفية حسب المذهب الصوفي، أي: محاولة علمية لتطبيق الآيات على نظريّات الصوفيّة وآرائهم.

وأمّا في تعريف التفسير الصوفي العملي، فيقول الذهبي: التفسير الفيضي أو الإشاري، هو: تأويل آيات القرآن الكريم علىٰ خلاف ما يظهر منها، بمقتضىٰ إشارات خفيّة تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة (إلى أن قال:) وعلىٰ هذا فالفرق بين التفسير الصوفي الفيضي الإشاري وبين التفسير الصوفي النظري من وجهين وهما:

أوّلاً: أنّ التفسير الصوفي النظري يبتني علىٰ مقدّمات علميّة تنقدح في ذهن

الصوفي أوّلاً، ثمّ يُنزّل القرآن عليها بعد ذلك.

أمّا التفسير الإشاري، فلا يرتكز علىٰ مقدّمات علميّة، بل يرتكز علىٰ رياضة روحيّة يأخذ بها الصوفي نفسه، حتّىٰ يصل إلىٰ درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسيّة، وتنهال علىٰ قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانيّة.

ثانياً: أنّ التفسير الصوفي النظري، يرىٰ صاحبه: أنّ ما وصل إليه هو كلّ ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنىً آخر يمكن أن تحمل الآية عليه، وهذا بحسب طاقته طبعاً.

أمّا التفسير الإشاري، فلا يرىٰ الصوفي أنّ تفسيره هو كلّ ما يراد من الآية، بل يرىٰ: أنّ هناك معنىً آخر تحتمله الآية ويراد منها أوّلاً وقبل كلّ شيء وذلك هو: المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره [١].

فبناءً على ما ذكره الذهبي: التفسير الإشاري يبتني على ما يشرق في قلب الصوفي من معاني الآيات بحسب مقامه وحاله، فلأجل ذلك لايدّعي أنّ ما أشرق على قلبه هو تمام التفسير.

الشيخ خالد العك: بعد نقل تعريف الذهبي للتفسير الإشاري يقول: والإشارة قسمان: إشارة حسيّة وإشارة ذهنيّة، أمّا الإشارة الحسيّة: فهي ما تكون في معاني أسماء الإشارة... وأمّا الإشارة الذهنيّة فهي ما يتضمّنها الكلام في معانيه الكثيرة، بحيث لو عبّر عنها لاحتاجت لألفاظ كثيرة، والتفسير الإشاري من هذا القبيل، كما تقدّم تعريفه وإيضاحه، وهو ينقسم إلىٰ فرعين:

الأوّل: الإشارات الخفيّة التي يدركها أهل التقوىٰ والصلاح والعلم عند تلاوة القرآن الكريم، فتكون مواجيد لها معانٍ...

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢: ٣٥٢.

الثاني: الإشارات الجليّة التي تتضمنها الآيات الكونيّة في القرآن الكريم، والتي تشير إشارات واضحة إلىٰ كثير من العلوم الحديثة الاكتشاف، وفي هذا إعجاز للقرآن الكريم في هذا العصر، عصر العلم [١].

ففي رأي خالد العك، تنقسم الإشارات المتعلّقة بالآيات قسمين:

١ ـ الإشارات التي يفهمها أهل التقوى والعرفان.

٢ ـ الإشارات التي يفهمها أهل الدقّة في العلوم الدنيويّة.

فالتفسير الإشاري الجامع بين هاتين الإشارتين، هو: تأويل الآيات بالإشارات الخفيّة التي لاتستفاد من ظواهر الآيات.

الأُستاذ محمد هادي معرفة: قال: هناك لأهل العرفان الباطني تفاسير وضعت علىٰ أساس تأويل الظواهر، والأخذ ببواطن التعابير دون دلالاتها الظاهرة، اعتماداً علىٰ دلالة الرمز والإشارة فيما اصطلحوا عليه، مستفادة من عرض الكلام وجانبه، وليس من صريح اللفظ وصلبه، فقد وضعوا لظواهر التعبير بواطن حملوها حملاً على القرآن الكريم ؛ استناداً إلىٰ مجرد الذوق العرفاني الخاص وراء الفهم المتعارف العام ، وهي نزعة صوفيّة قديمة دخيلة على الإسلام، بعد أن ترجمت الفلسفة اليونانية في القرنين الثاني والثالث، وتفشّت في أوساط عاميّة كانت بعيدة عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام [٢].

يمكن تعريف التفسير الإشاري بأ نّه: «تفسير للقرآن الكريم يقصد به فهم باطن الآيات وأسرارها، أمّا عن طريق طهارة القلب وشهود الحقّ، حسب الادّعاء، أو الرياضات الفكرية المتناسبة مع المذهب الصوفي». فهذا التعريف:

---

١ . أُصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد العك: ٢٠٦.

٢ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٥٢٧ و٥٢٨.

أوّلاً: يشمل نوعي التفسير الإشاري: المذموم والممدوح، الموافق للظاهر والمخالف.

وثانياً: يخرج عن التعريف، التفسير الإشاري العلمي، وإن أدرجه بعض في التفسير الإشاري، ولكن عبائر القوم تأبى الاندراج.

وثالثاً: يحدّد التفسير الإشاري في دائرة العرفان والشهود الحاصلين بسبب طهارة القلوب، ولو على حسب الادّعاء.

ورابعاً: يشمل التفاسير العرفانيّة الموجودة، سواء اعترف قائلوها بالظاهر، أم لم يعترفوا به أصلاً، وسواء كان مؤلّفوها في الواقع من العارفين بالله أم لم يكونوا كذلك.

وخامساً: يشمل التفسير الفيضي الإشاري والنظري.

ويشير إلىٰ صحّة هذا التعريف ما نقل عن ابن عربي في مقدّمة التفسير المنسوب إليه، إذ يصف تفسير العرفاء بأنّه: ورد ذلك كلّه إلىٰ نفوسهم، مع تقريرهم إيّاه في العموم وفيما نزل فيه، كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل الكتاب بلسانهم، فعمّ به سبحانه عندهم الوجهين، فيسمّون ما يرونه في نفوسهم إشارة [(١)].

كما أشار حاجي خليفة إلى هذا التعريف في كشف الظنون؛ فإنّه ينقل عن ابن عطاء في (لطائف المنن) ما نصّه: إعلم أنّ تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكنّ ظاهر الآية مفهوم منه ما جُلبت الآية له ودلّت عليه في عرف اللسان، وثمّ أفهام باطنة، تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «**لكلّ آية ظهر وبطن**». فلايصدّنّك عن تلقّي هذه المعاني منهم، أن يقول لك ذو جدل: هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله [(٢)].

---

١. رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، لابن عربي ١: ١٥.

٢. كشف الظنون ١: ٤٣٢.

فما ذكره الأستاذ معرفة، لايعدّ قسماً صحيحاً من التفسير الإشاري، بينما ما ذكره حاجي خليفة، يعدّ قسماً صحيحاً من التفسير الإشاري.

بعض مباني التفسير الإشاري

للتفسير الإشاري مثل أيّ منهج تفسيري آخر مبانٍ خاصّة، نذكر منها:

١ ـ إمكان حصول العلم اللدني للبشر

في ضوء تعريف التفسير الإشاري، نعرف أنّ من ينكر العلم اللدني للبشر لايمكن أن يعترف بالتفسير الإشاري؛ لأنّ قوام هذا النوع من التفسير يكون بإمكان حصول العلم الشهودي أو اللدني الحاصل بواسطة الرياضات والأعمال الصالحة.

يقول صدر المتألّهين الشيرازي: وأمّا التعليم الربّاني من غير واسطة فقد يحصل من وراء هذه العلوم، وهي علوم أخروية، علم بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة المعرضون عن الدنيا والزاهدون فيها، وحرّمها الله علىٰ علماء الدنيا الراغبون فيها، وهي علوم كشفيّة لايكاد النظر يصل إليها إلّا بذوق ووجدان، كالعلم بكيفية حلاوة السكّر، لايحصل بالوصف، فمن ذاقه عرفه، وذلك علىٰ وجهين:

الوجه الأول: إلقاء الوحي...

الوجه الثاني: وهو الإلهام، وهو استفاضة النفس ـ بحسب صفائهاواستعدادها ـ عمّا في اللوح، والإلهام أثر الوحي، والفرق بينهما: أنّ الوحي أصرح وأقوىٰ من الإلهام، والأول يسمّى علماً نبويّاً والثاني لدنيّاً [١].

ويقول أيضاً: اعلم أنّ الإنسان الكامل لكونه خليفة الله، مخلوقاً علىٰ صورته، وهو علىٰ بيّنة من ربّه، يوجد فيه هذه الأقسام الثلاثة من الكلام؛ وذلك لكمال نشأته

---

١. مفاتيح الغيب: ١٤٥.

الجامعة لما في الأمر والخلق والتحريك، ففيه الإبداع والإنشاء والتكوين، فأعلىٰ ضروب الكلام له هو مكالمته مع الله تعالى ومخاطبة الروحانية عن تلقي المعارف الإلهية، واستفادته العلم والحكمة من لدن عليم حكيم، فتكليم الله إيّاه هو: إفاضته الحقائق وإلقاء المعارف عليه، ومقارعته بها سمعه القلبي، وتكلّمه مع الله هو: استدعاؤه الذاتي بلسان الاستفاضة إيّاها عنه، واستماعه مقارعة الكلام العقلي بسمعه القلبي[1].

٢ ـ توسعة المعاني والمصاديق إلى المفاهيم العرفانيّة

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾ يقول القشيري: الرزق ما تمكّن الإنسان من الانتفاع به، وعلىٰ لسان التفسير، أنّهم ينفقون أموالهم إمّا نفلاً وإمّا فرضاً علىٰ موجب تفضيل العلم.

وبيان الإشارة: أنّهم لا يدّخرون عن الله سبحانه وتعالىٰ شيئاً من ميسورهم، فينفقون نفوسهم في آداب العبوديّة، وينفقون قلوبهم علىٰ دوام مشاهدة الربوبيّة، فإنفاق أصحاب الشريعة من حيث الأموال، وإنفاق أرباب الحقيقة من حيث الأحوال، فهؤلاء يكتفىٰ منهم عشرين بنصف ومن المأتين بخمس، وعلىٰ هذا السَّنَن جميع الأموال يعتبر فيه النصاب، وأمّا أهل الحقائق، فلو جعلوا من جميع أحوالهم ـ لأنفسهم ولحظوظهم ـ لحظة، قامت عليهم القيامة[2].

فنرى في هذا النوع من التفسير، ذكر التفسير الظاهري، وهو إنفاق الأموال، كما نرىٰ توسعة المعنى الظاهري إلى المصاديق والمفاهيم العرفانية الأخرىٰ، وهذه التوسعة والتعميم لا إشكال فيه إذا انسجم مع الظاهر، أو وجد عليه شاهد.

---

١ . المصدر السابق: ١٩.

٢ . لطائف الإشارات، للقشيري ١: ٥٧، ذيل الآية ٣ من سورة البقرة.

٣ ـ العناية بالمعنى الإشاري أكثر من المعنى الظاهري

في التفاسير الإشارية نجد الآيات محمولة على المعاني الإشارية دون ذكر للمعنى الظاهري حسب العرف المتعارف.

فنجد السلمي كغيره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ يقول: قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحائب القربة، وفتح إلىٰ قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة، فأنبتت، فاخضرت بزينة المعرفة، وأثمرت الإيمان، وأينعت التوحيد، وأضاءت بالمحبّة، فهامت إلىٰ سيّدها واشتاقت إلىٰ ربّها، فطارت بهمّتها وأناخت بين يديها، وعكفت، فأقبلت عليه وانقطعت عن الأكوان أجمع، ذاك آواها الحق إليه وفتح لها خزائن أنواره [١].

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم﴾ يقول: قال محمد بن الفضل: أقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أي: أخرجوا حبّ الدنيا من قلوبكم [٢].

فلا نرىٰ في تفسير الآيات المذكورة ذكراً للتفسير الظاهري، وهذا النوع من التفسير إذا كان علىٰ صرف الظاهر إلى المعنى الإشاري مع الشاهد والبرهان، لا مانع منه، وله نظير في الأحاديث المرويّة عن أهل بيت الرسول ﷺ.

يقول إبراهيم بن عبّاس الصوفي الكاتب: كنّا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: «**ليس في الدنيا نعيم حقيقي**»، فقال له بعض الفقهاء ممّن يحضره: فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، أما هذا النعيم في الدنيا، وهو الماء البارد؟ فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: «**كذا فسّرتموه أنتم، وجعلتموه علىٰ**

---

١. حقائق التفسير للسلمي ٢: ٢١٢، ذيل الآية ٦٣ من سورة الحجّ.

٢. المصدر السابق: ٤٩، ذيل تفسير الآية ٦٦ من سورة النساء.

ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبدالله عليه السلام أنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فغضب وقال: إنّ الله لايسأل عباده عمّا تفضل عليهم به، ولايمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لايرضى المخلوقون به؟! ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة؛ لأنّ العبد إذا وفىٰ بذلك، أدّاه إلىٰ نعيم الجنّة الذى كان لايزول»[١].

٤ ـ عدم كفاية التفسير الظاهري

التفسير الإشاري مبنيّ على أسرار الآيات وبيان البطن منها، وأنّ التفسير الظاهري لايكفي لفهم المراد، ففي ذيل الآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[٢]. يقول صدر المتألّهين الشيرازي: كلّ من اكتفى بظاهر العربية وبادر إلىٰ تفسير القرآن بمجرد نقل الكتب وحمل الأسفار، من دون الارتقاء إلىٰ عالم الأنوار وفقه الأسرار، ونقاء السريرة عن أغراض هذه الدار، وخلاص القلب عن غشاوة هذه الآثار، فهو حريّ بهذا التمثيل، فإنّ الاطلاع علىٰ ظاهر العربية، وحفظ النقل عن أئمّة التفسير في ترجمة الألفاظ، لايكفي في فهم حقائق المعاني، ومن أراد أن ينكشف له أنّ هذه المرتبة ليست من مرتبة إدراك المعاني القرآنية، والإطّلاع علىٰ حقائقها، فليتأمّل في مسألة واحدة منها وعجز المفسّرين عن دركها، ليقيس علىٰ غيرها، وهي: أنّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾، وظاهر تفسيره واضح جليّ، وحقيقة معناه في غاية

---

١. تفسير نور الثقلين ٥: ٦٦٤، ذيل الآية ٨ من سورة التكاثر.

٢. الجمعة: ٥.

الغموض، فإنّه إثبات للرمي ونفي له، وهما متضادّان في الظاهر، ما لم يفهم أنّه رمى من وجه ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله تعالىٰ، ثمّ يفهم أنّه ما جهة الوحدة والهوهوية، وما جهة الغيريّة والكثرة، وكذلك قال تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ فإذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله هو المعذّب، وإن كان الله هو المعذّب بتحريكهم، فما معنىٰ أمرهم بالقتال؟

فالتحقيق في مثل هذا المقام يحتاج إلى العلوم المتعالية عن علوم المعاملات، ولايغني عنه علوم العربية وتفسير الألفاظ، ولعلّ العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنىٰ، وما يرتبط بمقدّماته ولواحقه، لانقطع العمر قبل الوصول إلى الإحاطة بجميع لواحقه، والقرآن مشحون بأمثاله، بل ما من كلمة من القرآن إلّا وتحقيقها محوج إلىٰ مثل ذلك، وإنّما ينكشف للعلماء الراسخين في العلم من أسراره وأنواره، بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم [1].

٥ ـ تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين في بطونهما

يقول الإمام الخميني: إعلم أنّه كما أنَّ للكتاب التدويني الإلهي بطوناً سبعة باعتبار، وسبعين بطناً بوجه، لايعلمها إلّا الله والراسخون في العلم، ولايمسّه إلّا المطهَّرون من الأحداث المعنوية والأخلاق الرذيلة السيّئة، والمتحلّون بالفضائل العلميّة، وكلّ من كان تنزّهه وتقدّسه أكثر، كان تجلّي القرآن له أكثر وحظّه من حقائقه أوفر، كذلك الكتب التكوينيّة الإلهيّة الأنفسيّة والآفاقيّة حذواً بالحذو ونعلاً بالنعل؛ فإنّ لها بطوناً سبعة أو سبعين لايعلم تأويلها وتفسيرها إلّا المنزّهون عن أرجاس عالم الطبع وأحداثها، ولايمسّها إلّا المطهرون؛ فإنّها أيضاً نازلة من الربّ

١ . تفسير القرآن الكريم ٧: ١٩٢ و١٩٣، ذيل الآية ٥ من سورة الجمعة.

الرحيم، فجاهد أيّها المسكين في سبيل ربّك، وطهّر قلبك، واخرج من حيطة الشيطان، وارقَ واقرأ كتاب ربّك، رتّله ترتيلاً، ولا تقف عند قشره [١].

تقسيم التفسير الإشاري

حين تتبع كلمات أصحاب التفسير الإشاري وكتبهم، يمكن أن نأتي بتقسيمات ثلاثة للتفسير الإشاري:

أ ـ تقسيم التفسير الإشاري بحسب حالات أصحابه

ويمكن أن نقسّمه إلى نوعين:

(١) التفسير الإشاري النظري

العرفان النظري الحاصل من الرياضات الفكريّة المنظّمة عادة، الذي له نظام خاصّ حول المبدأ والمعاد والأنفس والآفاق، إذا استخدم في تفسير الآيات، نعدّ هذا التفسير، تفسيراً إشاريّاً نظريّاً، ومثاله: التفسير المنسوب إلىٰ ابن عربي؛ فإنّه ألّف تفسيره علىٰ أُصول العرفان النظري، خصوصاً علىٰ مسألة وحدة الوجود.

(٢) التفسير الإشاري الشهودي أو الفيضي

تارة لايكون لدى المفسّر نظام فكريّ نظري عرفاني، بل المفسّر يعدّ من أصحاب الرياضات القلبية والمكاشفات الشهوديّة، فحينما ينظر إلى الآيات ويدقق فيها، في حالة الوجد والجذب، خصوصاً في الحالة المناميّة التي تكون بين اليقظة والنوم، يفهم من الآيات معنىً خاصّاً، فيفسّر تلك الآيات علىٰ حسب تلك المعطيات، فيسمّون تفسيرها تفسيراً فيضيّاً أو شهوديّاً.

---

١. شرح دعاء السحر: ٥٩.

وتفاسير الصوفية التي ليس لها مبانٍ نظرية، وادعوا لها الكشف والإلهام، تعدّ من هذا النوع. سواء أكان يوافق الظاهر أم يخالفه.

ب ـ تقسيم التفسير الإشاري بحسب نسبته للظاهر

التفسير الإشاري بحسب توافقه مع الظاهر أو عدمه ينقسم إلى الأنواع التالية:

١ ـ **التفسير الإشاري الموافق لظاهر الآيات**، سواء كان ذلك التفسير ممكن الوصول من الظاهر، أو لايظهر ابتداءً للآخرين.

٢ ـ **التفسير الإشاري الذي لايوافق ظاهر الآيات ولايخالفه**، فيحتمل أن يندرج تحت الآية، أو يكون خارجاً عن مفهومها.

٣ ـ **التفسير الإشاري المخالف لظاهر الآية بالتضادّ أو التناقض.**

ولكلّ هذه الأقسام الثلاثة إمّا يذكر شاهداً من الكتاب أو السنّة، أو يذكر الكشف الباطن، أو لايذكر أيّ شاهد علىٰ تفسيره الإشاري الخاص، فظهر بهذا البيان أنّ أقسام التفسير الإشاري بحسب نسبته إلى الظاهر تسعة كالتالي:

أقسام التفسير الإشاري باعتبار نسبته إلى الظاهر

١ ـ موافق للظاهر: أ) عليه شاهد من الكتاب أو السنّة، ب) مع ادّعاء الكشف، ج) لايذكر عليه شاهد.

٢ ـ لا موافق ولا مخالف للظاهر: أ) عليه شاهد من الكتاب أو السنّة، ب) مع ادّعاء الكشف، ج) لايذكر عليه شاهد.

٣ ـ مخالف للظاهر: أ) عليه شاهد من الكتاب أو السنّة، ب) مع ادّعاء الكشف، ج) لايذكر عليه شاهد.

وفي ما يلي نذكر نماذج لكلّ هذه الأقسام التسعة، ونذكر أيضاً حكمها، طبقاً لشروط قبول التفسير الإشاري:

القسم الأول: ما يوافق الظاهر وعليه شاهد من الكتاب أو السنّة

يقول العارف الفيلسوف صدر المتألّهين، محمّد بن إبراهيم الشيرازي: واليوم في قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم البرزخ، وهو: القيامة الوسطى، إذ فيه تختبر سرائر النفس؛ لأنّه يوم علنت الضمائر النفسيّة وخفيت الظواهر الجسميّة، وفيه يحشر الناس علىٰ صور نيّاتهم ـ كما ورد في الحديث ـ وورد أيضاً: يحشر بعض الناس علىٰ صورة تحسن عندها القردة والخنازير [١].

ولاشكّ في اعتبار هذا النوع من التفسير، بل هو من أفضل طرق التفسير العرفاني وأصحّها، ولا يمكن منعه، فهو ممّا اتفق عليه جميع الآراء من أهل الفرق والمذاهب.

القسم الثاني: ما يوافق الظاهر وعليه ادّعاء الكشف

يقول صدر الدين الشيرازي في تفسير (فضل الله): ما يتراءىٰ من مواضع استعمالات هذا اللفظ في القرآن وغيره مع ضرب من إلهام الله تعالى وتأييده، هو: أنّ الفضل عبارة عمّا به يتفضّل الإنسان علىٰ جميع ما في هذا العالم من الجواهر والأعراض، ويستحقّ بذلك مسجوديّة الملائكة والجانّ، وهو عبارة عن الإيمان بالله والعلم بحقائق الأشياء كما هي.

والتجرّد عن العالم الحسّي، وهو إنّما حصل عياناً للنبيّ ﷺ بالأصالة، ولأولياء الله من أهل بيت نبوّته وولايته تبعاً، وحصل علماً برهانيّاً لحكماء أمّته، وسماعاً تقليديّاً لعوامّ أهل الإيمان، كلّ ذلك بواسطة إشراق نور النبوّة علىٰ أراضي قابليّة قلوبهم، إلّا أنّ في الأوّل وقوع النار، وفي الثاني عكسه، وفي الثالث ظلّه [٢].

فهو يفسّر (فضل الله) في الآية الرابعة من سورة الجمعة، بـ (الإيمان بالله والعلم

---

١. تفسير القرآن الكريم ٧: ٣٤٤.

٢. المصدر السابق: ١٧٦، ذيل الآية ٤ من سورة الجمعة.

بحقائق الأشياء)، بواسطة الإلهام الربّاني والتأييد الإلهي.

وهذا القسم مقبول وممدوح؛ لأنّه موافق للظاهر، سواء اعترفنا بالكشف والإلهام، أم لم نعترف به، ولكن على كلّ حال، فإنّ حصول هذا الكشف للإنسان، أو ادّعاءه ممّن يعدّ أهلاً له، يؤيّد ظاهر الآية ويقوّيه.

القسم الثالث: ما يوافق الظاهر من دون ذكر الشاهد

يقول ابن عربي في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾: سواء كان قتلهم بالجهاد الأصغر، وبذلّ النفس طلباً لرضا الله، أو بالجهاد الأكبر، وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة ﴿أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ بالحياة الحقيقية، مجرّدين عن دنس الطبائع، مقرّبين في حضرة القدس، ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الأرزاق المعنوية، أيّ المعارف والحقائق واستشراق الأنوار، ويرزقون في الجنّة الصوريّة، كما يرزق ساير الأحياء، فإنّ للجنّة مراتب، بعضها معنويّة وبعضها صوريّة، ولكلّ من المعنوية والصورية درجات على حسب الأعمال [١].

وهذا القسم أيضاً مقبول؛ لأنّه موافق للظاهر. فالظاهر أقوى دليل على التفسير، فظاهر الرزق، وهو العموم، يشمل كلاً من الأرزاق المعنوية والصورية.

القسم الرابع: لايوافق الظاهر ولايخالفه وعليه شاهد

في ذيل الآية: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يقول ابن عربي: لأنّ التكبّر من صفات النفس، فهم في مقام النفس محجوبون عن آيات الصفات التي تكون في مقام القلب، دون المتكبّرين بالحقّ، الذين اتّصفوا بصفة الكبرياء في مقام المحو والفناء، فقام كبرياؤه تعالى مقام تكبّرهم، كما قال

---

١. تفسير ابن عربي ١: ١٣٠، ذيل الآية ١٦٩ من سورة آل عمران.

جعفر الصادق عليه السلام في جواب من قال له: فيك كلّ فضيلة إلّا أنت متكبّر! فقال: «**لست بمتكبّر، ولكنّ كبرياء الله تعالىٰ قام منّي مقام التكبّر**»[١].

وحكم هذا القسم من التفسير يتعلّق بقوّة الشاهد وضعفه، فإذا كان الشاهد قويّاً ومعتبراً، يمكن الاتّكال عليه، وإلّا فلا.

القسم الخامس: لايوافق الظاهر ولايخالفه مع ادّعاء الكشف

ذيل الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...﴾ يتكلّم صدرالدين الشيرازي على ماهيّة الإنسان الكامل، ويفصّل الكلام حتّىٰ يصل إلىٰ مبحث العقل الفعّال، ويذكر عنوان (دقيقة إلهامية)، ويقول: هاهنا دقيقة أخرىٰ لايقدر جماهير الفضلاء أن يدركوها، فضلاً عن غيرهم من أسراء الوهم والخيال، وهي: أنّ العقل الفعّال، مع أنّه فاعل متقدّم علىٰ غيره من الممكنات، فهو بعينه ثمرة حاصلة من وجوداتها المترتّبة في الاستكمال والارتقاء إلى الكمال، وهذا من أعجب العجائب، مع أنّه حق لامرية فيه، لهذا الفقير المنكسر البال، المشوّش الحال[٢].

ولايمكن إصدار حكم على هذا القسم، إلّا أن تحصل لنا تلك التجربة الإلهاميّة اليقينيّة، وإن لم تحصل لنا، فالسكوت أولىٰ، نعم إذا كان الإلهام مخالفاً للبرهان اليقيني والنقل القطعي، لانقبله ويجب ردّه.

القسم السادس: لايوافق الظاهر ولايخالفه وليس عليه شاهد

يقول ابن عربي في تفسير الآية ٢٢ و٢٣ من المعارج (إلّا المصلّين)، أي: الإنسان بمقتضى خلقته وطبيعة نفسه معدن الرذائل، إلّا الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده،

---

١. تفسير ابن عربي ٢: ٢٤١، ذيل الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

٢. تفسير القرآن الكريم ٤: ٣٩٣، ذيل الآية ٣١ و٣٢ من سورة البقرة.

وتجرّدوا عن ملابس النفس، وتنزّهوا عن صفاتها، من الواصلين الذين هم أهل الشهود الذاتي، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، فإنّ المشاهدة صلاة الروح، غابوا في دوام مشاهدتهم، عن النفس وصفاتها، وعن كلّ ما سوى مشهودهم [١].

ويعدّ من هذا القسم تفسير الحروف المقطّعة بأيدي الصوفية، بأمور لا دليل عليها ولا شاهد لها [٢].

وحكم هذا القسم معلوم، فالتفسير غير الحاصل من الظاهر لايقبل إلّا بدليل، وإذا كان التفسير لاينبع من الظاهر ولايوجد عليه شاهد، فلايمكن نسبته إلى الله تعالى.

القسم السابع: ما يخالف الظاهر وعليه دليل من الكتاب والسنّة

يقول ابن عربي عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [٣] يقول: لا بالعدد والمقارنة، بل بامتيازهم عنه بتعيّناتهم، واحتجابهم عنه بماهيّاتهم وإنيّاتهم، وافتراقهم منه بالإمكان اللازم لماهيّاتهم وهويّاتهم، وتحققهم بوجوبه اللازم لذاته ، واتصاله بهم بهويّته المندرجة في هويّاتهم ، وظهوره في مظاهرهم، وتستره بماهياتهم ووجوداتهم المشخّصة، وإقامتها بعين وجوده، وإيجابهم بوجوبه، فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم، ولو اعتبرت الحقيقة، لكان عينهم، ولهذا قيل: لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«العلم نقطة كثّرها الجاهلون»** [٤].

ويظهر اعتبار هذا القسم من التفسير من اعتبار الشاهد المذكور في الكلام، فإنّ

---

١. تفسير ابن عربي ٢: ٣٧٠، ذيل الآية ٢٢ و٢٣ من سورة المعارج.

٢. راجع: تفسير القرآن العظيم، للتستري: ٩ ـ ١٢، ذيل الآية ١ من سورة البقرة.

٣. المجادلة: ٧.

٤. تفسير ابن عربي ٢: ٣٢٤، ذيل الآية ٧ من سورة المجادلة.

الكتاب والسنّة بمقدورهما صرف الآيات عن الظاهر، ولكن بشروط موجودة في كتب الأُصول والتفسير، ومن تلك الشروط: عدم التباين والتضاد.

القسم الثامن: ما يخالف الظاهر وعليه ادّعاء الكشف

جاء في تفسير (عرائس البيان في حقائق القرآن)، ذيل الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾: وصف الله زمرة أهل المراقبات، ومجالس المحاضرات، والهائمين في المشاهدات، والمستغرقين في بحار الأزليّات، الذين أنحلوا جسومهم بالمجاهدات، وأمرضوا نفوسهم بالرياضات، وأذابوا قلوبهم بدوام الذكر وجولانها في الفكر، وخرجوا بعقائدهم الصافية عن الدنيا الفانية بمشاهدته الباقية [١].

فهذا التفسير يخالف ظاهر الآية؛ لأنّ المتبادر من الضعفاء في الآية، ليس أصحاب المراقبة والشهود، ومؤلّف التفسير، وهو: أبو محمّد الشيرازي، ادعىٰ أنّ ما قاله في تفسيره سوانح سنحت له من حقائق القرآن، وإشارات تجلّت له من جانب الرحمن [٢].

وهذا النوع من التفسير ليس مقبولاً لدى الآخرين؛ لأنّ ادعاء الكشف من جانب أحدٍ لايكون حجة للتفسير عند من لايجد ذلك الكشف.

القسم التاسع: ما يخالف الظاهر ولايوجد عليه شاهد

في ذيل الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾ يقول ابن عربي في فتوحاته: يا محمّد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ستروا محبّتهم فيّ عنهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بوعيدك الذي أرسلتك به ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بكلامك؛ فإنّهم لايعقلون غيري، وأنت

١. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢: ٣٩١، نقلاً عن تفسير عرائس البيان ١: ٣٢٩.
٢. المصدر السابق ٢: ٣٩١، نقلاً عن عرائس البيان ١: ٣.

تنذرهم بخلقي، وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك، وقد ختمت علىٰ قلوبهم، فلم أجعل فيها متسعاً لغيري، وعلىٰ سمعهم، فلايسمعون كلاماً في العالم إلّا منّي، وعلىٰ أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي، فلايبصرون سواي، ولهم عذاب عظيم عندي، أردّهم بعد هذا المشهد السّني إلىٰ إنذارك، وأحجبهم عنّي، كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً، أنزلتك إلىٰ من يكذّبك، ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، وتسمع فيّ ما يضيق به صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك، فهكذا أمنائي علىٰ خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبداً (١) (٢).

وهذا القسم من التفسير مرفوض وممنوع، مباين لصريح القرآن تماماً، وهو يردّ رأساً؛ لأنّه من أوضح المصاديق المخالفة للقرآن، فيجب طرحه ورميه على الجدار، فشخصيّة مثل ابن عربي، ولو كانت كبيرة، إلّا أنّ الحقّ والباطل لايعرفان بأقدار الرجال. وإذا كان مصدر هذا النوع من التفسير الكشف والإلهام، فإنّه غير معتبر أيضاً في المقام، فالكشف المخالف لدليل قطعي، غير معتبر في التفسير، بل لايمكن تسميته بالتفسير.

ج ـ تقسيم التفسير الإشاري بحسب الكتب التفسيرية الإشارية

يمكن تقسيم كتب التفسير الإشارية بالنظر إلى العناية بالظواهر إلى مايلي:

١ ـ لايذكر الظاهر من الكتاب، ولكنّ المؤلّف يعتقد بالظاهر، فهو اعتماداً علىٰ ما هو موجود في التفاسير لا يذكر الظاهر.

---

١. الفتوحات المكّية ١: ١١٥.

٢. هذا النوع من التفسير باطل بإجماع المسلمين، ومن ثَمّ نشكّ في نسبته إلى ابن العربي، فكيف صدر عنه هذا النوع، مع أنّ في تفسير ابن عربي وفي تفسير رحمة من الرحمان، عند تفسير الآية ٦ من سورة البقرة لانجده، بل فسّر هذه الآية في الكتابين طبقاً لقاعدة القوم، وحفظاً للظاهر والباطن معاً.

والتفسير المنسوب لابن عربي، يعدّ من هذا القسم؛ فإنّه في مقدّمة تفسيره يقول: فرأيت أن أعلّق ببعض ما يسنح لي في الأوقات، من أسرار حقائق البطون، وأنوار شوارق المطّلعات، دون ما يتعلّق بالظواهر والحدود. فإنّه قد عيّن لها حدّ محدود، وقيل: من فسّر برأيه فقد كفر، وأمّا التأويل فلايبقي ولايذر، فإنّه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته، في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته. وكلّما ترقّىٰ عن مقامه، انفتح له باب فهم جديد، واطلع به علىٰ لطيف معنى عتيد [١].

٢ ـ يفسّر الظاهر علىٰ حسب قواعد الظهور أوّلاً، ويأتي بما يناسب الآيات المذكورة من الإشارات اللطيفة، والبطون العميقة، التي تحصل لأرباب السّلوك، وهذا مثل تفسير القرآن العظيم، لصدر المتألّهين الشيرازي، فإنّه يقول: وذكرت فيها بعض التفاسير المذكورة في معانيها، ولخّصت كلام المفسّرين الناظرين في مبانيها، ثمّ أتبعتها بزوائد لطيفة يقتضيها الحال والمقام، وأردفتها بفوائد شريفة يفضيها المفضل المنعام [٢].

ويقول أيضاً: ومورداً في كلّ باب ـ قبل الإشارة إلىٰ ما هو صريح الحقّ والصواب، وقرّة عيون أولي البصائر والألباب ـ طائفة من كلمات القوم وتأليفاتهم وفوائدهم وتدقيقاتهم في الكتاب، ملخّصاً لثمرات كلامهم [٣].

٣ ـ يذكر الظاهر والإشارات العرفانيّة مختلطين، دون أن يفرّق بين تفسير الظاهر والباطن، وذلك مثل تفسير (روح البيان) للشيخ إسماعيل حقّي البروسوي، من أهل السنّة، وتفسير (بيان السعادة في مقامات العبادة)، لسلطان محمّد الجنابذي، من الإماميّة. يقول الجنابذي في مقدّمة تفسيره في الفصل السابع: تفسير الآيات والأخبار

---

١. تفسير ابن عربي ١: ٦.

٢. تفسير القرآن العظيم ١: ١٢٢.

٣. المصدر السابق: ١٢٢.

عبارة عن إبانة مفاهيم ألفاظها، وكشف الغطاء عن مقاصدها، والإشارة إلىٰ إشاراتها، والإيماء إلىٰ لطائفها التي اتّصف المفسّر بها، والتنبيه علىٰ حقائقها، والتصريح بتنزيلها، والتلويح إلىٰ تأويلها... وإن مَن لم يعرف الإشارات، ولم يجد اللطائف في وجوده، كان تفسيره ناقصاً. بل تفسيراً بالرأي الذي كان تمامه خطأ، وهكذا الحال في معرفة التأويل [١].

ويُذكر أنّه هناك نوع آخر من النظر إلى القرآن، وهو ترك الظاهر كلّاً والرجوع إلىٰ تأويل الآيات طرّاً، وهذا معروف بالتفسير الباطني، فالباطنيّة حسبما ينسب إليهم، يتركون الظواهر ويميلون إلىٰ الباطن، ولكن لايتمسّكون بالباطن المشهود، فإنّهم كثيراً ما ينسبون إلى القرآن الكريم أشياء، ليس لها أيّ دليل، بل لاتدخل تحت عنوان التفسير الشهودي الفيضي، فهذا النوع في الحقيقة ليس تفسيراً لكلام الله العظيم، فإنّ رفع اليد عن الظاهر في تفسير الآيات والرجوع إلىٰ التأويل والباطن من غير دليل وشاهد، يعدّ بمنزلة ترك كلام الله الكريم، ويدخل تحت التفسير بالرأي، الذي يوجب النار في يوم المعاد، لأجل هذا لم نذكر هذا النوع في الأنواع المذكورة آنفاً؛ لأنّه لايدخل في باب التفسير أصلاً.

تاريخ التفسير الإشاري

التفسير الإشاري بمثابة عمليّة تفسيريّة دون المنهج التفسيري، وقد نشأ في الأصل من نفس القرآن المجيد ومن أحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته وأصحابه الكرام، فيمكن لنا القول: إنّ هذا النوع من التفسير بدأ في زمان نزول القرآن الكريم، فإنّ في الآيات ما يظهر أنّ حقيقة القرآن موجودة عند الله، وأنّ له بطناً، كما له ظهر، فيه آيات لأهل البصيرة واللبّ، كما فيه آيات للناس أجمعين.

---

١. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ١: ١٢.

ومن جهة أخرى، نزل القرآن علىٰ قلب إنسان كان معزولاً عن الناس في دجى الليل المظلم في الغار، ففي هذه القصّة إشارة إلىٰ شرط من شروط فهم القرآن.

والكلمات المرويّة عن علي بن أبي طالب عليه السلام حول القرآن في نهج البلاغة، تكفي دليلاً على وجود التفسير الإشاري في ذلك الوقت.

وفي حديث قال الصادق عليه السلام: **«إنّ كتاب الله علىٰ أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»**[١].

وقال ابن عبّاس: إنّ القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لاتنقضي عجائبه، ولاتبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، حلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السّفهاء[٢].

فهذه الجذور الموجودة للتفسير الإشاري، جعلت الطريق مفتوحاً أمام هذا النوع من التفسير، حتّى وصل إلى حدّ المنهج التفسيري في العصور المتأخّرة.

فالتفسير الإشاري بوصفه منهجاً مدوّناً، وجد في القرن الثاني والثالث، مثل تفسير التستري، لمحمّد بن سهل بن عبدالله التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣) وتطوّر إلىٰ زماننا هذا؛ ففي القرن الثالث، ظهر بعض العرفاء مثل بشر الحافي ويزيد البسطامي وشاه شجاع الكرماني، وجنيد البغدادي، وصدرت عنهم كلمات كثيرة حول القرآن الكريم، يعدّ أكثرها تفسيراً عرفانيّاً، ولكنّ التفسير الموجود في هذا القرن انحصر في تفسير التستري وأبي الحسين النوري.

---

١. بحار الأنوار ٩٢: ٢٠، ١٠٣.

٢. راجع: التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢: ٣٥٤.

وفي القرن الرابع، ظهرت إلىٰ عالم الوجود مجموعة من التفاسير الإشاريّة لبعض الآيات باسم حقائق التفسير، وهي مشتملة علىٰ تفسير الإمام الصادق عليه السلام وأبي الحسن النوري ومنصور الحلّاج وابن عطاء.

وفي القرن الخامس، دوِّن أول تفسير إشاري كامل وشامل لجميع القرآن الكريم، باسم (لطائف الإشارات)، إلىٰ غير ذلك من التفاسير العرفانية.

وللإمام الخميني كلام هنا، يفيدنا في معرفة تاريخ التفسير الإشاري ومصدره في الاسلام، فهو يقول: من يرجع إلى المعارف الموجودة في الأديان، وما يوجد عند الفلاسفة وكلّ دين، ويقايس علوم المبدأ والمعاد، مع ما هو موجود في الإسلام الحنيف، وما يوجد عند الفلاسفة المسلمين الكبار والعارفين العظماء من المسلمين، سوف يؤمن ويصدّق حقاً بأنّ هذه المعارف الإسلامية تنبعث من نور معارف القرآن وأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين استفادوا من ينبوع نور القرآن، فيعلم أنّ الحكمة والعرفان لم يصدرا من اليونان أو اليونانيين. بل لاتشبهان مايوجد لديهم، نعم بعض الفلاسفة الإسلاميين مشوا على منهج الفلسفة اليونانية، مثل الشيخ الرئيس، ولكن لايعتنىٰ بفلسفته في باب معرفة الربوبيّة والمبدأ والمعاد عند أهل العرفان، وليست لها قيمة عند أهل المعرفة.

وعلى كلّ حال، نسبة فلسفة حكماء الإسلام، والمعارف العظيمة الصادرة عن أهل العرفان إلىٰ الفلسفة اليونانية، تنشأ من عدم العلم بكتبهم، مثل كتاب الفيلسوف الإسلامي العظيم الشأن صدرالمتألّهين قدس سره، وأستاذه الكبير المحقق الداماد قدس سره، وتلميذه العظيم الفيض الكاشاني قدس سره، وتلميذ الفيض، العارف الجليل قاضي سعيد القمّي قدس سره[1].

---

١ . آداب الصلاة: ٣٠٤.

الاتّجاهات الثلاثة في شرعيّة التفسير الإشاري

هناك ثلاثة اتجاهات في شرعيّة هذا النوع من التفسير:

الاتّجاه الأول: عدم شرعية هذا المنهج التفسيري ورفضه، دون تفصيل وتفريق. وفيه يقول بعض العلماء: إنّ التفسير الصوفي قد تأثّر إلىٰ حدّ كبير بأفكار الباطنيّة، واستخدام القرآن في تعقيب هدف خاص، وهو: دعم الأسس العرفانية والفلسفية، وفي الحقيقة إنّهم لم يخدموا القرآن الكريم بشيءٍ، وإنّما خدموا آراءهم وأفكارهم، من خلال تطبيق الآيات علىٰ آرائهم. فالتفسير الصوفي شعبة من شعب التفسير الباطني في قالب معيّن.

وهو ينقسم إلىٰ تفسير: نظري وفيضي. أمّا الأول فهو التفسير المبني علىٰ أُصول فلسفية، ورثوها من أصحابها، فحاولوا تحميل نظرياتهم على القرآن الكريم. وأمّا التفسير الفيضي، فهو تأويل الآيات علىٰ خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات رمزيّة، تظهر لأرباب السلوك من غير دعم بحجّة أو برهان... وعلىٰ كلّ تقدير، فتفاسيرهم من غير فرق بين النظري والفيضي، مبنيّة علىٰ حمل القرآن علىٰ ما يعتقدون به من الأُصول والقواعد، من دون حجّة وبرهان [1].

وبعض الناظرين إلىٰ مناهج المفسّرين، يرون: أنّ التفسير الصوفي لم ينبع من الإسلام، بل نفذ بين المسلمين من قبل الأديان السابقة [2].

الاتّجاه الثاني: القبول المطلق، ويمكن أن نفهم هذا الاتّجاه من كلام ابن العربي في الفتوحات، فإنّه يقول: وما خلق الله أشقّ ولا أشدّ من علماء الرسوم على أهل

---

١. المناهج التفسيرية في علوم القرآن، للأُستاذ جعفر السبحاني: ١٢٥، وراجع: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٥٢٦ و٥٣٥.

٢. راجع: مذاهب التفسير الإسلامي.

الله، منحهم أسراره في خلقه، وفهّمهم معاني كتابه وإشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل، ولما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم ـ كماذكرنا ـ عدل أصحابنا إلى الإشارات، كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة، فكلامهم ﷺ، في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً لمعانيه النافعة، وردّ ذلك كلّه إلىٰ أنفسهم، مع تقريرهم إيّاه في العموم وفيما نزل فيه [١].

ففي هذه العبارة لانرى ردّ قسم خاصّ من التفسير الإشاري، كما أنّ تفسير الباطنية يندرج تحت هذا الاتّجاه أيضاً.

ويقول الأُستاذ حسن عبّاس زكي: فالمفسّرون من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ، وما دلّ عليه الكلام من الأمر والنهي والقصص والأخبار والتوحيد وغير ذلك. وأهل التحقيق أو الصوفية، يقرّون تفسيرهم هذا ويرونه الأصل الذي نزل به القرآن، ولكن لهم في كلام الله، مع الأخذ بهذا التفسير الظاهري، مذاقات لايمكنهم إغفالها، لأنّها بمثابة واردات أو هواتف من الحقّ لهم، فلاينبغي أن نقف القرآن على تفسير معيّن، علىٰ أنّه المراد، فلانقول كما يقول البعض: إنّ التفسير الظاهري وحده هو المقصود، كما لايرى أهل التحقيق أنّ تفسيرهم وحده هو المراد؛ لأنّ القول بالتفسير الظاهري وحسب، تحديد لكلام الله عند العقل المحدود، وعقال عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، وإغلاق الباب لمذاقات ليس العقل مجالها؛ لأنّها لاتخضع لمقاييسه، وإنّما تخضع لشيءٍ آخر فوقه، وتدرك بلطيفة أخرىٰ سواه، إذن فهناك ما فوق العقل، ألا وهو القلب، فإن للقلب لغته، كما أنّ للعقل لغته، وإذا كانت لغة العقل تدرك بالألفاظ، ويعبّر عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق؛

---

١. الفتوحات المكّية، لابن العربي ١: ٢٧٩.

لأنّه لايحيط اللفظ بالتعبير عنها [١].

الاتّجاه الثالث: التفصيل، وقبول بعض ورفض بعض آخر من أنواعه، وكثير من العلماء والمفسّرين، لم يرفضوا التفسير الإشاري بكلّ أقسامه، ولم يقبلوا جميع أنواعه، بل فصّلوا في المقام، وجعلوا هذا النوع من التفسير علىٰ أقسام، فمنها ممدوح ومقبول، ومنها مذموم ومردود.

يقول الذهبي: ليس لنا أن نقبل التفسير الذي أسّس علىٰ نظريّات الفلاسفة، الذين بحثوا في الطبيعة وما وراء الطبيعة، والذي جرى عليه ابن عربي وغيره من المتصوفة في تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية... لانقبله علىٰ أنّه تفسير موافق لمراد الله تعالىٰ ومقصوده الذي جاء القرآن من أجله، وإن كنّا نقبله ـ إن صحّ ـ علىٰ أنّه ممّا تحتمله الآية، ما دام لايعارض القرآن ولاينافيه، علىٰ أنّ كلّ ما جاء من ذلك لايعدو أن يكون ظنيّاً، وقد يظهر خطؤه في يوم من الأيام، فكيف نحمل عليه القرآن الكريم، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ أمّا التفسير الذي يبنىٰ علىٰ قياس الغائب على الشاهد، كتفسير ابن عربي لحقيقة الميزان، الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، فهذا أيضاً ضرب من التخمين، لايجوز أن يدخل في فهم الأشياء التي لا يتوصل إلىٰ حقيقتها إلّا عن طريق السمع عن المعصوم. وأمّا التفسير الذي يبنىٰ علىٰ قواعد نحوية أو بلاغية، فهذا إن ساعده السياق والسباق قُبل، وإلّا أعرضنا عنه، وأخذنا بما يصحّحه النظر ويقوّيه الدليل [٢].

وفي الواقع يشير الذهبي إلى لزوم رعاية قواعد الظهور وشواهد الشهود، فإن كان هناك دليل على التفسير فهو مقبول، وإن لم توجد دلائل القبول يكون مرفوضاً.

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢: ٥٣٢.

٢. المصدر السابق: ٣٥٠.

أدلّة الموافقين للتفسير الإشاري

يمكن أن يستدلّ على التفسير الإشاري بهذه الأدلّة:

١ ـ منع التفسير الإشاري، بمنزلة منع وجود البطون في معنى الآيات، مع أنّ وجود البطن في الآيات ثابت.

٢ ـ التفسير الإشاري يبتني على الأُصول القرآنية القطعيّة، مثل: لزوم التدبّر في القرآن، ووجود حياة معنوية خاصّة للإنسان من سمع وبصر وأذن، بها يفهم الأمور الدقيقة وإشارات الآيات العميقة.

٣ ـ وجود الروايات الكثيرة والآيات الواضحة، التي تدلّ علىٰ أثر التقوى في مطلق فهم المسائل، خصوصاً ما يتعلّق بالقرآن الكريم.

فالتدبّر في القرآن لايجتمع مع القفل على القلوب، كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (١).

٤ ـ ثبت لكلّ إنسان بالتجربة، أنّه مع الطهارة القلبيّة والعلاقة الربانية والخلوة الطويلة، تحصل للإنسان علوم دقيقة تخفى على علماء الرسوم والجامدين على الظواهر، ومن أجل ذلك ذكر كثير أنّ من جملة شروط المفسّرين، علم الموهبة، الذي يحصل للإنسان نتيجة تقواه وعمله الصالح.

٥ ـ الغرض من القرآن هو طهارة النفوس من الأمراض، والعبور من الدنيا إلىٰ دار القرار، والتوجّه إلى الواحد القهار، وهذا لايحصل إلّا بواسطة التفسير الإشاري، فما دام الإنسان لم يستفد من هذه الطريقة، ولم يكمل مقدّمات هذا المنهج، لايمكن له مسّ مقصد القرآن والدخول في مغزىٰ الآيات، إنّ القرآن هدىً للمتقين.

٦ ـ هناك كثير من المعارف القرآنية والعلوم الربانيّة لم تعلم إلّا لذوي السلوك

---

١ . محمّد: ٢٤.

والخلوص، والرياضات في مجال الفكر والعمل، ومن أجل ذلك قال الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [١]

٧ ـ القرآن مشتمل علىٰ جميع العلوم اللازمة في السلوك إلىٰ ربّ الأرباب والملوك، كما وصف الله تعالى القرآن بأ نّه «تبيان لكلّ شيء»، فبيان القرآن لكلّ شيء، لايحصل بالتوقّف على الظواهر فحسب، بل يحتاج إلىٰ قلب صافٍ وروح مجرد عالٍ حتّى يفهم الإشارات القرآنية.

٨ ـ أصل القرآن أمر بسيط، نزل من العوالم العليا، وله مراتب [٢]. والوصول إلىٰ حقيقته يحتاج إلى الارتقاء المعنوي، فكلّما ارتقى الإنسان اقترب إلى القرآن أكثر، وهذا يتناسب مع التفسير الإشاري، الذي يبتني على التزكية والتطهير.

٩ ـ في القرآن آيات كثيرة مهمّة لانفهمها عن الطريق المعتاد، بل يحتاج فهمها إلىٰ روح لطيف وفكر عميق وقلب سليم، مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [٣].

١٠ ـ المخالفون للتفسير الإشاري، لم يخالفوا النوع الصحيح من التفسير في الواقع، بل أدلّتهم تدلّ علىٰ بطلان بعض أنواعه، ونحن لاننكر ذلك؛ فإنّ للتفسير الإشاري ضوابط لايمكن العبور عنها وعدم إعمالها.

أدلّة المخالفين للتفسير الإشاري

يمكن الاستدلال بالأدلّة التالية على رفض التفسير الإشاري:

١ ـ إنّ القرآن نزل لكافّة الناس، والغرض من نزوله هدايتهم جميعاً، وأسلوبه

١. الصافات: ١٥٩ و١٦٠.

٢. راجع: تفسير الميزان ٢: ١٧، ذيل الآية ١٨٤ من سورة البقرة.

٣. النور: ٣٥.

نفس أسلوب الخطاب المتعارف بين العباد، فليس فيه رموز وإشارات دقيقة، تُكشف لأرباب السلوك فقط.

٢ ـ هذا النوع من التفسير لا يعتمد علىٰ ضوابط معيّنة مقبولة وبراهين علميّة قطعية ، بل يعتمد علىٰ مذاهب العرفان والشهود ، التي تعدّ في الغالب توهّمات وتخيّلات.

٣ ـ الكشف والشهود، يعدّان من الأمور الشخصيّة، فما دام الأمر يعدّ شخصيّاً، فإنّه لا يعدّ منهجاً قابلاً للانتقال والتعليم، فالأولى هو: السكوت وعدم البحث عنه لعدم فائدته. وبتعبير آخر: الإلهامات بما أ نّها تعدّ أموراً شخصية، وغير قابلة للانتقال، فلا حجيّة لها، ولا يمكن قبولها؛ لعدم الدليل علىٰ اعتبارها من القرآن والسنّة.

٤ ـ كثير من الإلهامات يمكن أن تكون شيطانيّة، خصوصاً في الموارد التي تخالف ظهور الآيات وبيّنات الدلائل والآثار.

٥ ـ كثير من التفاسير الإشارية الموجودة خارجة عن ظهور الآيات، وغير قابلة للإسناد إلى الله المتعال.

٦ ـ الإلهامات أمور نسبيّة؛ إذ يمكن أن يحصل لشخص إلهام يخالف الإلهامات الحاصلة للآخرين، كما يمكن أن يحصل للإنسان الواحد إلهامات متخالفة في الأزمان المتفاوتة، والصوفيّة تعترف بهذه الخصوصيّة للإلهامات الربانيّة، فلا اعتبار لشيء منها.

٧ ـ التفسير الإشاري، نشأ من الفكر اليوناني أو الهندي أو غيرهما؛ لأنّ التصوف كان موجوداً قبل الإسلام، ودخل في الإسلام بعد فترة من الزمان، فليس له أصل إسلامي صحيح، فهو نوع بدعة في الإسلام.

٨ ـ لم يرد عن الرسول ﷺ أ نّه فهم معنىً خاصّاً من الآيات بواسطة الكشف والإلهام، أو فسّر آية من القرآن على سبيل الإشارة الصوفيّة، مع أنّ هذا النوع من

التفسير ليس له نهاية وحدود، حسب زعم أصحابه.

٩ ـ فتح هذا النوع من التفسير، هو فتح لباب التفسير بالرأي؛ لأنّ كلّ واحد ينسب كلّ ما يريد إلى القرآن، ويدّعي أنّه حاصل من الكشف والإلهام، كما فعل كثير من الصوفيّة.

١٠ ـ إذا كان المقصود من القرآن لايظهر من الآيات حسب ادّعاء الصوفيّة، فهذا إغراء بالجهل، وبيان مخالف للحق، وصرف للوقت ولعب بالمخاطب، مع أنّ القرآن بيان ونور، فتعالى الله أن ينزّل كتاباً غير مقصود ولايبيّن ما هو المطلوب.

والرأي المختار للمحققين من أهل السنّة والإمامية هو قبول التفسير الإشاري، ولكن مع رعاية ضوابط وقواعد خاصّة، كما ذكرناه سابقاً تأييداً لهذا المرام.

فكلّ التفاسير الإشارية إذا وجدنا لها دليلاً نقبلها، وإذا لم يوجد عليها دليل، نسكت عنها، وإذا وجد دليل علىٰ خلافها نرفضها، فمن هنا نحن بحاجة إلىٰ ذكر المعايير لهذا النوع من التفسير، فإنّ الزلل فيه كثير، والتفسير بالرأي ليس بقليل.

شروط التفسير الإشاري الصحيح

ذكر المفسّرون شروطاً لهذا النوع من التفسير، نشير هنا إلى بعضها:

١ ـ ألّا يكون التفسير الإشاري منافياً لما يظهر من معنى النظم القرآني.

٢ ـ ألّا يدّعي المفسّر أنّه هو المراد وحده دون الظاهر أو باقي وجوه التفسير.

٣ ـ ألّا يكون له معارض شرعيّ أو عقلي.

٤ ـ أن يكون له شاهد شرعيّ يؤيّده [1].

٥ ـ وجود المناسبة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه، فلابدّ أن لاتكون الدلالة

---

١. أُصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبد الرحمان العك: ٢٠٨، التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢: ٣٧٧.

الإشاريّة أجنبيّة عن الظواهر [١].

ويمكن أن نزيد على هذه الشروط شرطين آخرين:

الأوّل: عدم وجود كشف و إلهام آخر مخالف للكشف والإلهام الأوّل، سواء كان الكشف والإلهام الثاني ينبع من الشخص الأول أو من الشخص الثاني، فإذا حصل لشخص تفسير خاصّ لآية عن طريق الكشف الربّاني، حسب اعتقاده، ولكن حصل له أو لغيره مرة أخرى كشف في معنى الآية مخالف للمعنى الأوّل، فلا اعتبار للكشفين معاً.

والثاني: وهو متعلّق بنفس المفسّر، فالتفسير الإشاري عادة لايحصل إلّا من قلب خالص وروح طاهر، فإذا كان المفسّر من أهل الفسوق والفجور فلايعتبر من أرباب القلوب، ومن ثمّ لا اعتبار بقوله من ادّعاء الشهود والحضور، فالقلب الخالص والإيمان السالم للمفسّر، يعدّان من جملة الشروط لهذا النوع من التفسير.

شرعيّة التفسير الإشاري المتعادل

مع قطع النظر عن بعض الاتّجاهات غير المتوازنة في التفسير الإشاري، فإنّ هذا النوع من التفسير له جذور وأصول في القرآن والسنّة ـ كما أشرنا إليه سابقاً ـ وفي مايلي نذكر من طريق السنّة والشيعة ما يدلّ علىٰ مقبوليته في الجملة.

يقول الذهبي: لم يكن التفسير الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله علىٰ رسول الله ﷺ... أشار إليه القرآن ونبّه عليه الرسول ﷺ وعرفه الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم وقالوا به.

أمّا إشارة القرآن، ففي قوله تعالىٰ في الآية ٧٨ من سورة النساء: ﴿فَمَا لِهَؤُلاء

---

١. راجع: التفسير والمفسّرون، لمحمّد هادي معرفة ١: ٢٨.

الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾، وقوله في الآية ٨٢ منها أيضاً: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾، وقوله في الآية ٢٤ من سورة محمّد ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، فهذه الآيات كلّها تشير إلىٰ أنّ القرآن له ظهر وبطن... وأمّا تنبيه الرسول ﷺ، فذلك في الحديث الذي أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلاً عن رسول الله ﷺ، قال: «**لكلّ آية ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ، ولكلّ حدّ مطّلع**»، وفي الحديث الذي أخرجه الديلمي من رواية عبدالرحمان بن عوف، مرفوعاً إلىٰ رسول الله ﷺ، قال: «**القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاجّ العباد**». ففي الحديثين تصريح بأنّ القرآن له ظهر وبطن... وحكي عن ابن النقيب... أنّ ظهرها: ما ظهر من معانيها لأهل العلم، وبطنها: ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أهل الحقائق.

وأمّا الصحابة، فقد نقل عنهم من الأخبار ما يدلّ علىٰ أنّهم عرفوا التفسير الإشاري وقالوا به. أمّا الروايات الدالّة علىٰ أنّهم يعرفون ذلك، فمنها: ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عبّاس، أنّه قال: إنّ القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لاتنقضي عجائبه، ولاتبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوىٰ. أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء...

هذه الأدلّة مجتمعة تعطينا أنّ القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كلّ من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر [1].

ويقول الفيض الكاشاني: وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ما من آية إلّا ولها أربعة**

---

١. التفسير والمفسّرون ٢: ٣٥٣ ـ ٣٥٦.

معانٍ: ظاهر وباطن وحدّ ومطّلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ هو أحكام الحلال والحرام، والمطّلع هو مراد الله من العبد بها».

ورووا أنّه عليه‌السلام سئل: هل عندكم من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله شيء من الوحي سوى القرآن؟ قال: «**لا، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إلّا أن يعطي عبداً فهماً في كتابه**». ورووا عن الصادق عليه‌السلام أنّه قال: «**كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء**»[1].

وقال أيضاً: إنّ من زعم أن لا معنى للقرآن إلّا ما يترجمه ظاهر التفسير، فهو مخبر عن حدّ نفسه، ومصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنّه مخطئ في الحكم بردّ الخلق كافّة إلىٰ درجته، التي هي حدّه ومقامه، بل القرآن والأخبار تدلّ علىٰ أنّ في معاني القرآن لأرباب الفهم متّسعاً بالغاً ومجالاً رحباً. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾، وقال: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾، وقال: ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾.

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله: «**القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه علىٰ أحسن الوجوه**». وقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «**إلّا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن**». وقال عليه‌السلام: «**من فهم القرآن فسّر جمل العلم**»، أشار إلىٰ أنّ القرآن مشير إلىٰ مجامع العلوم كلّها، إلىٰ غير ذلك من الآيات والأخبار.

فالصواب أن يقال: من أخلص الانقياد لله ولرسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله ولأهل البيت، وأخذ علمه منهم، وتتبع آثارهم، واطّلع علىٰ جملة من أسرارهم، بحيث حصل له الرسوخ في

---

١. تفسير الصافي ١ : ٦٧، المقدّمة الرابعة.

العلم، والطمأنينة في المعرفة، وانفتح عينا قلبه ، وهجم به العلم علىٰ حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وآنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلّقة بالمحلّ الأعلىٰ،فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه، ويستنبط منه نبذاً من عجائبه، ليس ذلك من كرم الله تعالىٰ بغريب، ولا من جوده بعجيب، وليست السعادة وقفاً علىٰ قوم دون آخرين [١].

١. تفسير الصافي ١: ٧٢، بالمقدّمة الخامسة.

نموذجان من منهج التفسير الإشاري

نذكر هنا نموذجين من هذا المنهج:

النموذج الأول
منهج تفسير ابن عربي

حياة المؤلّف: هو أبو بكر محيى الدين محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبدالله الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي ـ بدون أداة التعريف ـ فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي صاحب كتاب (أحكام القرآن) ، وهذا الفرق من اصطلاح المشارقة، أمّا أهل المغرب، فيأتون باللام في كلا الموردين [١] [٢].

ولد في مدينة مُرسية في جنوب شرقي الأندلس ـ أسبانيا ـ تاريخ ١٧ رمضان المبارك سنة ٥٦٠ هجرية/٢٨ يوليو ١١٦٥، في بيت ثروة وحسب وزهد وتقوىٰ، وكان له خالان سلكا طريق التبتّل والزهد، أحدهما لزم خدمة أحد الأولياء، والآخر

---

١ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٥٦٩ .

٢ . ذكر ابن العربي ليس من الأخطاء الشائعة؛ فإنّه عبّر عن لقبه في إجازته باللام، فالأصحّ أن يفرّق بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي بزيادة كلمة الحاتمي أو الصوفي على اسمه...

كان يقضي الليل في الذكر والتسبيح، ولعلّ الارتباط بهما في الصغر أثّر في معنوية ابن عربي.

تنتمي أسرة ابن عربي إلىٰ واحدة من أقدم القبائل العربيّة التي وفدت إلىٰ أسبانيا، وهي قبيلة طي، التي منها (حاتم الطائي) أشهر كرماء العرب. وكان أسلافه ضمن من وفدوا من عرب (اليمن) إلىٰ أسبانيا في وقت مبكر. وبعد أن سقطت مُرسية في يد (الموحّدين)، رحلت الأسرة إلىٰ إشبيلية سنة ١١٧٢م، وقد بلغ محمد الثامنة من عمره.

وتزوج ابن عربي بامرأة صالحة، وفي هذه الفترة توفّي أبوه، فمكث بعد أبيه في إشبيلية حتّىٰ صار ذا نفس مطمئنة، فرأىٰ أنّ السير علىٰ فطرته وتكوّنه بالهجرة إلىٰ بلاد الشرق أولىٰ، وبينما كان يجيل هذه الفكرة، رأىٰ في حالة اليقظة أنّه أمام العرش الإلهي المحمول على أعمدة من لهب متفجّر، ورأى طائراً جميلاً بديع الصنع يحلّق حول العرش، ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق، وينبئه بأنّه سيكون هو مرشده السّماوي، وبأنّ رفيقاً من البشر يدعىٰ فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأنّ هذا الأخير قد أمر أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنّه يجب ألّا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي ٥٩٧ هـ ـ ٦٢٠ هـ / ١٢٠٠ ـ ١٢٢٣م بدأ رحلاته الطويلة إلىٰ بلاد الشرق، فاتجه إلى مكة، فاستقبله شيخ إيراني ممتاز، وتزوّج ابنة ذلك الشيخ، في هذه البيئة الطاهرة وهو في مكة المكرمة، وفي سنة ١٢٠٤ م، ثم ذهب إلىٰ الموصل والتقىٰ علي بن عبدالله بن جامع الذي قيل في حقّه: إنّه لبس الخرقة عن الخضر مباشرة. وفي سنة ١٢٠٦ م ذهب إلى القاهرة، وفي هذا الزمان ظهر ذلك المرشد السّماوي وأمره بإظهار شيء من كتابه في مذهبه، ولكنّ الفقهاء هدّدوه، ففرّ إلىٰ مكة المكرمة سنة ١٢٠٧ م، وبقي هناك ثلاثة أعوام، يعيش بين أصدقائه

القدماء الأوفياء، ثم ترك مكة بعد هذه المدة قاصداً إلىٰ قونية من تـركيا، والتـقىٰ أميرها السلجوقي، وتزوّج بوالدة صدر الدين القونوي، وهو أحد تلاميذه المفضلين، ثم ارتحلَ إلىٰ أرمينيا، ومنها إلىٰ شاطئ الفرات، وفي سنة ١٢١١م نلتقي بـه فـي بغداد، يتّصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة ١٢١٤م يعود إلىٰ مكة ليجد أنّ عدداً من فـقهائها جـعلوا يشـوّهون سمعته، ويرمونه بأنّ قصائده التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عـاماً كانت تصوّر غرامه المادي الواقعي بالفتاة (نظام)، ولكنّه قاوم مقاومة شديدة، وردّ هذه التهمة وزيّفها للجميع. وبعد ذلك يرتحل إلىٰ حـلب ويـعيش هـناك مكـرّماً، وأخيراً يختار دمشق في سنة ١٢٢٣م ويسكنها إلىٰ آخر عمره، حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه، وينصرف للتأليف حتّىٰ يتوفّىٰ بها في ٢٨ من ربيع الثاني سنة ٦٣٨ الموافق ١٦ نوفمبر من سنة ١٢٤٠م [١].

بعض أساتذته: قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء) ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي: وقد اطّلعت له علىٰ إجـازة، أجـاز بـها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيّوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخه ومؤلّفاته، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها، فأقول: قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمّدبن عليّ بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالىٰ، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غـازي، ابـن المـلك العـادل المرحوم إن شاء الله تعالىٰ أبي بكر بن أيوب وأولاده ، ولمن أدرك حياتي الرواية عنّي في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجـازة، وجميع ما ألّفته وصنّفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعبيري هذا الخط، وذلك في غرة محرم

---

١ . تفسير ابن عربي ١ : ٣ ـ ٧، المقدّمة، طبقات المفسّرين، للداودي ٢: ٢٠٤، رقم ٥٤١.

سنة ٦٣٢ بمحروسة دمشق، وكان قد سألني في استدعائه أن أذكر من أسماء شيوخي ما تيسّر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسّر من أسماء مصنّفاتي، فأجبت استدعاءه نفعه الله تعالىٰ بالعلم، وجعلنا وإيّاه من أهله، إنّه وليّ كريم.

فمن شيوخنا: أبو بكر بن خلف اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، بكتاب الكافي لأبي عبدالله محمّد بن شريح الرعيني في مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدّثني عن ابن المؤلّف. ومن شيوخنا في القراءة: أبو الحسن شريح بن محمّد بن محمّد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلّف . ومن شيوخنا في القرآن أيضاً: أبوالقاسم عبدالرحمان بن غالب الشراط ، من أهل قرطبة ، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور، وحدثني أيضاً عن ابن المؤلّف أبي الحسن شريح عن أبيه المؤلّف محمّد بن شريح المَقّري [١].

مؤلّفاته: جاء في الإجازة المذكورة في الفصل السابق أيضاً أنّ ابن عربي يقول: وها أنا أذكر من تآليفي ما تيسّر؛ فإنّها كثيرة ، وأصغرها جِرماً كراسة واحدة ، وأكبرها ما يزيد علىٰ مائة مجلّد وما بينهما . فمن ذلك كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث ، إختصار مسلم ، إختصار البخاري، اختصار الترمذي، اختصار المحلّىٰ، الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سنيّ الأحوال .

وأمّا الحقائق في طريق الله تعالى، التي هي نتائج الأعمال ، فمن ذلك وهو السابع: كتاب من تصانيفنا (الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل) أفرغ في أربعة وستين مجلّداً، إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة الكهف : ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ [٢].

ابن عربي ونظرة الآخرين له: يعدّ ابن عربي من كبار العلماء، وصار معركة

---

١ . راجع: تفسير ابن عربي ١: ٨، المقدّمة، نقلاً عن جامع كرامات الأولياء ١: ١٦٣.

٢ . الكهف: ٧٠.

للآراء بين النفي والإثبات: فهناك من يكفّره من دون قيد، وهناك من يوصله إلىٰ مصاف الأنبياء، وهناك من يؤيّده من دون إفراط، أي: لايكفّره ولايكبّره، بل سلك طريقاً وسطاً، فقبل منه ما رآه صحيحاً، وأنكر عليه ما فهمه سقيماً، كما نجد طائفة متحيّرة في أمره، وفي ما يلي نذكر كلمات بعضهم :

أ ـ المنكرون عليه: من المنكرين عليه: رضي الدين بن الخيّاط، الذي كتب عن عقيدة ابن عربي، ورماه بالكفر ، والحافظ الذهبي ، وابن تيمية ـ عدوّ الصوفيّة على الإطلاق ـ ولقد بلغ من عداوة بعض الناس لابن عربي أنّهم حاولوا اغتياله بمصر[١].

يقول الأستاذ معرفة : قد أتى المؤلّف بالتفسير الرمزي الإشاري علىٰ طريقة الصوفية العرفانية، وغالبه يقوم على أساس وحدة الوجود، ذلك المذهب الذي كان له أثره السيّء في تفسير كلام الله [٢].

ب ـ المؤيّدون له: هناك من أهل السنّة والشيعة مؤيّدون لابن عربي، فمن المؤيدين له: قاضي القضاة مجد الدين محمّد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي صاحب القاموس، وقد كتب كتاباً يدافع فيه عنه، ردّاً علىٰ رضي الدين بن الخيّاط، الذي كتب عن عقيدة ابن عربي ورماه بالكفر ، وكمال الدين الزملكاني، من أكابر مشايخ الشام ، والشيخ صلاح الدين الصّفدي، والحافظ السيوطي، الذي ألّف في الدفاع عنه كتاباً أسماه : (تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي) ، وسراج الدين البُلقيني، وتقي الدين بن السبكي وغيرهم [٣].

ومن كبار الشيعة الإماميّة ، نجد صدر المتألّهين يكبّره ويثني عليه ، وقلّما يعظّم صدر المتألّهين أو يثني علىٰ أحد كتعظيمه وثنائه علىٰ ابن عربي ، يقول: إنّه قدوة

---

١ . التفسير والمفسّرون ، للذهبي ٢ :٤٠٨ .

٢ . التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٥٧٤ .

٣ . التفسير والمفسّرون، للذهبي ٢ :٤٠٨ .

المكاشفين [١]، ويقول في وصفه: عندنا من أهل المكاشفة [٢].

ويعتقد صدر المتألّهين أنّ ابن عربي كان علىٰ مذهب الإمامية ، ففي شرح الأصول من الكافي ، يقول بعد نقل كلمات ابن عربي في الإمام المنتظر : واعلم أنّ أكثر ما ذكره فيما نقلناه من عبارته أوّلاً موجود في كتب الحديث، بعضها علىٰ طريقة أصحابنا، وبعضها علىٰ غير طريقهم ، وانظروا أيّها الإخوان إلىٰ ما في طيّ كلامه من المعاني الدالّة علىٰ كيفية مذهبه كقوله : إن لله خليفة ، وقوله : أسعد الناس به أهل الكوفة ، وقوله : أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد ، وقوله : إنّه علىٰ ضلالة ... [٣].

وممّن يؤيّد ابن عربي: الإمام الخميني، فإنّه في جميع كتبه العرفانية يمدح ابن عربي، وينقد منكريه الجاهلين بالطريقة العرفانية ، فمثلاً في تفسير سورة الحمد يمدح تفسير ابن عربي بأ نّه كشف ناحية من النواحي العرفانيّة من القرآن [٤].

وفي كتاب الطلب والإرادة، ينقل كلاماً عنه في الفتوحات، وهو: ظهر العالم بسم الله الرحمن الرحيم، كما أ نّه يقول أيضاً : وعلىٰ طريقة الشيخ محيي الدين العربي فالأمر في رحيميّته في الدارين واضح ، فإنّ أرحم الراحمين يشفع عند المنتقم، وتصير الدولة دولته والمنتقم تحت سلطنته وحكمه [٥].

ج ـ **المتحيّرون فيه**: هناك بعض من العلماء متحيّرون في ابن عربي، وليس لهم

١ . تفسير القرآن الكريم ١ : ٧١، المقدّمة.

٢ . المصدر السابق ٣ : ٤٩ .

٣ . تفسير القرآن الكريم ، ١ : ٧٩ نقلاً عن شرح الأُصول من الكافي، الحديث الحادي والعشرون من كتاب العقل والجهل : ١١١ .

٤ . تفسير سورة الحمد ، للإمام الخميني : ٩٤ .

٥ . المصدر السابق : ١٤ .

رأي قاطع في إنكاره ولا في قبوله ، نجدهم يـقبلونه أحـياناً، ويـنكرونه أحـياناً أخرىٰ، لايثنون عليه مطلقاً، ولايذمونّه ذمّاً دائماً .

يقول الذهبي: إنّي لم أسلك مسلك القوم، ولم أذق ذوقهم، ولم أعرف اصطلاحاتهم التي يصطلحون عليها، ولعلّي إذا سلكت هذا الطريق وانكشف لي من أستار الغيب ما انكشف لهم، أو على الأقل فهمت لغة القوم ووقفت علىٰ مصطلحاتهم، لعـلّي إذا حصل لي شيء من هذا تبدّل رأيي وتغيّر حكمي، فسلّمت لهم كلّ ما يقولون [١].

سبب تحوّله الروحي: إنّ المدارس المعروفة في البلدان الإسلامية، التي تحمل مسؤوليّة تعليم الدين لطلّابها ، لاتربّي عادة من يكون صوفيّاً أو عارفاً ، فإذا ظهر من هذه المدارس من يميل إلى العلوم الباطنيّة، فلابدّ لذلك من سبب، أو أسباب خاصّة . ولذلك ممّا قيل في ابن عربي يمكن أن نذكر أسباباً، من جملتها :

١ ـ **الرؤيا**، قيل: إنّه مرض في شبابه مرضاً شديداً ، وفي أثناء الحمّى رأى في المنام أ نّه محوط بعدد ضخم من قوى الشرّ مسلّحين يريدون الفتك به ، وبغتةً رأىٰ شخصاً جميلاً قويّاً مشرق الوجه ، حمل علىٰ هذه الأرواح الشريرة ففرّقها شـذر مذر ، ولم يُبق منها أيّ أثر ، فيسأله محيي الدين : من أنت ؟ فقال له : أنا سورة يس ، وعلىٰ أثر هذا استيقظ فرأىٰ والده جالساً إلىٰ وسادته، يتلو عند رأسه سورة يس ، ثمّ لم يلبث أن برئ من مرضه، وألقي في روعه أ نّه معدّ للحياة الروحـية، وآمـن بوجوب سيره فيها إلىٰ نهايتها [٢].

٢ ـ **زوجته التقية**، قيل : إنّ ابن عربي تزوّج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي وحسن الخلق ، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها ، كما أثرت في حياته الروحيّة زوجته الإيرانية ، فإنّه حينما دخل مكّة

---

١ . التفسير والمفسّرون ٢ : ٣٧٤ .

٢ . تفسير ابن عربي ١ : ٤، المقدّمة، نقلاً عن الفتوحات ٤ : ٢٥٢ .

المكرّمة ، استقبله شيخ إيراني وقور جليل، عريق المحتد، ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح ، وفي هذه الأسرة التقيّة يلتقي بفتاة تدعى (نظاماً)، وهي ابنة ذلك الشيخ ، وقد حبتها السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة والميزات الروحانية الفائقة، فاتّخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهريّاً للحكمة الخالدة ، وأنشأ في تصويره هذه الرموز قصائد سجلها في ديوان ألّفه في ذلك الحين ، وفي هذه البيئة النقيّة المختارة له من قبل، سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركّزت حياته الصوفيّة، وجعلت تصعد في معارج القدس شيئاً فشيئاً، حتّىٰ بلغت شأواً عظيماً [١].

٣ ـ تردّده علىٰ بعض المدارس، كما جاء في ترجمته: أنّه كان يتردّد علىٰ إحدىٰ مدارس الأندلس، التي تعلّم سرّاً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة، المفعمة بالرموز والتأويلات الموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية ، وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة التي تدرس تلاميذها المبادئ الخفيّة والتعاليم الرمزيّة منذ عهد ابن مسرة المتوفّىٰ بقرطبة في سنة ٣١٩هـ ،والذي لم يعرف المستشرقون مؤلّفاته إلّا عن طريق محيي الدين [٢].

٤ ـ التقاؤه بالخضر، اختلف ابن عربي مع استاذه (أبو العباس العريني) في مسألة مّا ، وفي الطريق حينما كان عائداً إلىٰ بيته، إلتقى به شخص غريب لايعرفه، ونصحه ألّا يخالف شيخه ، فعاد ابن عربي لبيت شيخه ليعتذر له ، وكانت المفاجأة أنّ الشخص الذي قابله ونصحه كان (الخضر) [٣]، فهذه القصّة وأمثالها قد أثرت في روحه اللطيف، لكي يميل إلىٰ الأسرار الإلهيّة، ويترك الظواهر الدنيويّة لأهلها .

٥ ـ خاله وأحد أعمامه، يقول ابن عربي: كان خالنا أبو مسلم الحولاني ﷺ من

---

١ . المصدر السابق: ٤و٦ .

٢ . المصدر نفسه: ٤.

٣ . هكذا تكلّم ابن عربي ، للدكتور نصر حامد أبو زيد :٣٨ .

أكابرهم ، كان يقوم الليل، فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده، ويقول لرجليه : أنتما أحقّ بالضرب من دابتي [١].

ثمّ يذكر أحد أعمامه، فيقول : كان لي عمّ أخو والدي شقيقه ، اسمه عبدالله بن محمّد بن عربي ، كان له مقام شمّ الأنفاس الرحمانية حسّاً ومعنىً، شاهدتُ ذلك منه قبل رجوعي لهذا الطريق في زمان جاهليّتي [٢].

٦ ـ ولاؤه الخاصّ لأهل بيت الرسول ﷺ ،كلّ العرفاء وجميع الصوفيّة لهم سلسلة من المشايخ ينسب سلسلتهم إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام، غاية الأمر بعضهم يظهرون هذه النسبة، وقليل منهم يخفونها، وابن عربي، يعتقد لأهل بيت الرسول، خصوصاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام مقاماً عظيماً لايراه لأحد من الصحابة، بل لايرى شخصاً يقترب من دائرة مقامه .

وممّا يدل علىٰ هذه العناية الخاصة ، عباراته التالية :

١ ـ يقول ابن عربي عند التكلّم على إثبات التفسير الإشاري: أين عالم الرسوم من قول علي بن أبي طالب عليه السلام حين أخبر عن نفسه أ نّه لو تكلّم في الفاتحة من القرآن، يحمل منها سبعين وقراً؟ هل هذه إلّا من الفهم الذي أعطاه الله من القرآن؟[٣].

٢ ـ في مقدّمة تفسيره ، يقول : وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أ نّه قال: لقد تجلّى الله لعباده في كلامه، ولكن لاتبصرون، وروي عنه عليه السلام أ نّه خرّ مغشيّاً عليه وهو في الصلاة ، فسئل عن ذلك ، فقال : ما زلت أردّد الآية، حتّىٰ سمعتها من المتكلّم بها [٤].

---

١ . تفسير ابن عربي ١ : ٩، طبعة ناصر خسرو ، نقلاً عن الفتوحات المكّية ٢ : ٢٣ .

٢ . المصدر نقلاً عن الفتوحات ١ : ٢٤٠ .

٣ . معجم تفاسير القرآن الكريم ١ : ٢٦٤ ، جمع من العلماء نشر ايسيسكو .

٤ . تفسير ابن عربي ١ : ٦ .

تفسير ابن عربي: لا يوجد اختلاف في وجود تفسير له ، فإنّ له في الأقل تفسيرين ، أوّلهما: كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل ، والثاني: إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن ، يذكر الأول في الفتوحات المكيّة ، الجزء الأوّل ص٥٩ ، عند الكلام علىٰ حروف المعجم، في أوائل سور القرآن : ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل [١].

ويقول في ص ٦٣ : وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلّمنا على قوله تعالى : ﴿**اخلع نعليك**﴾ في كتاب الجمع والتفصيل [٢].

ويقول في الجزء الثالث من الفتوحات المكيّة ص٦٤ عن علم الإصرار وَبِمَ يتعلّق : وقد بيّناه في كتاب (إيجاز البيان) في الترجمة عن القرآن في قوله تعالىٰ في آل عمران : ﴿**ولم يصرّوا علىٰ ما فعلوا**﴾ [٣].

وكذلك يشير إلى الأوّل في الجزء الرابع من الفتوحات ص١٩٤ حيث يقول: إعلم أنّ كلّ ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه، فإنّه يدلّ على ما ينتجه على حال الذكر ، كما شرطناه في التفسير الكبير لنا [٤].

ويقول في الجزء الأول من الفتوحات ص٨٦ ، عندما يتكلّم على الذات والحدث والرابطة : وقد اتّسع القول في هذه الأنواع في تفسيرالقرآن لنا [٥].

ويمكن أن يكون تعبير (التفسير) ، أو (التفسير الكبير) إشارة إلى التفسير المذكور باسم (الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل) ، أو إشارة إلىٰ (إيجاز البيان في

١ . الفتوحات المكيّة ١: ٥٩، تحت عنوان: ذكر بعض مراتب الحروف.

٢ . المصدر السابق: ٦٣.

٣ . المصدر نفسه ٣: ٦٤.

٤ . المصدر نفسه ٤: ١٩٤.

٥ . المصدر نفسه ١: ٨٦.

الترجمة عن القرآن)،كما يمكن أن يشير إلىٰ وجود تفسير أو تفسيرين آخرين له[١].

وأمّا التفسير المعروف بـ (تفسير ابن عربي) ، في مجلّدين ، فمختلف فيه، فبعض أنكروا نسبته إليه ونسبوه إلىٰ عبدالرزاق الكاشاني، وبعضهم يعدّونه من تأليفاته .

وحجّة من ينكره أمران :

الأوّل: الفرق بين تفسير إيجاز البيان والتفسير المعروف بـ (تفسير ابن عربي) من ناحية الأسلوب وكيفية المعاني والإشارات ، فإنّه قيل : (تفسير ابن عربي) ينحو إلى الفكر والاتّجاه الباطني الذي يرمي القارئ في متاهات الحيرة، فلايعرف الخروج منها .

والآخر: ما جاء في تفسير سورة القصص في (تفسير ابن عربي) ، عند الآية رقم ٣٢ ﴿واضْمُمْ إلَيكَ جَناحَك مِنَ الرَّهْب﴾ قوله : وقد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبدالصمد ﷺ في شهود الوحدة ومقام الفناء عن أبيه ، أ نّه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي.

ونور الدين هذا هو نور الدين عبدالصمد بن على النطنزي الإصفهاني المتوفّىٰ في أواخر القرن السابع ، وكان شيخاً لعبدالرزاق الكاشاني المتوفّىٰ سنة (٧٣٠هـ) وغير معقول أن يكون نور الدين هذا شيخاً لابن عربي المتوفى سنة(٦٣٨هـ) [٢].

ولكن يمكن الإجابة عن الحجّتين : أمّا الأولىٰ فإنّ الأسلوب الظاهري وكيفية إلقاء الكلمات ، يمكن أن يتغيّر ولو كان المؤلّف واحداً ، فكم له من نظير ، وأمّا ما ذكروه من أنّ التفسير المسمّىٰ بتفسير ابن عربي ، يميل إلى الباطنية الذين يخالفون الظواهر، ويعتبرون البواطن فقط ، فيمكن الإجابة عنه بأمور ثلاثة :

---

١ . راجع: رحمة من الرحمان في تفسير وإشارات القرآن ، لابن عربي ١ : ٣ـ٤ .

٢ . راجع : التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٥٧٤، وتفسير ابن عربي ٢ : ٢٢٨، والتفسير والمفسّرون، للذهبي ٢ :٤٣٨ .

١ ـ في مقدّمة هذا التفسير يؤكّد ابن عربي علىٰ حجيّة الظواهر وأ نّها الأصل .

٢ ـ ما يوجد في التفسير، لا يدلّ علىٰ ترك الظواهر ، بل أكثر ما يوجد في هذا التفسير لايشبه تفاسير الباطنيّة .

٣ ـ لو وجد بعض الآيات مفسّرة على سبيل تفاسير الباطنية، فهذا لايعني: أ نّها ليست من ابن عربي ، فله نظير نجده في الفتوحات المكيّة ، خصوصاً عند تفسير الآية ٦ و٧ من البقرة في الفتوحات [١].

منهجه: نذكر هنا مسائل تفسيريّة من الكلمات المنسوبة إلىٰ ابن عربي؛ لكي نعرف منهجه في التفسير كما هي عادتنا في توضيح المناهج:

١ ـ قبول التفسير للظاهر والتأويل للباطن

يقول ابن عربي : فرأيت أن أعلّق ببعض ما يسنح لي في الأوقات من أسرار حقائق البطون، وأنوار شوارق المطّلعات، دون ما يتعلّق بالظواهر والحدود ، فإنّه قد عيّن لها حدّ محدود، وقيل : من فسّر برأيه فقد كفر [٢]. فمن هذه العبارة نعرف أنّ ابن عربي يعترف بالظاهر، ولكنّ هدفه هو بيان أسرار البطون.

٢ ـ كلّ من فهم من الآية شيئاً، فهو مقصود الآية له

يقول ابن عربي : إعلم أنّ الآية المتلفَّظ بها من كلام الله بأيّ وجه كان ، من قرآن أو كتاب منزل أو صحيفة أو خبر إلهي ، فهي آية علىٰ ما تحتمله تلك اللفظة من جميع الوجوه ، أي: علامة مقصودة لمن أنزلها بتلك اللفظة الحاوية في ذلك اللسان علىٰ تلك الوجوه ؛ فإنّ منزلها عالم بتلك الوجوه كلّها ، وعالم بأنّ عباده متفاوتون

---

١ . راجع : التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب ٢ : ٥٨٣ ـ ٥٨٦ .

٢ . تفسير ابن عربي ١ : ٦ .

في النظر فيها ، وأ نّه ما كلّفهم في خطابه سوىٰ ما فهموا عنه فيه، فكلّ من فهم من الآية وجهاً، فذلك الوجه هو مقصود بهذه الآية في حقّ هذا الواجد له ، وليس يوجد هذا في غير كلام الله، وإن احتمله اللفظ، فإنّه قد لايكون مقصوداً للمتكلّم به ؛ لعلمنا بقصور علمه عن الإحاطة بما في تلك اللفظة من الوجوه ، ولهذا كان كلّ مفسّر فسّر القرآن ولم يخرج عمّا يحتمله اللفظ، فهو مفسّر [١].

ليس معنى هذا الكلام هو إضافيّة المعرفة، وعدم وجود حقائق ثابتة أبديّة، فإنّ هذا شيء، وما ذكره ابن عربي شيء آخر، فإنّ ابن عربي يقول: إنّ ما يفهمه المفسّرون مطابق لما أراده الله من الآيات؛ لأنّ الله اختار كلمات وجملاً ذات معانٍ كثيرة، في الإنسان بما له مراتب في الكلمات، يجب أن يعرف في كلّ مرتبة، معرفة خاصّة تليق به، كما سوف نذكر كلاماً منه في الرقم الآتي.

٣ ـ زيادات ذوقيّة غير مرتبطة بظهور الآيات

كثيراً مّا نجد توضيحات وزيادات كثيرة ذوقيّة في تفسير ابن العربي، لاتتعلّق بظهور الآيات، ولايمكن إخراجها من الألفاظ الموجودة ضمن الآيات القرآنية، ولايذكر ابن العربي كيف استفاد هذه المعاني الزائدة من تلك العبائر الأجنبيّة عنها:

أ ـ ذيل الآية : ﴿**وإذ نجيناكم من آل فرعون...**﴾ يقول: وتأويله: وإذ نجّيناكم من آل فرعون النفس الأمّارة المحجوبة بأنانيتها المستعلية على ملك الوجود، ومصر مدينة البدن التي استعبدت هي وقواها، التي هي الوهم والخيال والمتخيّلة والغضب والشهوة، القوى الروحانية التي هي أبناء صفوة الله يعقوب الروح، والقوى الطبيعة البدنيّة من الحواس الظاهرة والقوى النباتيّة [٢].

---

١ . رحمة من الرحمان في تفسير وإشارات القرآن١ : ١١و١٢ .

٢ . تفسير ابن عربي ١: ٣٢، ذيل الآية ٤٩ من سورة البقرة.

ب ـ ذيل الآية: ﴿والتين والزيتون﴾ يقول: والتين، أي: المعاني الكليّة المنتزعة عن الجزئيّات التي هي مدركات القلب، شبهها بالتين؛ لكونها غير ماديّة معقولة صرفة، مطابقة لجزئيّات مقويّة للنفس، لذيذة كالتين الذي لا نوى له، بل هو لبّ كلّه، مشتمل على حبّات كالجزئيّات التي هي في ضمن الكليّات، مسمّن للبدن، فيه غذائية وتفكه، «والزيتون» أي: المعاني الجزئيّة التي هي مدركات النفس، شبهها بالزيتون؛ لكونها ماديّة، معدّة للنفس لإدراك الكليّات كالزيتون، الذي له نوى وهو دابغ لآلات الغذاء مثله [١].

٤ ـ ليس للتأويل حدّ

يقول محيي الدين ابن عربي: وأمّا التأويل، فلايبقى ولايذر ، فإنّه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته، في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته ، وكلّما ترقّى عن مقامه، انفتح له باب فهم جديد، واطّلع به على لطيف معنى عتيد [٢].

٥ ـ جواز التفسير الإشاري لأولياء الله فقط

يقول ابن عربي: فاغطس في بحر القرآن العزيز إن كنت واسع النفس، وإلّا فاقتصر على مطالعة كتب المفسّرين لظاهره، ولاتغطس فتهلك، فإنّ بحر القرآن عميق، ولولا الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل، ما خرج لكم أبداً ، فالأنبياء والورثة الحفظة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم، وأمّا الواقفون الذين وصلوا ومُسِكوا، ولم يَرِدوا ولا انتفع بهم أحد ، ولا انتفعوا بأحدٍ، فقصدوا بل قصد بهم ثبج البحر ، فغطسوا إلى الأبد لايخرجون [٣].

---

١. تفسير ابن عربي ٢: ٤٤٣، ذيل الآية من سورة التين.

٢. المصدر السابق ١: ٦.

٣. رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ١: ١٦.

٦ ـ لا طريق لمعرفة المتشابهات إلّا بإعلام الله

ابن عربي، كبقيّة العارفين، يعتقد بإمكان فهم المتشابهات، ولكن لايرى طريقاً لفهمها إلّا بإعلام الله تعالى؛ فإنّه يقول: ونهاهم أن يُتبعوا المتشابه بالمحكم، أي: لايحكموا عليه بشيءٍ، فإنّ تأويله لايعلمه إلّا الله والراسخون في العلم، وإن علموه باعلام الله لا بفكرهم واجتهادهم، فإنّ الأمر أعظم من أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهيّ [١].

٧ ـ التفسير الإشاري هو تفسير القرآن حقيقة

التأويل في رأي ابن عربي، هو في الحقيقة تفسير للقرآن الكريم ، فإنّه يقول : إنّه ما خلق الله أشقّ ولا أشدّ من علماء الرسوم علىٰ أهل الله المختصّين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذي منحهم أسراره في خلقه ، وفهّمهم معاني كتابه وإشارات خطابه ، ولمّا كان الأمر في الوجود الواقع علىٰ ما سبق به العلم القديم ، عدل أصحابنا إلى الإشارات ، كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة ، فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إشارات ، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً لمعانيه النافعة [٢].

٨ ـ اجتناب الإسرائيليّات

تحاشى ابن العربي ذكر الإسرائيليّات في تفسيره؛ لأنّه يرىٰ: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله أمرنا أن لانصدّق اليهود ولانكذبهم في حكاياتهم، فإذاً ذكر هذه الحكايات في التفسير

---

١ . رحمة من الرحمن ١: ٤١٢، ذيل الآية ٧ من سورة آل عمران.

٢ . المصدر السابق : ١٥ .

يعدّ ردّاً لما قاله الرسول، قال ابن العربي: أمّا المفسّرون الذين يأخذون حكايات اليهود في تفسير القرآن، فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لانصدّق أهل الكتاب ولا نكذبهم، فمن فسّر القرآن برواية اليهود، فقد ردّ أمر رسول الله، ومن ردّ أمر رسول الله ﷺ فقد ردّ أمر الله، فإنّه أمرَ أن نطيع الرسول، وأن نأخذ ما أتانا به، وأن ننتهي عمّا نهانا عنه؛ إذ لايوصلنا إلى أخبار الأنبياء الإسرائيليين إلّا نبي فنصدّقه، أو أهل كتاب، فنقف عند أخبارهم [١].

مصادره في التفسير: عند تتبع تفسيره المنسوب إليه نجده يفسّر القرآن بمصادر متنوّعة، منها:

١ ـ ظواهر القرآن

مع أنّ ابن عربي لايقصد التفسير الظاهري في كتابه ، إلّا أنّنا في بعض من الموارد نجده يفسر القرآن تفسيراً ظاهريّاً، وهذا النوع من التفسير يوجد بكثرة في تفسير (رحمة من الرحمان في تفسير وإشارات القرآن) ، ونجده أحياناً في تفسير مشهورب (تفسير ابن عربي)؛ ففي الأخير ، ذيل الآية الثامنة من البقرة، يقول : فخداعهم لله وللمؤمنين : إظهار الإيمان والمحبّة ، واستبطان الكفر والعداوة ، وخداع الله والمؤمنين إيّاهم : مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك ، وادخار العذاب الأليم والمآل الوخيم وسوء المغبّة لهم، وخزيهم في الدنيا؛ لافتضاحهم بإخباره تعالى، وبالوحي عن حالتهم ، لكنّ الفرق بين الخداعين: أنّ خداعهم لاينجح إلّا في أنفسهم بإهلاكها، وتحسيرها، وإيراثها الوبال والنّكال، بازدياد الظلمة والكفر والنفاق، واجتماع أسباب الهلكة، والبعد والشقاء عليها [٢]. فهذا التفسير لايتجاوز ما يظهر من ظاهر الآية.

---

١ . رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ١: ١٣.

٢ . تفسير ابن عربي ١ :١٦ .

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن

يستفيد ابن عربي من القرآن لتفسير الآيات علىٰ طبق مذهبه العرفاني كثيراً، فنراه في ذيل الآية: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ يقول: أي: ضيق من حمله، فلايسعه لعظمته، فيتلاشى بالفناء في الوحدة والاستغراق في عين الجمع والذهول عن التفصيل؛ إذكان عليه السلام في مقام الفناء محجوباً بالحقّ عن الخلق، كلّما ردّ عليه الوجود، وحجب عنه الشهود الذاتي، وظهر عليه بالتفصيل، ضاق عنه وعاؤه وارتكب عليه وزر وثقل، ولهذا خوطب بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ بالوجود الموهوب الحقّاني، والاستقامة في البقاء بعد الفناء بالتمكين؛ ليسع صدرك الجمع والتفصيل والحق والخلق، فلم يبق عليك وزر في عين الجمع، ولا حجاب بأحدهما عن الآخر [١].

٣ ـ الروايات

الروايات المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام لها موقع مهم في تفسير ابن عربي، فعلى سبيل المثال: بعد الآية: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يقول: أي: أنسى شيطان الوهم يوسف القلب ذكر الله تعالى بالفناء فيه، لوجود البقية وطلبه مقام الروح، وإلّا ذهل عن ذكر نفسه ووجوده، وللاحتجاب بهذا المقام وهذه البقية، لبث في السجن بضع سنين، وإليه أشار النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «**رحم الله أخي يوسف لو لم يقل: أذكرني عند ربّك، لما بقي في السجن بضع سنين**» [٢].

وكذلك بعد الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: أي: لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**أعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى**».

---

١. تفسير ابن عربي ١: ٢٢٧، ذيل الآية ٢ من سورة الأعراف.

٢. المصدر السابق ١: ٣٢٣، ذيل الآية ٤٢ من سورة يوسف.

وقال النبيّ ﷺ: «**اللّهمّ ثبّت قلبي علىٰ دينك**»، فقيل له : أما غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال ﷺ: «**أو ما يؤمنني، إنّ مثل القلب كمثل ريشة في فلاة، تقلّبها الرياح كيف شاءت**»[١].

٤ ـ كلمات العرفاء

النقل عن العرفاء معروف بينهم ، ولعلّ هذه الطريقة نشأت عن إرادة التلاميذ لأساتذتهم وشيوخهم . ففي ذيل الآية: ﴿وسع كرسيّه السماوات والأرض﴾، يقول ابن عربي: أي: علمه؛ إذ الكرسيّ مكان العلم الذي هو القلب ، كما قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: لو وقع العالم وما فيه، ألف ألف مرّة، في زاوية من زوايا قلب العارف، ما أحسَّ به؛ لغاية سعته . ولهذا قال الحسن: كرسيّه: عرشه، مأخوذ من قوله ﷺ: «**قلب المؤمن من عرش الله**»[٢].

٥ ـ تفسير القرآن علىٰ أساس القواعد العرفانيّة

تفسير ابن عربي مملوءٌ بتفسير القرآن علىٰ حسب القواعد العرفانية الصوفية ، فمن تلك القواعد : قاعدة وحدة الوجود المعروفة بين أصحاب الشهود ، وإن فسّرتها كلّ طائفة تفسيراً خاصّاً يختلف عن تفسير الأخرىٰ.

ولكن علىٰ كلّ حال ، قاعدة وحدة الوجود تؤثّر تأثيراً مهمّاً في تعابير ابن عربي وكتبه، خصوصاً في الفتوحات والفصوص وتفسيره المعروف بتفسير ابن عربي، فإنّه في ذيل الآية: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: ومعبودكم الذي خصصتموه بالعبادة أيها الموحّدون معبود واحد بالذات ، واحد مطلق، لا شيء في الوجود غيره ، ولا موجود سواه فيعبد ، فكيف يمكنكم الشرك به وغيره العدم

١. تفسير ابن عربي ١ : ٢٥٩، ذيل الآية ٤٧ من سورة الأعراف .

٢. المصدر السابق : ٨٣ ، ذيل الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

البحت، فلا شرك إلّا الجهل به [١].

٦ ـ المشاهدات العرفانيّة

يذكر ابن عربي في مقدّمة تفسيره: أنّ التفسير نتيجة لسوانح ربّانية خطرت علىٰ قلبه ، ومع هذا ـ قد نجده عند تفسير بعض الآيات ـ يستفيد من الكشف الخاص، ويذكر ذلك الكشف الخاص الذي حصل له من طريق مشاهدة عرفانيّة .

ففي ذيل الآية: ﴿والجبال أوتاداً﴾ يقول : صلّيت مع شيخي أبي جعفر العريبي، في دار وليي وصفيي أبي عبدالله محمّد الخيّاط المعروف بالعصّاد وأخيه أبي العباس أحمد الحريري ، فقرأ الإمام : ﴿عمّ يتساءلون﴾ فلما وصل إلىٰ قوله : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ غبت عن قراء الإمام ، وما سمعت شيئاً ، ورأيت شيخنا أبا جعفر وهو يقول : المهاد العالم، والأوتاد المؤمنون ، والمهاد المؤمنون، والأوتاد العارفون ، والمهاد العارفون، والأوتاد النبيّون، والمهاد النبيّون، والأوتاد المرسلون ، وذكر من الحقائق ما شاء الله أن يذكر ، فرددت إليّ والإمام يقرأ ﴿وقال صواباً ذلك اليوم الحق﴾، فلما فرغنا من الصلاة سألته، فوجدته قد خطر له في تلك الآية ما شهدته [٢]. فهو يفسّر المهاد والأوتاد بعدّة مصاديق مترتّبة؛ لأجل ذلك الكشف الحاصل له حين الصلاة.

النموذج الثاني

منهج تفسير صدرالمتألّهين

حياة المؤلّف: المؤلّف يسمّي نفسه تارة: محمّد، المعروف بـ : صدر الدين بن إبراهيم القوامي ، وتارة أخرىٰ بـ : محمّد المشتهر بصدر الدين بن إبراهيم الشيرازي

---

١ . تفسير ابن عربي ١ : ٦٣، ذيل الآية ١٦٣ من سورة البقرة .

٢ . رحمة من الرحمن ٤ : ٤٣٩، ذيل الآية ٧ من سورة عمّ.

مولداً والقميّ مسكناً ، كما يسمّى نفسه مرّة أخرى بـ : محمد بن إبراهيم بن يحيى المشهور بصدر الشيرازي. وعلىٰ كلّ حال ، هو معروف بعدّة أسماء منها : الملّا صدرى ، ومنها : صدرالمتألّهين ، كما كتب علىٰ تفسيره : صدر المتألّهين محمّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي.

ولد في مدينة شيراز مركز محافظة فارس في إيران سنة ٩٧٩ هـ ، علىٰ ما جاء في تعليقة له علىٰ رسالته المسمّاة بالمشاعر ، فإنّه يقول : تاريخ هذه الإفاضة كان ضحوة يوم الجمعة سابع جمادى الأولىٰ لعام سبع وثلاثين بعد الألف من الهجرة ، وقد مضى من عمر المؤلّف ثمان وخمسون سنة قمرية [١]، فإذا أنقصنا رقم ٥٨ من رقم ١٠٣٧ ، يكون مولده سنة ٩٧٩ هـ. وجاء في مقدّمة تفسيره : جاء في التراجم أنّه توفي ﷺ سنة ١٠٥٠ هـ ، فكان عمره حين الوفاة ٧١ سنة، فتوفي في البصرة وهو متوجّه للحجّ.

وقال السيد أبو الحسن القزويني: سألت أحد شيوخ العرب ـ كان ساكناً في النجف وسافر إلى البصرة مراراً ـ سألته قبل أربعين سنة عن قبر صاحب الترجمة، فأجابني: «إنّ في البصرة قبراً مشهوراً بأنّه قبر مولى صدرا الشيرازي»، ولكن فتّش عن هذا القبر أخيراً بعض من ذهب إلى البصرة، فلم يعثر عليه، ولعلّ الأثر ضاع طيلة هذه المدّة [٢].

رحلاته: ذكرنا أنّه ولد في مدينة شيراز ، وسكن هناك إلىٰ وقت شبابه ، ثمّ سافر إلىٰ مدينة إصفهان، وتلمذ عند الأستاذين العظيمين : الشيخ البهائي والسيد الداماد، ثمّ ذهب إلىٰ قرية كهك قرب مدينة قم، وعكف هناك مدّة للعبادة والرياضة والتفكّر في المبدأ والمعاد ، ثمّ رجع إلىٰ شيراز واشتغل فيها بالتدريس والتأليف إلىٰ نهاية

---

١. المشاعر ، لصدر المتألّهين: ٧٧.

٢. تفسير القرآن الكريم ١ : ١٢و١٣.

حياته، التي كانت في زمان وصوله إلىٰ مدينة البصرة في العراق ، قاصداً زيارة بيت الله المبارك.

الأدوار الفكريّة: كما جاء في مقدّمة تفسيره ، يمكن تقسيم حياته العلمية وأدواره الفكرية إلىٰ ثلاث مراحل معيّنة متميّزة، وهي:

أ ـ مرحلة الدراسة: في هذه المرحلة، درس في مدينة شيراز، وسافر إلىٰ إصفهان، ودرس عند الأساتذة الكبار المعروفين آنذاك في البلاد ، خصوصاً العلمين الشريفين الشيخ البهائي والسيد الداماد ، وفي هذه الدورة درس العلوم الرسميّة مع الفلسفة ، ككثير من العلماء.

ب ـ مرحلة الاعتزال والخلوة : بدأت دورة الاعتزال والخلوة في قرية كهك ، في هذه الدورة يتذكر ما مضى من عمره وينشد:

قد صرفت العمر في بحث العلوم لم يفدنا بحثنا غير الهموم
كلّ عمر ضاع في غير الحبيب لم يكن فيه سوى الحسرة نصيب
أيّها الساقي أدر كأساً بنا ينجبر ما فات من أوقاتنا

وهذه الدورة كانت خالية من التدريس والتأليف، إلّا أنّ بعض الخواصّ من التلاميذ كالفيض الكاشاني وغيره استفادوا منه، واستمرّت هذه الدورة إلىٰ سفره إلىٰ شيراز.

ج ـ مرحلة التدريس والتأليف: بدأت هذه الدورة بعد وصوله إلىٰ شيراز ، واستمرت إلىٰ آخر حياته الشريفة، فأكثر ما ألّفه كان في هذه المرحلة من عمره[1].

التعريف العام بالتفسير

تفسير القرآن الكريم ، لصدر المتألّهين ، يشتمل علىٰ تفسير بعض القرآن، فلا يشمل جميع الآيات ، وقد طبع في سبعة مجلّدات على النحو التالي:

١. راجع: مقدّمة تفسيره : ١٦ ـ ٢٠ .

الأول : يشتمل علىٰ تفسير سورة الفاتحة والبقرة إلىٰ الآية ١٦ في ٥٥٢ صفحة.

الثاني: يشتمل علىٰ بقيّة سورة البقرة إلىٰ الآية ٣٣ من نفس السورة في ٤٤٨ صفحة .

الثالث : يشتمل علىٰ تفسير آيات البقرة من الآية ٣٤ إلىٰ الآية ٦٥ من البقرة في ٥٦٨ صفحة .

الرابع : يشتمل علىٰ تفسير آية الكرسي: ٢٥٥ و٢٥٦ و٢٥٧ من البقرة في ٤٦٢ صفحة .

الخامس : تفسير سورة يس إلىٰ آخرها في ٥٧٦ صفحة .

السادس : تفسير سورة السجدة والحديد إلىٰ آخرها في ٤١٤ صفحة .

السابع : تفسير سور الواقعة والجمعة والطارق والأعلىٰ والزلزال ، في ٥١٢ صفحة .

وهذا التفسير ، يسمّى تفسيراً عرفانيّاً فلسفياً، اعتنىٰ بالظاهر كما اعتنى بالباطن ، واستفاد من المصادر التفسيرية المشهورة، كما استفاد من أهل الكشف والشهود، خصوصاً ابن عربي والقيصري؛ فإنّ لابن عربي منزلة رفيعة عند صدرالمتألّهين ، ولايرى تلك المنزلة لشخص آخر .

أسلوبه: أسلوب تفسير صدر المتألّهين يتشكّل من قسمين ظاهري وعرفاني:

ففي القسم الأول : يتمشّىٰ مع المفسّرين الكبار ويحذو حذوهم في الغالب، فهو يذكر الآية أوّلاً، ويبحث عن مجموعة من العلوم العربية غالباً، مثل: القراءات ، اللغة ، النحو ، الفصاحة والبلاغة ، ثمّ يذكر تفسيراً ظاهريّاً طبقاً للقواعد الموجودة في الأصول والتفسير ، وغالباً ينقل كلمات القوم في هذه المرحلة .

وفي القسم الثاني: يظهر صدر المتألّهين بسمة فيلسوف عميق وعارف كبير، فيفسر القرآن العظيم على المنهج العرفاني القويم، مع التأييد بالبرهان من العقل

والقرآن الكريم . يقول : وذكرت فيها لبّ التفاسير المذكورة في معانيها ، ولخّصت كلام المفسّرين الناظرين في مبانيها ، ثمّ أتبعتها بزوائد لطيفة يقتضيها الحال والمقام، وأردفتها بفوائد شريفة يفضيها المُفضل المنعام (١).

صدر المتألّهين ونظرة الآخرين له:

قال الأستاذ الشيخ محمّد رضا المظفر في مقدّمة الأسفار : يلذّ لي الحديث كثيراً عن المولى (صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي القوامي)... وأنا أحد المعجبين بعقله، وسموّ نفسه، وقوة عارضته، وحريّة تفكيره، وحسن بيانه، ونضج أفكاره، وصراحته في الإعلان عن آرائه، مع ما لاقى من عنت وتكفير ، وكلّ ذلك استشعرته من كتبه ورسائله، قبل أن أفهمه من حديث الناس المترجمين له ...

والحقّ: أنّ صاحبنا من عظماء الفلاسفة الإلهيين، الذين لايجود بهم الزمن إلّا في فترات متباعدة من القرون، وهو بعد ـ المدرّس الأول لمدرسة الفلسفة الإلهية في هذه القرون الثلاثة الأخيرة في البلاد الإسلامية الإمامية، والوارث الأخير للفلسفة اليونانية والإسلامية، والشارع لهما، والكاشف عن أسرارهما... وكل من جاء بعده من الفلاسفة في هذه البلاد فإنّ فخر المجلّي منهم أن يقال عنه: إنّه يفهم أسرار كلامه أو إنّه تلميذه ولو بواسطة، ومن الطريف حقّاً أنْ نجد أساتذة فن المعقول ـ كما يسمّونه ـ يفتخرون باتصالهم به في سلسلة التلمذة، حتّىٰ أنّ بعضهم يبالغ في حفظ أسماء أشخاص هذه السلسلة، كالعناية بسلسلة رواة الحديث ، وأكثر من ذلك أنّ شيخنا وأستاذنا العظيم المحقق الحجّة الشيخ محمد حسين الإصفهاني، سمعت عنه أنّه كان يقول: لو أعلم أحداً يفهم كتاب الأسفار، لشددت إليه الرحال للتلمذة عليه، وإن كان في أقصى الديار، وكأنّ أستاذنا قدس الله نفسه الزكيّة يريد أن يفتخر بأنّه

١. راجع: تفسير القرآن الكريم ٦ : ١٤١، مقدّمة تفسير سورة الحديد .

وحده بلغ درجة فهم أسراره، أو أنّه بلغ درجة من المعرفة أدرك فيها عجزه عن اكتناه مقاصده العالية، وأزيدك أنّي من المؤمنين بأنّ صاحبنا صدر المتألّهين أحد الأقطاب في الدورة الإسلامية، هو والمعلم الثاني أبو نصر الفارابي المتوفّىٰ حدود ٣٤٠ هـ والشيخ الرئيس ابن سينا ٣٧٣ ـ ٤٢٧ هـ، والمحقق نصير الدين الطوسي ٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ، هؤلاء هم الرعيل الأول وهم الأصول للفلسفة، وصاحبنا خاتمتهم، والشارح لآرائهم، والمروّج لطريقتهم، والأستاذ الأكبر لفنّهم، ولولا خوف المغالاة لقلت: هو الأول في الرتبة العلميّة، لاسيما في المكاشفة والعرفان ...

وهذه مدرسة أخرى له في المعرفة، وهي: التوفيق بين الشرع الإسلامي وبين الفلسفة اليقينية، وعلىٰ هذا لم يفتأ يستشهد علىٰ كلّ مسألة حكميّة عويصة بالآيات القرآنية والآثار الإسلامية، وهو بارع حقّاً في تطبيق ما يستشهد به على فلسفته، والحق: أنّه في هذه المدرسة مؤسّس مجدد أيضاً، لم نعرف له نظيراً فيها، وحاشا أن تكون استشهاداته بالأدلّة السمعيّة ـ كما يسمّيها ـ رياءً لغرض دفع عادية المتهمين له بالخروج على الشرع، بل هو دائماً يتبجّح بأنّه لايرى أحداً يفهم أسرار القرآن الكريم والسنّة المطهرة كما يفهمهما هو، ويبالغ في التوفيق بين فلسفته والدين، مبالغة تجعله أبعد ما يكون عن الرياء والدجل، حتى يكاد أن يجعل كتبه الفلسفية تفسيراً للدين، وكتبه الدينية كتفسير القرآن وشرح الكافي تفسيراً للفلسفة، ولذا نقول: إنّ كتبه في التفسير وشرح الحديث هي امتداد لفلسفته... ولهذه الفكرة العميقة جزآن أو طرفان :

الطرف الأول : تأييد العقل للشرع، ووضع فيها كتبه الفلسفية، ويستهدف بها تأييد ما جاء في الشرع الإسلامي بالفلسفة .

الطرف الثاني: تأييد الشرع للعقل، ووضع فيها كتبه الدينية، ويستهدف بها تأييد ما جاء في فلسفته بالشرع، فحقّ أن نعدّ كتبه الفلسفية كتباً دينيّة أي: كلامية، وتعدّ

كتبه الدينية كتباً فلسفية... وهذا معنى ما قلناه آنفاً: إنّ كتبه الدينية كانت امتداداً لفلسفته حتّىٰ كتبه في التفسير [١].

وقال **السيّد جلال الدين الآشتياني**: إنّ واحداً من هذه الجهابذة، وأعظم فلاسفة الإسلام، ونابغة الشرق، الفيلسوف الكبير الفارسي صدر المتألّهين الشيرازي (٩٧٩ ـ ١٠٥٠) الذي فاق في العلوم الإلهيّة، وله مقام رفيع في فلسفة ما وراء الطبيعة، وآراؤه ونظريّاته الفلسفية تكون مورداً لتوجّه المحققين، وكان المرجو من فضلاء وطننا العزيز وعظمائه أن يمعنوا النظر في أفكار هذا الرجل العظيم وعقائده؛ أداءً لحقّ هذا المفكر العظيم، ولكن مع الأسف، فإنّه في الوقت الحاضر تبحث أفكار صدر المتألّهين في إيران خاصّة، وعلماء الغرب لايعلمون شيئاً من آرائه وعقائده، ويحصرون الفلسفة الإسلامية في آراء الشيخ الرئيس، وهم غافلون عن ترقيّات فلسفة ما وراء الطبيعة في أدوار مختلفة ، إنّ صدر الدين مع كونه حكيماً راسخاً متضلّعاً في العلوم، يعدّ أيضاً من أعاظم العرفاء في الأدوار الإسلامية، وفلسفته مع أنّها نتيجة السير التكاملي للفلسفة في القرون الأخيرة،إلّا أنّها لاختلاطها وامتزاجها بالآراء الفلسفية وعقائد أهل الكشف والعرفان ، زادت قدراً، حتّىٰ أنّ المتون الموروثة من حكماء اليونان، وإن كانت أفضل المتون الفلسفية ، إلّا أنّها صارت أمام فلسفته كالشيء البالي لايعتنىٰ به، وأصالة هذه المدرسة كانت سبباً لأن يجذب شعاعها أفكار علماء الغرب ، وأن تنسخ كتبه الفلسفية كتبَ القوم الذين كتبوا قبله في الفلسفة الإلهيّة [٢].

منهجه الفلسفي والعرفاني: الحكيم المتألّه صدر الدين الشيرازي، من جهة غوره في كتب الفلسفة (أعمّ من الإشراقيّة والمشائيّة)، وتمرّسه في علوم أهل

١ . الأسفار الأربعة ١: ٥ ـ ١٣، المقدّمة.

٢ . راجع: الأسفار الأربعة ١: ٥١.

الكشف، وإحاطته بالمأثورات الواردة من طريق الشرع، والسير الكامل في أفكار الإفلاطونيين الجدد والقدماء، واطلاعه الكافي على جميع المشارب والأفكار، أسّس طريقته التي رجحت علىٰ جميع المشارب والمآرب الفلسفية (وأفكار الشيخ الرئيس العميقة، وسائر أتباع المشّاء، وآراء الإفلاطونيين، وتحقيقات العرفاء، وأفكار حكماء الإشراق والروّاق قد هضمت في كتبه التحقيقية) وأحاطتها سَعَة فكره وجودة تحقيقه كلّ الإحاطة، قال في مقدمة الشواهد: قد اطلعت علىٰ مشاهد شريفة إلهيّة، وشواهد لطيفة قرآنية، وقواعد محكمة ربانية، ومسائل نقيّة عرفانيّة، قلّما تيسّر لأحد الوقوف عليها، إلّا أوحديّ من أفاضل الحكماء، أو صوفي صفيّ القلب من أماجد العرفاء.

وقد بنىٰ صدر الدين فلسفته علىٰ هذا الأساس الذي ذكرناه، فلهذا كانت فلسفته جامعة لمجموع من طريقة المشّاء والإشراق والروّاق ومسلك العرفاء الإسلاميين، ومأخذ أفكاره العرفانيّة كسائر الكمّل من أهل التحقيق في الكتاب والسنّة، ومع هذا الفرق، فإنّ صدر الدين استفاد من الأفكار والحقائق الواردة من طريق أهل بيت العصمة والأئمة الطاهرين بنحوٍ أعلىٰ وأوفر، وشرحه لأصول الكافي الذي ألّفه شيخنا الكليني، وتفسيره للقرآن المجيد، أصدق شاهد على ما قلناه.

قال في مقدمة كتابه المسمّى (متشابه القرآن): هذه لمعة من لوامع علوم المكاشفة في فهم متشابهات القرآن، وشرحناه في بعض مواضع من تفسيرنا الكبير الجامع لأكثر ما في التفاسير، المميَّز عنها بعلوم الأنوار وبطون الأسرار المكنونة المخزونة في كتاب الله المبين، الذي لايمسّه إلّا المطهّرون [1].

وقال في مقدّمة الأسفار أيضاً: وليعلم أنّ معرفة الله، وعلم طريق الآخرة، ليس

---

١. راجع: الأسفار الأربعة ١: ٥٣.

المراد بها الاعتقاد الذي تلقّاه العامي أو الفقيه وراثة وتلقّفاً، ولا ما هو تحرير الكلام والمجادلة في تحسين المرام، كما هي عادة المتكلّمين، وليس أيضاً مجرّد البحث البحت كما هو دأب أهل النظر وغاية أصحاب المباحثة والفكر؛ فإنّ جميعها ظلمات بعضها فوق بعض [١].

تأليفاته: البحوث والتحقيقات التي تسجّل ابتكار صدر المتألّهين، ولم يسبق لأحد من القائلين بها أن برهنها، هي:

١ ـ مسألة أصالة الوجود، بنحو التحقيق والشرح الكامل.

٢ ـ التوحيد الخالص، بنحو صحيح مبرهن.

٣ ـ الحركة الجوهرية، بنحو كامل وشامل.

٤ ـ مسألة اتحاد العاقل والمعقول.

٥ ـ إتّحاد النفس الناطقة في سيرها التّكاملي بالعقل الفعّال.

٦ ـ قاعدة بسيط الحقيقة كلّ الأشياء.

٧ ـ القول بأنّ النفس جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء.

٨ ـ قاعدة: النفس في وحدتها كلّ القوى.

٩ ـ تجرّد القوة الخياليّة بالتجرّد البرزخي.

١٠ ـ إثبات أرباب الأنواع، بنحو تامّ، وتوضيح مراد أسلافه من هذا المقال.

١١ ـ تحقيق في الصّوَر البرزخيّة والمُثُل المعلّقة بين عالم العقل وعالم الطبيعة.

١٢ ـ تحقيق في المعاد الجسماني [٢].

منهجه التفسيري: لتوضيح منهجه التفسيري، نذكر الأمور التالية:

---

١. المصدر السابق: ١١.

٢. راجع: الأسفار الأربعة: ١، المقدّمة.

١ ـ هدفه ذكر الإلهامات الغيبيّة في تفسير الآيات

ذكر الإلهامات التفسيرية هو الهدف الأساسي في تفسير صدرالمتأ لّهين ، فمثلاً عندما يتكلّم على تفسير سورة الحديد ، وهي أوّل سورة فسّرها؛ لأنّه في كتاب (شرح أصول الكافي) يقول : ثمّ من النوادر: أن هذا العبد المسكين كان في سالف الزمان ، متأمّلاً متدبّراً ، علىٰ عادتي عند تلاوة القرآن في معاني آياته ورموزها وإشاراتها، وكان المنفتح علىٰ قلبي من آيات هذه السورة وإشاراتها أكثر من غيرها ، فحدا بي ذلك ـ مع ما سبق من الخواطر الغيبيّة والدواعي العلميّة والإعلامات السريّة ـ إلىٰ أن أشرع في تفسير القرآن المجيد والتنزيل الحميد ، فشرعت، وكان أوّل ما أخذت في تفسيره من السور القرآنيّة هذه السورة ؛ لفرط شغفي وقوّة شوقي، بإظهار ما ألهمني ربّي من عنده [١] .

٢ ـ العناية بالتفسير الظاهري

يعدّ تفسير صدر المتأ لّهين من التفاسير العرفانيّة التي تُعنىٰ بالظاهر، وتهتمّ بالقواعد الممهّدة لمعرفة الكلام في مقام الإفادة والاستفادة، فمرّة يقول : وأنت خبير بأنّ خروج الألفاظ القرآنية عن معانيها المتعارفة المشهورة يوجب تحيّر الناظرين فيها ، والقرآن نازل لهداية العباد وتعليمهم وتسهيل الأمر عليهم مهما أمكن، لا للتعقيد والإشكال ، فيجب أن تكون اللغات محمولة علىٰ معانيها الوضعيّة المشهورة بين الناس؛ لئلّا يوجب عليهم الالتباس [٢] .

ومرّة أخرى يقول : كن أحد رجلين : إمّا المؤمن بظواهر ما ورد في الكتاب والحديث، من غير تصرّف وتأويل ، أو العارف الراسخ في تحقيق الحقائق والمعاني،

---

١ . شرح أُصول الكافي : ٢٤٦، باب النسبة، ح ٣ .

٢ . عند تفسير الآية ١٠ من سورة السجدة .

مع مراعاة جانب الظواهر وصور المباني [١].

٣ ـ العناية الكثيرة بالتفسير الإشاري وعدم الاكتفاء بالظواهر

في جميع كتب صدر المتألّهين نرى العناية الكبيرة بالكشف والشهود في معرفة كلام علّام الغيوب والقرآن المشهود، كما نراه يهجم على المكتفين بالظواهر، والذين يجتنبون الأسرارَ والبطون. فيقول: فمن لم يطّلع من القرآن إلّا على تفسير الألفاظ، وتبيين اللغات، ودقائق العربية والفنون الأدبية، وعلم الفصاحة والبيان، وعلم بدائع اللسان، وهو عند نفسه أنّه من علم التفسير في شيء، وأنّ القرآن إنّما أنزل لتحصيل هذه المعارف الجزئيّة، فهو أحرى بهذا التمثيل، أي: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [٢].

٤ ـ لزوم طهارة الروح لتفسير القرآن الكريم

لاتصدر الكلمات الروحانية إلّا من الأرواح الطاهرة، فالتفسير الإشاري الروحاني ينبع من القلب الطاهر النوراني، ولأجل ذلك يقول الشيرازي: واعلم أنّك لو أردت أن تكون عالماً ربانيّاً مفسّراً للكلام الإلهي، من دون أن تُتعب نفسك وتداوم علىٰ الأمور المقرّبة للقدس، من الرياضة والخضوع والخشوع والصبر والصلاة، وتجريد الذهن عن الخواطر، وسدّ أبواب المشاعر، ودوام النظر في الإلهيّات، فقد حدّثت نفسك بممتنع أو شبيه بالممتنع [٣].

٥ ـ العناية بجمع الفلسفة والعرفان والنقل والمسلّمات الناتجة من علم الكلام

إنّ فلسفة صدر المتألّهين ليست فلسفة اليونانيين والمشّائين، وليست فلسفة

---

١. عند تفسير الآية ١٦٨ من سورة البقرة.

٢. الجمعة: ٥.

٣. تفسير القرآن الكريم، ٣: ٢٩٨.

العرفاء والإشراقيين، وليست مخالفة للكتاب والسنّة، أو مضادّة للاعتقادات الكلاميّة الصادقة، بل فلسفته كمفترق ختم به الكلّ، فهو يعتقد عدم مخالفة العلوم الصحيحة العقلية أو الكشفية لما يوجد في الكتاب والسنّة .

فتارة يقول: وحاشىٰ الشريعة الحقّة البيضاء، أن تكون أحكامها مصادمة للمعارف اليقينية الضرورية، وتبّاً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنّة[١]. وتارة أخرىٰ يقول: ونحن قد جعلنا مكاشفاتهم الذوقيّة مطابقة للقوانين البرهانية [٢].

٦ ـ النقد الشديد للصوفيّة والباطنيّة واجتنابهما

قد فرّق صدر المتألّهين بين منهج العرفاء الكاملين الصادقين، وبين منهج المتصوّفين والباطنيين المؤوّلين لما هو واضح وجليّ، إلى ما هو مبهم وكريه ، الذين لايعرفون شيئاً من قواعد التأويل الصحيح للقرآن الكريم .

فهو يقول : إنّ بعض الجهلة من المتصوفين المقلّدين ، الذين لم يحصّلوا طريق العلماء العرفاء، ولم يبلغوا مقام العرفان ، توهّموا؛ لضعف عقولهم، ووهن عقيدتهم، وغلبة سلطان الوهم علىٰ نفوسهم، أن لاتحقق بالفعل للذات الأحديّة [٣].

وفي مكان آخر يقول : وبهذا الطريق توسّلت الباطنية إلىٰ هدم جميع الشريعة، بتأويل ظواهرها وتنزيلها علىٰ رأيهم، فيجب الإحتراز عن الإغترار بتلبيساتهم ؛ فإنّ شرّهم أعظم على الدين من شرّ الشياطين ؛ إذ الشياطين بوساطتهم تتذرّع إلىٰ انتزاع الدين من قلوب المسلمين [٤].

---

١ . الأسفار الأربعة ،٨ : ٣٠٣.

٢ . المصدر السابق ٦ : ٢٦٣ .

٣ . كسر أصنام الجاهلية : ٣و٤ .

٤ . المصدر السابق: ٣٠ .

٧ ـ اجتناب التأويلات المخالفة للظواهر

مع أنّ تفسيره يعدّ تفسيراً إشاريّاً، والمفسّر قد تأثّر بكثير من شخصيّات هذا الميدان ، لكن نرىٰ أنّ المكانة الكبيرة التي يعتقدها لبعض العرفاء الكبار، لاتمنعه من إظهار رأيه المخالف لما ذكره ، ولأجل ذلك نراه يخالف ابن عربي القائل بعدم العذاب في الآخرة، وبعد ذكر أدلّة من ينكر العذاب، يقول : وأمّا على أصولنا الحكميّة الإيمانيّة، فالجواب عنها بما مرّ من أنّ العقوبة إنّما تلحق الكفّار، لا من جهة انتقام منتقم خارجي يفعل الإيلام والتعذيب علىٰ سبيل القصد وتحصيل الغرض، حتّىٰ يرد السؤال عن الفائدة وعدم الفائدة، أو أنّ الفائدة عائدة إليه تعالىٰ أو إلى العبد ، بل العقوبة إنّما تلحقهم من باب اللوازم والتبعات والنتائج والثّمرات [١].

٨ ـ للقرآن درجات كما للإنسان درجات

يقول صدر المتألّهين : وبالجملة: إنّ للقرآن درجات ومنازل، كما إنّ للإنسان مراتب ومقامات ، وأدنىٰ مراتب القرآن كأدنىٰ مراتب الإنسان، وهو ما في الجلد والغلاف ، كما أنّ أدنىٰ الدرجات للإنسان هو ما في الإهاب والبشرة ، ولكلّ درجة منه حملة يحفظونه ويكتبونه ولايمسّونه إلّا بعد طهارتهم عن حدثهم أو حدوثهم، وتقدّسهم عن علايق مكانهم أو إمكانهم ، والقشر من الإنسان لاينال إلّا سواد القرآن وصورته المحسوسة،ولكنّ الإنسان القشري من الظاهرية لايدرك إلّا المعاني القشريّة، وأمّا روح القرآن ولبّه وسرّه، فلايدركه إلّا أولو الألباب، ولاينالونه بالعلوم المكتسبة من التعلّم والتفكّر، بل بالعلوم اللدنيّة [٢].

---

١ . تفسير القرآن الكريم ١ : ٣٦٥، ذيل الآية ٧ من سورة البقرة .

٢ . مفاهيم الغيب : ٤١ .

٩ ـ الفرق بين الكلام الإلهي والكتاب السماوي

يقول صدرالمتأ لّهين : ذكر بعض أكابر العلماء: أنّه فرق ما بين (الكلام الإلهي) و(الكتاب السماوي)، فالكلام بسيط، والكتاب مركّب من حامل ومحمول ، والكلام أمريّ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ والكتاب خلقي ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾. وعالم الأمر خالٍ من التضادّ، بل إنّه مقدّس عن التغيّر والتكثر ، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾، وأمّا عالم الخلق ، فمشتمل على التضادّ والتغيّر ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ . وكما أنّ الكلام يشتمل على الآيات ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾، فكذا الكتاب يشتمل عليها، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، والكلام إذا تشخّص وتنزّل من سماء التجرّد، صار كتاباً ، كما أنّ الأمر إذا تنزّل والحكم إذا مضى ، صار فعلاً ﴿كُن فيكُون﴾ [١].

وهو يذكر هذا القول ولايردّه، ويبدو أنّه قَبِل هذا الفرق بين الكلام الإلهي والكتاب السماوي.

مصادره التفسيرية: الاتّجاه العام الحاكم علىٰ تفسير صدرالمتأ لّهين هو الاتّجاه العرفاني الفلسفي، وهذا شيء مشهود في جميع الآيات التي فسرها والسور التي بيّنها، وحتّىٰ حينما يستفيد من الروايات والآيات ومصادر أخرى، نرى هذا الاتّجاه حاكماً علىٰ باله، وجارياً علىٰ لسانه، لنذكر بعض مصادره التي بها يفسّر الآيات، ويؤوّلها:

(١) القرآن الكريم

الملا صدرا ـ كغيره من المفسّرين ـ لايمكن أن يترك الرجوع إلى القرآن في تفسير الآيات، فهو في ذيل الآية ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى

---

١. تفسير القرآن الكريم ٥ : ٤٦٤ و٤٦٥، ذيل الآية ٨٢ من سورة يس .

شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ يقول : هذا هو النوع الرابع من أنواع الأفعال والأقوال القبيحة للمنافقين المذكورة في هذه الآيات، ولهم أنواع كثيرة من القبائح مذكورة في مواضع من القرآن ، منها : ما ذكره بقوله : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾ وبقوله : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، ومنها: ما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [١]. وهكذا يستمرّ في بيان الآيات للاستشهاد حتى يذكر ٣٨ آية من القرآن الكريم .

(٢) الروايات والآثار

في ذيل الآية ﴿يؤمنون بالغيب﴾، وتحت عنوان (توجيهات نقليّة) يقول :

قال بعض المفسّرين : معنى يؤمنون بالغيب : يصدّقون بجميع ما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه أو أباحه ، وقال الحسن : معناه : يصدّقون بالقيامة والجنّة والنار ، وعن ابن عبّاس : بما جاء من عند الله ، وعن ابن مسعود وجماعة من الصحابة : ما غاب عن العباد علمه، وهذا أولى؛ لعمومه ، ويدخل ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت خروجه، وأكّد كونه منتظراً بالقرآن والخبر .

أمّا القرآن، فقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ﴾، وأمّا الخبر، فقوله : **«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يخرج رجل من أهل بيتي يوافق اسمه اسمي وكنيته كنيتي ، به يملأ الله الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»** [٢].

---

١ . تفسير القرآن الكريم ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

٢ . المصدر السابق: ٢٦٨.

(٣) الكشف والشّهود

في كثير من الموارد يفسّر صدر المتألّهين الآيات ويوسّعها بواسطة الكشف والشهود تحت عناوين متعددة ، مثل : الكشف التنبيهي ، الكشف الإلهامي ، كشف إستفادي، مكاشفة ، مكاشفة قرآنيّة ، مكاشفة سرّية ، مكاشفة إلهاميّة ، وغير ذلك من التعابير العرفانيّة.

فهو تحت عنوان (مكاشفة قرآنيّة) يقول : وتمثيل القرآن بماء المطر شائع في كتاب الله، كما في قوله : ﴿وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: أو لم يروا أنّا نسوق ماء العلم القرآني، من سماء الملكوت العقلي، وجوّ العالم الأعلىٰ، إلىٰ أرض النفوس الساذجة، المنقطعة عن شواغل الدنيا وعوائق الهوى ، فنخرج به زرع العلوم الكشفيّة الإلهيّة، والآداب والأحكام العمليّة، يتغذّى ويتقوّى بالأولى روح الإنسان وباطنه؛ تكميلاً للقوّة العقلية، ويتروّض ويتهذّب بالثانية نفس الإنسان وظاهره؛ تكميلاً للقوّة العمليّة؛ فإنّ النفس بمنزلة المركّب للروح العقلي، كما أنّ البدن بمنزلة المركّب للنفس الحيوانية ، لهذا استعير لفظ الرياضة الموضوعة لمن يروّض الحيوان ، أي: يمنعه عن العلف لتقبّل التأديب والتعليم ، لأجل النفس الحيوانية عند تسخير الروح العقلي إيّاها وضبطه لها عن اللذات ، لتشايع قواها الروح، في سلوكه طريق الحقّ وسيره إلى الله [١].

(٤) القواعد الفلسفيّة والعرفانيّة

في ذيل تفسير الآية: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يقول صدر المتألّهين: إنّ الذي تستحسنه العقول الزكيّة ، المستشرقة بأنوار المعارف القرآنية ، وتستقبله القلوب المهتدية

١. المصدر السابق ٦ : ١٣١، ذيل الآية ٢٧ من سورة السجدة .

بأسرار الحقائق الايمانية ، أنّ النكتة في قوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ هي: أنّه لمّا تقدر عند أهل الحكمة والبرهان ، وأصحاب المكاشفة والعرفان ، بالمقدّمات التي بعضها حدسيّة وبعضها برهانيّة ، أنّ الإنسان بجميع أجزائه وأعضائه، متحد الحقيقة بالعالم بجميع أبعاضه وأفراده، أعني: مجموع السماوات والأرض بما فيها، وأنّ الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير، فالمضاهاة بينهما ثابتة، والمماثلة فيهما متحقّقة ، وقد ثبت أيضاً في العلوم النظريّة أنّ كلّ حكم ثبت لبعض أفراد حقيقةٍ واحدة، فقد أمكن ثبوته لسائر الأفراد البتة.

فلهذه المضاهاة والمماثلة، الثابتة بين مجموع السماوات والأرض وبين الإنسان، جعل إيجاد أحدهما دليلاً علىٰ إمكان إيجاد الآخر ، وإذا كان الفرد الذي ثبت كونه مخلوقاً له تعالى إنساناً كبيراً أكبر من سائر الأفراد ، فيثبت بالطريق الأولىٰ كون الأفراد الصغيرة ممّا يمكن أن تكون مخلوقة له ، وكونه قادراً عليها ، فالضمير في (مثلهم) راجع إلى الإنسان، ولفظ (المثل) إشارة إلى كلّ ما هو مماثل له في الحقيقة النوعيّة [1].

ففي هذا الكلام أشار إلى عدد من القواعد الفلسفية والعرفانيّة، مثل:

١ ـ الإنسان متّحد الحقيقة مع العالم.

٢ ـ الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير.

٣ ـ كلّ حكم ثبت لبعض الأفراد، أمكن ثبوته لسائر أفراد نوعه.

---

١. تفسير القرآن الكريم ٥ : ٣٦٧ و٣٦٨، ذيل الآية ٨١ من سورة يس .

مصادر الكتاب

١ ـ *ابن أبي الحديد، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله المدائني،* دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢ ـ *ابن أثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أكرم الشيباني،* أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣ ـ *ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم تقي الدين،* درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤ ـ ....، دقائق التفسير الجامع، تحقيق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دمشق.

٥ ـ ....، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تعليق: الدكتور السيد الجميلي.

٦ ـ ....، *التفسير الكبير،* تحقيق: الدكتور عبدالرحمان عميرة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، بيروت.

٧ ـ *ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمان بن علي بن محمد،* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، بيروت.

٨ ـ *ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل،* لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، بيروت.

٩ ـ *ابن عربي، محي الدين أبي عبدالله محمد بن علي*، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت.

١٠ ـ *ابن كثير الدمشقي، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر*، تفسير القرآن العظيم، تصحيح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١١ ـ *ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن الأنصاري*، لسان العرب، تقديم: العلّامة الشيخ عبدالله العلايلي، دار الجيل، دار لسان العرب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، بيروت.

١٢ ـ *اجنتس جولد تسهر*، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبدالحليم النجار، دار اقرأ، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، بيروت.

١٣ ـ *إسماعيل، محمد بكر*، ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، دار المنار، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ/١٩٩١م، القاهرة.

١٤ ـ *الأشعري، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل*، الإبانة في أصول الديانة، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، بيروت.

١٥ ـ *الاصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله*، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، نشر دار الكتب العلمية، جلد ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، بيروت.

١٦ ـ *الآلوسي البغدادي، محمد*، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، بيروت.

١٧ ـ *الإمام الخميني، روح الله*، تفسير سورة الحمد، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ش، قم.

١٨ ـ ....، آداب الصلاة، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران.

١٩ ـ *الأمين، احسان*، التفسير بالمأثور وتطوير، عند الشيعة الإمامية، د ر الهادي، الطبعة الاولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م، بيروت.

٢٠ ـ *الأمين، حسن*، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الخامسة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م، بيروت.

٢١ ـ ***الأمين، محسن،*** أعيان الشيعة، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، بيروت.

٢٢ ـ ***البحراني، السيد هاشم الحسني،*** البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، قم.

٢٣ ـ ***البحراني، حسن بن علي بن شعبة،*** تحف العقول عن آل الرسول، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م، النجف.

٢٤ ـ ***البحراني، يوسف بن أحمد،*** لؤلؤ البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، تعليق وتحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام الطبعة الثانية، قم.

٢٥ ـ ***البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل،*** صحيح البخاري، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب النجاد، نشر وتوزيع دار ابن كثير والجامه، جلد٥، ١٤١٤هـ، بيروت.

٢٦ ـ ***البرقي، أحمد بن محمد بن خالد،*** المحاسن، تعليق وتحقيق: جلال الدين الحسيني الآرموي، نشر دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١هـ، قم.

٢٧ ـ ***البغدادي، اسماعيل باشا،*** هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨ ـ ***البغدادي، الخطيب،*** تاريخ بغداد، دار نشر الكتب العلمية، بيروت.

٢٩ ـ ***البغوبي، أبو محمد الحسين بن مسعود،*** تفسير البغوي معالم التنزيل، نشر: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، الرياض.

٣٠ ـ ***البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر،*** أنساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بيروت.

٣١ ـ ***البلاغي، محمد جواد،*** آلاء الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، الطبعة الاولى، ١٤١٩هـ، قم.

٣٢ ـ ***التستري، أبو محمد سهل بن عبدالله،*** تفسير التستري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، بيروت.

٣٣ ـ ***التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري،*** مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، قم.

٣٤ ـ ***الثعلبي، أبو إسحاق أحمد المعروف بالامام،*** الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، تحقيق: محمد بن عاشور، دار الحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بيروت.

٣٥ ـ ***الجنابذي، سلطان محمد،*** تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، بيروت.

٣٦ ـ ***الجوادي الآملي، عبدالله،*** تسنيم تفسير قرآن كريم (فارسي)، الاسراء، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ش، قم.

٣٧ ـ ***الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن،*** تفصيل وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، بيروت.

٣٨ ـ ***الحسن الباز وآخرون،*** الإمام الطبري فقيهاً ومؤرخاً ومفسراً، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، الطبعة الأولى، بيروت.

٣٩ ـ ***الحسني، علي بن موسى بن طاوس،*** سعد السعود، الطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٤٠ ـ ***الحسيني الزبيدي، السيد محمد مرتضى،*** تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.

٤١ ـ ***الحكيم، محمد باقر،*** علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧، قم.

٤٢ ـ ***الحلي، العلامة أبو منصور حسن بن يوسف،*** خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، نشر فقاهت، ١٣١٢هـ، طهران.

٤٣ ـ ***الحموي الرومي البغدادي،*** شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، بيروت.

٤٤ ـ ***الخالدي، الدكتور صلاح عبدالفتاح،*** تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين، دار القلم، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دمشق.

٤٥ ـ *الخراساني، الآخوند الشيخ محمد كاظم*، كفاية الأصول، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، قم.

٤٦ ـ *الخطيب، عبدالكريم*، التفسير القرآني للقران، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٧ ـ *الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي*، البيان في تفسير القرآن، دار الثقلين، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، قم.

٤٨ ـ *الخولي، أمين*، مناهج التجديد.

٤٩ ـ *الخيّاط، أبو الحسن عبدالرحيم بن محمد بن عثمان*، الانتصار والردّ على ابن الراوندي الملحد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٥٠ ـ *الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد*، طبقات المفسّرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الاولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، القاهرة.

٥١ ـ *الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان*، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، بيروت.

٥٢ ـ ....، تذكرة الحفاظ، تصحيح: عبدالرحمان بن يحيى المعلمي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٥٣ ـ ....، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت.

٥٤ ـ ....، التفسير والمفسّرون، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ القاهرة.

٥٥ ـ ....، الاسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، القاهرة.

٥٦ ـ *الرازي، فخر الدين محمد بن عمر*، المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، بيروت.

٥٧ ـ ....، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٨ ـ *الرازي، عبدالرحمان بن محمد بن ادريس بن أبي حاتم*، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، الرياض.

٥٩ ـ *الرضائي الاصفهاني، محمد علي*، درس نامه روش‌ها و گرایش‌های تفسیر قرآن (فارسي)، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ه ش، قم.

٦٠ ـ *الرضي الموسوي، الشريف محمد*، نهج البلاغة، ضبط: الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية، ١٤٢١ه، طهران.

٦١ ـ *الروحي، مهذب بن عبدالرحمان بن سليمان*، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ادارة البحوث العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه/١٩٨٦م، السعودية.

٦٢ ـ *الزبيري، علي محمد*، ابن جُزي ومنهجه في التفسير، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م، دمشق.

٦٣ ـ *الزرقاني، محمد عبدالعظيم*، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م، القاهرة.

٦٤ ـ *الزركشي، محمد بن عبدالله وآخرون*، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، بيروت.

٦٥ ـ *الزركلي، خير الدين*، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، بيروت، والطبعة السادسة عشر، ٢٠٠٥ م، بيروت.

٦٦ ـ *الزمخشري، أبو القاسم جار الله عمر بن محمد*، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ه/١٩٩٥م، بيروت.

٦٧ ـ *السبحاني، جعفر*، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ه، قم.

٦٨ ـ ....، كليات علم الرجال، دار الميزان، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، بيروت.

٦٩ ـ *السبزواري الشعيري، محمد*، جامع الأخبار، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ١٤١٤ه، قم.

٧٠ ـ *السيوطي، جلال الدين عبدالرحمان*، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: نجدت نجيب، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، بيروت.

٧١ ـ ....، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيدار ـ الرضي، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ ش.

٧٢ ـ ....، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣ ـ ....، جمع الجوامع، تعليق: خالد عبدالفتاح شبل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، بيروت.

٧٤ ـ *الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم الغرناطي*، الموافقات في أصول الشريعة، تصحيح: الشيخ عبداللطيف اليوسف، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، بيروت.

٧٥ ـ ....، الموافقات في أصول الأحكام، تعليق: سيد محمد الخضر حسين التولسي، دار الفكر، بيروت.

٧٦ ـ *الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني*، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م، بيروت.

٧٧ ـ *الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد*، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد گيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٧٨ ـ *الشيرازي، ناصر مكارم*، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، بيروت.

٧٩ ـ *الصادقي، محمد*، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنّة، مؤسسة الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، بيروت.

٨٠ ـ *الصدوق ابن بابويه القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين*، من لايحضره الفقيه، تصحيح: الشيخ الحسين الاعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، بيروت.

٨١ ـ....، التوحيد، تعليق وتصحيح: هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٨٧هـ ش، قم.

٨٢ ـ....، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

٨٣ ـ....، عيون أخبار الرضا، نشر: الشيخ كاظم الكتبي، ١٣٩٠هـ، النجف الاشرف.

٨٤ ـ....، الخصال، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

٨٥ ـ ***الصنعاني، عبدالرزاق بن همام،*** تفسير القرآن، مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، الرياض.

٨٦ ـ ***الضراب، محمود محمود،*** جمع وتأليف، رحمة من الرحمن في تفسير اشارات القرآن من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، دمشق.

٨٧ ـ ***الطباطبائي، السيد محمد حسين،*** القرآن في الاسلام، ترجمة: السيد أحمد الحسيني، مركز الاعلام الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الاسلامية، ١٤٠٤هـ، طهران.

٨٨ ـ....، قرآن در اسلام (فارسي)، دار الكتب الاسلامية، الطبعة التاسعة، ١٣٧٩ ش، طهران.

٨٩ ـ....، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، بيروت.

٩٠ ـ ***الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن،*** مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، السيد فضل الله، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، بيروت.

٩١ ـ....، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، قم.

٩٢ ـ ***الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب،*** الاحتجاج، تعليق: السيد باقر الموسوي الخرسان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، بيروت.

٩٣ ـ ***الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،*** جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

٩٤ ـ ***الطريحي، الشيخ فخر الدين،*** مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٣٦٧هـ ش، طهران.

٩٥ ـ *الطوسي، نصير الدين*، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، انتشارات شكوري، قم.

٩٦ ـ ...، تلخيص المحصل المعروف بنقد المحصل، دار الأضواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، بيروت.

٩٧ ـ *الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن*، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد قصير العاملي، مكتبة الأعلام الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، قم.

٩٨ ـ *الطهراني، أقا بزرك*، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت.

٩٩ ـ *العروسي، عبد علي بن جمعة الحويزي*، تفسير نور الثقلين، مطبعة اسماعيليان، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ، قم.

١٠٠ ـ *العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر*، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، بيروت.

١٠١ ـ *العك، الشيخ خالد عبدالرحمان*، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، لبنان ـ بيروت.

١٠٢ ـ *العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود*، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، قم.

١٠٣ ـ *العيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب*، كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، بيروت.

١٠٤ ـ *الغرناطي، محمد بن أحمد بن جزي*، التسهيل لعلوم التنزيل، تصحيح: عبدالله الخالدي، دار الأرقم، ١٤١٦هـ/١٩٩٥، بيروت.

١٠٥ ـ *الغرناطي، محمد بن يوسف أبو جنان الاندلسي*، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، بيروت.

١٠٦ ـ *الغزالي، محمد*، كيف نتعامل مع القرآن، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، المنصورة

١٠٧ ـ *القاضي، أبو الحسن عبدالجبار الاسدآبادي*، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: محمود محمد قاسم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر.

١٠٨ ـ ....، شرح الاصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بيروت.

١٠٩ ـ ....، تنزيه القرآن عن المطاعن، الشركة الشرقية، بيروت.

١١٠ ـ *القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري*، الجامع لأحكام القرآن، تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، بيروت.

١١١ ـ *القزويني، محمد بن اليزيد*، سنن ابن ماجد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار احياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ، بيروت.

١١٢ ـ *القسطنطيني الرومي، مصطفى بن عبدالله*، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، بيروت.

١١٣ ـ *القشيري النيشابوري، مسلم بن الحجاج*، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١١٤ ـ *القشيري*، لطائف الاشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، مصر.

١١٥ ـ *القطني، علي بن عمر الدار*، سنن الدارقطني، نشر عالم الكتب، بيروت.

١١٦ ـ *القمي، الشيخ عباس*، الكنى والألقاب، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، قم.

١١٧ ـ *القمي، علي بن إبراهيم*، تفسير القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، بيروت.

١١٨ ـ *الكاشاني، المولى محسن الفيض*، تفسير الصافي، تصحيح: حسين الاعلمي، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت.

١١٩ ـ *الكليني الرازي، محمد بن يعقوب*، الكافي، دار الكتب الاسلامية، ١٣٦٣ ش، طهران.

١٢٠ ـ *اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق، تحت اشراف العلّامة جعفر السبحاني*، موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الإمام الصادق عليه‌السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، قم.

١٢١ ـ *المجلسي، محمد باقر*، بحار الأنوار، منشورات المكتبة الاسلامية، طهران.

١٢٢ ـ *المراغي، أحمد مصطفى*، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، بيروت.

١٢٣ ـ *المصطفوي، حسن*، التحقيق من كلمات القرآن الكريم، بنگاه للترجمة والنشر، ١٣٦٠ هـ ش.

١٢٤ ـ *النبهاني، القاضي يوسف بن اسماعيل*، جامع كرامات الأولين، تصحيح: الشيخ عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بيروت.

١٢٥ ـ *النبهاني، يوسف بن اسماعيل*: جامع كرامات الأولياء، تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، بيروت.

١٢٦ ـ *النجاشي، أحمد بن علي*، رجال النجاشي، نشر دار الأضواء، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، بيروت.

١٢٧ ـ *النسراجي، ناصر كاظم*، الطبرسي ومنهجه في التفسير اللغوي، دار المرتضى، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، بيروت.

١٢٨ ـ *النوري الطبرسي، الميرزا حسين*، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م، قم.

١٢٩ ـ *النيسابوري، محمد بن محمد بن الحاكم*، المستدرك على الصحيحين، تعليق: الدكتور يوسف عبدالرحمان المرعشلي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، بيروت.

١٣٠ ـ *الهندي، ابن حسام الدين*، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط الشيخ البكرل حياني، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، بيروت.

١٣١ ـ *أبو زهرة، الشيخ محمد*، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت.

١٣٢ ـ *أبو زيد، الدكتور حامد نصر*، هكذا تكلم ابن عربي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، المغرب.

١٣٣ ـ *أبو شهبتر، محمد بن محمد*، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، دار الجيل، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، بيروت.

١٣٤ ـ *أبو شيبة الكوفي العبسي، عبدالله بن محمد،* المصنّف، تعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ١٤١٤هـ، بيروت.

١٣٥ ـ *أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة،* سنن الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، بيروت.

١٣٦ ـ *أحمد أمين،* فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٧ ـ *أحمد بن حنبل،* مسند أحمد، نشر دار صادر، بيروت.

١٣٨ ـ *بحر العلوم،* محمد مهدي، الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم ،مكتبة الصادق، اول ١٣٦٣ش، طهران.

١٣٩ ـ *تيمية، أحمد بن،* مقدمة في أصول التفسير، محمود محمد محمود نصار، دار التربية.

١٤٠ ـ *جعفر، خضير،* الشيخ الطوسي مفسّراً، مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ، قم.

١٤١ ـ *جمعي از نويسندگان،* يادنامه طبري، سازمان چاپ وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى، اول، ١٣٦٩ش، تهران.

١٤٢ ـ *دكتر نصيرى،* ارزيابى بررسى توصيفى تحليلى «التمهيد».

١٤٣ ـ *دهخدا، علي أكبر،* لغت نامه، دانشگاه تهران،١٣٣٧ ش ، طهران.

١٤٤ ـ*رشيد رضا، محمد،* تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، بيروت.

١٤٥ ـ*زغلول، محمد صمد،* التفسير بالرأي قواعده وضوابطه واعلامه، مكتبة الفارابي، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دمشق.

١٤٦ ـ *صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم،* تفسير القرآن الكريم، تصحيح: محمد خواجوي، نشر بيدار، ١٤١٠هـ، قم.

١٤٧ ـ ....، كسر أصنام الجاهلية، تحقيق: الدكتور محسن جهانگيري، بنياد حكمت اسلامي صدرا، الطبعة الأولى،١٣٨١ ش ، طهران.

١٤٨ ـ ...، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار احياء التراث العربي، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، بيروت.

١٤٩ ـ ...، شرح أصول الكافي، تصحيح: محمد خواجوي، مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، الطبعة الأولى، ١٣٦٦ ش ، طهران.

١٥٠ ـ *عبد الخالق، عبدالغني*، حجية السنّة، دار السعداوي، جدة.

١٥١ ـ *عبد الرازق علي*، الإسلام وأصول الحكم، دار الجنوب للنشر، ١٩٩٦م، تونس.

١٥٢ ـ *عبد الرحيم، عبدالغفار*، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، المركز العربي للثقافة والعلوم.

١٥٣ ـ *عبده، محمد*، الاعمال الكاملة، محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، بيروت.

١٥٤ ـ *عثمان أمين*، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، المجلس الاعلى للثقافة.

١٥٥ ـ *عقيقي تجشايشي، عبدالرحيم*، طبقات مفسران شيعة، نويد اسلام، الطبعة الاولى، ١٣٧٣ش، قم.

١٥٦ ـ *عليزاده*، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب.

١٥٧ ـ *عميد زنجاني، عباسعلي*، مباني وروش‌هاى تفسير قرآن، وزارة فرهنگ وارشاد اسلامي، چهارم، ١٣٧٣ش، طهران.

١٥٨ ـ *مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي*، تفسير مجاهد، تخريج: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، بيروت.

١٥٩ ـ *محمد صالح، عبدالقادر*، التفسير والمفسّرون في العصر الحديث، دار المعرفة، الطبعة الاولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، بيروت.

١٦٠ ـ *محمد علي أيازي*، المفسّرون حياتهم ومنهجهم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ق، طهران.

١٦١ ـ *مركز الثقافة والمعارف الاسلامية*، علوم القرآن عند المفسّرين، مكتب الإعلام الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، قم.

١٦٢ ـ ***معرفة، محمد هادي***، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٤هـ، قم.

١٦٣ ـ ....، التفسير الأثري الجامع، مؤسسة التمهيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، قم.

١٦٤ ـ ....، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية،الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ، مشهد.

١٦٥ ـ ....، التمهيد في علوم القرآن، مطبعة مهر، ١٣٩٦هـ، قم

١٦٦ ـ ***نويهض، عادل***، المفسّرون من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٦٧ ـ ***هدى جاسم***، المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، مكتب الإعلام الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤/١٩٩٤م، قم.

١٦٨ ـ ***ياقوت***، معجم الادباء، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، بيروت.

فهرس الموضوعات

الباب الثالث

منهج التفسير الاجتهادي ونماذجه